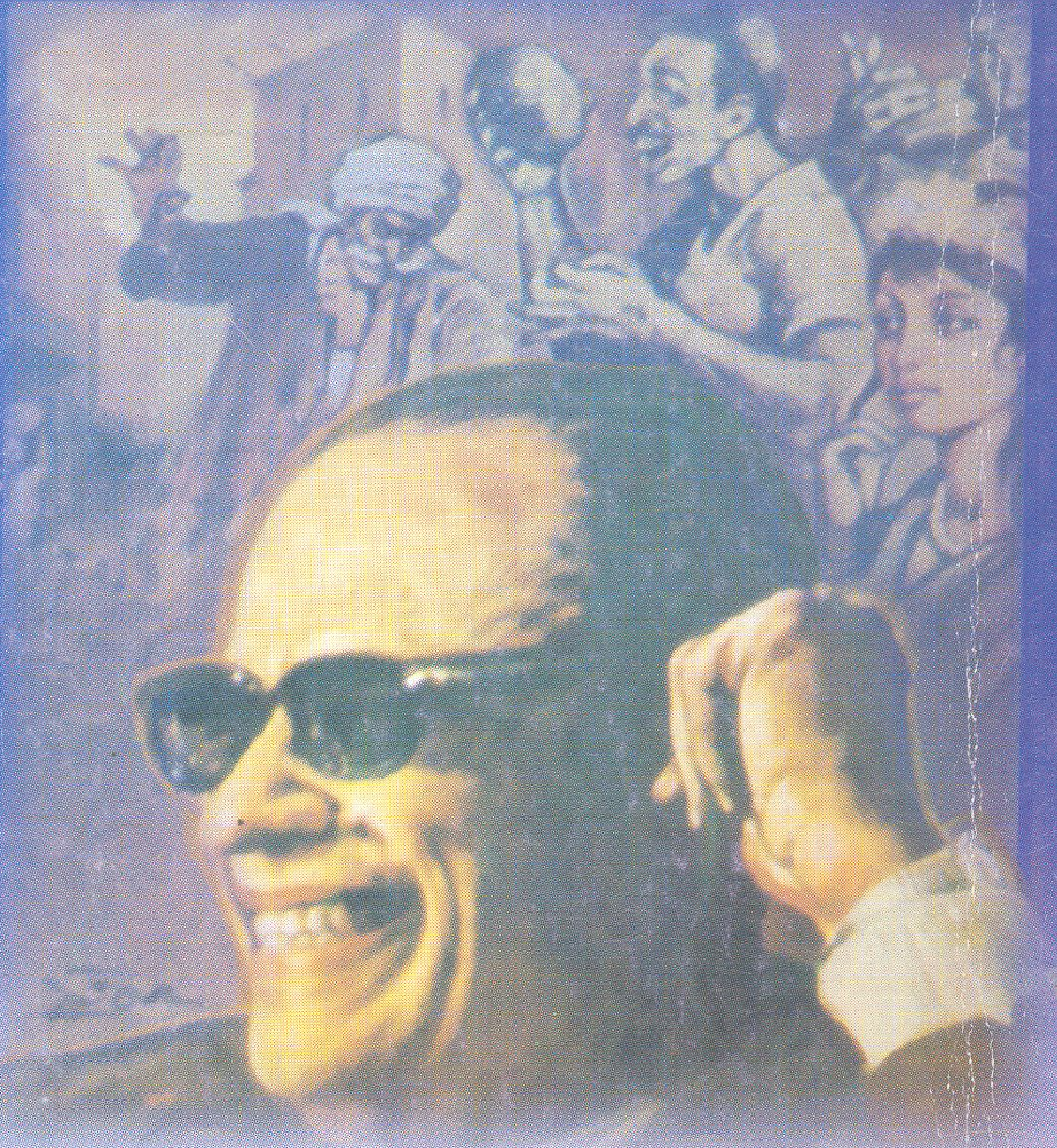
نجيب محفوظ . . نوبل

حول المجرم والجريمة والظواهر الإجرامية





دكتور مصطفى محمد موسى



نجيب محفوظ .. نوبل ...

حـــول المجـــرم
والجـــــــريمـة
والظواهر الإجرامية

دكتور/ مصطفى محمد موسى

قال الله تعالى : ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) ﴾ سورة القلم

ستظل المدواة والقلم والكتابة اليدوية الوسيلة الأساسية فى حفظ البيانات والمعلومات ، وستستمر فى عصر التقنية الإلكترونية الرقمية وما بعدها حتى يرث الله الأرض ومن عليها .. فهى الأمن والأمان لحماية البيانات والمعلومات من الأساليب الإجرامية التى تستخدم تلك التقنية لارتكاب جرائم الاعتداء على النفس والمال والمصلحة العامة فى المستقبل .

إهداء[1]

إلى كل :

إنسان واثق من نفسه ... متحمس... محب للبحث العلمى من أجل علم ينتفع به عن معرفة موضوعية صادقة، وإنطلاقة علمية جديدة للحضارة الإسلامية.

1 ـ الذى دفعنى لصياغة الإهداء بهذا الأُسلوب نابغة البحث العلمى الشاب الواثق المتحمس «متعب شُديد الهماش» الذى يسافر عبر الأرض والفضاء الإلكترونى للحصول على المراجع التى تخدم أبحاثه ومحبى البحث العلمى فى المملكة العربية السعودية وسائر البلاد العربية من أجل حضارة إسلامية جديدة.

مقدمة

نبدأ هذا الكتاب ببداية البشرية حينما طرد الله سبحانه وتعالى آدم وحواء من الجنة إلى الأرض.. وأنجبا هابيل وقابيل.. وأختين.. تزوج كل من هابيل وقابيل أختيهما.. فغار قابيل من شقيقه هابيل لأن زوجته أجمل من زوجته.. فاغتال قابيل أخاه هابيل.. فكانت شرارة الاغتيالات على الأرض[1].. التي توالت عبر العصور بدوافع متباينة.. سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أودينية، بعضها نجح بإزهاق الروح والكثير فشل.. لأن إرادة الله لم تشأ.

والكتاب الذى بين يديك هو ضمن سلسلة كتب ستركز - بإذن الله - على نماذج من محاولات الاغتيالات والتفجيرات فى نهاية القرن العشرين وبداية الواحد والعشرين، لكثرتها، وبشاعتها، ولاستخدامها التكنولوجيا المتطورة التى صنعها الإنسان لخدمة البشرية فتحولت إلى وسيلة للتفجير والقتل فى أيدى المنظمات العقائدية المرتكزة على خطأ فى الفكر، وغلو فيه، والمعتمدة فى دعمها على قوى خارجية.. فلم تصبح تلك المحاولات فردية مثلما فعل قابيل بأخيه هابيل بل أصبحت عملاً جماعياً مخططاً ومنظماً.

ووقع الاختيار على محاولة اغتيال أديب مصر والعالم نجيب محفوظ ليكون باكورة هذه السلسلة لعدة أسباب :

- أنه مسلم، يشهد بأنه، لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

- ليس لديه غلو فى عقيدته، يبلغ من العمر 83 سنة وقت الحادث.. لا حول له ولاقوة، سوى عقله وقلبه ولسانه وكلمته ويده وقلمه.. فلا سلاح، ولا حرس، ولا حراس.

والأديب الكبير حاصل على :

- وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى. منحه له الراحل الرئيس جمال عبدالناصر فى عيدالعلم.. وهو أول وسام فى حياته.

1. محمود مصطفى محمد موسى : السلام على الأرض، مقالة باللغة الإنجليزية، حائزة على الجائزة الثالثة فى المسابقة العالمية للناشئين التى عقدها معسكر الونيوست الأمريكية فى ولاية لكاناتيكات سنة 1995م، تحت رعاية منظمة الأمم المتحدة.

● جائزة الدولة التقديرية .. في عهد الراحل جمال عبدالناصر.

● درجة الدكتوراه الفخرية من كلية الآداب جامعة القاهرة.

● جائزة نوبل في الآداب عام 1988، والعديد من الجوائز فيما بعد.

● قلادة النيل... أعلى قلادة يمنحها رئيس الدولة في جمهورية مصر العربية ومنحها له الرئيس محمد حسني مبارك.

والجناة .. كلهم من الشباب الذين كانوا ضحية الإعجاب عن جهل وعدم وعي بأقوال باطنيه باطلة تملأ مجتمعنا الإسلامي في نهاية هذا القرن فأهلكهم إعجابهم بأقوالهم، وهؤلاء ممن قال الله تعالى فيهم :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ * ﴾[1].

وكان في حساب هؤلاء الشباب أنهم بأفكارهم وفعلهم إنما يحسنون صنعاً ... فمثل هذه الأعمال الإرهابية ومعتقداتهم الفكرية كمثل من قال الله تعالى فيهم :

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * ﴾[2].

يعتبر الكتاب ثمرة جهد استمر أكثر من ثلاث سنوات تقريباً في محاولة لحصر ما أمكن من وثائق منشورة وكلمات مكتوبة أو مسموعة أو مرئية بشأن الحادث وردود فعله محلياً وعربياً ودولياً .. فهي محاولة لتوثيق الكلام المكتوب والمنشور ليقرأ، ويعلم الحاضر ومن يأتي بعدنا نتيجة الغلو في العقيدة، عن خطأ وجهل، ومايترتب عليها من آثار سلبية على الإنسانية.

---

1 - القرآن، سورة البقرة، الآيتان : 204-205.

2 - القرآن، سورة الكهف، الآيتان : 103-104.

وتناول موضوع هذا الكتاب كان دون غلو أو تحزب أو تعصب.. فهو محاولة للتوثيق والتحليل كي نخرج بسلبيات الغلو وإيجابياته المتمثلة فى معرفة الأساليب الإجرامية.. والدوافع والأسباب.. وهى مهما كانت فنهايتها شرعاً.. القتل حداً أو تعزيراً.. وفى النظم الوضعية.. الإعدام.. أو الأشغال الشاقة المؤبدة.. أو المؤقته.. أو السجن .. أو الحبس، فالعين بالعين.. والسن بالسن والبادى أظلم.

هيا .. بنا .. نثرد الكلام المحفوظ فى محاولة اغتيال نجيب محفوظ..

دكتور / مصطفى محمد موسى

القاهرة : 2003/5/22

الفصل الأول

نجيب محفوظ

نجيب محفوظ.. ١٩١١م.. بين حنان الأم.. وسلطة الأب[1]!!!

مساء 1911/12/11، تعثرت الأم في ولادتها.. فهرولت «الداية» إلى الأب.. فأسرع أحد الاصدقاء ليحضر الدكتور «نجيب محفوظ» أشهر أطباء النساء والتوليد.. تمت بحمد الله الولادة..

أصر الأب على أن يحمل ابنه اسم الطبيب.. فيصبح «نجيب محفوظ عبدالعزيز إبراهيم أحمد الباشا»[2].نشأ وترعرع في أحضان حي الحسين الأثرى الشعبي.. ولعب في ميدان بيت القاضي وكانت والدته تصطحبه لزيارة الآثار الإسلامية والفرعونية.. رغم أنها لم تكن متعلمة ولامثقفة.. واستمرت تأخذه لهذه الاماكن عدة مرات.. كانت أمه أقرب إليه من أبيه.

والدته ابنة لاحد مشايخ الأزهر.. وكثيراً ما كانت تناديه بـ«أبوالتفانين» لاهتمامه بالأدب والفن.. فكانت تفاجئه بين فترة وأخرى بالكتب الأزهرية.

من هذا المنطلق.. تعتبر أمه أول من تنبأ له بهذا المستقبل.. نوبل فهي التي وضعت اللبنة الأولى لفكره الإسلامي وأدبه الواقعي بالاشتراك مع سلطة الأب في التأديب والتهذيب.. حتى أصبح نجيب محفوظ المؤدب.. خلقاً وعملاً وتواضعاً وتسامحاً.. فحنان الأم مع سلطة الأب التي لم تغب أثمرت نجيب محفوظ الرجل المنضبط.. فالعوامل البيئية في الأسرة كان لها التأثير المباشر في هذه المحصلة. ويقول الأستاذ نجيب محفوظ عن سلطة أبيه.. «أذكر أن أبي كان يضربني بالعصا على قدمي حين أخطئ، فكان يخيل لي - وقتها - أن الضرب شئ فظيع للغاية، وبمرور الأعوام، اعتقدت الآن أنه كان ضرباً هيناً جداً أو لابد منه إذا لزم الأمر لتقويم مسار الصبية الصغار»..

لذلك، أصبح نجيب شخصاً سوياً.. ولم يتحول إلى شخص منحرف.. فقد أفاد الأمة الإسلامية والعربية والمصرية.. بل العالم كله!!!

1- سامية عطا الله : المعروف والمجهول في أحياء وحياة نجيب محفوظ، حديث لصحيفة - الشرق الأوسط، العدد 5308 بتاريخ 1993/3/10م.

2- رجاء النقاش : في حب نجيب محفوظ، (دار الشروق) ، القاهرة، الطبعة الأولى، 1405-1995م) ، ص24.

نجيب محفوظ .. والمقهى!!

كانت مهمة جداً في حياته الأولى.. ومازالت .. وهي بمثابة نادٍ.. أول مقهى كانت قشتمر.. ثم إزيس ثم انتقل إلى عرابى ولم يلتزم بها هو وأصدقاؤه «الحرافيش» لأنها مقهى الكبراء.. يجلس فيها باشوات العباسية والناس الكبار!.. وكان هو واصدقائه يتهيبوهم!!

فذهبوا إلى حيٍّ الحسين وكانوا يجلسون أمام زقاق المدق ومقهى الفيشاوى.. ولما عرفها أحبها واستقر فيها.. أما مقهى على بابا بميدان التحرير «الإسماعيلية سابقا» فهى قهوته الخاصة التى يذهب إليها مترجلا من منزله فى الصباح الباكر لانها تفتح على مدار 24 ساعة»[1].

ويقول : جمال الغيطانى أحد تلاميذ نجيب محفوظ ومن المهتمين تعليماً وكتابة بمقاهى القاهرة[2] : «المقهى فى القاهرة بمثابة صالون المنزل.. بدءاً من القرن التاسع عشر.. أصبح المقهى بديلاً للصالون.. لأن المنازل لم تعد بها إمكانات لاستقبال الضيوف.. وصار المقهى بديلاً للمنتدى.. والنادى والصالون.. وصارت المقاهى مكاناً للتجمع الإنسانى.

ويمكن القول أن العصر الذهبى لمقاهى القاهرة كان فى النصف الأول من هذا القرن. خاصة فى عشريناته والعقد التالى مباشرة.. وكانت القاهرة آنذاك جميلة.. وهادئه.. تزخر بالعديد من المقاهى منها. على سبيل المثال: مقهى نوبار (مقهى المالية الذى تحول إلى مطعم ومبى).. وكان مجمعاً للفنانين.. ويقضى عبده الحامولى أمسياته فيه ومعه بعض أصحابه ومنهم باسيلى بك عريان المليونير الذى أفلس بعد إنفاقه نصف مليون من الجنيهات!..

1 ـ حديث نجيب محفوظ، فى الفيلم التلفزيونى «حارة نجيب محفوظ» الذى بثته القناة الفضائية المصرية.

2 ـ سليمان عبدالعظيم : قاهرة الـ ٧ الآف مقهى، تحقيق مصور بمعرفة شوقى مصطفى، نشر فى مجلة المصور العدد 3551 فى 11 ديسمبر 1992، ص23، 74.

وكان هذا الرجل يضيق أحياناً بزبائن المقهى فيطلب من صاحبه أن يخليه من الزبائن له.. ولإصدقائه فقط.. على أن يعوضه الخسارة!..

ومقهى السنترال بميدان الأوبرا.. وموضعه.. جزء من ملهى صفية حلمي (الذى هدم عام 1997) الذى كان.. يتسمى كازينو الأوبرا.. وكانت تعقد به ندوات نجيب محفوظ كل يوم جمعة.

وغيرها من المقاهى مثل متاتياً (ميدان العتبة الخضراء).. وقهوة القزاز (الموسكى)، ومقهى التجارة (شارع محمد على)، وعمره الآن أكثر من 130 عاماً.. ولازال قائماً حتى الآن.. ومعظم رواده من الموسيقيين مثل فرق حسب الله الذى كان أحد الموسيقيين بخدمة الخديوى إسماعيل.. والذى شكل بعد خروجه من الخدمة أول فرقة للموسيقى تتقدم الجنازات والأفراح.

والمضحكخانه (السيدة زينب).. ومقهى عكاشة (شارع محمد على).. ومقهى الفن في مواجهة مسرح رمسيس (نجيب الريحانى).. والتى يتجمع فيها البؤساء من الفنانين والكمبارس والنساء الضاحكات.. وفيها كانت تجلس أمينة رزق ودولت أبيض وزينب صدقى ومارى منصور وفاطمة رشدى وعزيز عيد وأحمد علام نقيب الممثلين.

وحتى أربعينات هذا القرن كان يوجد عدد كبير من المقاهى فى روض الفرج.. وكلها مقاه تعرض فنوناً مثل الغناء والمونولوج، ويوجد فى شارع محمد على مقهى للمنجدين.. وفى باب الشعرية مقهى لعمال الأفران البلدية.. وقهوة الخرس بجوار سينما كايرو.. ومن أشهر مقاهى النرجيلة في القاهرة ثلاث هى : الندوة الثقافية بباب اللوق.. وآخرى تحمل الاسم نفسه بمصر الجديدة وثالثة بشارع أحمد سعيد بالعباسية.

وفى الخمسينات.. نجد «انديانا» فى الدقى وكان من رواد الندوة الأدبية اليومية التى تعقد بها رجاء النقاش وأنور المعداوى وسليمان فياض.

وتشكل مقاهى القاهرة وحدة سياسية واقتصادية واجتماعية وإنسانية.. وفيها تصب كل العناصر التى يتشكل فيها الرأى العام المصرى ويلعب المقهى فى مصر دوراً سياسيا مهماً للغاية»..

ويضيف الأديب جمال الغيطاني «أنه خلال مواسم الانتخابات تصبح المقهى هى المكان الذى تنطلق منه الدعاية الانتخابية ويحرص كل مرشح على زيارة مقاهى المنطقة.. يجلس إلى الرواد ويتودد إليهم ويعمل المرشح حساباً كبيراً للمقاهى.. وقد يدعو كل الجالسين لشرب الشاى أو القهوة مجاناً!! وقد تتم في المقهى اجتماعات تنظيمية بدون أن يدركها أو يعلم أمرهم صاحب المقهى».. وتأكيداً لذلك فإن نهاية من قاموا بمحاولة اغتيال نجيب محفوظ كانت بمقهى كائن بعين شمس (شرق القاهرة) حيث داهمته أجهزة الأمن، لضبط المتهم الأول باسم محمد خليل شاهين وعمر محمد إبراهيم ومحمد ناجى محمد مصطفى فبادروا بإطلاق النيران واضطرت قوة الأمن للتعامل معهم مما أدى إلى إصابة الأول ووفاته متأثراً بجراحه وإصابة آخر وأحد المواطنين[1].

«والمصريون يرتبطون بالمقهى ارتباطا كبيراً، ولكل منهم مقهاه المفضل الذى يقع عادة بالقرب من سكنه أو مقر عمله، ودائماً كانت نقاط التجمع السكانية تزدحم بعدد كبير من المقاهى.

وبعض رواد المقاهى يتخذونها مقراً ثابتاً لاعمالهم التجارية مثل السماسرة والمقاولين، كما يطوف بها الباعة الجائلون يحملون بضائعهم التى تتشكل من أقلام الحبر والنظارات والمحافظ الجلدية وسلاسل المفاتيح المعدنية، وعندما يدرك التعب أحدهم يجلس إلى مقعد يلتمس فيه الراحة.

والبعض يرى أن المقاهى أماكن يتبدد فيها الوقت، وتعطل الإنتاج، ولكن المقهى فى مصر يعتبر نقطة انتقال ما بين العمل والبيت، وأى صنايعى أو حرفى فى مصر لايذهب رأساً إلى عمله إلا بعد أن يعمل «اصطباحة» يتناول فيها الشاى ويدخن البورى أو الشيشة قبل أن يذهب إلى عمله.. والمقهى هى نقطة ما بين البيت والعمل.. وعند العودة للمنزل كذلك».

تلعب المقاهى فى النهار دوراً اقتصادياً فى المقام الأول، لأنها أماكن للقاءات عمل أياً كان نوع العمل.. مشروعاً أو غير مشروع.. كما أنها فى الليل المتأخر تلعب بعض

1 - جريدة الشرق الأوسط، العدد 5820، الإثنين 1994/10/17.

المقاهي أدواراً مشبوهة لترويج المخدرات أحياناً .. وللعب القمار أحياناً أخرى .. وبخاصة في الأحياء المتطرفة (الضواحى).. أما في النصف الثانى من اليوم والصباح المبكر فما تزال المقاهي تلعب الدور التقليدى في استقبال الحرفاء التقليديين الذين قد يهربون من البيوت المكتظة بالأولاد.. والمحملة بهموم الحياة اليومية.. ولقد انحسر هؤلاء الحرفاء في الآونة الأخيرة لتردى الأحوال المالية لمعظم الناس.

ومقاهي التسعينات لاتلعب دوراً سياسياً كما كان، لأن الأجيال الجديدة منشغلة بلقمة العيش الضرورية من الإفطار إلى الغذاء إلى العشاء.. وهذا مبرر لعدم انشغالهم بالسياسة[1].

للقهوة وظيفة اجتماعية، ولو لم تكن كذلك لاندثرت، وهو ما يفسر ازدياد عددها. فوظائفها إيجابية، فمقهى «ريش» متخصص وسيظل مثل المنتديات الثقافية، وهناك مقهى «أم كلثوم» بشارع عرابى يضم سميعة الست الأصليين الذين يشتركون في حب أم كلثوم ويقدرون أغانيها ويتجمعون هناك على هذه المقهى الذى يوحد الناس إلى مايهفون إليه. فالانسان يهرب إلى مكان يجد فيه إناساً يفهمونه.. ويشتركون معه في أفكاره.. وقد يهرب من أسرته وأولاده.. والإنسان دائماً يحب التغيير ولذا يذهب إلى المقهى.. والسبب أن النوادى الرياضية تطلب تبرعات واشتراكات للعضوية باهظة لذا فالمقاهي «نوادى من لا نادى لهم»[2].

نجيب محفوظ السر.. كما تحب تكون[3]!!

فكيف كان؟!!

تعلق بأمه.. فأدركت ذلك وحاولت أن تختار له زوجة.. فكان يرفض.. وأثناء زيارة لأحد أصدقائه شاهد شقيقته وتدعى «عطيات الله» فقرر أن يتزوجها.. وعليه تم عقد النكاح بإحدى عوامات الزمالك، سنة 1954... أخفى خبر زواجه حتى عن أهله!!..

1 - 2- سليمان عبدالعظيم : قاهرة الـ ٧ الآف مقهى، المرجع السابق، ص23 - 74.

3 - نجيب محفوظ : أصداء السيرة الذاتية، ملحق جريدة الأهرام، الجمعة 1994/4/8.

ظل الناس يجهلون خبر زواج نجيب محفوظ حتى وقعت مشاجرة فى إحدى المدارس التى تنتسب إليها ابنته الكبرى «أم كلثوم» وقد اعتدت على زميلتها بالضرب.. فجاء والد الزميلة يشكو للأب نجيب محفوظ ابنته.. وهنا صار الخبر علانية.. حتى شلة «الحرافيش» لم تكن تعلم إلابعد وقوع تلك الحادثة حين دخل الراحل صلاح چاهين على الراحل الكاتب أحمد بهاء الدين - فى بداية الستينات - وكان الأخير رئيساً لتحرير مجلة «صباح الخير» إلى مكتبه، وقال له : «تصور .. مش نجيب محفوظ طلع متجوز» !!

وكان من عادة نجيب محفوظ أن يمشى مع أصدقائه حتى كوبرى الجلاء، ثم يودعهم ويرحل.. وصمموا على مراقبته، مدعين أنهم ذاهبون إلى بيوتهم، ثم عادوا وساروا خلفه وتبينوا أنه لايذهب إلى بيت أهله، بل يتجه إلى المنزل رقم 172 شارع النيل بالعجوزة، شقة رقم «1» !![1].

أنجب ابنتين: «أم كلثوم» و«فاطمة» الأولى أسماها بهذا الاسم حباً فى كوكب الشرق السيدة أم كلثوم التى تربطه بها صداقة وحين علم أن الاسم الحقيقى لها هو «فاطمة» قرر إذا أنجب ابنة أخرى أن يطلق عليها «فاطمة» وقد كان.

وفى قراره هذا محق .. فكوكب الشرق أم كلثوم «أكثر من ظاهرة ثقافية وفنية فهى عبرت عن وجدان شعب كامل من المحيط إلى الخليج[2] العربى، ورافقت كل التحولات والثورات والنكبات حتى أواسط السبعينات».

وأول من تنبه إلى نفوذ أم كلثوم، وتأثيرها على الوجدان المصرى والعربى، كانت المخابرات البريطانية[3].. وأثناء الحرب العالمية الثانية، وبينما رومل يتقدم نحو حدود مصر قادماً من ليبيا، وضعت المخابرات البريطانية خطة لخطف أم كلثوم، وإنشاء إذاعة فى صعيد مصر لبث أغنياتها، على أن تستغل هذه الإذاعة أيضاً ضد قوات المحور.. وبرر السيد فيرغسون مدير الإذاعة البريطانية هذه الخطة بقوله إن محطة الإذاعة التى تقتنى

---

1 ـ سليمان عبدالعظيم : المرجع السابق، ص74.

3-2 ـ محمود الكردوسى: الحزب الوحيد الذى رافق كل المراحل والمنعطفات، مقال، مجلة الوسط، العدد 159، 1995/2/13، ص55-56.

صوت أم كلثوم هى التى سيستمع إليها العرب فى كل أنحاء العالم.. وهكذا منع البريطانيون فيفيان لى بطلة فيلم «ذهب مع الريح» من إحياء حفلة لصالح جنودهم كان مفترضاً أن يقام على مسرح الأزبكية فى القاهرة، لأن موعده وافق الخميس الأول من الشهر، ففى الساعة العاشرة من مساء هذا اليوم يهدأ الضجيج فى شوارع القاهرة، وفى الدار البيضاء يكف الشيوخ فى المقاهى عن لعب الطاولة.. وفى بغداد يحدث نفس الشئ.. وفى الصحراء يأوى الأعراب إلى خيمهم ينتظرون الحفلة الشهرية التى يذيعها راديوالقاهرة للمطربة أم كلثوم.. ولذلك قال صحفى أمريكى فى مجلة «لايف» فى يونيو 1962: «هناك فى الشرق الأوسط صرحان لايتغيران : «أم كلثوم والأهرامات».. هكذا كانت أم كلثوم «واجهة العرب الحضارية».. لذلك أنتخبت فى عام 1953 عضواً شرفياً فى جمعية «مارك توين» الأمريكية الدولية «تحية لجهدها العظيم فى الموسيقى وإسعادها الملايين بفنها».. ومن بين أعضاء الشرف فى هذه الجمعية إيزنهاور وتشرشل وروزفلت!! ولنفس الأسباب حصلت على وسام الكمال وقلادة النيل من مصر ونيشان الرافدين العراقى، ووسام الارز اللبنانى، ووسام النهضة الأردنى، ووسام الاستحقاق السورى[1]!!

ولقد أرست أسس علاقة الفنان بقضايا وطنه وأمته.. ففى حرب فلسطين عام 1948 قامت بحملة لجمع التبرعات لصالح المجهود الحربى بلغت حصيلتها 22 ألف جنيه، أضافت إليها 500 جنيه من مالها و 40 جنيهاً أجرها من الإذاعة عن كل مرة يذاع فيها «نشيد الشباب» الذى أنشدته من أجل فلسطين[2].

وأثناء حصار القوات المسلحة فى الفالوجة (من بينهم جمال عبدالناصر) فى معركة 1948، أرسلت تلك القوات إلى القيادة برقية تطلب فيها أن تغنى لهم أم كلثوم فى حفلتها الشهرية أغنية «غلبت أصالح روحى»، غير أنها وجدت فى مطلع الأغنية ما يمكن أن يسئ إلى هذه القوات فغنت دون أن تشير إلى من طلبها!! ثم غنت فى الحفلة نفسها

1-2 ـ محمود الكردوسى : المرجع السابق.

«أنا في انتظارك» بعد أن أعلن مذيع الحفل أنها تؤديها تلبية لطلب قوات الفالوجا المحاصرة[1].

هذه الواقعة وغيرها كانت من الأسباب التى حدت بضباط ثورة 1952 إلى الإفادة من جماهيرية أم كلثوم ومحاولة استيعابها لمصلحة توجهاتها القومية، مما دفع جمال عبدالناصر عندما علم ذات صباح من عام 1952 أن مسئولاً فى الإذاعة يدعى «العميد الرحمانى» أمر بوقف بث أشرطة أم كلثوم بحجة أنها كانت تغنى للملك فاروق.. فسأله جمال عبدالناصر «طب الشمس كانت بتطلع أيام العهد البائد.. نلغيها !»[2].

فرقة البولشوى تخرج عن تقاليدها.. السبب أم كلثوم.

حدث ذلك عندما زارت أم كلثوم الاتحاد السوفيتى بناءً على دعوة من وزير الثقافة إيكاترينا فورتسيتا من أجل إحياء ثلاث حفلات فى موسكو.

ففى مساء اليوم التالى لزيارة أم كلثوم.. كان فى برنامجها زيارة معالم مترو الأنفاق ذو النجف الكريستال.. والسجاجيد التى تزين محطاته.. استغرقت أم كلثوم فترة طويلة فى مشاهدة محطات المترو.. ثم عادت إلى فندق «مراسيا» حيث تقيم.. بدلت ملابسها بسرعة.. وتوجهت إلى مسرح البولشوى.. كان فى شرف استقبالها المسئولون وعلى وجوههم علامات التوتر والقلق.. بسرعة تم اصطحابها إلى المكان المخصص لجلوسها.. اتجهت الأنظار إليها.. وبمجرد استوائها على المقعد أطفئت أنوار المسرح.. وبدأ العرض.. فى الاستراحة عرف الوفد سبب التوتر.. تأخر أم كلثوم عن موعد رفع الستار وأمام أهميتها الكبيرة كضيفة تنازلت الفرقة عن موعدها وظلت فى انتظارها.. وكانت المرة الأولى التى تتأخر فيها فرقة البولشوى عن تقديم عرضها.. وأن الستار تأخر

---

1 ـ أخبار النجوم، يوم 1997/4/12.

2 ـ توفت كوكب الشرق أم كلثوم فى 1975/2/4 وشيعت جنازتها عسكرياً لحملها قلادة النيل أعلى الاوسمه فى مصر، راجع : محمد الشاذلى وهدى سويد : أم كلثوم والخلافة المستحيلة، ملف صحفى، مجلة الوسط، العدد 259- 1995/2/13، ص52.

عن موعد رفعه مايقرب من خمس عشرة دقيقة وهي مدة طويلة حسب قواعد وتقاليد العمل في فرقة البولشوي[1].

صفاء .. فتاة العباسية!!

عرف نجيب محفوظ الحب وهو في سن 15 بينما كانت حبيبته في سن 20 .. كان يحدثها ويلقاها ويعرفها .. ثم عاشت في خياله عشرين عاماً .. وينفي أنها كانت أكثر تأثيراً في عواطفه.

يردد المقربون منه، أن السنين لم تستطع أن تمحو آثار هذه التجربة، العاطفية من قلبه وحجتهم أنه ترجمها في روايته الشهيرة «الثلاثية» فكانت عايدة تجسد شخصية «صفاء فتاة العباسية» بينما كان كمال عبد الجواد يجسد شخصيته[2].

نجيب محفوظ.. التخطيط وكيف يكون؟!!

يحب نجيب محفوظ التمسك بعاداته .. وهي في الواقع تخطيط وخطط .. والتمسك بتنفيذها .. فلولا التخطيط لما وصل إلى نوبل!!

فأهم ما يميز حياته الاستيقاظ في ساعة محددة .. المشي .. التردد على قهوة «على بابا» .. الجلوس في كازينو قصر النيل «اجتماع الحرافيش الأسبوعي .. إشعال سيجارة كل نصف ساعة قبل إجراء جراحة القلب .. التي توقف بعدها عن التدخين تقريباً .. فنجان قهوة على الريحة (سكر قليل) مرتين في النهار .. لكن أحوال العمر والصحة جعلته لا يلتزم الالتزام التام بكل المواعيد .. لانه شيئ مستحيل!!

فقد اختلفت المواقيت واضطرب معها موعد نومه وساعة استيقاظه .. حتى خروجه من المنزل تغير هو الآخر عن زمان .. وكله بحكم السن وما يتبعه من أرق النوم (كان الله في العون) .. فهو يصحو من النوم كل ساعتين على الأقل بالليل (توابع مرض السكر) .. فهو يتمنى أن يستيقظ في موعده كما كان الحال أيام زمان في الساعة 5 صباحاً .. فحالياً

1 - أخبار النجوم، يوم 1997/4/12.

2 - سليمان عبدالعظيم : المرجع السابق، ص74.

من الصعب أن يستيقظ فى نفس الموعد.. لماذا؟ لأنه لاينام لأكثر من ساعتين أو ثلاث!!.. ومع ذلك مازال متمسكاً بالمشى على كورنيش النيل وإن كان لم يعد ملتزما بمواعيد محددة لمزاولة هذه الهواية المحببة إلى نفسه.

يبدأ سنة العمل من أكتوبر وتنتهى فى أبريل.. مابين أبريل وسبتمبر لاعمل.. لا قراءة.. لاكتابة.. بسبب الحساسية والتعب وتصبح الصحة سيئة فى ذلك الوقت.

يبدأ عمله فى الساعة ٥ ص.. ويخرج من منزله ما بين الساعة 6 ص والساعة 6,30ص مترجلاً حتى مقهى «على بابا» حيث يتصفح الجرائد ويعود إلى منزله.. فإذا كان عنده كتابة كتب لغاية الظهر وإذا لم يكن كتابة فقراءة.

بعد الظهر.. قراءة حتى وقت التليفزيون الساعة 9 م.. هذا اليوم العادى، فيما عدا يومى الخميس والجمعة، فهو مخصص للأصدقاء والشئون الخاصة.

ولكن.. بعد محاولة الاغتيال تغير البرنامج!!

نجيب محفوظ.. ماذا قال عن..؟!!

الرجولة : شجاعة وتحمل المسئولية!!

رابطة العنق:.. لم يربط بها عنقه مرة واحدة فى حياته.. لم يشتريها ولم يرتديها.. لأنه يشعر بأنها تخنقه.. أليس اسمها «رابطة العنق»!!

العطر : «مجموعة من اللغات مستقلة بذاتها»!!

السفر : لم يغادر مصر سوى ثلاث مرات طوال حياته المديدة.. الأولى والثانية بأمر من الرئيس الراحل جمال عبدالناصر.. إلى اليمن ويوغوسلافيا.. والثالثة إلى لندن لإجراء جراحة القلب بأمر الأطباء.. «وكرهه للسفر ليس مرجعه عقدة نفسية، ولكن ميلاً للاستقرار وطمعاً فى الشعور بالأمن والآمان»!.

الدين : «سلوك ومعاملة».. ماوقر فى القلب وصدقه العمل.

الحب : «اتجاه من الروح والجسد نحو شخص من الجنس الآخر»!.

الصداقة : «علاقة روحية جميلة تربطك بشخص من نفس الجنس ومن جنس آخر»! صدقت فقلت!!

الحياة : «هى ما نفعله بها من أكل وشرب ونوم وعمل وزواج.. إلخ» !

الحياة دين ثقيل رحم الله من سدده[1] صدقت فالإنسان لن يأخذ من دنياه إلا ما أكله وشربه ولبسه ولن يترك إلا ثلاثاً : ولد صالح يدعو له، وصدقة جارية وعلم ينتفع به.

نجيب محفوظ .. موظف مظلوم[2] !!

نجيب محفوظ بين الكادر الإدارى والكادر الكتابى !!

يقول الأستاذ نجيب محفوظ «كنت موظفاً مثلثا (اعتقد يقصد مسالما)، ومع هذا ظلمت كثيراً لدرجة أنني لجأت إلى القضاء للحصول على حقى، فالمفارقة أنه فى أحد الأيام كانت اللجنة قد وقع اختيارها عليّ للترقية بالاختيار وقام بعضهم بتهنئتى فعلاً، وكانت المفاجأة!! تنتظرنى فى اليوم التالى حينما وجدت اسمى مشطوباً لأن كبير الديوان الملكى اتصل بوكيل الوزارة يوصيه بشخص آخر.. فكانت القضية، وتم نقلى من الكادر الإدارى إلى الكادر الكتابى دون قرار من مجلس التأديب، ولكننى كسبت القضية فى النهاية»..

نجيب محفوظ كاتب فى قلم المستخدمين !!

أول وظيفة.. كاتب فى قلم المستخدمين بإدارة الجامعة.. جامعة فؤاد الأول..

ثم سكرتير برلمانى للشيخ مصطفى عبدالرازق عندما عين وزيراً للأوقاف.

ومديراً لمكتب الراحل يحى حقى.. عندما انتدب إلى مصلحة الفنون.

ثم مديراً للرقابة على المصنفات الفنية بعد إلغاء مصلحة الفنون.. فى عهد ثروت عكاشة.. ولكنه لم يمكث فيها.. والسبب أن الوزراء كانوا يحتجون عليه بقولهم (إزاى بتاع أولاد حارتنا) يتعين مديراً للرقابة!! ولقد حدث سوء فهم فى المسرح القومى الذى

---

1 ـ نجيب محفوظ، «اصداء السيرة الذاتية»، مرجع سبق ذكره.

2 ـ عبداللطيف خاطر، محفوظ : كنت سكرتيراً ليحيى حقى، حديث صحفى، بمناسبة عيدميلاد الأستاذ نجيب محفوظ الثانى والثمانين، عن مشواره الوظيفى، جريدة اليوم، السعودية، بتاريخ 1994/2/20.

عـرض مـسـرحيـة « بداية ونهاية» فظن البـعض أنهـا «أولاد حـارتنا» بعد تغيير العنوان..
وأنه تغاضى عن ذلك بحكم موقعه كمدير للرقابة.. وفوجئ بهاتف من مكتب كمال الدين حسين، يقول : «إزاى تكون مديراً للرقابة وتمشى أولاد حارتنا وتعملها مسرحية!!!».

فكانت إجابته: «من قال لكم ذلك؟!!» .. بعدها أبعده ثروت عكاشة لإراحته وراحة نفسه من كلام الوزراء..

عُيِّنَ الدكتور عبدالقادر حاتم.. فقرر ضم مؤسسة السينما إلى الإذاعة والتليفزيون.. وتم تعيينه (أى نجيب محفوظ) مستشار أول لها.. وعندما عاد ثروت عكاشة مرة ثانية إلى وزارة الثقافة.. عينه رئيساً للمؤسسة ثم أصبح مستشاراً لها حتى تم إحالته إلى المعاش لبلوغه سن التقاعد (60 سنة).. وقبل هذا القرار عرض عليه الدكتور عبدالقادر حاتم رئاسة مؤسسة روزاليوسف.. ولكنه اعتذر أيضاً!!! وفوجئ بالعديد من محررى روزاليوسف يقابلونه عند «الحرافيش» (يقصد الندوة الاسبوعية).. ويرحبون به ويرجونه القبول.

والسبب الرئيس لرفضه.. الرغبة فى التفرغ للأدب.. أنه لم يصدق أن مدة خدمته قد انتهت لأنه من يوم دخوله الخدمة وهو ينتظر سن التقاعد. أما «فى روزا ليوسف فقد أدرك أن من يعمل رئيساً لمؤسسة صحفية لابد أن يضيع» لأن العمل سيكون مستمراً ليلاً ونهاراً.

نجيب محفوظ.. وأثر الوظيفة على إنتاجه الأدبى!!

يقول الأستاذ : «كانت الوظيفة مصدر إلهام لى وقدمت الكثير من المادة الأدبية لدرجة أن أبطال رواياتى موظفون واعطتنى الاستقرار والنظام، ولولا النظام لما كنت أديباً» الحقيقة لولا التخطيط لمستقبله الأدبى لما كان نوبل!!

نجيب محفوظ.. وألقابه فى العهد الملكى!!

قبل عام 1952.. حصل على لقب «أفندى» فقد وصله خطاب برسمه «نجيب أفندى محفوظ» وهذا هو اللقب الرسمى لكل الموظفين.

نجيب محفوظ.. والموظفين!!

أول مؤلف للأستاذ نجيب محفوظ.. «عبث الأقدار».. نصحه الأستاذ كامل الكيلانى كاتب روايات الاطفال وكان صديقه.. بألا يذكر موضوع التأليف لأنه سيثير تعاطف معظم الوزراء لان معظمهم من «المنشورين».. وفى نفس الوقت سيثير زملاءه الموظفين.. صدق الكيلانى!.. فكان الموظفون ينظرون إليه قبل كل ترقية ويقولون: «بكرة الوزير يفضل بتاع العيال علينا».

عمل الأستاذ نجيب محفوظ بنصيحة الصديق.. لأن الصديق من صدَّقك لا من صدقك.. لذلك كل مؤلفاته التى صدرت أثناء وجوده فى وزارة الاوقاف لم يعلم بها سوى عدد قليل!!

لقد أنفق الاستاذ نجيب محفوظ على الأدب أكثر مما عاد عليه منه مادياً.. ولكنه كسب أدبياً.. لقد تعرف فى بداية حياته على المرحوم كامل الشناوى.. وطلب منه الأستاذ حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام الكتابة فى الأهرام..

نجيب محفوظ.. أديباً.. أسيئ الظن به!!

نجيب محفوظ .. «رواية أولاد حارتنا» رواية إسلامية إيمانية.. مظلومة[1] !!

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم.. مامعناه إنما الأعمال بالنيات.. فما هى نية الأستاذ نجيب محفوظ عندما كتب رواية «أولاد حارتنا»؟!!

نجيب محفوظ .. أزهرى المولد والمنشأ.. ليس ضد الدين.. بل معه قلباً وقالباً.. وأن ما وقر فى قلبه صدقه العمل..

تلخصت نية الأستاذ نجيب محفوظ فى هذه الرواية فيما يلى :-

- شخصية الجبلاوى.. لاتمثل الذات الإلهية.. إنما تمثل قوة التدين والإيمان ويقين النفس البشرية.. وموته يقصد به عدم التمسك بهذه القيم والمبادئ والأخلاق الإسلامية وهذه حقيقة فى فترة سادت فيها الأفكار الشيوعية.

1 - حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1995/6/8.

- شخصية عرفه.. تمثل ضرورة العودة للعقيدة والشريعة .. لأن العلم القائم على اليقين في الله.. فيه كل الخير للعباد والبلاد.

لذلك أطلق الأستاذ نجيب محفوظ شعار «العلم والإيمان» وهو شعار يساير المراحل الزمنية لنزول سور القرآن الكريم.. فأول سورة كانت «سورة العلق» التي يحض فيها الله تعالى على القراءة والعلم.. ثم نزلت فيما بعد السور التي تتضمن مناسك الإسلام التي تحكم الآداب والأخلاق والمعاملات والعبادات..

- رواية أولاد حارتنا .. تنتهي بالدعوة إلى الإيمان.

«أولاد حارتنا» رواية.. وليست كتاباً فقهياً!! إياكم والظن.. فإن بعض الظن إثم!!!

أساء كثير من الناس الظن بهذه الرواية.. قرأوها ككتاب فكري وليس كرواية.. وعقول الناس متباينة عندما يقرأوا الرواية.. أية رواية فالكاتب.. غير القارئ.. غير الناقد .. كل إنسان له فكره..

أما الكتاب الفكري فهو يحمل معنى واحداً محدداً.. وهكذا ضاعت معاني رواية أولاد حارتنا.. لأن من قرأها قرأها ككتاب فكري المعنى فكان سوء الظن!!

نجيب محفوظ وسيد قطب

وفي حوارات الاستاذ محمد سلماوي مع الأديب نجيب محفوظ في هذا الصدد كانت هذه الاسئلة والإجابة عليها :-

« وأسأل الأستاذ نجيب محفوظ :

هل صحيح أن أول من تنبه لموهبتك الأدبية وكتب عنك هو زعيم الإخوان المعروف سيد قطب؟

فيقول وقد رفع حاجبيه : نعم هو سيد قطب.. لقد كتب عني قبل أن يعرفني معرفة شخصية، كتب عني لمجرد أنه وجد فيما أكتب ما يستحق أن يتوقف عنده حتى ولو كان صاحبه غير معروف للقراء، لقد كان ذلك عصراً آخر له تقاليد أخرى وأخلاقيات أخرى، وكان سيد قطب صاحب تقاليد وأخلاقيات.

فأسأله : ومتى كتب عنك أول مرة؟

فيقول : كان ذلك في بداياتي الأولى، وقد كان من أوائل من كتبوا عني وإن كنت لا

أذكر التاريخ بالضبط، لكني أذكر مثلا أنه حتى قبل أن يكتب تحدث عني إلى توفيق الحكيم وقال له أن نجيب هذا سيحقق شيئاً في مجال الرواية وقد روى لي الحكيم هذا بنفسه.

ثم يستطرد : لكن سيد قطب في ذلك الوقت لم يكن قد اتجه إلى زعامة الاخوان المسلمين بعد، فقد كان ناقدا أدبياً عظيماً، بل كان من أحسن النقاد في ذلك الوقت وكان مثقفاً ثقافة واسعة، فقد كان ينتمي إلى مدرسة العقاد.

فأسأله : ألم يكن يهتم بالدين في هذه المرحلة الأولى من حياته؟

فيجيب : أذكر أنني حين عرفته بعد ذلك وجدته إنسانا يحترم الدين احتراماً كبيراً لكن شاغله الأساسي كان الأدب والثقافة وقد أحببته جداً، لكنه لم يكن قد اتجه بعد إلى تسييس الدين وتكريس حياته للدين وحده.

ثم يسرح الأستاذ قليلاً وهو يقول : لست أعرف بالضبط أين حدثت نقطة التحول؟ هل كانت رحلته إلى أمريكا؟ لا أظن لأنني قابلته بعد عودته وكان يتحدث إلينا بما رآه هناك ويقول لنا ما كان يبهرنا في ذلك الوقت.

ثم يضيف : لكنني أتذكر أنه غاب فترة عن عالم الأدب والثقافة ولم نعد نراه، ثم فجأة عدنا نسمع عنه مرة أخرى كعضو نشيط في حركة الإخوان، ثم كأحد أكبر زعماء الحركة إلى أن فقدناه كما فقدناه قبل ذلك كواحد من أهم نقادنا الأدبيين[1]».

وفي تعليق للأستاذ علي عبدالرحمن في بريد الاهرام على هذا الحوار تحت عنوان :

«وفاء نجيب محفوظ»..

«قرأت في حوارات الأستاذ نجيب محفوظ مع الأستاذ محمد سلماوي إشارة الأديب الكبير إلى دور الشهيد سيد قطب كناقد أدبي في حياته الأدبية سعدت بكلمة الحق ووفاء نجيب محفوظ العظيم نحو هذا المفكر الذي يتنكر له العديد من المفكرين والأدباء الذين عاصروه وأود أن أوضح له بعض المعلومات التي ربما تكون قد غابت عنه بحكم مرور أكثر من ستين عاماً عليها فأقول للأديب الكبير :

1 - حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1995/7/27.

أولاً : ذكرت أنك لاتتذكر الوقت الذى كتب سيد قطب فيه عنك وأقول : لقد كتب سيد قطب عنك فى مجلة الرسالة كبرى المجلات الثقافية فى ذلك الوقت فى مطلع سنة 1944 عندما امتدح رواية كفاح طيبة ثم رواية خان الخليلى ورواية القاهرة الجديدة وقال سيد قطب عن خان الخليلى :

وهل من الحق حين أتحدث عن قصة «خان الخليلى» أن قول : إنها لم تنبت فجاة فقد سبقتها قصة مماثلة تصور حياة أسرة وتجعل حياة لمجتمع فى فترة حرب إطاراً للصورة تلك هى قصة «عودة الروح» لتوفيق الحكيم.

ولكن من الحق أيضاً أن أقرر أن الملامح المصرية الخالصة في (خان الخليلى) أوضح وأقوى فنى عودة الروح ظلال فرنسية شتى وألمع أما فى عودة الروح هى الالتماعات الذهنية والقضايا الفكرية بجانب أستعراضاتها الواقعية أما خان الخليلى فأفضل مافيها هو بساطة الحياة وواقعية العرض ودقة التحليل.

وقد نجت «خان الخليلى» من الاستطرادات الطويلة فى عودة الروح فكل نقط الدائرة فيها مشدودة برباط وثيق.

ثانياً : لقد ذكرت أنك لاتعرف ما الذى غير مسار سيد قطب من الأدب والنقد إلى الدين والسياسة.

هل هى رحلته إلى أمريكا أم لا ؟

نعم لقد كانت لرحلته فى «أمريكا» أكبر الأثر فى حياته فلقد شاهد الحضارة الأمريكية ومابها من انحطاط خلقي وكان يقول فى شأنها «إننى شديد الإشفاق على الإنسانية أن تئول قيادتها إلى هذا الشعب وهو فقير من تلك القيم جميعاً». لقد : كان سيد قطب عملاقاً فى الأدب والنقد وكان عملاقاً أيضاً فى الفكر الإسلامى والمثقفون فى عالم العروبة كانوا يعرفون «سيد قطب» الناقد الأديب فى الأربعينات ثم الخمسينات عرف المثقفون فى العالمين العربى والإسلامى سيد قطب المفكر والمبدع لاصاحب تفسير فى ظلال القرآن الذى «ترجم إلى ست وثلاثين لغة عالمية»[1].

1 ـ على عبدالرحمن : رسالة إلى بريد الاهرام، نشرت فى عدد جريدة الأهرام الصادر يوم 1995/8/3.

نجيب محفوظ و«أولاد حارتنا»

وفي حوارات الأستاذ محمد سلماوى مع الأديب نجيب محفوظ في هذا الصدد جاء مايلي :-

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : لم أشأ أن أتطرق في حواراتنا إلى روايتك الشهيرة «أولاد حارتنا» إلى أن تهدأ العاصفة التى أثارها البعض حولها، لكن الآن قد مضى وقت كاف يسمح لنا أن ننظر للرواية نظرة موضوعية ونتحدث عنها بصراحة، فاسمح لى أن أحدثك بلا حرج وأعيد عليك النقطة التى أثارت البعض من ضيقى الأفق وهى موت الجبلاوى فى النهاية، والذى صوروه على أنه رمز للذات الإلهية(!!) .

فلحقنى الأستاذ بسرعة قائلاً : لماذا نفترض أنه رمز للذات الإلهية؟ إن المقصود بالجبلاوى هو قوة التدين أو الإيمان فى النفس البشرية، ثم إن موت الجبلاوى هذا لم يره أحد فى الرواية ولا حتى من أذاع الخبر، ولعل فى هذا إشارة إلى فترة ما في تاريخ البشرية أنكر فيها العلم وجود الدين وكان يزهو بنفسه، فقد وجد عرفة في الرواية أنه قد سقط تحت سيطرة الحاكم ناظر الوقف بعد أن قيل أن الجبلاوى قد مات، فعاد هو نفسه يقول لابد من إحياء الجبلاوى مرة أخرى فما معنى ذلك؟ معناه أنه إذا كانت قد مرت عليه فترة شك أراد فيها أن يتخلص من اية قوة أخرى عدا قوة علمه، وألا يثق بأى شئ إلا بنفسه،فقد أدرك بعد ذلك أنه بحاجة إلى المبادئ يقيم عليها علمه ويكون في ذلك خير حارته والناس والخلاص من الشر.

إذن لو تأملت لوجدت أن «أولاد حارتنا» كانت أول من قال تعبيراً شاع فيما بعد هو «العلم والإيمان»[1]، فقد عرف عرفة أن علمه لا قيمة له إلا بمبادئ الجبلاوى، ولذلك طالب بضرورة إحيائه وهو طبعاً لم يمته ولم يحيه لأن المسألة كلها تدخل فى إطار الرمز، فقد كفر بالجبلاوى ثم عاد وآمن به.. هذا هو ما حدث فى الرواية.

قلت : إذن فإن «أولاد حارتنا» هى فى حقيقة الأمر رواية تنتهى بالإيمان.

فقال : هى تنتهي إلى الايمان وقد اتهمت بالكفر، والسبب في ذلك هو أنها رواية، لكن البعض أراد أن يقرأها ككتاب، وليس كرواية، إنك حين تكتب عملاً أدبياً فإنك قد يكون لك فكرة وتكون للقارئ فكرة أخرى وللناقد فكرة ثالثة والله أعلم أيهم الصحيح، لكن تلك هى سمة الفن فهو يشع بالمعانى ولا يتوقف القارئ عن اكتشاف معان جديدة فيه كلما قرأت، لكن الكتب الفكرية كتب ذات معنى واحد محدد، والبعض نظر إلى «أولاد حارتنا» ككتاب فكرى، وهكذا ضاعت معانيها لأنها لم تقرأ كرواية، ولم تفهم إلا بمعنى واحد محدد.

---

1 ـ هذا الشعار ردده الرئيس الراحل محمد أنور السادات كثيراً في خطبه وكان يقول : «دولة العلم والإيمان».

ثم يضيف الأستاذ : إن رواية «أولاد حارتنا» رواية إسلامية إيمانية مظلومة، وهذا ما جعلني لا أوافق على نشر الرواية في مصر إلا بعد موافقة الأزهر عليها، أي بعد اتفاق الأزهر معي في فهمي لها، ولماذا اشترط ذلك؟ لأني لست ضد الدين ولا ضد الأزهر، ولو كنت ضده ولو كانت الرواية ضده لدخلت في تحد للأزهر ولسعيت لنشر الرواية رغماً عن الأزهر، لكنني لست كذلك فأنا لست ضد الأزهر ولا ضد الدين، فأنا أزهري المولد والمنشأ، إنني أزهري مدني[1]».

«أولاد حارتنا» كانت تدرس ضمن مناهج التعليم في المملكة العربية السعودية.

في حديث للمؤلف مع أحد الاصدقاء السعوديين.. ذكر أن قصة «أولاد حارتنا» درست له ضمن مناهج التعليم. بعد صدورها ولكن الغي تدريسها.. واعتقد أن قرار الإلغاء صدر بعد اعتراض الازهر عليها ومنع طبعها في مصر!!!.

«الثلاثية» والإسلام

«... وواصلت الحديث مع الأستاذ نجيب محفوظ حول تفسيرات النقاد في الخارج لأعماله الروائية وذكرت ما قاله ماتتياهو بيليد عن استمرارية الاتجاه الديني وتناميه في المستقبل بالمقارنة للاتجاهات اليسارية.

قال الأستاذ : لقد قال بيليد أن هناك في مصر من يعتبرون محفوظ يساريا، لكن الحقيقة أنه أقرب إلى التعاطف مع فكر الأخوان المسلمين، وكان دليل بيليد في ذلك هو أن الشيوعي في «الثلاثية» تزوج لكنه لم ينجب ومن أنجب كان «الأخوانجي» وقد اعتبر بيليد أن ذلك يعني أن الفكر الشيوعي لا مستقبل له في مصر، بينما المستقبل سيكون للاتجاه الديني.

قلت : لقد مر حوالي نصف قرن من الزمان يا أستاذ نجيب منذ كتبت «الثلاثية» مات خلالها بالفعل الفكر الشيوعي في العالم كله وليس في مصر وحدها في الوقت الذي شهدنا فيه أن الفكر الديني - رغم تطرفه في بعض الأحيان وانحرافه في أحيان أخرى - مازال يعيش بيننا، فهل كان هذا هو ما رأيته بعين الأديب في ذلك الحين؟

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1995/6/8.

قال الأستاذ : لا أستطيع أن أقول لك أننى كنت واعياً لذلك وأنا أكتب «الثلاثية» فجزء من عملية الإبداع الفنى - كما تعلم - يقوم بها العقل الباطن والفنان لا يعيها، بالإضافة إلى أن هذا المعنى الذى توصل إليه بيليد لم يرد فى «الثلاثية» كنبوءة صريحة وإنما هو استقراء للغة الروائية من جانب الناقد»[1].

نجيب محفوظ .. المسلم !!

يقول الرسول ﷺ .. مامعناه .. ينقطع عمل ابن آدم عن الدنيا .. إلا من ثلاث .. صدقة جارية .. علم ينتفع به .. ولد صالح يدعوله ..

فأين الأستاذ نجيب محفوظ من هذا؟!!

نجيب محفوظ والصدقة الجارية..!!

أودع الأستاذ نجيب محفوظ مبلغ 150000 جنيه (مائة وخمسون ألف جنيه) لدى بنك مصر - فرع القاهرة .. هبة لإنفاق عائدها السنوى على وجوه الخير التي يحددها باب بريد الأهرام.. قدر الهبة عائداً سنوياً مبلغ 16535,85 جنيه تقريباً تضاف سنوياً بالبنك الأهلى المصرى - حساب التبرعات..

يوزع العائد في وجوه الخير .. التى يراها باب بريد الأهرام وذلك بناء على شروط الهبة المقدمة من الأستاذ نجيب محفوظ..

وجه العائد عام 1995 إلى جمعية«غادة عفيفى للإنقاذ» التى تقوم ببناء مستشفى حديث للإنقاذ السريع بمدينة 6 أكتوبر .. لإنقاذ حياة المصابين فى حوادث الطرق وخاصة طريق القاهرة - الإسكندرية الصحراوى.. وقد سميت باسم غادة عفيفى طالبة المدرسة الألمانية التى تعرضت لحادث تصادم مروع خلال رحلة لطلبة المدرسة إلى الغردقة ودفعت حياتها ثمنا لتأخر إجراءات الإنقاذ أو عدم توفرها على الطرق السريعة وكرس والدها الدكتور محمود سراج الدين عفيفى حياته بعد هذا الحادث الأليم للدعوة لإنشاء مستشفيات للإنقاذ بالطرق السريعة، وشكل هذه الجمعية وقدم لها الكثير من الجهد والعطاء، حتى بدأ بناء مستشفى غادة عفيفي بمدينة 6 أكتوبر»[2].

1 - حوارات نجيب محفوظ، الاهرام، 1999/4/8.

2 - باب بريد الأهرام، يوم 1996/2/1.

وجه عائد عام 1996 إلى أحد مستشفيات المؤسسة العلاجية التابعة لوزارة الصحة والتى مازالت تحاول تقديم الخدمة الصحية المجانية للمواطنين فى البلاد.. ولقد اختيرت مستشفى أم المصريين بالجيزة[1]..

نجيب محفوظ .. والتبرع!

أهدى الأستاذ نجيب محفوظ مجموعة قصصية جديدة له لم تنشر من قبل بعنوان «السهم» لمشروع مكتبة الأسرة الذى تقدمه هيئة الكتاب ضمن مهرجان القراءة للجميع.. وتتولى الهيئة المصرية العامة للكتاب برئاسة د. «سمير سرحان» طبعها فى إطار خطتها لإعادة طبع العديد من إصدارات مكتبة الاسرة.. خاصة فى الأعمال الموسوعية وأمهات الكتب[2].. بأسعار رمزية.

نجيب محفوظ .. وأعمال الخير[3]!!

شارك الكاتب العالمى نجيب محفوظ والممثل العالمى عمر الشريف فى حملة لتشجيع الطلبة على القراءة.. ضمن أسبوع أقامته الجامعة الأمريكية بالقاهرة تحت شعار «اكتشف نفسك فى كتاب «اقرأ».

تم تصوير كل منهما فى بوستر يحمل كتابه المفضل.. فاختار الكاتب الكبير نجيب محفوظ كتاباً للشيخ محمد الغزالى بعنوان «نحو تفسير موضوعى لسور القرآن الكريم»..

يتضمن البوستر بالإضافة لصورتهما.. كلمة «اقرأ» باللغتين العربية والإنجليزية.

نجيب محفوظ .. علم ينتفع به !!

كل ما صدر عن الأستاذ نجيب محفوظ.. هو علم ينتفع به.. والصفحات التالية ستوضح لنا.. كيف كافح الجريمة!! كمفكر وكاتب وأديب.. ونظراً لاننا نتناول

1 - باب بريد الأهرام يوم 1997/2/6.

2 - الأهرام، باب من غير عنوان، يوم 1996/8/24.

3 - راجع فى ذلك : سمير شحاته، - الأهرام، باب من غير عنوان، يوم 1996/4/15. - مجلة آخر ساعة، يوم 1996/5/8.

موضوع الجريمة والمجرم والظواهر الإجرامية فسنجد في مقالاته المنشورة بباب وجهة نظر ما يؤكد ذلك بالعقل والمنطق والصدق.. متضمنة أساليب منع الجريمة من خلال التنمية الشاملة.. وكيف السبيل لتنمية الإنسان بصفة عامة والمسلم بصفة خاصة من خلال العقل والحس والوجدان.. حتى يصبح سوياً.. لا عالي ولا واطي!!.. بل معتدل.

نجيب محفوظ.. الحرفوش.. والحرافيش.. وبينهم حرفشة

الحرفوش:

هو الصعلوك.. ليس لها أصل في اللغة العربية.. وجمعها حرافيش!..

أما الحرفشة فهي ما يدور بينهم من مناقشات وحوارات حول القضايا سواء.. أدبية أو فنية أو سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية.. أو مايظهر في المجتمع من مشكلات.. صالونهم في الأصل المقهى.. لأنهم يعيشون واقع مجتمعهم.. يؤمنون بالحرية والسعادة..!

مؤسسو جماعة الحرافيش:

تقابل الممثل أحمد مظهر[1] على ظهر الباخرة «اشيا» عام 1936 مع الأديب المحامي عادل كامل في طريقهما إلى أوروبا للسياحة.. وصارا أصدقاء بعد أن توطدت صداقتهما بعد أن انضم إليهما أحمد سرور وكان طالباً في كلية الهندسة.. وبعد عودتهما.. أصبح اللقاء اليومي عادة بعد أن مات أحمد سرور في سن مبكرة.. وبناءً على طلب الفنان أحمد مظهر قدم عادل كامل أصدقاءه وتقابل معهم في مقهى اكسلسيور بشارع عماد الدين.. ومن إبرزهم.. الدكتور أحمد زكي مخلوف - الأستاذ بجامعة في مدينة الرياض بالسعودية فيما بعد - وأمين الذهبي وعاصم حلمي وعادل مذكور والصحفي ثابت أمين وصبري شبانه..

وانضم إليهم فيما بعد.. سليمان فياض وتوفيق صالح ومحمد عفيفي وصلاح چاهين وإيهاب الأزهري وثروت أباظة والطبيب مصطفى محمود وجميل شفيق.

1 - أحمد مظهر: نحن والحرافيش ورفاعة الطهطاوي، (الهلال، يونيو 1993)، ص 24-26.

وتردد عليهم.. أحمد بهاء الدين، ود. لويس عوض وداوود سكاكيني وزكي المحاسني ومجموعة من الادباء والفنانين، يساريين.. وماركسيين.. وشيوعيين.

والشيوعية هي سبب اعتزال عادل كامل.. فقد وكله بعض الشيوعيين للدفاع عنهم في إحدى القضايا.. وكان محامياً تحت التمرين بمكتب الوزير السابق فريد انطون.. وقد استطاع عادل كامل أن يحصل على البراءة للتنظيم الشيوعي.. فذاعت شهرته كمحام.. وعرف أن مهنة المحاماة وسيلة تكفيه الرزق.. وأن الادب لا يحقق له ذلك.. استمر في حضور لقاءات جماعة الحرافيش كل أسبوع.

نجيب محفوظ والانضمام لجماعة الحرافيش

في سنة 1943 بدأت علاقة الأستاذ نجيب محفوظ وبعض اصدقائه بالنشر حيث كانوا يكتبون ويسعون لنشر مايكتبونه وذلك بعد أن حصلوا على جوائز لكتاباتهم بناءً على موافقة مجلس مجمع اللغة العربية الملكي على قرار لجنة مسابقة القصة لوزارة المعارف.. وقدمه إلى معالي وزير المعارف.. فوافق عليه.. وكان المقرر منح ثلاث جوائز: أولى وثانية وثالثة، ولكن اللجنة رأت العدول عن ذلك واختارت خمس قصص منحتها الجوائز دون مراعاة الأولوية نظراً لامتياز كل منها في ناحية.. أما القصص الفائزة فهي: «ملك من شعاع» للأستاذ عادل كامل، «وزينات» للأستاذ حسين عفيفي و«كفاح طيبة» للأستاذ نجيب محفوظ، «وجهاد» أو «وا إسلاماه» للأستاذ علي أحمد باكثير، و«عودة القافلة» للأستاذ يوسف جوهر[1].

ونظراً لأن الأستاذان نجيب محفوظ وعادل كامل يتشابهان في أسلوب الكتابة.. فتعارفا على بعضهما حينما ذهب كل منهما لتسلم جائزته الأدبية.. وفي هذا اللقاء دعاه كامل إلى الإنضمام للحرافيش .. فحضر بمفرده لينضم للجماعة.. ثم عرفهم بأصدقائه في العوامة.. وكان يوزع وقته بين كل أصدقائه .. فأفرد للحرافيش مساء الإثنين والخميس.. وتولى رئاستها لفترة بعد انتهاء فترة رئاسة أحمد مظهر.

1 ـ مجلة اكتوبر، العدد 1819 يوم 1993/7/5 تحت باب «كانوا 1942».

كيف جاء اسم الحرافيش؟

الحرفشة.. هي ما يدور في اجتماعات الحرافيش.. كان عادل كامل هو المحرك الأساسي لجماعة الحرافيش.. يأتي لهم بالكتب لقراءتها.. من أجل الضحك والفن!!

«ذات ليلة راح ثابت أمين يقرأ للجماعة فصلاً من كتاب «تخليص الإبريز في تلخيص باريز» لرفاعة رافع الطهطاوى.. وكان الفصل عن المقاهي التي يؤمها «الحرافيش» وقد نطق كلمة الحرافيش بطريقة ساخرة»[1] جعلتهم جميعاً ينطلقون في الضحك دون توقف.. ومن هنا جاءت التسمية التي أطلقوها على أنفسهم، «الحرافيش»[2].. جاءت التسمية دون قصد.. ولايعرفون من الفها، ولا لماذا سميت؟!.. واتخذوها فيما بعد لكي يميز كل منهم أعضاءه، عن بقية اصدقائه الذين يتقابل معهم في المناسبات الأخرى.. فعندما يتصلوا بأسرهم للإخطار بأنهم سوف يسهرون مع «الحرافيش» فهذا يعني مجموعة معروفة من الأصدقاء «كلمة السر»!!

كان الحرافيش يقرأون في ذلك الوقت كتباً أدبية منها: «لعبة النهاية» لصموئيل بيكتب عن مرسح العبث ومسرحية «الكراسي» ليوچين أونيسكو.. فكانوا يضحكون بلا حدود!!!

وبمرور الأيام والسنون.. أصبح الأستاذ نجيب محفوظ عضواً بارزاً في جماعة الحرافيش.. وتحولت إلى ندوة.. وفيمايلي ما قاله نجيب محفوظ عن الحرافيش ومن بقى منهم؟ ومفهوم الصداقة وأحمد بهاء الدين بمناسبة وفاته.. وذلك في حواراته مع الاستاذ محمد سلماوى التي تنشر بجريدة الأهرام تحت باب وجهة نظر يوم الخميس من كل أسبوع.

الحرافيش

«في سنة 1943 بدأت علاقتي أنا وبعض أصدقائي بالنشر حيث كنا قد بدأنا نكتب ونسعى لنشر ما نكتبه وذلك بعد أن حصلنا على بعض الجوائز لكتاباتنا، وهكذا بدأت

---

1 - 2 - أحمد مظهر، المرجع السابق، ص26.

دائرة معارفي تتجه نحو الأدباء والكتاب مثل عادل كامل وأحمد زكي مخلوف، وقد دعاني عادل كامل إلى منزله ليعرفني بأصدقائه كما عرفته أنا من قبل بأصدقائي من العباسية، وكانت هذه بداية علاقتي بشلة الأصدقاء الذين أطلقنا عليهم اسم «الحرافيش» فعرفت أحمد مظهر وثابت أمين وأمين الدهبى ومحمود شبانة، ولقد بدأنا نتقابل أسبوعياً.

وجعلنا مكاننا المفضل هو كازينو أوبرا، وسرعان ما جذبت إلينا هذه الجلسة عددا كبيرا من الفنانين، وكثيرا ما كنا نمضي سهرتنا أيضاً بمنزل محمد عفيفي وكانت الجلسة تضم ما لايقل عن 20 شخصاً كان من بينهم صلاح جاهين ومصطفى محمود وأحمد بهاء الدين ولويس عوض فقد زادت الجلسة واتسعت مع الوقت حتى أصبحت تذكر في عدد أفرادها بأصدقاء العباسية.

ولم يكن يتركز الحديث في هذه الجلسات بمنزل محمد عفيفي حول الأدب وحده لكنه كان كثيراً ما يتطرق إلى الأمور العامة وخاصة السياسية، وفي هذه الحالة كان مضيفنا يندب حظه التعس الذى جعله يستضيفنا ويعرض نفسه للمخاطر.

وأذكر أنه فى إحدى هذه الجلسات أخبرنا صلاح جاهين بنبأ زواجه، وكان فى جلستنا الأسبوعية مساء الخميس وتقرر أن تكون جلستنا القادمة يوم الخميس التالى فى فرح صلاح جاهين، لكن في تلك الليلة نظر مصطفى محمود إلى السماء وقال إنه يرى نجم زحل يبرق وهذا لا ينبئ بالخير، فضحكنا منه جميعاً، لكن قبل حلول يوم الخميس التالى وبالتحديد في يوم الإثنين الذى كان تاريخه هو 5 يونيو 1967 حدث ما أنسانا جلستنا وأنسانا أيضاً الفرح الذى لا أعرف حتى الآن إن كان قد تم أم لا؟ لأننا حين التقينا بعد ذلك بصلاح جاهين لم يتحدث أحد منا عن الزواج أو الفرح»[1].

1 . حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/2/22.

من بقى من الحرافيش؟

«ويواصل الأستاذ حديثه عن «الحرافيش» فيقول : إن ما يميز «الحرافيش» هو أنها كانت علاقة صداقة إنسانية وفنية وفكرية وسياسية، أى أنها كانت جامعة لكل شئ، لكنهم للأسف تقلصوا الآن، بعضهم بالوفاة مثل أمين الدهبى وفريد أمين وصلاح جاهين وعاصم حلمي الذى كنا نسميه «الكابتن»، وبعضهم بأن تغير في أسلوب حياته مثل مصطفى محمود الذى اتجه إلى الدين والتصوف وكانت بداية ذلك بالتليسكوب، دعانا فى مرة إلى بيته وجعلنا ننظر جميعا إلى السماء والنجوم من خلال هذا التليسكوب، فرأينا جلال السماء الذى كان أول منبه له على عظمة الله جل جلاله.

وأقول : لكنى ألاحظ أن «الحرافيش» كانوا يمثلون أعمارا وأجيالا مختلفة.

فيقول الأستاذ : إن علاقة «الحرافيش» لم تكن علاقة أعمار وإنما علاقة عقول، لذلك كانت تتخطى السنين والأجيال، ولست أعرف من كان أكبرنا سنا.. قد يكون أنا، وما بيني وبين صلاح جاهين مثلا كانت هناك عدة أعمار، ومع ذلك فقد خطف صلاح منا قبل الأوان، وأذكر أنه فى أواخر أيامه اتصل بنا تليفونياً ولم نكن قد رأيناه منذ فترة طويلة، وقال لنا : أنا لا أخرج الآن من غرفتي، وطلب منا أن نذهب إليه، فذهبت إليه أنا وعادل كامل وآخرون، وكان قد تغير كثيراً، حيث كان يمضي ليله ونهاره فى غرفته لا يبرحها، وكأن هذه الزيارة كانت للوداع، فقد دخل بعدها فى حالة الاكتئاب الشديد وحدث ما حدث.

وأسأل : ومن الباقى الآن من «الحرافيش» فيقول : الباقون والذين ما زالوا يتقابلون بصفة منتظمة هم : أنا وتوفيق صالح وحرفوش جديد انضم إلينا له عظيم الأثر فينا جميعا هو الدكتور يحيى الرخاوى، أما أحمد مظهر وبهجت عثمان وجميل شفيق فهم غير منتظمين، مظهر لصحته والآخرون لمشغوليتهم، وعادل كامل أصبح الآن مقيماً فى أمريكا بصفة مستمرة، وهكذا «صفصفت» الحرافيش علىّ أنا ويحيى الرخاوى فى بيت

توفيق صالح، وشربة العدس التى تجيدها زوجته والتى أعتبرها أفضل شربة عدس فى المدينة[1].

الصداقة

«وبعد أن حدثنى الأستاذ طويلاً عن أصدقائه منذ الطفولة المبكرة بالجمالية ثم فى الصبا بالعباسية إلى الحرافيش فى الكبر ومن بقى منهم، أسأله عن مفهومه للصداقة فيقول :

الصداقة حين تصدق تكون من أنبل أنواع الحب، لأنه حب بلا هدف، بلا منفعة، بلا أغراض، سوى الاستمتاع بالصحبة، وفى الصداقة تشعر بروح صديقك تبادلك الحب لأن الصداقة لا توجد إلا إذا كان هناك تقارب روحانى، كما أن الصداقة لا يمكن أن تفرضها على أحد.

ثم يضحك قائلاً : قد تستطيع أن تفرض على أحد أى شئ.. حتى الزواج يمكن أن تفرضه بالقوة، لكن الصداقة ما لم يكن هناك تجاوب روحى فهى لا يمكن أن توجد، وبهذا المفهوم فإن الصداقةتتخطى كل الحواجز حيث يمكن أن تقوم بين رجل وامراة أو بين شاب وكهل أو حتى بين أناس ينتمون لثقافات وحضارات مختلفة.

وأقول : إننى ألاحظ بين أصدقائك من الحرافيش تباينا كبيراً فى نظراتهم للحياة ذاتها فهم يمثلون مذاهب فكرية متنوعة ولكل منهم مهنته، فهناك الكاتب والممثل والطبيب النفسى.. إلخ.

فيقول الأستاذ : إن ما يجمعنا هو حب الفن حتى فيمن يعمل بغيره، وحب الفن هنا هو الذى يكون الأرضية المشتركة بينما فى العباسية مثلا كانت الجيرة والاهتمام بالسياسة هى التى توحدنا أنا وأصدقائى.

ويصمت قليلاً ليعود فيقول : لقد جاءنا أخيراً صديق قديم عاش فترة طويلة بالولايات المتحدة وإذا به يقول لنا : كم أفتقد مثل هذه الجلسات بين الأصدقاء لأن الحياة

1 - حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1996/2/29.

في الخارج ليس بها وقت للصداقات وإذا اتصلت بشخص سألك على الفور : ماذا تريد وكأن كل اتصال يجب أن يكون له غرض.

ثم ينهي الأستاذ حديثه عن الصداقة قائلاً : إن الصداقة هي متعة سامية ولولا الأصدقاء في هذه المرحلة من حياتي لما كان لحياتي الآن معنى أو مذاق[1].

أحمد بهاء الدين

«حين علمت برحيل كاتب الصحافة الكبير أحمد بهاء الدين لم أشأ أن أخبر أستاذنا نجيب محفوظ لمعرفتي بمقدار محبته له وما يمكن أن يتركه مثل هذا الخبر في نفس الأستاذ من ألم عظيم، وحين قابلته بعد ذلك سألني الأستاذ مستنكراً : ألم تكن تعرف خبر رحيل بهاء حين قابلتني منذ أيام؟ فقلت أعرف لكني لم استطع أن أخبرك، فسهم وبدت عليه علامات التأثر وكأنه علم الخبر لتوه ولم يتكلم.

فقطعت عليه صمته قائلاً: متى كانت أول مرة قابلت فيها الأستاذ أحمد بهاء الدين؟ فاستمر صمته قليلاً ثم قال : كان ذلك في الخمسينات وكنا في لقاء بنادى القصة وجاءني شاب صغير السن يسلم عليّ وعرفني بنفسه قائلاً : أنا أحمد بهاء الدين، ودهشت لأنني كنت أقرأ له بانتظام في «روز اليوسف» ولم أكن أتصور قط أنه صغير لهذه الدرجة فقد كنت معجباً برجاحة عقله وبأسلوبه التحليلي العميق والناضج فتصورت أنه كبير السن.

ثم ابتسم الأستاذ وهو يقول : وهناك معلومة قد لا يعرفها الكثيرون، وهي أن بهاء كان من «الحرافيش» وكان يسهر معنا في حديقة الكاتب محمد عفيفي أو في بيت المخرج توفيق صالح طوال فترة الستينات، وكان دائماً وديعاً وهادئاً، وقد تعجب أنني طوال تلك الفترة لم أره غاضبا أبداً، كان يتفق ويختلف كثيراً في الحديث لكنه لم يكن يغضب أو يثور ولم يتركنا إلا حين سافر إلى الكويت ليرأس تحرير مجلة «العربي».

ولقد كانت لبهاء - رحمه الله - اهتمامات أدبية وفنية عميقة فكان حين يجلس معنا نشعر أنه أحد الأدباء، كما كان يكتب في الأدب بنفس تعمقه في السياسة، والحقيقة أنه

1 ـ حوارات نجيب محفوظ، الاهرام، 1996/3/7 ص24.

من أفضل ما كتب عن «الثلاثية» كان ما كتبه أحمد بهاء الدين فقد كانت ثقافته العامة لا تقل عن ثقافته السياسية.

ولقد كان بهاء هو أول من كتب عن الأدب الإسرائيلي، وكان ذلك في خضم معركتنا معها وقبل سنوات من اتفاقيات السلام، واذكر إنني تحدثت إليه حول هذا الموضوع وقلت له: أنت تريد أن تعرفنا بأعدائنا لكنك عن طريق الأدب اخترت مدخلاً إنسانياً مما قد يتعارض مع حالة العداء القائمة بيننا وإني لأخشى على الشباب من ذلك، لكنه كان مقتنعا أننا يجب أن نعرف الاسرائيليين كما هم على حقيقتهم وليس من خلال عدائنا لهم، فقلت له: لقد قرأت لك وأنا مستمتع وخائف.

وسألت: متى كانت آخر مرة رأيته؟ فقال: كان ذلك في بداية مرضه حين زرته أنا وتوفيق صالح وقد رحب بنا ترحيباً كبيراً وتأثر جداً لزيارتنا وظللنا نتذكر جلسات الحرافيش القديمة ونبكي فكانت الجلسة نصفها بكاء، ثم مر وقت وقلت لتوفيق صالح: ألم يحن الوقت لزيارة بهاء ثانية؟ فقال لي: إن الزيارة لم تعد تجدي[1]».

المتابعة والمتبوع في ندوة الأسبوع للأستاذ نجيب محفوظ

المتابعة والمتبوع في أواسط الخمسينات[2] والستينات[3] !!!

بدأت المتابعة الأمنية في أواسط الخمسينات بعد ثورة 23 يوليو 1952 على النظام الملكي.. كان نجيب محفوظ يقترب من الأربعينات.. في تلك الفترة كانت جلسته الأسبوعية في مقهى أوبرا – بدأت عام 1943 مع تكوين لجنة التأليف والترجمة والنشر – في الصالة المطلة على ميدان الاوبرا.. صباح كل يوم جمعة.. بعد أن كانت بمقهى عرابي والسبب أن هواة الأدب والفن من اليساريين لم ينسجموا مع أصدقاء العباسية.. اكتشف رجال الأمن الندوة صدفة!!.. ويقول الأستاذ نجيب محفوظ:

1 - حوارات نجيب محفوظ، جريدة الأهرام، يوم 1996/9/5.

2 - عبدالله الطوخي: فكروفن في الحياة.. العشق.. الموت، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1996، المجلد السادس)، ص 360-364.

3 - راجع في ذلك:

- جمال الغيطاني: نجيب محفوظ يتذكر، (اخبار اليوم، الطبعة الثالثة، بلا تاريخ، ص127-128.
- فؤاد دوارة نجيب محفوظ من القومية إلى العالمية، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989)، ص323.

«فى إحدى المرات كان موكب الراحل جمال عبدالناصر (الرئيس الثانى لجمهورية مصر العربية بعد اللواء محمد نجيب) يمر فى الشارع، لاحظ رجال الأمن، أن عددا يصعدون إلى المقهى، صعد أحدهم، فوجئ بعددنا!!!.. عاد وأجرى تحقيقاً سريعاً، أنتم من؟ لماذا تجلسون هنا؟ وقال: إن هذا اجتماع، وطلب منا أن نأخذ إذنا من البوليس كل أسبوع - (تقدم نجيب محفوظ فيما بعد بطلب برسم مأمور قسم شرطة عابدين[1]) وبدأ أحد رجال البوليس يحضر إلى الندوة، كان يتابع المناقشات الأدبية بدهشة!!، ويصغى إلى أسماء مثل كافكا وبروشت ومصطلحات كالواقعية والمودرنيزم وخلافه، طلب منى أن اساعده فى تلخيص ما يجرى، يعنى بالعربى أكتب أنا محضر الجلسة للبوليس لكن ذلك كان أمراً لايطاق»..

وحينما قرر إنهاء الندوة، طلب منه الاستمرار فيها.. بحجة الحفاظ على أمن الثورة، ولكنه أنهاها، وانتقل إلى مقهى سفينكس أمام سينما راديو وكانوا ثلاثة أصدقاء أو أربعة، ثم بدأ توافد الأدباء فى هذه المقهى التى تعرف فيها على جيل الستينات.

فى تلك الفترة.. حقق نجيب محفوظ مجده الأدبى «الثلاثية»: بين القصرين عام 1956، قصر الشوق، السكرية عام 1957 وهى تصور «أسرة تاجر من تجار الطبقة الوسطى التقليدية فى أحياء القاهرة الإسلامية «العريقة.. عبر ثلاثة أجيال.. وفى نفس الوقت.. تصور التطور الاجتماعى والسياسى فى مصر فى هذه الفترة.. ويسترجع نجيب محفوظ نشأة الثلاثية من منظور تطوره الفنى.. وتطور المجتمع»[2].

وفى سنة 1960 خرج علينا نجيب محفوظ «بأولاد حارتنا» التى قامت جريدة الأهرام برئاسة محمد حسنين هيكل بنشرها بعد أخذ موافقة الراحل جمال عبدالناصر، إلا أن الرواية بعد أن نشرت فى الأهرام صادرها الأزهر، ويقول نجيب محفوظ: «أن المباحث

1 ـ المرجع السابق.

2 ـ لوسى يعقوب: نجيب محفوظ.. الجذور والثمار، (مكتبه المحبة، القاهرة، بلا تاريخ)، ص6.

العامة هي التي قدمتها للأزهر وطلبت مصادرتها.. لأن الأزهريين لايقرأون هذا اللون من الأدب القصصي».

ولقد طبعت في بيروت وتسربت إلى مصر وبيعت بثمن غال وعرفها الناس ثم نشرتها إحدى صحف اليسار[1].

المتابعة والمتبوع في السبعينات!!

إستمرت العناصر الشبابية من الأدباء والفنانين اليساريين وبصفة خاصة الشيوعيين والماركسيين الجدد في السبعينات في التردد على الندوة الأسبوعية التي يعقدها نجيب محفوظ في مقهى «ريش» بشارع طلعت حرب دائرة قسم شرطة قصر النيل.

ففي هذه الفترة كان نجيب محفوظ «يبدو مستمعاً أكثر منه متكلماً، يشارك في الحديث بقدر، ويبدو مهتماً بالتعرف على الشباب الجدد، يتحاور أحياناً، ولكنه يستمع في معظم الوقت»[2].

ويقول جمال الغيطاني: «انتهت ندوة «ريش» نهاية غريبة، عندما قام صاحب المقهى بتجديده، واختار يوماً للإجازة الأسبوعية هو يوم الجمعة، وهو اليوم الذى كانت تعقد فيه ندوة نجيب محفوظ»[3].

والسبب الحقيقي لهذه النهاية يرجع إلى أنه بعد أن قرر الرئيس الراحل محمد أنور السادات - الرئيس الثالث لجمهورية مصر العربية - زيارة إسرائيل عام 1977، تحمس أحد العناصر الماركسية الرافضة لهذه المبادرة السلمية وحرض الحاضرين في الندوة للخروج بمظاهرة.. للإعلان عن هذا الرفض.. وأعلن أنه سيخرج بها حتى ولو لم يتجاوب معه أحد!!!.. وانتهت الندوة الاسبوعية في مقهى ريش وانتقلت إلى كازينو قصر النيل.

---

1 ـ د. عبدالجليل شلبي وآخرين: حكاية أولاد حارتنا، (كتاب اليوم، دار اخبار اليوم، يناير 1995)، ص77.

2 ـ 3 ـ جمال الغيطاني، نجيب محفوظ يتذكر، مرجع سبق ذكره، ص24.

طلب الحصول على إذن لعقد الندوة بخط نجيب محفوظ [1]

السيد المحترم مأمور قسم عابدين

تحية طيبة.. وبعد فأتشرف بإخبار سيادتكم

أن مجموعة من الزملاء الأدباء والناشئين في الأدب

قرروا أن يجتمعوا كل صباح جمعة بكازينو أوبرا ما بين الساعة العاشرة

صباحا والثانية بعد الظهر لمناقشات أدبية. وقد

رأينا إخطار سيادتكم للتفضل بإجراء اللازم الذي

تقتضيه القانون العام

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

المرسل

نجيب محفوظ   ٢/٢/١٩٦٢

مدير عام مؤسسة دعم السينما

ـ نقلا عن فؤاد دواره، المرجع السابق، ص322 والذى يقول : «وهذا الطلب الذى كتبه نجيب محفوظ بناء على طلب الضابط رفضه مندوب الشرطة لأنه يطلب إذنا دائماً لعقد الندوة، وهو ما يخالف نص قانون الطوارئ الذى يقضي بكتابة طلب مستقل لكل اجتماع، فكتب «نجيب» طلبا آخر بهذا المعنى، وترك الطلب المرفوض على المائدة فاحتفظت به، وعثرت عليه أخيراً بين أوراقي» ص323 نفس المرجع.

أسباب المتابعة .. تغيير شعار الندوة والمترددين عليها

كانت لقاءات وسهرة جماعة الحرافيش في بدايتها تحت شعار «الفن والضحك»[1] .. لذا لم تكن هناك متابعة.

وبعد 23 يوليو عام 1952 بدأت المتابعة .. لتأمين النظام الجديد الذى تميز بالدكتاتورية ونظام الحزب الواحد (عهد الراحل جمال عبدالناصر) .. وفي هذا الصدد يقول عبدالله الطوخي : «ذات يوم، فوجئنا بالمشرفين على الكازينو (يقصد كازينو الاوبرا) وقد أبلغوا الأستاذ نجيب محفوظ بضرورة فض هذه الندوة !! .. أجل .. من الممكن أن تلتقوا وتشربوا شاى وقهوة، أما القرارات والمناقشات، فليس مكانها الكازينو .. وإن كان فلابد من تصريح من وزارة الداخلية !! هذه هي تعليمات مباحث أمن الدولة (يقصد المباحث العامة) ورئيسها حسن المصيلحى (يقصد المرحوم اللواء حسن المصيلحى)، هذا وإلا ..»[2].

تغير شعار الندوة الأسبوعية للأستاذ نجيب محفوظ إلى «الفن، والضحك، والسياسة»[3] ففي سهرة الحرافيش التي انعقدت مساء 8 يونيو 1967 بعد الهزيمة أمام الجيش الاسرائيلى في 5 يونيو من نفس السنة تغير شعار الندوة «وأصبحت السياسة هي المحور الأول والأخير .. بعد الخامس من يونيو لم نكن قادرين أبداً على الضحك».

واستمر الحال في عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات (عهد الديكتاتورية الديمقراطية).

المتابع والمتبوع في أواسط التسعينات

تحولت المتابعة من المعرفة إلى حماية وحراسة شخص نجيب محفوظ بعد محاولة

1 - جمال الغيطانى : نجيب محفوظ يتذكر، مرجع سبق ذكره، ص13.
2 - عبدالله الطوخي : مرجع سابق، ص 362.
3 - جمال الغيطانى : المرجع السابق، ص24 ومابعدها.

اغتياله.. ولقلة عدد المترددين على ندوته نظراً للسن وتوابع مرض السكر والحادث .. فالسمع أصبح دون الحساسية المطلوبة للمتكلم والمستمع بالإضافة إلى البصر.. والحضور للندوة متعذر لتغيير مكانها لدواعي الأمن خاصة لمن يريد أن يقابله لأول مرة مثلي.. فقد اتصلت به تليفونياً بعد معرفة رقمه وحدد لي مكان وزمان اللقاء.. وفي الموعد المحدد وجدته كما هو معروف عنه من انضباط تام.. وكان الحوار صعب نظراً للظروف الصحية.

نجيب محفوظ .. ورجال الشرطة

قال الأستاذ نجيب محفوظ : «بدأ أحد رجال البوليس يحضر إلى الندوة، كان يتتبع المناقشات الأدبية بدهشة، ويصغى إلى أسماء مثل : كافكا.. ومصطلحات كالواقعية»[1] ..

وبناءً على موعد سابق تقابلت مع الأستاذ نجيب محفوظ في تمام الساعة 7 م الأحد 1997/4/13 بأحد فنادق الخمس نجوم في حضور الكاتب والفنان على سالم.. لعرض أصول الكتاب.. وقال أنه: «يقصد برجال الشرطة.. المخبر.. وليس الضباط، لأن من بينهم الكاتب والأديب والفنان».. ثم التزم الصمت».. على كل حال.. فضباط الشرطة.. لايندهشون.. ولكن ينصتون!!

لأنهم يستقبلون ولايرسلون إعمالاً للقاعدة الأمنية «المعرفة على قدر الحاجة» أو بمفهوم اسلامي «من حسن إسلام المرء ترك مالا يعنيه».. فهم يستمعون.. ولايُعلقون.. وإنما يخزنون دون تحزب أو تعصب.. أو هكذا يجب أن يكونوا..!! ثم يسترجعون عند الضرورة أو عندما يطلب منهم.

---

1 ـ جمال الغيطاني : نجيب محفوظ يتذكر، مرجع سبق ذكره، ص127.

ضباط الشرطة .. يقرأون ويفكرون !! .. وهذا هو الدليل :

كافكا[1] : هو فرانز كافكا .. ألماني .. أديب عالمي .. مات منذ حوالى 73 سنة ، «والقسم الأعظم مما ترجم إلى العربية من أدب كافكا القصصي والروائي والسيرى لم يترجم عن الالمانية ، بل ترجم عن لغتين وسيطتين هما : الفرنسية والإنجليزية»[2] .

ومن الترجمات : قصة «الحكم» ، و«الرسالة» ، وقصة المسخ أو «التحول»[3] .

ويقوم حالياً الأستاذ إبراهيم وطفى الذى درس اللغة الالمانية وآدابها فى جامعة فرانكفورت ويقيم فى «بون» بترجمة آثار كافكا الكاملة من الألمانية إلى العربية على نفقته الخاصة .. وقد نشر ترجمة عربية لقصة كافكا .. «الحكم» .. و«رسالة إلى الوالد» .. وجارٍ نشر ترجمة لقصة «الانمساخ» وهى المعروفة بـ«المسخ» ترجمة منير البعلبكة وأحمد عمر شاهين و«التحول» ترجمة نبيل فياض .

الواقعية = الصدق دون تحزب أو تعصب !!

الواقعية فى الأدب المصرى تعنى نقل مصر والشخصية المصرية إلى الروايات والقصص بصدق عند تناولها .. لذلك يعتبر :

نجيب محفوظ .. بلزاك مصر[4] !!

بلزاك[5] : هو «أونوريه دى بلزاك» .. فرنسي .. أمير الرواية الفرنسية وأبو الواقعية

1- 2-3 . د . عبده عبود : رسالة كافكا إلى أبيه فى ترجمة عربية جديدة ضمن مشروع لترجمته كاملاً ، لأخبار الأدب عن مؤسسة الأخبار ، القاهرة ، العدد 18 ، 1997/2/2) ، ص26 .

4 . نيرة حمدى : محفوظ وبلزاك فى رسالة دكتوراه ، (جريدة الاهرام ، 8626 ، 1995/6/4) تلخيص لرسالة . دكتوراه تقدمت بها سحر حلمي درويش وحصلت بمقتضاها على الدرجة من كلية آداب بنها .

5 . أحمد الصاوى محمد : بلزاك .. أمير الرواية الفرنسية ، (كتاب الهلال ، سلسلة ثقافية شهرية ، دار الهلال ، العدد 312 ، ديسمبر 1976 – ذو الحجة 1396) ، ص8،4 156 .

فى أدبها.. فى يونيو 1813 بلغ الرابعة عشرة من عمره[1]، وتوفى عام 1850[2].. وإذا كان بلزاك نقل فرنسا والشخصية الفرنسية إلى قصصه بواقعية فاستطاع أن يصور فرنسا أكثر مما استطاع المؤرخون، فيمكن للقارئ أن يفهم فرنسا من رواياته أكثر مما يستطيع أن يفهم من كتب المؤرخين، وهذا الكلام ينطبق على الأستاذ نجيب محفوظ الذى نقل مصر وشخصية المصرى[3] إلى رواياته وقصصه بنفس الدرجة!!

وهذا ما أكدته حيثيات فوزه بجائزة نوبل كما أعلنتها الأكاديمية السويدية حيث جاء فيها[4] : «لقد أعطى إنتاجه دفعة كبرى للقصة كمذهب يتخذ من الحياة اليومية مادة له.. تناولت رواياته الأولى الحياة الفرعونية فى مصر القديمة، ولكنها حملت إسقاطات على مجتمعه المعاصر له.. لقد جعل من الزقاق مسرحاً لنماذج مختلفة من الشخصيات رسمها كلها بواقعية سيكلوجيه.. غير أن ثلاثية «بين القصرين» هى التى جعلت منه كاتباً مرموقاً.. وتتضمن روايات نجيب محفوظ أشكالاً من السير الذاتية رسمها لشخصياته وتمتُّ بصلة وثيقة للظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التى مرت بها مصر. وقد أثر نجيب محفوظ تأثيراً كبيراً فى مجتمعه من خلال رواياته..

وفى روايته غير العادية «أولاد حارتنا» التى كتبها عام 1959 تناول بحث الانسان الدؤوب عن القيم الروحية.. وتتضمن أنماطاً مختلفة من الأنظمة تواجه توتراً فى وصف الصراع بين الخير والشر»..

الواقعية فى السينما المصرية.. تعنى الصدق فى التناول دون مبالغة!!

إذا كان الاستاذ نجيب محفوظ رائد الواقعية فى الأدب المصرى فإن المخرج الراحل صلاح أبوسيف رائد الواقعية فى السينما المصرية، وكلاهما لم يعبر فقط عن تطور المجتمع المصرى، وانما ساهما بفاعلية فى صنع هذا التطور عبر واقعيتهما الأدبية

1 - 2 .ولد بلزاك 1799م، راجع مجلة الفيصل، السعودية، العدد 214، سبتمبر - أكتوبر 1994م.

3 . رجاء النقاش : أدباء معاصرون، (كتاب الهلال، العدد 241، فبراير 1971)، ص154.

4 . د. غالى شكرى : نجيب محفوظ من الجمالية إلى نوبل، (دار الفرابى، بيروت، لبنان، 1991)، ص26.

والسينمائية، وكلاهما لم يقتصر دوره على التعبير وإنما عمل الأول رقيباً ورئيساً لمؤسسة السينما وعمل الثانى مديراً لأول شركة لإنتاج القطاع العام[1].

والواقعية فى السينما هى «الصدق في التناول» فكلما كنت صادقاً دون مبالغة كلما وصل ماتريده للناس.. فالمبالغة فى إظهار الجانب السيئ يصيب المشاهد بفقدان الأمل والشعور بالهزيمة.. مما يفقد المشاهد المتعة[2].

نجيب محفوظ أول أديب يكتب سيناريوهات للسينما

عَلَمَ صلاح ابوسيف الاستاذ نجيب محفوظ كتابة السيناريو.. فتفوق عليه فيما بعد ومنحه ما تكتمل به شخصيته كمخرج.. بذلك أصبح أول أديب يكتب للسينما وكان ذلك عام 1945 حيث كتب سيناريو أول أفلامه «مغامرات عنتر وعبلة» الذى تأخر عرضه حتى عام 1948.. وبعده كتب سيناريو فيلم «المنتقم» ويقول الاستاذ نجيب بتواضع.. عرفنى صديقى المرحوم الدكتور فؤاد نويره بصلاح ابوسيف وطلب منى أن أشاركهما فى كتابة سيناريو فيلم للسينما اخترنا له فيما بعد اسم «مغامرات عنتر وعبله»، وكان صلاح ابوسيف هو صاحب فكرة الفيلم، وقد شجعنى للعمل معه أنه قرأ لى «عبث الأقدار» واوهمنى بأن كتابة السيناريو لا تختلف عما اكتبه عندما سألته عن ماهية هذا السيناريو الذى لم أكن أعرفه.

والحقيقة أننى تعلمت كتابة السيناريو على يد «صلاح ابوسيف». كان يشرح لى فى كل مرحلة من مراحل كتابته ماهو المطلوب منى بالضبط، وبعد أن أنفذه أعرضه

---

1 ـ سمير فريد : رحل صلاح أبوسيف.. الصرح الشامخ للسينما المصرية، جريدة الجمهورية، الاحد 1996/6/23.

2 ـ مفهوم المخرج صلاح ابوسيف للواقعية فى السينمل، جريدة «اخبار النجوم» الاسبوعية، (مؤسسة اخبار اليوم)، العدد 193، 28/ محرم/ 1417 - 1996/6/15، ص16. ولد صلاح ابوسيف فى مايو 1915 ورحل عن دنيانا يوم السبت 1996/6/22، راجع فى ذلك :
- سمير فريد : المرجع السابق، ص10.
- هاشم النحاس : صلاح أبوسيف - محاورات هاشم النحاس، (سلسلة الالف كتاب الثانى - 224، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر) ص31.

للمناقشة التى كان يشاركنا فيها الدكتور فؤاد نويره ومعه عبدالعزيز سلام كاتب الحوار والأغاني[1].

واستمر نجيب محفوظ يكتب سيناريوهات حتى عام 1960، حيث بدأت تتحول قصصه ورواياته الأدبية إلى أفلام سينمائية وكان أولها «بداية ونهاية»[2] عام 1960[3].

نجيب محفوظ في السينما = 60 فيلماً[4] +7 مسرحيات ذات فصل واحد[5] + 11 رواية وقصة أعدت للمرسح[6]!!

وصل رصيد نجيب محفوظ من أعماله فى السينما حتى 1988 قبل حصوله على جائزة نوبل 60 فيلما وبذلك يكون أكثر الادباء المصريين أعمالاً فى السينما.. وأكثرهم تنوعاً، 24 عملابين سيناريو أو قصة للسينما أو قصة وسيناريو معا أو إعداد سينمائي، أما الأفلام فبلغت 36 فيلما أخذت عن أعماله الأدبية المنشورة قصة أو رواية.

نجيب محفوظ = 17٪ من أحسن مائة فيلم فى تاريخ السينما المصرية!!

حَصَرَ سعد الدين وهبه أحسن مائة فيلم فى تاريخ السينما المصرية فكان من بينهم أحد عشر فيلما من الافلام التى كتب لها نجيب محفوظ السيناريو أو القصة أو كليهما معا، وستة أفلام من الافلام التى أخذت عن رواياته وهى بحسب ظهورها : لك يوم يا ظالم، ريا وسكينة، الوحش، جعلونى مجرماً، درب المهابيل، شباب امرأة، الفتوة، جميلة بوحريد، احنا التلامذة، بين السماء والأرض، بداية ونهاية،اللص والكلاب، الناصر صلاح الدين، الطريق، القاهرة 30، خان الخليلى، السمان والخريف.

---

1 - هاشم النحاس : نجيب محفوظ على الشاشة (45-1988)، (سلسلة الالف كتاب الثانى) - 80 - الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، 1988)، ص15، 20.

2 - تعتبر المكسيك الدولة الأولى فى العالم التى حولت روايتين من إبداعات الاستاذ نجيب محفوظ وهما «بداية ونهاية» والثانية هى : «زقاق المدق» لقد حصل الفيلم الأول على جائزة، أحسن فيلم واحسن ممثلة فى مهرجان هافانا السنوى لأفلام أمريكا اللاتينية وذلك بتاريخ 1994/12/1 راجع فى ذلك : جريدة الاهرام، العدد 39453 بتاريخ 1994/12/3. ورشح الفيلم الثانى لإحدى جوائز الاوسكار. راجع فى ذلك : جريدة الاخبار، العدد 13677. بتاريخ 1996/3/6.

3 - 4 - هاشم النحاس : نجيب محفوظ على الشاشة، مرجع سابق، ص15-16، 243 - 244.

5 - 6 - فتحى العشرى : نجيب محفوظ حول التدين والتطرف، (الدار المصرية اللبنانية، طبعة أولى، جمادى الأولى 1417- أكتوبر 1997)، ص201،202.

وأشاد النقاد بأفلام ظهرت بعدها مأخوذة عن أعماله منها : السكرية، الحب تحت المطر، الكرنك، أهل القمة، الشيطان يعظ، أيوب، المطارد، الحب فوق هضبة الهرم، الجوع[1].

نجيب محفوظ .. الأديب المصرى الوحيد الذى أرتبطت وظيفته ارتباطاً مباشراً بالسينما[2]!!

عمل مديراً عاماً للرقابة على المصنفات الفنية عام 1959، ورئيساً لمجلس إدارة مؤسسة السينما عام 1966، ومستشاراً لوزير الثقافة عام 1968 لشئون السينما حتى أحيل للمعاش سنة 1971. عضو المجلس الأعلى للثقافة وجمعية الادباء ونادى القصة[3].

نجيب محفوظ .. أول أديب فى مصر يكتب القصة السينمائية كعمل فنى مستقل[4].

كتب نجيب محفوظ القصة السينمائية لفكرة فيلم بين السماء والأرض الذى عرضها عليه المخرج الراحل صلاح ابوسيف، وهى عبارة عن دراسة لمجموعة من الشخصيات تعطل بهم المصعد فى منتصف المسافة بين دورين.. فشل الفيلم تجاريا.. وقد مثل الفيلم مصر فى أسبوع الفيلم فى يوغوسلافيا 1960.

وبذلك يعتبر نجيب محفوظ أول من كتب القصة السينمائية فى مصر.. فكان رائداً فى هذا المجال.

نجيب محفوظ.. والمجرم والجريمة فى السينما

استمد نجيب محفوظ بعض قصصه السينمائية وسيناريوهات أفلامه عن المجرم والجريمة من قرأته فى الصحف اليومية.. فقصة وسيناريو فيلم «ريا وسكينة» استمدها مما نشر عن حادثة واقعية لامرأتين نشرتا الارهاب والرعب بالاسكندرية.. حيث كانتا

---

1 - 2 - هاشم النحاس : مرجع سابق، ص 16-17.

3 - موسوعة اعلام مصر فى القرن العشرين، (وكالة أنباء الشرق الاوسط، أ ش أ، الطبعة الأولى، فبراير 1996) ص489.

4 - هاشم النحاس : مرجع سابق، ص 25-26.

ستدرجان النساء إلى بيتهما لقتلهن والاستيلاء على حليهن.. وكانت المحاولة الأولى في اريخ السينما المصرية التي يستمد فيها الكاتب موضوع الفيلم من حادثة واقعية[1].

وبالمناسبة فإن صور المتهمين في هذه القضية موجودة في متحف الشرطة في القلعة دائرة قسم الخليفة بالقاهرة.

ويذكر نجيب محفوظ أن المنتجين رفضوا هذا الفيلم، مثلما رفضوا فيلم «لك يوم يا ظالم» عام 1951.. لأن بطل الفيلم شرير.. فتولى الراحل صلاح ابوسيف اخراجه وانتاجه.. وعرض في مهرجان برلين 1953.. وقد اعاد انتاجه عام 1978 تحت عنوان «المجرم»[2].. «وسخر أحدهم من صلاح ابوسيف عندما عرض عليه السيناريو قائلا له: يعني جايب لي كليوباتره ولم يقبل زربا نيللي على انتاجه الا بعد تردد شديد.. ومع ذلك نجح الفيلم وحقق في الاسكندرية إيراداً يفوق كوفاديس عندما عرض بها[3]..

تمثل شخصية المجرم في أفلام نجيب محفوظ.. وهي دائماً شخصيات تعاني من الاحتياج للمال كما في فيلم «النمرود»، وللجنس كما في «شباب امرأة».. كما تجد نفسها مدفوعة إلى الجريمة كما في «احنا التلامذة» و«جعلوني مجرما».. وهي شخصيات تبحث عن حل لها كما في «الهاربة» وفي بحثها عن الحل تخطئ الطريق كما في «الفتوة» و«احنا التلامذة»[4].

فنجيب محفوظ يعطي صورة عن طبيعة الجريمة والمجرم والظروف الموضوعية اجتماعياًويمثلها أفلام: لك يوم يا ظالم، ريا وسكينة، الوحش، جعلوني مجرماً، فتوات الحسنية، المذنبون[5].

نجيب محفوظ نوبل.. بين المعرفة وعدم المعرفة[6]

المعرفة عند نجيب محفوظ

المعرفة هي مجرد نقطة ماء في محيط اللا معرفة.. فالمعرفة عنده هي «الإحاطة

---

1 - 2 - 3 . هاشم النحاس: نجيب محفوظ على الشاشة، مرجع سابق، ص20 - 21.

4 . 5 . هاشم النحاس: المرجع السابق، ص25.

6 . تلخيص للحديث الذى اجراه محمد سلماوى مع الاستاذ نجيب محفوظ وسجله بصوته لارسالة لمنظمة العلوم والثقافة «اليونسكو» التابعة للأمم المتحدة بمناسبة عيدها الخمسين.. نشر نص الحديث في ملحق جريدة الاهرام يوم الجمعة، 1995/3/17.

بالشئ». . بمعنى أن تعرف أولاً العناصر التي يتكون منها الشئ. . ثم كيف تكون؟. . وإن أمكن ما هى الغاية منه أى الهدف. . وأى درجة من تلك الدرجات هى درجة من المعرفة، فالمعرفة بطبيعتها غير كاملة حتى في العلم، فقد يعرف العلماء قوانين طبيعية كثيرة دون أن يعرفوا ماهية الطبيعة أو لماذا وجدت؟.

«على أن هناك مناطق من المعرفة يعتقد فيها أن المعرفة كاملة وأنه لا مجال هناك لما لايعرف المرء، أى أن صاحب المعرفة في هذاالمجال قد أحاط بالاشياء من جميع جوانبها فعرف ماهيتها، وكيف وجدت، والحكمة من وجودها. . تلك هى منطقة العقائد، فصاحب العقيدة هو قناعة راسخة بأنه وصل إلى كنه الاشياء جميعاً. . .»

نجيب محفوظ .. العقيدة بين المعرفة واللامعرفة!!

«. . . إذا فكر الانسان في العقيدة بعقله، فقد يشعر الانسان أن الاحاطة الكاملة بها أكبر منه وقد يساوره الشك وتكون تلك تجربةحياتية وجوديه ليست بسيطة.

لكن احياناً كثيرة تقترن العقيدة بالروح والقلب اكثر مما يقترن بالعقل، فالصوفيون مثلا لايفكرون في عقيدتهم على هذا النحو دائماً يعيشون تجربتها، والتجربة عندهم طبقات، والصوفى يمضى بحياته من طبقة إلى طبقة فهو يتصوف ثم يزهد ثم يدخل طبقة الفقر ثم الرضا وهكذا إلى أن يصل إلى مايعرف بالتجلى.

على أن المعرفة وعدم المعرفة ككل الاضداد - متصلتان ببعضهما البعض، فالتجربة الصوفية قد تبدأ أصلاً بالشك الذى هو درجة من درجات عدم المعرفة، والمثال على ذلك هو الامام الغزالى المفكر الاسلامى المعروف الذى سُمى عدو الفلسفة وإن كان - هو فى رأى الاستاذ نجيب محفوظ - خير من شرحها ومؤلفاته تقترب من الـ800 كتاب طاف فيها بجميع مجالات المعرفة وانتهى الامر إلى الشك الفلسفى الذى اسلمه إلى التصوف فوجد فيه اليقين، لكنه يقول أن الوصول إلى المعرفة الكاملة لايكون بالتعلم وانما بما اسماه «الذوق» أى أن يذوق المرء الحقيقة لكى يعرفها، فهناك فرق بين أن تعرف ماهى الصحة وشروطها وبين أن تكون صحيحاً والمعرفة الحقة عند الصوفية هى أن تعيش الحقيقة لا أن تعقلها».

نجيب محفوظ.. وعلاقة المعرفة بعدم المعرفة!!!

ليس بالضرورة أن تفضى عدم المعرفة دائماً إلى المعرفة «فعدم المعرفة فى بعض الاحيان قد يكون هو البداية وهو المنتهى كما فى العلم حيث أن العالم وهو يبحث الظاهرة يجب الا يسأل عن الهدف من تلك الظاهرة لان البحث عن الهدف يخرج من نطاق العلم ليدخل مجال الفلسفة فالعالم يبحث عن القوانين والنظريات التى تحكم الظاهرة وتسيرها بحيث يستطيع القانون أن يعيد التجربة، فبمعرفة قانون الجاذبية تستطيع أن تطير فى الهواء أو تغوص فى الماء ولكن العلم لايستطيع أن يسأل ماهى الجاذبية ولا لماذا وجدت؟.

المعرفة دائماً تفضى إلى عدم المعرفة، «والانسان سيظل يحمل قدراً كبيراً جداً من الجهل لانه كلما زادت معرفته ازداد أدراكه بما لايعرفه...»

نجيب محفوظ.. الفلسفة الآن مقصورة على التفكير فى فرع واحد من العلوم!!

أيام أرسطو.. كانت الفلسفة تمثل قدراً من المعرفة الكاملة.. حين كانت العلوم بسيطة وكان الفيلسوف يحيط بها جميعاً.. وقد أصبح الآن مستحيلاً، لأن فكرة النظام الفلسفى أختفت وأصبحت الفلسفة مقصورة على التفكير فى فرع واحد من العلوم، «وربما آخر تصور فلسفى شامل للكون والناس هو تصور هيجل، فبعده انفجر العلم وقال للفلسفة: «مكانك»!.

نجيب محفوظ.. بين الشك واليقين!!

«... مررت بلحظات الشك حين أردت فى مقتبل حياتى أن اخضع عقيدتى للعقل والمنطق والعلم، كانت تلك فترة طويلة وأليمة، لكنى خرجت منها كما خرج الغزالى أى خرجت بقلبى لا بعقلى خرجت منها باليقين، لكنه يقين الإيمان أما العقل فقد سحبه اليقين وراءه».. ولقد استمرت مرحلة الشك «أربع أو خمس سنوات» ولقد أنعكست هذه الفترة فيما بعد فى رواياتى مثل «الطريق» أو «الشحات» حيث محاولة معرفة المطلق معرفة عقلية، وهى محاولة تفشل فى الروايتين، فى «الطريق» يسعى البطل لمقابلة والده ليتعرف عليه أو ليبادله السلام لكنه لايصل إليه أبداً رغم شعوره الاكيد بوجوده.

أما «الشحات» فهناك خطوة متقدمة على ذلك هى أن البطل يتنازل عن المطلق حين يشعر به بقلبه، أى يتنازل عن المعرفة العقلية فى مقابل المعرفة القلبية بعد أن يكتشف البطل فى نهاية الرواية أن هناك معرفة أخرى هى المعرفة القلبية».

نجيب محفوظ .. السياسة من المعرفة إلى عدم المعرفة!!

« ... كانت تلك مرحلة أصبنا فيها على المستوى السياسى بيأس شديد وبخيبة أمل لم تكن متوقعة .. فقدكنا معتمدين على قوتنا، وعلى قوميتنا وعلى مذهب اشتراكى جعلنا على صداقة وثيقة بثانى أكبر أمم العالم، وكان ذلك يشكل منظومة معرفية أهتزت بشدة بعد هزيمة 1967 .. وهكذا تغيرت معرفتنا بهذه القناعات الثلاث حيث اتضح أن القوة التى كنا نتصور وجودها باعتبارنا أكبر قوة ضاربة فى الشرق الاوسط هى غير موجودة وإيماننا بالقومية العربية لم ينجدنا من محنتنا، أما الاتحاد السوفيتى فقد اكتشفنا أنه هو أيضاً يهاب مثلنا.

لقد كانت تلك المرحلة مرحلة مراجعة لمعارفنا الاساسية فى ظل الحقائق التى تبدت.. وقد بدأ يحل عندى بعد ذلك محل القومية مفهوم آخر.. يعتمد على تحقيق المصالح المشتركة بين الاقطار العربية متخذة من رباط اللغة المشتركة والثقافة والدين وسيلة فعالة لتحقيق ذلك.. والقوة التى تهاوت.. جعلتنى أومن أكثر بالسلام كوسيلة أكيدة لتحقيق التقدم والرخاء، أما الاشتراكية فقد اصبحت أومن منذ ذلك الوقت وقبل أن يسقط الاتحاد السوفيتى بأن أى طريق يؤدى إلى العدالة الاجتماعية هو طريق مقبول.. فليس هناك اشتراكية جيدة ورأسمالية سيئة لكن هناك أهدافاً سامية لاخلاف عليها وكل من استطاع تحقيقها فهو جيد.

«لكن ما أن وصلنا إلى تلك المعرفة حتى تتبدى أمامنا مرة أخرى عدم المعرفة وذلك فى المعطيات الجديدة للعصر الجديد وأصبح علينا مثلاً:

- أن نعرف ما هو النظام العالمى الجديد.

- وما هى اتفاقية «الجات» وأين سيكون موقعنا منها؟ وهل ستفيدنا أم ستضربنا؟ وهل نملك حرية الحركة إزاء هذه المعطيات الجديدة أم أنها مفروضة علينا شئنا أم أبينا؟!

- وعلى مستوى السلام.. هل اسرائيل ستستطيع الوصول إلى مرحلة التعايش مع هذا السلام هي الاخرى أم أن ما تسعى إليه هو مجرد نوع من السيادة في المنطقة؟ أي هل ستنجح اسرائيل في أن تصبح دولة شرق أوسطية تنتمي لمحيطها الجغرافي أم أنها ستظل أشبه بالقلعة المنعزلة كالقلاع الصليبية التي قامت في نفس المكان في العصور الغابرة ثم ما لبثت أن غالبتها حقائق المنطقة التي زرعت بها، هذا أيضاً مما لانعرفه[1].

هناك بالطبع من يدعون المعرفة من الآن فيقولون أن اسرائيل إلى زوال أو أن السلام والتعاون سيحل بينها وبين كل جيرانها، لكني أعتقد أن تلك المعرفة سابقة لأوانها (صدقت يا أستاذ نجيب) وهي متأثرة بعواطف سابقة، وأنا أفضل أن أترك التجربة تفصح عن نفسها (ولقد أفصحت)[2]. ففي مثل هذه المسائل فإن المعرفة لا تأتي إلا من التجربة والمعايشة.. والمعرفة السابقة يجب ألا تؤثر علينا في ذلك حتى لاتفسد التجربة...»

نجيب محفوظ.. وبداية عهده بالمعرفة في مجال العلوم

«... أذكر أنني قد أقتنيت عام 1930 أي قبل 65 عاماً كتاباً أشبه بدائرة المعارف يسمى «المعرفة الجديدة»، وقد كنت شغوفاً جداً بهذا الكتاب فقد كان عمري أقل من ١٨عاماً وكان الكتاب يحيط بكل الانشطة الانسانية التي كانت تساورني فيها الاسئلة، من علوم وفنون وآداب ولقد احتفظت بهذا الكتاب طوال حياتي لأنه كان من الكتب التي نقلتني في مجالات كثيرة من حالة اللامعرفة إلى حالة المعرفة.. ولقد عدت منذ سنوات قليلة إلى هذا الكتاب فعجبت لقدم المعلومات التي كان يحويها والتي عفى عليها الزمان حتى أصبحت «قديمة كوهنة».

كذلك كانت هناك سلسلة من الكتب في الثقافة العلمية أصدرها صحافي كان معروفاً في ذلك الوقت إنه لبناني، في الطبيعة، الكيمياء، الحيوان، النبات، الفلك، وهكذا، وقد كانت هذه السلسلة هي الاخرى إحدى سبلي الأولى للثقافة العلمية وقد استفدت منها استفادة كبيرة جداً...»

---

1 - 2 - اليوم 1997/3/29، اصبحنا نعرف في ظل عهد رئيس وزراء اسرائيل السابق «نتنياهو» أن الحكومة الاسرائيلية تتخذ الخطوات الاستيطانية نحو قلاع الصليبيين. تسعى للسيادة والسيطرة.. ولاتسعى للتعايش والمعايشة.. تهويد القدس.. بشق النفق.. ببناء مستوطنات يهودية فوق جبل «أبوغنيم» بالقدس الشرقية: الاهرام، 1997/3/29.

نجيب محفوظ.. وبداية عهده بالمعرفة في مجال الأدب

« ... كانت البداية إحساسا مؤلما بعدم المعرفة وبشغف كبير بالاستزادة من الفنون والآداب.. وأنا طالب بالمدرسة أصنع قائمة للقراءة تضم أهم الاعمال التى عليّ أن اقرأها، لكن مع قراءتى كانت هذه القائمة تزداد ولا تقل، فقد كان كل كتاب جديد أقرأه يفتح عينى على كتب أخرى أجهلها، وكنت أشعر دائماً بأن الجهل يطاردني وأنا أتعلق بأذيال معرفة بسيطة رغم أنه لم يمض يوم فى حياتى دون أن أحصل فيه معرفة جديدة.

ولقد توصلت في بداية حياتي إلى كتاب يسمى Outline of Literature لمؤلف يدعى Drinkwater وكتاب ثان بعنوان Outline Of Art فكان الأول يقدم الأدب من وقت الإغريق إلى عهد ما رسيل بروست وقد وضعت نصب عينى أن اقرأ لكل قمة من القمم التي حواها الكتاب القمة الخاصة بها، وبالفعل قرأت كل ذلك، لكنى كنت اكتشف أن معرفتي بشكسبير مثلاً لايمكن أن تعتمد على قراءة عمل واحد له حتى ولو كان هذا العمل هو إحدى قممه، ونفس الشئ بالنسبة لديكنز أوموليير أو صفوفل أو غيرهم.

أما في الادب العربى فإن معرفتى بدأت بالتراث من القرآن والأحاديث إلى الشعر الجاهلي وانتهاء باساتذتنا طه حسين والعقاد.. والمازنى وهيكل وتوفيق الحكيم، ومعظم هؤلاء قرأت أعمالهم كلها مثل المتنبى والجاحظ وأبوالعلاء المعرى الذى كان الشك وعدم المعرفة هما حياته كلها، كما استهوانى أيضاً البحترى وأبونواس وبشار بن برد.

واستطيع أن أقول أن قناعتى بالفن والأدب هى من المعارف التى لم تتزعزع طوال حياتي باعتبارها نشاطاً إنسانياً سامياً ونبيلاً لاغنى عنه من أجل سلامة الإنسان».

نجيب محفوظ.. المعرفة الكاملة بمصر والوطنية المصرية

« ... هناك فى حياتى بعض الثوابت مثل الوطنية، فمهما اختلفت قناعتى السياسية وتبدلت إلا أن احساسي الوطنى هو حقيقة قائمة لا تتغير ولا تتبدل، فانى أنتمى لجيل كانت السياسة جزءاً من تكوينه ففى بدايات القرن كانت قضية الأستقلال وجلاء القوات الانجليزية حقيقة من حقائق الحياة، وكان الزعيم سعد زغلول هو رمز هذه القضية بل كان رمزا للوطنية ذاتها، ولذلك فقد نشأت على حب مصر وحتى الاشتراكية فى

سنوات النضج لم تنجح في زعزعة هذا الشعور بالوطنية الذى كان حقيقة ثابتة فهناك مثلاً من جعلوا الاشتراكية العالمية تزيح الوطنية، لكن الوطنية وأن اتجهت عندى إلى العالمية لانها ليست وطنية شوفينية الا أنها لا تذوب ابدا في هذه العالمية، وقد وجدنا أن الوطنيات التى كنا قد تصورنا أنها ذابت فى الاتحاد السوفيتى قد عادت مرة أخرى تطل برأسها كحقيقة ثابتة لا يمكن إنكارها.

وأنى أشعر بأن معرفتي بمصر ليس بها أى مناطق جهل أو عدم معرفة. فلا استطيع أن أقول أن هناك ما لا أعرف فيما يختص بمصر، وأنا لا أقصد هنا المعرفة الاحصائية الموجودة فى الأرقام والبيانات وانما أقصد المعرفة الكلية التى تجئ من القلب.

«إن مصر هى بلد من البلدان امتازت بانها كانت من أوائل بلدان العالم التى فتحت طريق الحضارة وهى تتلخص فى طيبة وفكاهة وسماحة وذكاء أهلها وأيضاً فى الصبر واحتمال المكاره الذى يتصفون به وتلك الصفة الاخيرة شربناها طوال تاريخنا بخيرها وشرها...»

نجيب محفوظ.. وعدم المعرفة بالإرهاب والعنف

«... فى بعض الاحيان يستعصى عليَّ فهم بعض سلوكيات العنف الغريبة على وطننا وتاريخها لانها لا تتفق مع الطبيعة التى تعرفها عن مصر، وهى تدعو للدهشة : من أين جاءت خاصة فى هؤلاء الشبان الجدد؟...» فظاهرة الارهاب لا تزعزع معرفته بمصر «لا لأن الطبيعة التى عاش بها هذا الشعب سبعة الآف سنة سيكون لها الغلبة فى النهاية فهذه الظاهرة الدخيلة هى نتيجة لظروف طارئة وستزول بزوال الظروف التى أوجدتها.. أما واقعة محاولة اغتياله فإنها لم تؤثر بشئ.. وأنه يثق فى الشعب المصرى.. ومازالت نظرته للإرهاب هى الرفض..

نجيب محفوظ .. ومساحة عدم المعرفة فى عقله

«... إن مساحات عدم المعرفة عندى أكبر بكثير من مساحات المعرفة لكن لدى غريزة تتطلع دائماً إلى المعرفة وأنا حريص عليها كهدف اساسى من أهداف حياتى فإذا كان الانسان حيواناً ناطقاً فذلك يعنى أنه حيوان معرفة، وبدون المعرفة حرصاً وبحثاً، وتفكيراً وشكاً ويقيناً يصبح الإنسان حيواناً.

إننا بلاشك قد بدأنا مرحلة تاريخية والتفاوت بين الناس فيها هو تفاوت في المعرفة وليس في القوة، واليابان وألمانيا هما مثلان واضحان، فقد فرضتا وجودهما ليس بالقوة فاليابان ليس لها جيش مثلاً ولكن بالمعرفة من علوم وتكنولوچيا...»

نجيب محفوظ.. وماذا فعلت المعرفة بالإنسان في الماضي؟

«... إن المعرفة قد أوجدت للانسان ثروة لاتقدر بثمن، فقد عرفته أولاً بنفسه وبقوانينها الخفية وعرفته بما يحيط به من مخلوقات أو من عناصر الطبيعة وتلك معارف جليلة الشأن وجليلة الفائدة، أما إذا كانت هذه المعرفة قد تسببت في تعاسة الانسان فهذا لانه استخدمها في التلف وهذا يتعلق بأخلاق الإنسان أكثر مما يتعلق بالمعرفة ذاتها التي هي ثروة في يده تزداد يوماً بعد يوم...»

نجيب محفوظ.. مع المعرفة

«... أنا مع المعرفة، فهي طوق النجاة الوحيد وسط محيط عدم المعرفة المخيف والمتلاطم الامواج الذى قدر لنا العيش فيه...»

نجيب محفوظ.. المعرفة الكاملة بمصر وتاريخها والمصريين

إذا تكلم الأستاذ نجيب محفوظ.. نوبل مصر والعرب والمسلمين والعالم.. عن مصر وتاريخها والمصريين.. فعلينا الإنصات.. حتى نعرف كيف نتعامل مع مصر، والمصريين.. عرباً ومسلمين ودولاً!!

نجيب محفوظ.. مصر!!

«... مصر ليست مجرد قطعة أرض، مصر هي مخترعة الحضارة، لذلك فهي في التاريخ الإنساني بمثابة البلد الأم ومهما آل إليه أمرها فإن ذلك يجب أن يحفظ لها اعتباراً خاصاً واحتراماً بين الأمم تماماً مثل مايستحقه الأب والأم من اعتبار حتى وإن فاقهما الأبناء أو فاقوهما في العلم أو القوة...»[1].

---

1 ـ محمد سلماوى : نجيب محفوظ وطني مصر - حوارات مع محمد سلماوى، (دار الشروق، الطبعة الأولى، 1417، 1997)، ص19.

لقد «... توالت عليها الأمم جميعاً فبعد الفراعنة جاء الفرس ثم الإغريق ثم الرومان ثم العرب وهكذا.. وأصبح وادى النيل كتابا عالميا لجميع الحضارات فكل حضارة جاءت وتركت توقيعها فى هذا الكتاب، ففى القاهرة تستطيع أن تشاهد الآثار المصرية القديمة والرومانية والإغريقية والقبطية والإسلامية إلى جانب الحضارة الحديثة..

هنا تاريخ البشرية كله فلا أعتقد أن ذلك التاريخ تجمع لبلد آخر كما تجمع لمصر، وقد احتضنت مصر كل هذه الحضارات فى أمومة واضحة ولولا ذلك لما مكثت فيها.. هذه الحضارات ولما تركت فيها بعضا منها.. إنه قدرها وحظها فى الحياة وماكتب لها أن تلقاه وتتعامل معه بخيره وشره...»[1]

يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ﴾..[2]

وتعتبر مصر أم العرب لأن سيدنا إبراهيم عليه السلام تزوج ستنا هاجر المصرية وأنجبا الذرية التى انتشرت فى سائر المعمورة..!!

«... الموقع الفريد أعطى لمصر ميزة بين الأمم توازى ميزة حضارتها بين سائر الحضارات، فموقعها مفصلى فى نقطة التقاء قارات العالم الثلاث الكبرى والذين كانوا فى الجزء الأكبر من تاريخ الإنسانية هم العالم كله...»[3]

«... ومثلما ترك الغزاة آثارهم فى مصر.. فإن مصر قد تركت هى الأخرى تأثيرها على هؤلاء الغزاة دون أن تبرح مكانها، من الإسكندر الأكبر إلى بونابرت، فقد تأثر الإسكندر بمصر لدرجة أنه سمى نفسه أبن آمون إله المصريين، ولبس لباس الفراعنة وأوصى بعد موته أن يدفن فى أرض مصر أما نابليون فقد عاد إلى فرنسا حاملاً معه ما أصبح يعرف باسم «الولع بمصر» Egyptomarie فبدأ عهد من الدراسات المصرية غير مسبوق، وتغلغلت مصر فى كل جوانب الحياة فى فرنسا حتى فى الآثاث، فقد تحولت

1 - محمد سلماوى: المرجع السابق، ص20.

2 - القرآن، سورة البقرة، الآية رقم 61.

3 - محمد سلماوى، المرجع السابق، ص21،20.

طرز لويس الخامس عشر والسادس عشر إلى طراز الإمبراطورية الذى ملأته الأشكال الفرعونية، ثم عاد نفس الطراز بعد ذلك بسنوات يلح مرة أخرى فيما عرف بعودة مصر Retour d'Egypte...»[1].

«... فلمصر سحر خاص لايستطيع أن يتحدث عنه إلا من عرفه، ولقد جاءها الغزاة بالجيوش والأساطيل فغزتهم هى بالحضارة لأن حضارتها كانت أقدم وأعرق من حضارة كل من غزاها...»[2].

«... إن قدرة مصر وصلت إلى حد استيعاب كل من غزاها حتى أصبح الغزاة يتشبهون بها، ويتخذون من عاداتها بل ومن دياناتها عادات وديانات لهم، وقد جعلها هذا فى حقيقة الأمر غير محتلة، لإن الحاكم الأجنبى كاد يصبح فى النهاية مصرياً وخير مثال على ذلك: كليوباترا مثلاً.

ولم يكن هذا هو الحال فى التاريخ القديم فقط، وإنما أيضاً فى العصر الحديث، فإذا أخذنا على سبيل المثال محمد على ذلك العسكرى الألبانى الذى استقل بمصر وحكمها هو وابناؤه، وقد كان آخرهم فاروق الذى خلعته ثورة 1952.. من، ذا، الذى يستطيع أن يقول إنهم لم يكونوا مصريين؟ «إن محمد على هو الذى أخرج المصريين من ظلمة التاريخ إلى مسرح الحياة، ورفض الشعب للملك فاروق فى نهاية عهده لم يكن من منطلق أنه ليس مصرياً ولكن بسبب فساد حكمه...»[3].

وفى نهاية القرن العشرين.. عشق الرئيس الفرنسى الراحل فرانسوا ميتران مصر وربط نفسه بتاريخها مما دفعه إلى بناء هرم من الزجاج فى فناء متحف اللوفر أشهر المزارات السياحية فى العالم ورمز من رموز التاريخ الفرنسى «فكأنما أراد أن يصل تاريخ مصر بتاريخ فرنسا بشخصة...»[4].

---

1 - 2 - المرجع السابق.

3 - محمد سلماوى: المرجع السابق، ص21.

4 - د. أحمد يوسف: فرانسوا ميتران.. فنان السياسة والحياة، ملخص كتاب صدر باللغة الفرنسية فى فرنسا بعنوان «Portrait d'un artiste» بقلم الفرنسى الآن دوهاميل، (جريدة الأهرام، 1997/2/4).

نجيب محفوظ يلخص مصر فى عبارة واحدة!!!

« ... هى المولد.. والمنشأ.. والمعاش ويجب الإقامة فيها، ويرجو ألا يتركها.. إلا مطروداً.. أو منفيا !! فهى ليست مجرد وطن بحدود، ولكنها تاريخ الإنسانية كله»[1].

نجيب محفوظ.. والأديان التى تعاقبت على مصر..!!

مصر محصلة.. الفرعونية واليونانية الرومانية والقبطية والإسلامية والحديثة ثم البحر الأبيض المتوسط والإفريقية والآسيوية.

« ... هى كل ذلك، وغير ذلك لأن تلك الصفات ليست قائمة بذاتها، وإنما حين قَدمت إلى مصر وامتزجت بمصر صارت شيئاً آخر ومصر كما أعرفها ليست نتاجاً لجمع كل الصفات، وإنما هى نتاج جديد ومتفرد نشأ عن هذا الامتزاج.. شئ جديد يختلف فى خصائصه عن كل منهما، وبقدر اختلاف الماء عن الغاز كان اختلاف مصر الحالية عن كل من هذه الهويات الحضارية، فالمعمار الإسلامى فى مصر مثلاً ليس هو المعمار الإسلامى فى تركيا أو فى المغرب، والكنيسة القبطية ليست مثل الكنيسة المسيحية الأوروبية.

إن للشخصية المصرية جوانب متعددة لاشك فى هذا، لكنها كلها مصر وليست شيئاً آخر...»[2].

مصر.. الإسلامية

يميل الاستاذ نجيب محفوظ أكثر إلى مصر الإسلامية!!

ويقول: « ... إنى أجد فى نفسى ميلا أكثر إلى مصر الإسلامية، التى تختلف عن إيران الإسلامية أو السعودية الإسلامية أو أندونيسيا الإسلامية أو أفريقيا الإسلامية، وربما كان ارتباطى بها لأسباب شخصية، فأحياء القاهرة الإسلامية القديمة هى التى ولدت بها وتشربت بروحها وكل حركة من حركتها تمثلتها تماماً وعشقتها تماماً، وأقصد الأحياء المملوكية والأيوبية والفاطمية بشكل خاص..

ثم تليها عندى مصر الفرعونية التى هى الأصل وبداية الحضارة. والحقيقة أنك حين

1 - حديثة فى الفيلم التليفزيونى «حارة نجيب محفوظ» الذى بثه التليفزيون المصرى عدة مرات.

2 - محمد سلماوى: المرجع السابق، ص25.

تتكلم عن مصر القديمة يتسع القول، فهي إلى جانب اكتشافها الزراعة فإنها أيضاً مخترعة الأبجدية، وهي كما قلنا أول من وضع الأخلاقيات وبشر بالقيم السامية فكان أن بزغ فيها الضمير الإنساني...»[1].

مصر الإسلامية أضافت إلى مصر الفرعونية .. العقيدة ومبادئ العدالة والمساواة!!

«... حين فتح الاسلام مصر لم يأت إليها بحضارة جديدة أو متفوقة على حضارتها، وإنما أتى إليها بعقيدة سامية، وبكل ما كانت تمثله تلك العقيدة من مبادئ ومثل، ومنها مالم تكن مصر القديمة قد توصلت إلى تحقيقه وهو مبدأ العدالة والمساواة بين كافة البشر والتي تعتبر ركناً اساسياً من اركان العقيدة الاسلامية التي لاتعرف فرقاً بين الاسود والاصفر والأبيض، ولافرق بين الغني والفقير ولابين الحاكم والمحكوم وعمر بن الخطاب كان خير تجسيد لذلك...»[2] وكذلك عمر بن عبدالعزيز.

«... إن الإسلام جاء إلى مصر بالعقيدة، كما ذهب إلى الشام وإلى بلاد الفرس، فمثلما كانت لمصر حضارتها كانت في الشام حضارة بيزنطية، وفي ايران كانت الحضارة الفارسية.. ولو كانت العقيدة الاسلامية ضعيفة لانغلقت على نفسها ورفضت تلك الحضارات، لكنها على العكس من ذلك اختلطت بها فأثرت فيها وتأثرت...»[3].

وتأكيداً لصدق الأستاذ نجيب محفوظ فيما قاله.. أخذت الحضارة العربية دورها فى الإزدهار وبلغت ذروتها فى العصر العباسي حيث قامت حركة كبيرة للتعرف على الحضارات الأخرى، وترجمة لكل ما يقع تحت ايدى علمائها من مخطوطات أفريقية وفارسية وهندية ومصرية وصارت هذه هى القاعدة التى انطلقت منها الحضارات الغربية[4]!!

كان دين عقل ومعرفة وعلم فاستخلص من هذه الحضارات أحسن مافيها، وترجم وأضاف إليه فكانت الحضارة الإسلامية، ولذلك نجد أن مراكز ازدهار الحضارة الإسلامية ونموها هى مراكز حضارات القاهرة ودمشق وبغداد وقرطبة...»[5].

---

1 -2 ـ محمد سلماوى: المرجع السابق، ص26,25.

3 ـ محمد سلماوى : المرجع السابق، ص26.

4 ـ 5 ـ د. فتحي سن صالح : آه.. لوعرفوا قدره!، رسالة منشورة فى باب بريد الاهرام، العدد – 40244 بتاريخ 1997/2/11.

لقد أضاف علماء العرب في مجالات الطب والرياضة والهندسة والموسيقى والفلك وغيرها من تفسيرات ونظريات جديدة، وقد جرى كل ذلك في فترة كانت فيها أوروبا تغط في التخلف والبدائية!! وانتقلت إليها هذه العلوم عن طريق المدارس التقليدية العربية في الاندلس وصقليه وجنوب ايطاليا وقبرص حتى أصبحت المراجع العربية مثل : كتاب «الجبر والمقابلة» للخوارزمي و«القانون في الطب» لابن سينا «وصور الكواكب» للصوفي الرازى من المراجع التي لايستغنى عنها الغرب حتى الآن[1]!!.

ثم بدأت الحضارة الغربية في الازدهار بعد فترة ضعف الحضارة العربية وإنهيار دولته في الأندلس.. وبدأ صراع حضارى آخر وصل إلى حد الإقلال من أهمية تأثير الحضارة العربية على ثقافة العالم اللهم من قلة قليلة من الكتاب الغربيين مثل : المستشرقة الألمانية «زجريت هونكا» في كتابها «شمس الله تشرق على الغرب».. ثم بدأ العرب يتهمون الغرب بأنه اغفل الحضارة العربية[2].. وهذا وإن كان صحيحاً، فإن العيب : فينا كعرب مسلمين وليس في الإسلام!!

إن فترة الدولة العباسية اتسمت بنهضة علمية خاصة في عهد هارون الرشيد ومن بعده المأمون حيث أُنشئت دار الحكمة التي ضمت حوالى نصف مليون كتاب وظهر علماء كثيرون مثل : الكندى والفارابى وابن الهيثم وغيرهم.. كما ظهر في هذه الفترة عظماء الموسيقى العرب واصحاب المراجع الموسيقية المعروفة مثل : الكندى والفارابى صاحب كتاب الموسيقى الكبير الذى صيغت منه أسس الموسيقى العربية.. كما ظهر في ذلك العصر أهم الموسيقيين وأعظمهم وهو أسحق الموصلى وابنه ابراهيم الموصلى.. أما الخوارزمى الذى قال عنه أحد المستشرقين النمساويين «لو عرف الغرب قدر الخوارزمي بمافيه الكفاية لضاهوا به نيوتن فهو منشئ علم الجبر.. وممن ساهموا في نشر نظام الأرقام الهندية المعروفة عند الغرب بالترقيم العربي[3] وله إضافات أخرى في علم الفلك.. فهو الذى وضع حساب مواعيد

2-1 ـ المرجع السابق.

3 ـ الشائع في الدول العربية استعمال الارقام (1,2,3,00)، ويعتقد معظم شعوب العرب خطأ أنها ارقام أجنبية أو أوروبية، بيما يسميها غير العرب تسميتها الحقيقية الارقام العربية Les Chifres arabes وحتى كلمة Chifre بمعنى الرقم فهى مأخوذة عن كلمة «صفر» العربية والذى كان لاختراعه بفضل العرب، بعد أن كان مجهولاً عند الرومان، فضل عظيم على تطور العلوم والحضارة الإنسانية. والعرب هم أول من طور هذه الارقام وإن كانت شأنها شأن الارقام المستعملة في الدول الأوروبية ذات أصل هندى وهى تقوم على فكرة عدد زوايا الشكل الهندسى. وهذه اشكالها الأولية قبل أن يلحقها التطور.

راجع مؤلفنا : الموازنة بين التنظيم الإدارى بين المركزية واللامركزية، (رسالة دكتوراه) كلية الحقوق جامعة عين شمس، منشورة تحت عنوان «التنظيم الادارى الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1992»، هامش ص335.

ظهور القمر ومواقيت الصلاة .. التى اعتمدت عليها الدولة فى تحديد بداية الشهور العربية ومواقيت الصلاة وقد كتبت مجلة : (SCIENTIFIC AMERICAN) فى إحدى مقالاتها أن الدين الاسلامى كان باعثاً لعلماء العرب الاوائل على التدقيق فى علوم الفلك لتدقيق معرفتهم لمواقيتهم الدينية[1] . فالعرب بدون الإسلام ما كان أحد فى العالم سيعرف عنهم شيئاً .. والحضارة الإسلامية التى أستمرت ثمانية قرون «طرأ عليها ما يطرأ على الإنسان من طفولة ثم شباب ثم كهولة ثم شيخوخة .. بفعل المسلمين أنفسهم ...»[2] لماذا ؟ لأن المسلمين فهموا الدين فهماً ضيقاً ، الدين الإسلامي هو دين حضارة ، لكن المسلمين في القرون المتأخرة فهموا الدين على أنه مجرد تأدية شعائر دينية وانتهى الأمر .. !! الذى يصلى ويصوم ويحج ويزكى ضمن الجنة .. هذا فهم غير ما يقصده الدين تماماً ، وإذا أردنا أن ندرك هذه الحقيقة فلندركها[3] .. في قول الله تعالى :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ * ﴾[4] .

هذه الآيات الخمس الأولى عن القراءة .. قراءة الكتاب وهو القرآن .. وقراءة الكون .. السماء والأرض ومابينهما .. وتتحدث عن العلم .. والإنسان الذى صنع الحضارة .. الذى هو نفسه هدف الحضارة .. فقد بدأ الحق فى أول سورة ينزلها الوحى الإلهى بالأسس التى تبنى الحضارة وفى سورة أخرى تحدث عن الصوم والصلاة والزكاة والحج وباقى الشعائر الدينية .. فهذه لم تكن مصادفة بل مقصودة .. ففى آيات أخرى يقول الله تعالى :

﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * ﴾[5] .

---

1 ـ د. فتحى حسن صالح : المرجع السابق.

2 ـ 3 ـ حسن علام : حيث مع الدكتور محمود حمدى زقزوق ، وزير الاوقاف المصرى ، مجلة آخر ساعة ، العدد 3251 ، 4 / شوال / 1417 - 1997/2/12.

4 ـ القرآن ، سورة العلق ، الآيات ، 1-5.

5 ـ القرآن ، سورة الجاثية ، الآية ، 12.

فالسماء والأرض وما بينهما مجال لنشاط الإنسان الفكرى والعلمى.. لذلك تختم الآية الكريمة : «إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون».. الذين يستخدمون عقولهم، لأن التفكير هو وظيفة العقل، وإذا تخلى المسلم عن هذا الواجب يكون تخلفه وتخلف الأمة الاسلامية هو المصير المحتوم.. وهو ماحدث.. فبعد أن وصلت الحضارة الاسلامية إلى قمة ازدهارها بدأ الفهم الضيق يقود ويسرى شيئاً فشيئاً إلى أن انتهى فى النهاية بأن الدين هو مجرد تأدية الشعائر وبالتالى تخلف المسلمون فى مجالات العلوم والفنون والصناعات[1]..!!

الطابع المميز للحضارة الإسلامية[2].

تقوم الحضارة الإسلامية على أساسين :

الاساس الأول – إيمانى، حيث كان المسلمون فى بادئ الأمر يعتمدون عليه ولذلك بنوا حضارة فى فترة قصيرة استمرت فترة طويلة، فالفلسفة الإسلامية لم تتخل عن الأساس الدينى بل حاولت التوثيق بين الدين والعقل.

الأساس الثانى – الاعتدال بمعنى التوازن بين متطلبات الإنسان، لأنه عقل وحس ووجدان.

لبى الإسلام وحضارته كل هذه الإحتياجات.. لذلك كان لها دور فى مجال العقل والحس والوجدان، هذان الاساسان كانا أساس الحضارة الإسلامية سواء كانت هذه الحضارة ممثلة فى العلوم أو الفنون أو الآداب، وعلى سبيل المثال لا الحصر :

الاسلام دين لايكره الترفيه عن النفوس باللهو البرئ..!!

فرسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة» فالتظاهر بالجدية والتجهم فى الوجوه بعيد كل البعد عن الدين الإسلامى، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «تبسُمك فى وجه أخيك صدقة» فالبشاشة والابتسامة سمة من سمات انجذاب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذا.. يا مسلمى العالم لا تجعلوا الدين شيئاً منفراً للناس!!

1-2 ـ حسن علام : المرجع السابق، 20-21.

الإسلام لايرفض الفنون..!!

هناك فرق بين الإسلام كدين وبين العادات والتقاليد الراسخة في الدول الاسلامية.. فالدين الاسلامي لايرفض الفنون لانه لايصادر على عواطف الناس ووجدانهم.. بل هو يرقق العواطف ويتسامى بالروح والقاعدة الإسلامية في هذا الصدد: «إن حسنه حسن وقبيحه قبيح».

وهذا يعني أن الفنون ليست كلها شر بل بعضها خير ومصلحة عامة ففي الرسم والتصوير والغناء والموسيقى والتمثيل ما يعمل على رفعة المجتمع ومصلحة الإنسان ورقي الذوق الخاص والعام وهو أمر مقبول مع العقل والمنطق السديد، أما ما يعمل على التخريب والهبوط بالأخلاق والذوق أمر مرفوض!!

ففي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم نجد أنه دخل ليلة على السيدة عائشة (رضى الله عنها) وهي تزوج جارية يتيمة كانت ترعاها لاحد الانصار لم يسمع شيئاً!! فقال صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة: «كيف هذا، الأ تأتين لها بمن يغني وتقول: «اتيناكم.. اتيناكم فحيونا نحييكم»..

بل أضاف صلى الله عليه وسلم قائلاً للسيدة عائشة (رضى الله عنها) ألا تعلمي أن الأنصار قوم يحبون الغناء (الزوج من الانصار).. لقد احترم صلى الله عليه وسلم عادات الأنصار وميلهم للغناء.

فالإسلام لايرفض القصائد الشعرية.. لقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة: «بانت سعاد فقلبي اليوم متبول.» وهي قصيدة تبدأ بالغزل والتغزل.. أليس في ذلك إرهاف للأزواج حتى تكون علاقتهما الزوجية مودة ورحمة.

وفي العيد.. دخل أبو بكر الصديق (رضى الله عنه) على النبي صلى الله وسلم والسيدة عائشة تتفرج على الأحباش وهم يرقصون ويضربون على الدفوف بهذه المناسبة فتعجب!! وقال: «أبمزمور الشيطان في بيت النبوة؟!!». فقال له صلى الله عليه وسلم: رقق القلب.. اتركهم فلكل قوم عيد.. وهذا عيدنا.

يجب أن تؤخذ الأمور بالعقل المفيد والمنطق السديد.. فلا القرآن ولا السنة تصادر

على الإطلاق.. فاللحن الموسيقى الجميل الذى يسمو بالروح ويرهف الحس..مقبول.. ويقول الشيخ محمد الغزالى رحمه الله[1] (وكان يحب سماع أم كلثوم فى المدائح) فى حديث شخصى مع الدكتور محمود حمدى زقزوق : «كيف يمكن أن يرفض إنسان أم كلثوم وهى تغنى وتقول :

الدين يسر والخلافة بيعة ... والأمر شورى والحقوق قضاء

معانٍ رفيعة تذكر المسلمين بما فى دينهم من قيم.. كيف يمكن لإنسان أن يرفض ذلك لمجرد أن سيدة مثل أم كلثوم تغنيه»؟!! كنت على حق يا أستاذ نجيب محفوظ عند اختيار اسم بنتيك!!

الكتابة والنقوش والعمارة الاسلامية لها طابع مميز..!!

كان الفنان المسلم عبقرياً فى الكتابة والنقوش القائمة حتى الآن على جدران المساجد منذ مئات السنين لأن الخط الايمانى موجود فى فنه. فعبقريته تركزت فى ابراز اشكال مختلفة للخط العربى.. وفى المعمار كان فريداً فى تصميم المآذن (جمع مأزنة) فالقاعدة من أسفل عريضة ثم تصعد لأعلى رفيعة أكثر فاكثر علماً اتجهت إلى السماء تعبير عن اللانهائية فى نهايتها.. رمزاً للسمو فى النهاية.. سمو الإنسان المسلم المرتبط بالأرض التى يعيش عليها فى الحقيقة.. وفى نفس الوقت يسمو الى اللانهائية.. والمأذنة ماهى إلا رمز لذلك.. لأن الانسان متناهى وهو عبدالله اللامتناهى فتصميم المأذنة يتطور ويسمو من المادة إلى الروح[2].

موقف الإسلام من.. العلمانية (بكسر العين) والعلمانية (بفتح العين)[3]

هذان المصطلحان من إفرازات الفكر الغربى فالعلمانية (بكسر العين) يقصد بها : العلم، و(بفتح العين) يقصد بها : العالم.

---

1 ـ توفى الشيخ محمد الغزالى مساء الاحد 1996/3/10 إثر اصابته بأزمة قلبية وهو يشارك فى الندوة الثقافية التى تعقد بالرياض ضمن نشاطات المهرجان الحادى عشر للتراث والثقافة الذى ينظمه الحرس الوطنى بالمملكة العربية السعودية والمعروف بمهرجان الجنادرية وكان موضوع الندوة «الإسلام والغرب»، هذا ولقد كرمته المملكة بتشييع جنازته ودفنه بالمدينة المنورة.

2ـ 3ـ حسن علام : المرجع السابق، ص21.

فإذا كانت بالنسبة للعالم.. فالإسلام لايرفض العالم بل يجعل هناك «المزاوجة» بين الدنيا والآخرة، ويقول الله تعالى:

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾[1].

وحقيقة المشكلة.. أن بعض المسلمين يفهمون المصطلح بمعناه الذى كان سائداً فى العصور الوسطى بأوروبا وفى عصر النهضة وحتى الآن.. وهو فصل الدين والدولة، والسبب أن الكنيسة الكاثوليكية كانت مهيمنة على كل الامور بما فيها العلم والفكر.. فسعى العلماء والمفكرون للتخلص من هذه السيطرة للانطلاق بالعقل والفكر.. فكان الانفصال بين الكنيسة وبين العلم والفكر.

إذاً كبد الحقيقة.. أن الإنفصال كان بين الكنيسة والعلم والفكر وليس بين الدين والفكر والعلم وهذه المشكلة غير موجودة فى الاسلام.. فلا إنفصال بين الدين والعلم ولا بين الدين والعقل ولابين الدين والسياسة ولا بين الدين والآخرة .. كل ما فى الأمر أن هناك إعتدالاً وتوازناً بين الدنيا والآخرة وبين العقل والنصوص الدينية.. ولكن هذه المشكلة موجودة فى المسلمين.. فى عقولهم وأنفسهم.. فهم لايفكرون بواقعية وتوازن.. كأنهم حاضرون غائبون.. يتحدثون حديث الصم!!

وحتى تحل هذه المشكلة «العلمانية بنوعيها» .. يجب تحديد المفاهيم التى تحكم المناقشة فيما بينهم حتى نصل إلى مفهوم واحد.. فيجب تحديد ماهى العلمانية بنوعيها.. هل هى التاريخية أم السائدة الآن.. فإذا تحددت المفاهيم وصلنا إلى حد أدنى (إذا خلصت العقول والنفوس) يمكن الجلوس لمناقشته.. ولكن حقيقة المسلمين أن كل واحد يقصد شيئاً غير الآخر[2].. وكان الله بالسر عليم!!.

---

1 ـ القرآن، سورة، القصص الآية رقم 77.

2 ـ حسن علام، المرجع السابق، ص 21.

الإسلام يحترم الحضارات السابقة!!

أدعى البعض أن المسلمين عندما دخلوا مصر أحرقوا مكتبة الاسكندرية والحقيقة أنها أحرقت قبل دخولهم بمئات السنين.. وهو ما أكدته المستشرقة الالمانية «زجريت هونكا» فى كتابها «الله مختلف تماماً» وأتت بالادلة العلمية عن توقيت إحراق مكتبة الاسكندرية ومن الذى أحرقها.. وبذلك ظهر الحق وزهق الباطل بشهادة شاهد من أهلها!!

ومما يؤكد صدق ما وصلت إليه.. علينا أن نراجع التاريخ بصدق، فحينما بدأ المسلمون يبنون حضارتهم.. استفادوا من السلف والآخرين.. فكان الخليفة المأمون يرسل رسالة إلى ملوك الروم ليأتوا له بالمخطوطات التى عندهم ويرسل لهم الهدايا مقابل ذلك، ثم يرسلها إلى العلماء فى دار الحكمة ليترجموها إلى اللغة العربية.

ويقول الفيلسوف «ابن رشد»: «إن مطالعة كتب الاقدمين واجب شرعى!.. فإن عثرنا فيها على مايتفق مع الحق من وجهة النظر الاسلامية أخذنا به، وإن كان العكس نبهنا عليه وعذرناهم».

مصر.. القبطية

كانت فترة قصيرة.. وهى همزة الوصل بين التاريخ المصرى القديم والتاريخ..!!

تعتبر الفترة القبطية قصيرة نسبياً فى حياة مصر «... بالمقارنة مع الآف السنين التى عاشتها الفرعونية قبل ذلك أو الإسلامية بعد ذلك.. إن مصر القبطية هى الرد الوطنى على الاحتلال الرومانى الذى رغم أنه دام طويلاً إلا أن مصر رفضته واتخذت لنفسها دينا مغايرا لمعتقدات الإغريق والرومان، ولرغبتها تحملت فى سبيل ذلك أهوالاً كبيرة، ولا عجب إن تلك الفترات شهدت ثورات وتمردات كانت حلقات متصلة للمقاومة الشعبية فى ذلك الوقت.. إن القبط هم الذين حافظوا على روح مصر القديمة، ومصر القبطية لذلك هى همزة الوصل بين التاريخ المصرى القديم والتاريخ الحديث...»[1].

«... وحين وصل وجد أن حضارتها القديمة مازالت قائمة فخلصها من الظلم الرومانى ومنح الاقباط حقوقهم ثم اندمج مع مصر إلا أن أعمدة الاسلام المصرية كانت هؤلاء القبط الذين دخل الكثير منهم الدين الإسلامى، واتخذت الكنيسة القبطية اللغة العربية لغة رسمية لها بعد أن أصبح يتحدثها كل سكان مصر ولقد تركت لنا مصر القبطية العديد من الآثار والأعمال الفنية...»[2].

---

1 - 2 - محمد سلماوى، المرجع السابق، ص27.

مصر.. الاغريقية الرومانية.. تأثرت بالفرعونية

نتيجة لهذا التأثر أخرج الفكر الإغريقي فلسفات جديدة.. أخلاقية وصوفية «... إن أكثر مايستلفت النظر في التراث الاغريقي الروماني في مصر هو تأثره الشديد بالفرعونية، فقد مكثت تلك الفترة سنوات طويلة حتى صارت جزءاً لايتجزأ من التراث المصري.. فقد تأثر الفكر الإغريقي بما وجده في مصر، فأخرج فلسفات جديدة أخلاقية وصوفية لم تكن معروفة في الفلسفة الاغريقية القديمة ومدرسة الاسكندرية شاهدة على ذلك وكذلك مكتبة الاسكندرية Biblioteka Alexandring وفلسفة أفلوطين «أفلاطون» التي كان أول من بشربها أحد مواليد أسيوط»[1].

مصر الحديثة.. محمد علي باعث نهضتها

يعتبر محمد علي «... مقدمة النهضة الحديثة في الوطن العربي، وفي العواصم الاسلامية، فمصر محمد علي هي التي اتصلت بأوروبا فحدث التفاعل بين الافكار الغربية الحديثة والتراث الاسلامي العريق فأطلقت شرارة التقدم...»[2] وهكذا انصف الاستاذ نجيب محفوظ محمد علي.

نجيب محفوظ.. وخصائص شخصية المصري..

المصري يصبر.. والسبب طبيعة المكان والزمان..!!

«... إن أكثر ما يميز الشخصية المصرية هو قدرة المصري على الصبر.. على المصائب إيا كان نوعها اجتماعية أو سياسية فهو يعتبر أن المحن التي تمر به هي «مكتوب» عليه، لكن مع ذلك فإن التاريخ المصري لايخلو من ثورات وتمردات لاتعد ولا تحصى...»[3]. والسبب يرجع «للطبيعة في هذه المنطقة من العالم ولجغرافية المكان وللتاريخ أيضاً، فنحن نسكن وادياً منبسطا ليست فيه جبال مثلاً، وتاريخ المصري مرتبط بالزراعة التي اكتشفها قبل غيره، والزراعة أم الصبر.. فماعليك إلا أن تزرع البذرة وتظل ترعاها متذرعاً بالصبر إلى أن تؤتي ثمارها حين يحين موعدها المحدد...»[4].

---

1 ـ محمد سلماوي، المرجع السابق، ص29.

2 ـ محمد سلماوي، المرجع السابق، ص29-30.

3 ـ 4 ـ محمد سلماوي: نجيب محفوظ وطني مصر – حوارات مع محمد سلماوي، (دار الشروق، الطبعة الأولى، 1417هـ – 1997م) ص41 وما بعدها.

المصرى متدين جداً!!

«... لأنه في فترات إنتظاره الطويلة والتي فرضت عليه ألوانا من الصبر وجد عليه أن يفكر في الكون وفي الخليقة وفيما بعد الموت وهذا هو باعث الدين، لانه وجد في الدين الإجابة علي جميع أسئلته : لماذا احياً؟ ولماذا أموت؟ وإلي أين أنا ذاهب؟...»[1]

«... إن إسلام مصر يمثل الاعتدال الذي عرف دائماً عن مصر، والسماحة وكراهية التطرف في كل شئ، فالمصرى متدين لكنه مثل جده الفرعوني القديم يقول: «ساعة لربك وساعة لقلبك»، إن المصرى هو الذى صنع من المناسبات الدينية المقدسة مهرجاناً للابتهاج بالحياة، مثل الموالد وشهر رمضان الذى يقوم فيه المصرى بالصيام لربه والتقشف طوال اليوم، ثم ما إن تغرب الشمس حتى يتفنن في الاستمتاع بمباهج الحياة...»[2].

المصرى وَفيٌّ إلى أبعد الحدود!!

«... تاريخه ملئ بما يشهد علي ذلك ولنأخذ قصة قلاوون الذى خلعه أحد أعدائه من الحكم، لكن لأنه كان يظهر بعض الميل نحو الشعب، فإن الشعب رفض أن يتخلى عنه فخرج يطارد من خلعه، وكان هذا رجلا غنياً فظل يغدق لمن يطاردونه بالمال فكان هؤلاء الحفاة الجياع يتركون المال ويواصلون مطاردته إلي أن فرغ ماله وتمكنوا من القبض عليه وأعادوا قلاوون إلي الحكم...»[3].

المصرى روحه الفكاهة!!

«... الإنسان الذى لديه صبر الانتظار فإن روحه تكون سمحة تميل للدعابة.. ولقد استعان المصرى دائماً على الملمات التي تقابله بالفكاهة والدعابه.. ففي عصور القهر تجد النكته السياسية منتشرة بشكل غير عادى، وهي وسيلة سلمية لمقاومة ظلم الحاكم.. كما أن الفكاهة تساعد المصرى أيضاً على تحمل بعض متاعب الشخصية مثل محدودية الرزق وباقي مشاق الحياة اليومية...»[4].

---

1 - 2 - المرجع السابق.

3 - 4 - محمد سلماوى : نجيب محفوظ وطنى، مرجع سابق، ص 23/22.

وأبسط دليل النكت الكاريكاتورية التى يرسمها فنانو مصر فى الصحف اليومية.. فما هى إلا ترجمة بالرسم والكلمة لما يدور فى الشارع!!

المصرى لديه قدرة على البقاء!!

فمصر «... ذات التاريخ العريق والحضارة السامية ليست سوى شريط رفيع على جانب النهر وبقية أرضها صحراء خالية.. لكن فى النهاية ليست مساحة الأرض وأنما هى الروح التى تسكن تلك الارض، فهذا الشريط الرفيع هو الذى خلق القيم الاخلاقية وهو الذى عرف الوحدانية الدينية «Monotheisme» وهو الذى ابتدع الفنون واخترع العلوم وبدأ أساليب الإدارة وقد كانت تلك العوامل كلها هى التى أعطت للمصرى القدرة على البقاء فى الوقت الذى أندثرت فيه حضارات وشعوب أخرى...»[1].

المصرى لايقدس الموت.. ولم يفن حياته فى بناء القبور!!

«... إن الموت الذى أهتم به المصرى القديم حين تتمعنه تجده امتداداً للحياة التى عرفها وأحبها وقدسها.. فأراد أن يأخذها معه إلى العالم الآخر، لذلك تجد فى مقابر المصريين جميع أنواع الطعام والشراب بل والراقصات والأشعار وعازفى الموسيقى ورحلات الصيد وخلافة، وهذا ليس الفناء الذى يتصوره العالم الحديث، إنما هو انتقال بالحياة ذاتها وبكل مباهجها إلى العالم الآخر، لذلك فحين يفنى المصرى حياته فى تحنيط أمواته، وفى بناء القبور لهم فهو بذلك إنما يتحدى الفناء لتمتد الحياة فيما بعد الموت.. إن المصرى هو مخترع الأخلاق ولقد سبق بذلك أدياننا السماوية والأخلاق ليست فقط نظاماً للتعامل بين الناس ولكنها هى التى تنظم المجتمع وتحميه من الفوضى والفناء...»[2] ولذلك هى أحد مصادر القانون الوضعى.

---

1 - 2 - محمد سلماوى : المرجع السابق، ص23.

نجيب محفوظ.. يتقن فن المعارك!!

سلاحه .. العقل والمنطق والقلم!!

أسلوبه .. الأدب.. والتواضع.. الكلمة والمقال!!

منذ نصف قرن شن الأستاذ الراحل عباس محمود العقاد معركة بالقلم، أخذت أسلوب المقال.. والدافع والسبب.. الشعر عند الروائيين.. فكان رد الأستاذ نجيب محفوظ بالقلم والكلمة.. والدافع رد الهجوم بالمثل وبنفس السلاح والسبب القصة عند العقاد.

أسفرت المعركة عن مقالين: الأول - بقلم الأستاذ العقاد بعنوان «الشعر والقصة»، والثاني - بقلم نجيب محفوظ بعنوان «القصة عند العقاد» فكان الرد أشد من الهجوم.. لأن عنوان المقال الأول عام.. أم الثانى فخاص بالعقاد.. والباب من عنوانه.. أليس الاستاذ نجيب محفوظ يعرف فن الرد في المعارك دفاعاً عن الروائيين.. أتق شر الحليم إذا غضب!!

قال العقاد في مقاله[1]:

«... إن االشعر أنفس من القصة، وإن محصول خمسين صفحة من الشعر الرفيع أوفر من محصول هذه الصفحات من القصة الرفيعة...»

«... إن قليل الشعر يحتوى من الثروة الشعورية ماليست تحتويه الصفحات المطولات من الروايات، فإن احتياج القصة إلى التطويل لبلوغ أثر الشعور الموجز هو وحده الذى يبين لنا أن قنطاراً من القصة يساوى درهماً من الشعر. وأن القصة في معدنها دون الشعر في معدنه، لأن النفاسة هى أن يساوى الشئ القليل ما يساويه الشئ الكثير...»

«... قد يوجد من العامة من يقرأ الشعر حتى الرفيع منه. كما يوجد من الخاصة من يقرأ القصة حتى الوضيع منها. ولكننا لانستطيع أن نقول من أجل ذلك إن الشعر هو قراءة الجهلاء وأن القصة هى قراءة المثقفين...»!!

---

1 ـ عباس محمود العقاد : المرجع السابق، ص37.

رد عليه الاستاذ نجيب محفوظ نيابة عن الروائيين بتواضع وأدب وثقة بالنفس وبعقل وموضوعية بمقال[1]، أبرز ماجاء فيه :

«... الفن - أياً كان لونه وأياً كانت أداته - تعبير عن الحياة الإنسانية، فهدفه واحد وإن أختلفت كيفية التعبير تبعاً لاختلاف الأداة.. وكل فن في ميدانه السيد الذى لايبارى.. فالفنون جميعاً تتفق في الغاية وتتساوى في السيادة كل بحسب مجاله. وهي في مجموعها تكون دنيا الافراح والمسرات والحرية، حيث يعيش أبناؤها على وفاق ومحبة وتعاون، لايكدر صفوهم مكدر إلا أن يتصدى رجل كبير كالعقاد لدنياهم المطمئنه، فيرمي بحيرتها الساجية بحجر ثقيل يطين رائقها ويبعث الثورة في أطرافها، فيقول: إن هذا اللون من الفن راق وذاك منحط. هذا عزيز وذاك مبتذل...»!!

«... إن القصة لاتزال أعظم انتشاراً من الشعر ولكن أكان ذلك لسيئة فيها أم لحسنة؟ إن الخاصة التي تقرأ الشعر الرفيع وتتذوقه تقرأ القصة الرفيعة وتشغف بها. وإذا كان العقاد لا يقرأ القصة إلا مضطراً فطه والمازني والحكيم وإيزنهاور يقرءونها بغير اضطرار..

ولعله توجد أسباب أخرى تفسر لنا انتشار القصة هذا الانتشار الذى جعل لها السيادة المطلقة على جميع الفنون الجميلة ولعل أهم هذه الأسباب ما يعرف بروح العصر، لقد ساد الشعر في عصور الفطرة والأساطير.. أما هذا العصر، عصر العلم والصناعة والحقائق، فيحتاج حتما لفن جديد، يوفق على قدر الطاقة بين شغف الإنسان الحديث بالحقائق وحنانه القديم إلى الخيال وقد وجد العصر بغيته في القصة فإذا تأخر الشعر عنها في مجال انتشاره فليس ذلك لانه أرقى من الزمن ولكن لانه تنقص بعض العناصر التي تجعله موائماً للعصر...»!!.

حوارات نجيب محفوظ مع محمد سلماوى.. حول العقاد

«قلت للأستاذ: لقد كان عباس محمود العقاد هو أول من تنبأ بأنك ستحصل على جائزة نوبل، أتذكر يا أستاذ نجيب؟

1 - نجيب محفوظ : القصة عند العقاد، (مقال منشور في مجلة المصور، بتاريخ 1992/12/11)، ص38.

فقال : كان ذلك حين حصل الروائى الأمريكى الكبير جون شتاينبك على الجائزة.

قلت : لقد قال العقاد وقتها إننا لدينا في مصر من هو أفضل من شتاينبك، وقال إنك ستحصل على نوبل في يوم من الأيام.

فقال الأستاذ : لقد حز ذلك فى نفسى كثيراً لأن العقاد كما تعلم كان شديد الكبرياء ونادرا ما كان يثني على إنسان، وفي ذلك الوقت لم أكن أعرفه معرفة شخصية رغم أنني أعتبر نفسي من تلاميذه مثلما كان سيد قطب من تلاميذه أيضاً.

وكعادة نجيب محفوظ بدلاً من أن يتكلم عن نفسه قرر أن يكمل الحديث بالتركيز على العقاد فقال : كان العقاد صاحب فكر مثلما كان صاحب كرامة وجعل من الأديب شخصية كبيرة يسعى إليها ولا تسعى إلى أحد.

فسألت : فيم كنت تلميذا للعقاد ؟

قال : العقاد هو أول من نبهني إلى قيمة التراث الإسلامي والعربي، وفى نفس الوقت هو الذى عرفنا بالفكر العالمي وعقد بين هذا وذاك مقارنات : مثلا شوبنهاور وأبو العلاء المعرى، فجعلنا ننظر للثقافة على أنها شئ واحد يسهم فيه الإنسان من أى مكان، وأنه لا موضع لتعصب لتراث دون تراث، وأعطانا القدرة على أن نعتز بتراثنا، وعلمنا أن به ما يقارن بأحسن ما أنتجه الفكر العالمى من فلاسفة ومفكرين وأدباء وشعراء.

قلت : لكن بينما نجد أن للعقاد أسلوباً يميل إلى التعقيد فرغم أنك تعتبر نفسك تلميذاً له فأن من بين إنجازاتك أنك تكاد تكون قد ابتدعت لغة جديدة للرواية تعتمد على أسلوب عربى أصيل يميل إلى السلاسة بحيث يفهمه المثقفون والعامة فى نفس الوقت.

قال : لقد أهتم العقاد، لكونه مؤلفا ومفكرا، بالمنطق والدقة قبل الأسلوب، أما أنا فحكاء أحكي للناس بدلاً من الرجل الذى كان يجلس على القهوة ويقول للناس: أول ما نبدى اليوم نصلى على النبى ثم يقص عليهم حكاياته، إذن لابد أن تكون مهمة هذا الرجل الأولى هى كيف يطوع هذه اللغة العظيمة لغة الحكى.

ويستطرد الأستاذ : لقد كنا فى ذلك الوقت مدرستين: أناس قالوا الفصحى لا تصلح للحكى وأن العامية هى للغة الرواية وبعضهم كتب الرواية كلها بالعامية مثل محمد عفيفى ومصطفى مشرفة أما أنا فقلت أن الفصحى هى لغة الرواية، لكن كيف تكتب بها

رواية واقعية مثل زقاق المدق على سبيل المثال؟ الحل هو أن نطورها ونطوعها وستصلح، وقد صلحت بالفعل وكان إعزازى بالفصحى نابع من أمرين أولاً أنها لغة القرآن وثانياً أنها لغة القومية لذلك فلن أتركها من أجل الرواية ولكنى سأتى بالرواية إليها»[1].

صدق الاستاذ نجيب محفوظ فيما قاله :

فقد وصف العقاد بأنه شديد الكبرياء.. وهذا حقيقي.. فإذا رجعنا إلى مقاله «الشعر والقصة» نجده يتحدث عن نفسه بضمير «الجمع» فيقول على سبيل المثال: «ونقول نحن إن ميل بعض العامة إلى الشعر صحيح ولكن حين يكون الشعر قصة، وحين يكون الشعر من قبيل ملاحم.. أو وصفا.. أو حكمة.. أو فخرا .. فالعامة لاتفضله على القصص التي تفهمها وإن أسفت غاية الإسفاف».

ودائماً ننصح بعدم استخدام ضمير المتحدث مثل : أنا.. نحن.. نرى!!

كنوع من التواضع.. فالمفكر والأديب.. يجب أن يكون متواضعاً.. ومشكلة العقاد.. أو عقدته أنه لم يكن جامعياً.. بل كان مثقفاً.. عكس الاستاذ نجيب محفوظ.. متعلم.. جامعي.. مثقف ثقافة عالية جداً عن فهم ووعي.. فكان تواضعه عن ثقة بالنفس.. لذلك كان العقاد دائم الهجوم وانتقاد هذه النوعية من المتعلمين.. وما بالك بالأكاديميين!!

ويقول الأستاذ الدكتور عبدالرحمن بدوى[2] : «... إن العقاد لم يقدم أى شئ للفكر العربي.. إنه رجل هامشى عاش ومات دون أن يشعر به أحد فى دنيا الأدب أو الفكر.. لم يحدث يوماً أن تمكن رجل.. من تثقيف نفسه بنفسه واستطاع أن يترك لنا حصاداً فكرياً وأدبياً ذا بال، لأنه فى أحسن الأحوال ليس إلا مجرد قارئ، يقرأ كيفما اتفق!.. ومن المغالطات الكبرى أن نزعم أنه يعرف مناهج البحث الأكاديمية مثل غيره من الدارسين فى الجامعات.. فعباس العقاد هو ماتؤكده كل كتاباته السطحية غير العميقة، ولأمر ما قال

---

1 ـ حوارات نجيب محفوظ، جريدة الاهرام، يوم الخميس 1995/4/5.

2 ـ حوارات اجراها فى باريس الدكتور سعيد اللاوندى مع الدكتور عبدالرحمن بدوى استاذ الفلسفة بجامعة السوربون، (مجلة نصف الدنيا، العدد 314، يوم 1996/2/18)، ص69-70.

عنه صادق الرافعي إنه يكتب حسب البريد الأدبي الوارد من انجلترا !.. بمعنى أن ثقافته للقشرية لاتسمح له بغير التعليق على بعض المقالات التي يتضمنها مطبوعة الملحق الأدبي الانجليزية.. إن الانسان الذى يثقف نفسه بنفسه - كحال العقاد - يعتقد أن كل كلمة يقرؤها هي اكتشاف جديد بالنسبة له !!.. لقد أساء أنيس منصور إلى العقاد في كتابه «في صالون العقاد كانت لنا أيام».. واقترح تغيير اسم الكتاب إلى «أنيس منصور يبهدل عباس العقاد أو العقاد يتقمص شخصية أنيس منصور...».

نجيب محفوظ مصر.. «شكراً للاصدقاء مؤيدين ومعارضين»[1] !!

هذه المقولة كانت رداً على أحد الشعراء الجزائريين المتسمي بالغمارى والذى ألقى قصيدة هجاء وتطاول على كاتب العرب العالمي نجيب محفوظ وشخصه السمح المعطاء تحت عنوان «ثرثرة من تحت النيل» بمهرجان الشعر العربي الثاني بمسقط في سلطنة عمان والمنعقد في أوائل شهر مارس 1997.. ولقد كان رد الحضور الانسحاب من القاعة ليس بسبب هجاء الأستاذ نجيب محفوظ.. ولكن لتدني أسلوب القصيدة وصفها وعدم التزامها بالعناصر والمقومات الفنية للشعر.. ولم تقتصر القصيدة على الهجوم على الكاتب الكبير بل شملت هيئة الصليب الاحمر وعملها في البوسنة.. هذا الشاعر عمل بالمثل المصرى «ذى الجرة.. تمد لبره» فبدلاً من تناول مشاكل بلده وتجسيد الجزائر في وضعها الحالي في مكافحة الارهاب.. أخذ يتطاول على نوبل مصر الذى قال للمهرجان :

«شكراً للأصدقاء مؤيدين ومعارضين.. ولعلي أصارحهم برأيي في هذه المسألة هو أنني من أنصار حرية التعبير وأن يرد على الرأى بالرأى !!..»

---

1 - سامح كريم، جريدة الاهرام، يوم 1997/3/18.

الفصل الثانى

محاولة الاغتيال..

نجيب محفوظ .. نوبل .. أول المستهدفين للاغتيال ولكن..!!!

يعتبر نجيب محفوظ.. الاديب العالمي الحاصل على جائزة نوبل.. أول المستهدفين للاغتيال.. وليس الأخير.. فقد سبقته محاولات اغتيال للمفكرين والكتاب المصريين.. عباس محمود العقاد في خلافه الفكرى السياسى مع جماعة الإخوان المسلمين.. والصحفي مكرم محمد أحمد عام 1987.. والدكتور فرج فوده عام 1992[1].

فعباس محمود العقاد.. الذى هاجم الروائيين.. هاجم ايضاً جماعة الاخوان.. حينما تحولت أهدافهم من الدينية إلى استخدام القتل والاغتيال كوسيلة للوصول إلى أهداف سياسية.. والذى أسفر عن اغتيال محمود فهمي النقراشي عام 1948 رئيس وزراء مصر ورئيس حزب السعديين بعد اغتيال رئيسه السابق أحمد ماهر[2].

كان العقاد يرفض أسلوب الإرهاب الفكرى ومن هذا المنطلق كان موقفه من جماعة الإخوان المسلمين.. فيقول في جريدة الاساس يوم 1949/1/17 : «أجمع المصريون على استنكار تلك الجرائم الوحشية التي يقدم على ارتكابها أفراد جمعية الإخوان المسلمين التي من حقها أن تسمى على الأصح بجمعية «خوان المسلمين...»

إختلاف المستهدف للاغتيال.. واختلاف الاسلوب الإجرامى

محاولة اغتيال نجيب محفوظ ومحاولة اغتيال عباس محمود العقاد مختلفتان في كثير من الجوانب فالمحاولة الاولى – تستهدف اسم نجيب محفوظ «بما يمثله هذا الاسم من قامة شامخة لمصر والأمة العربية أمام العالم فإن اصابته بخدش هو خبر يدوى في جميع أرجاء المعمورة فيبدو لغير المدقق وكأن اليد التى ارتكبته يد قوية قادرة على التخطيط ودقيقة في التنفيذ[3]...»

---

1. محمد سلماوى: الاعتداء على نجيب محفوظ: هل هو دليل على قوة الارهاب؟ مقال نشر في جريدة الاهرام، يوم 1994/10/25.
2. سامح كريم : مقال بعنوان «العقاد قبل محفوظ التفكير واحد والاتهام جاهز»، الاهرام، يوم 1994/10/25.
3. محمد سلماوى : الاعتداء على نجيب محفوظ، المرجع السابق.

أما المحاولة الثانية - تستهدف شخص العقاد لأن اسمه في ذلك الوقت معروف على المستوى المحلي ! !

والاسلوب الاجرامي الذى أتبع في محاولة اغتيال العقاد مر بالمراحل التالية : «انذروه وهددوه أكثر من مرة ولكن لم يأبه بتهديدهم ولم يهتم بانذاراتهم حتى أنهم كانوا يرسلون إليه خطابات متتالية يقولون فيها «قذفت القاذفة» .. مهددين إياه بالقتل إن لم يكف عن مهاجمة اساليبهم ولكن العقاد لم يكف ولم يصمت .. فوضعوا المتفجرات عند بيته حتى يرتدع ولكنه لم يرتدع وأخيراً حكموا عليه بالموت وكانت خطتهم في ذلك أن يتصلوا به في الليل وكان التليفون بجوار النافذة وعندما رد العقاد اطلقوا عليه الرصاص لإصابته في مقتل ونجاه الله ..»[1] .

أما الاسلوب الاجرامي :في محاولة اغتيال نجيب محفوظ فكان الاسلوب المباشر لقتله عن عمد ورصد وترصد وليس قصداً احتمالياً ! ! .. فكان الذبح بالمطواه .. ولكن قدر الله وما شاء فعل ! !

« ... إن الاعتداء على نجيب محفوظ ليس اغتيالا سياسياً كالذى عرفه تاريخنا السياسي القديم والحديث وإنما هو اعتداء من نوع جديد لم نعرفه من قبل إنه اعتداء على أكبر قلم أدبي على الساحة العربية في هذا العصر ..[2] » لذلك سيكون الأخير .. لأنه نوبل الذى رفع الأدب العربي الحديث إلى مرتبة العالمية[3] .. وكما يتوقع الكتاب أن نوبل لن يصل إلى منطقتنا إلا إذا شاء الله بعد فترة طويلة وربما لن يصل .. ! !

نجيب محفوظ نوبل.. والتهديد بالاغتيال..!!

قال الاستاذ نجيب محفوظ[4] : «لا اذكر أنني تلقيت تهديداً بالتليفون أو عن طريق الرسائل وكل ما أعرفه عن هذا الامر هو ما نشر منسوباً إلى الشيخ عمر عبدالرحمن مفتي تنظيم الجهاد حيث قال في تصريحه : «لو كنا قد اتخذنا اجراء صارماً مع نجيب محفوظ من 30 سنة لم يكن سلمان رشدى وغيره .. » ، هذا ما نشر بالصحف على لسان

---

1 - سامح كريم : المرجع السابق.

2 - 3 - محمد سلماوى : المرجع السابق.

4 - كمال عبدالحميد : شخصيات على قوائم الاغتيال (مجلة الشباب ، أغسطس 1992 ، العدد 181) ص20-22 .

الشيخ عمر عبدالرحمن واظن أنه تراجع عن هذا المعنى فى حديث آخر له.. وهذه العبارة التي قالها كانت جملة شرطية تعليقاً على رواية «أولاد حارتنا» هذه الرواية التى تعتبر مثالاً للاعمال الادبية أو الآراء التي تجعل البعض يتخذ موقفا عدائياً من صاحبها. وعندما نشرت رواية «أولاد حارتنا» فى الصحف اثارت العديد من الاقاويل والمواقف الا أن احداً من الذين وقفوا فى الجانب الآخر لم يحقق فيها ولم يأت ليناقش المؤلف وقد رأت الحكومة فى ذلك الوقت منع طباعتها فى كتاب داخل مصر تجنباً للإثارة واعتقد أن هذه الرواية هى أكثر الاسباب ارتباطاً بموضوع التهديد حيث أختلفت فيها الآراء فقال البعض: أن بها قدراً من المساس بالعقائد. وذكر البعض الآخر أنها تطرح مسألة التوفيق بين العلم والدين هناك من قال إنها لاتمس الدين من أى ناحية وبطبيعة الحال أنا إنسان مؤمن بالله سبحانه وتعالي ولا أضمر شرا لاى مخلوق وكل واحد «منا متوكل على الله» ولن يصيبه الا ما كتب الله له.

«... إن القضية الآن ليست قضية رأى فلان لكنها فى الاساس قضية موقف من الرأى المخالف.. كيف يكون؟.. فالفكر لايرد عليه إلا بالفكر ومن غير هذا تظل القضية المثارة معلقة ومحتاجة إلى الفكر لكى نحسمها ونتيجة هذا الإرهاب تختلف ما بين مفكر وآخر فقد يوجد من يؤثر السلامة وقد يوجد من لايتنازل عن دوره وواجبه وقد لاحظت أن الذين لهم مواقف وآراء خاصة ضد افكار هذه الجماعات لايزالون عند مواقفهم تلك، بل ربما رفعوا من نبرة هجومهم!!.. ومن ناحية فلم يحدث أن غيرت من أسلوب حياتى إطلاقاً»!!.

نجيب محفوظ نوبل.. سيناريو وحوار محاولة اغتياله!!

فى الصفحات التالية سيناريو وحوار محاولة اغتيال الاستاذ نجيب محفوظ وفق قواعد واجراءات التحقيق الجنائى.. بدءاً من المطواة.. إلى حبل المشنقة معتمدين فى ذلك على التغطية الإعلامية لجريدة الاهرام والصحف والمجلات المصرية والعربية.. التى اهتمت بالحادث لخطورته وأهميته المحلية والعربية والاسلامية والدولية.. نظراً لشخصية المجنى عليه العالمية.

البلاغ[1] وأيام لاينساها نجيب محفوظ!!

البلاغ :

بتاريخ 1994/10/14 وفي حوالي الساعة 5,15م وأثناء وجود الأديب العالمي نجيب محفوظ في سيارة أحد أصدقائة أمام مسكنه الكائن 172 بشارع النيل دائرة قسم العجوزة قام أحد الاشخاص بالتعدى عليه بآلة حادة.. نقل على إثرها إلى مستشفى هيئة الشرطة..

نجيب محفوظ المصري.. صبور جداً

قام الاستاذ نجيب محفوظ عقب الاعتداء عليه ونزع المطواة.. بوضع ياقة حلته على مكان الاصابة في رقبته في المسافة من موقع الحادث وحتى وصوله إلى غرفة العمليات، ظنا منه أن ذلك سيؤدى إلى منع تدفق الدم من رقبته.. الا أن ذلك أدى إلى منع دخول الهواء المحمل بالاوكسچين إلى دورته الدموية .. وبالتالي أنقذه من الموت متسمما[2].. قدر الله وما شاء فعل.. ومازال في العمر بقية..

عند وصول السيارة للمستشفى.. أصر على السير على قدميه رغم إصابته والدماء تتدفق بغزارة من رقبته[3].

نجيب محفوظ المصري.. وَفيّ

نزف الأديب كمية كبيرة من الدماء.. تطلب نقل دم إليه.. لإنقاذ حياته.. تقدم إبراهيم إلبهي «مندوب الاهرام» للتبرع وثبت أن فصيلة دمه تطابق فصيلة دم الاديب الكبير وهي «بى ايجابى» وتبرع بلتر من دمه[4].

نجيب محفوظ.. وساعتين في غرفة العمليات

أدخل الاديب غرفة العمليات.. استمر بها حتى الساعة 9,45م .. تبين من

1 ـ الاهرام، يوم 1994/10/15.

2 ـ تصريح الدكتور.. أحمد سامح .. الشرق الاوسط، يوم 1994/10/17..

3 ـ 4 ـ الاهرام، يوم 1994/10/15.

الفحص.. أن الطعنة دخلت من الناحية اليمنى للعنق وأصابت الوريد الودجى الايمن وسارت بحذاء الشريان الثباتى دون أن تمسه حتى وصلت للشريان الفقرى.. وعناية الله وحدها هى التى أنقذته حيث لم يمس الشريان الثباتى ولو حدث ذلك لأدت إلى إصابات خطيرة أقلها هو الشلل الفورى[1].

فى غرفة العمليات.. أجريت للاديب عملية جراحية دقيقة.. تم خلالها إزالة جزء من النتوءات المستعرضة للفقرات العنقية حتى يمكن الوصول إلى الاوردة الرئيسة بالعنق من الجهة اليمنى.. والشريان الداخلى فى الفقرات العنقية (شريان يغذى جزءاً من المخ وكان مقطوعاً وينزف بشدة) لربطهاواصلاح الفضلات المتهتكة.. استغرقت العملية الجراحية حوالى الساعتين وتم نقل حوالى ٥ لترات دم للكاتب العالمى[2].

نجيب محفوظ .. وأيام فى غرفة الرعاية المركزة

نقل الأديب إلى غرفة الرعاية المركزة .. بمستشفى هيئة الشرطة[3].. وبعد حوالى 10 ساعات من الاعتداء.. استقرت حالته.. تحدث فى ساعة مبكرة من صباح 1994/10/15 مع الاطباء.. وطلب السماعة الخاصة به ثم خلد إلى نوم عميق.. قامت زوجته بزيارته للاطمئنان عليه .. وعندما شاهدها سألها : «هل أجروا لى عملية»؟

نجيب محفوظ المصرى.. روحه الفكاهة..

زار الأديب صباح يوم 1994/10/15 الاستاذ ثروت أباظة ووقف بجانبه باكياً تأثرا لما حدث لاحد الحرافيش وصديق عمره.. وعندما افاق الاديب نجيب محفوظ واسترد وعيه نظر إليه قائلاً : «إنت جاى تعيط هنا، هو أنت اللى انضربت»!![4].

---

1 - تصريح الدكتور أحمد البشرى أستاذ جراحة الاوعية الدموية أحد أعضاء الفريق المعالج، الاهرام، يوم 1994/10/16.

2 - شرح الدكتور أحمد سامح همام أستاذ جراحة الاوعية الدموية، لرئيس القسم العلمى بالاهرام، يوم 1994/10/16.

3 - أطلقت مستشفى هيئة الشرطة على قسم الرعاية المركزة فيما بعد اسم «جناح نجيب محفوظ».

زاره بعد ظهر نفس اليوم الدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء حين ذاك وبصحبته الدكتور محمد الرزاز وزير المالية واللواء حسن الألفى وزير الداخلية..

رئيس الوزراء روحه الفكاهة.. ففور دخوله عانق الاديب.. قائلاً : «دول خفافيش ولا حرافيش (يقصد مرتكبى الحادث)» فضحك الجميع!!

وعندما تقدم الدكتور الرزاز مصافحاً الاديب العالمى قال الاستاذ نجيب محفوظ له.. مبتسماً : «مسددين الضرائب» فضحك الجميع.

وقال لوزير الداخلية : «أنني أنتهز هذه الفرصة وأدعو الله أن يطهر البلاد من الارهاب.. أنتم تخوضون معركة للدفاع عن الاسلام» فرد عليه الوزير : «سوف ينال كل انسان جزاءه الذى يستحقه»[1].

نجيب محفوظ.. وتعليقات رجال الدين على محاولة الاغتيال

قال المرحوم الشيخ محمد الغزالى : «لقد حزنت حزنا لايوصف عندما بلغنى النبأ وتألمت للعدوان الذى وقع على هذا الاديب الكبير ابداع مصر ورمزها وبداهة ليس هذا تصرفا إسلامياً والاسلام برئ من تلك الجرائم ولايقبل هذا الاسلوب العدوانى ولو كنت التقيت بالمعتدى لاقنعته بكل الطرق أن يعودا أدراجه لبيته ولا يعود ثانية لمثل هذا الفعل المشين»[2].

وقال فضيلة مفتى الجمهورية محمد سيد طنطاوى (شيخ الازهر فيما بعد):

«لاشك أن ماحدث للاستاذ نجيب محفوظ من الاعتداء عليه هو شئ نستنكره لأن الشرائع السماوية كلها وعلى رأسها شريعة الاسلام لاتقبل هذا العدوان وإنما الذى تقبله هو التحاور وابداء الرأى ونحمد الله أن حرية الرأى فى مصر مكفولة بحيث يستطيع كل انسان أن يقابل ما يراه خطأ بالرأى الآخر مع إقامة الدليل على صحة رأيه وعلى ضعف رأى غيره.. أما الاعتداء بالاسلحة على من يخالفنى فى الرأى فهذا أمر مرفوض من كل العقلاء»[3].

---

1 - 2 - 3 - الاهرام، يوم 1994/10/16.

أدان البابا شنودة الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكنيسة المرقسية، حادث الاعتداء .. ووصفة «بإنه اعتداء على رمز من رموز مصر وعلى كل مفكر»[1].

يوم 1994/10/16.. التعاطف الدولي والمحلى مع نجيب محفوظ[2].

تونس.. وصل للاستاذ نجيب محفوظ رسالة مواساة من الرئيس التونسي زين العابدين بن على قال فيها :

«بلغنا بألم شديد نبأ الاعتداء الآثم الذى تعرضتم إليه فى محاولة لاغتيالكم أنتم الرجل الذى أعز بالأدب والثقافة مصر والعالم العربى والثقافة الكونية عامة..

أننا أذ نستنكر مثل هذا الاعتداء السافر الذى يستهدف اغتيال العقل والنور ليحل محلهما الظلام والتعصب نعبر لكم عن صادق مواساتنا ونتمنى لكم الشفاء العاجل راجين من الله أن يحفظكم وكافة أعلام الفكر والأدب من أى مكروه».

الامم المتحدة..

بعث الدكتور بطرس غالى الأمين العام للام المتحدة ببرقية تهنئة إلى الاديب نجيب محفوظ بنجاته من المحاولة الاجرامية الغادرة قال فيها : «دعواتنا إلى الله مع الملايين من أبناء مصر والعالم أن يحفظكم وأن يديمكم رمزاً وفخراً لمصر»

جامعة الدول العربية..

أدان الدكتور عصمت عبدالمجيد الامين العام لجامعة الدول العربية الايدى الآثمة التى أعتدت على الاديب العربى الكبير نجيب محفوظ وقال (لمندوب جريدة الاهرام) «أنه أرسل برقية إلى الأديب الكبير عبر فيها عن شعوره بالاسى والالم العميق لهذا الحادث وأعرب عن أمله فى أن يسترد الاديب الكبير نجيب محفوظ صحته وعافيته من أجل شعب مصر والشعوب العربية».

نادى القلم الدولى..

أرسل رولاند هارووود رئيس نادى القلم الدولى والكسندر بلوك السكرتير الدولى

---

1 ـ الاهرام ، يوم 1994/10/18.

2 ـ الاهرام، يوم 1994/10/16.

للنادى رسالة إلى «الاهرام ويكلى» فور الاعتداء الآثم على الكاتب الكبير نجيب محفوظ تقول:

«نرجو أن تنقل صحيفتكم إلى نجيب محفوظ واسرته واصدقائه وكل المصريين رجالاً ونساء الصدمة العميقة التي أصابتنا نحن أعضاء نادى القلم الدولي الذى يضم 13 ألف كاتب لدى سماع أنباء الاعتداء على نجيب محفوظ وأننا نشعر بإن القضية الملحة الآن التى تواجه الكتاب والمثقفين في جميع أنحاء العالم هي أن يضموا صفوفهم للتصدى للقوى الهدامة والشريرة التى تهدد أمن العالم وجميع القيم الروحية والثقافية التى أرستها البشرية كلها.

إننا جميعا نصلى من أجل سلامة محفوظ وسرعة تماثله للشفاء».

المجلس الدولى للكتاب..

«أعرب المجلس الدولى للكتاب، ومقره فى مدينة استراسبورج عن أسفه الشديد للحادث الذى تعرض له الروائي الكبير نجيب محفوظ وأدان البرلمان في بيان صحفي أصدره أمس الاعتداء على أكبر روائي مصرى.

وأرسل المجلس برقية مساندة وتضامن للأديب الكبير تحمل أمنيات الكتاب فى العالم بالشفاء العاجل له وعودته إلى عافيته.. وقال البيان : إن نجيب محفوظ هو أول عربى يحصل على جائزة نوبل للآداب عام 1988».

مجلس الشعب..

«صرح الدكتور أحمد فتحى سرور رئيس مجلس الشعب بأن الاعتداء الآثم على أديب مصر الكبير نجيب محفوظ يعتبر أعتداء على الديمقراطية التى تقوم على حرية الرأى وشرف الكلمة التى يرمز لها نجيب محفوظ»[1].

---

1 - الاهرام، يوم 1994/10/16.

يوم 1994/10/18[1].

تحسنت حالة الاديب العالمي نجيب محفوظ صباح اليوم.. حيث بدأ التجول في غرفته بقسم الرعاية المركزة وممارسة برنامج العلاج الطبيعي وقراءة عناوين الصحف اليومية.. استمر قرار حظر الزيارة لليوم الثاني على التوالي حرصاً على حمايته من الإرهاق.

يبدأ الكاتب الكبير يدخل مرحلة النقاهة بعد اجتياز مرحلة الخطر.. ولقد أمكن للفريق الطبي المعالج السيطرة على الارتفاع الطفيف في درجة الحرارة ونسبة السكر في الدم.. «وقد أفاد الدكتور عادل إمام استاذ جراحة القلب بمعهد القلب أن الأديب سوف يحتاج إلى الراحة التامة خلال فترة النقاهة التي سوف تستمر ما بين ثلاثة إلى أربعة أيام تمهيداً لعودته إلى حالته الطبيعية خلال عشرة أيام»..

من أبرز الشخصيات العامة التي زارت الأديب في هذا اليوم..

الأنبا شنودة..

«زار الأنبا شنودة الثالث ووفد من كبار الاساقفة للإعراب عن تمنيات الكنيسة القبطية له بالشفاء العاجل.. إلا أنهم لم يتمكنوا من مقابلته نظراً لقرار حظر الزيارة»..

اللواء حسن أبو باشا.

وزير الداخلية الاسبق والذى سبق أن تعرض لمحاولة اغتيال.. وقد وصف الحادث.. بأنه اغتيال للعقل والفكر ولقيمة غالية يحبها ويحترمها كل المصريين.

اللواء زكى بدر..

وزير الداخلية الأسبق.. الذى سبق أن دبرت له محاولة اغتيال ولكن تم ضبط الجناة قبل البدء في التنفيذ.. توفي بتاريخ 1997/4/3 في الولايات المتحدة الامريكية إثر عملية جراحية بالكبد في مستشفي «بيد سبرج» بولاية بنسلفانيا عن عمر يناهز 71 عاماً[2].

اسفرت محاولة الاغتيال بعد اجراء العملية عن إصابة جذع العصب الخامس العنقودى عند خروجة من النخاع الشوكي .. تعذر على الاطباء معرفة حجم الإصابة والعلاج.. وهل تحتاج إلى علاج طبيعي أم إلى أسلوب طبي آخر[3].. قرر الاطباء العلاج

1 - الاهرام، يوم 1994/10/19.

2 - الاهرام، يوم 1997/4/4.

3 - تصريح الدكتور أحمد سامح همام، للاهرام، يوم 1994/10/18.

الطبيعى وجلسات الكهرباء والتمرينات لمدة شهر[1].

يوم 1994/10/19.

بدأت اليد اليمنى للكاتب الكبير نجيب محفوظ تستجيب للعلاج الطبيعى بعد أن كانت قد أصيبت بالشلل المؤقت نتيجة حدوث تجمع دموى ضاغط على عصب اليد اليمنى..

وتضمن برنامج العلاج الطبيعى لذراع اليد اليمنى والذى يستمر يومياً لمدة شهر وزيادة .. التمرينات السلبية والايجابية للذراع إلى جانب جلسات الكهرباء الخاصة بتنشيط عصب الذراع.. والنتيجة المأمولة.. هى عودة الذراع لطبيعتها عقب قيام الجسم بامتصاص التجمع الدموى الضاغط على العصب[2].

من أبرز الشخصيات العامة التى زارت الأديب هذا اليوم..

«المستشار فاروق سيف النصر.. وزير العدل.. حيث أعرب عن أمنياته له بالشفاء إلا أنه لم يتمكن من مقابلته نظراً لقرار الحظر.

هذا وقد زار الاديب الاستاذ حسنى الجندى رئيس تحرير الاهرام ويكلى .. الذى قال له الاديب: «لاتنس أنا كمان محرر فى الويكلى».. إشارة إلى «وجهة نظر» التى يكتبها الاديب كل يوم خميس ويحرص الويكلى على نشرها بانتظام منذ صدوره .. وكانت مناسبة الزيارة.. للتهنئة والأطمئنان وتبليغ الاديب برسائل صفوة المفكرين والكتاب العالميين الذين حرصوا على توجيه رسالة حب وتقدير للاديب من خلال جريدة الاهرام ويكلى .. وقد رد الاديب بتواضع.. «أنا بشكرهم جميعاً فردا فردا لهذا الشعور الطيب»[3].

يوم 1994/10/20[4].

فور بدء تحرك ذراع الاديب.. وقع تصريح لجريدة الاهرام بنشر رواية «أولاد حارتنا» فى حضور زوجته والكاتب محمد سلماوى.. وهو أول توقيع يوقعه بعدأن استجابت ذراعه اليمنى للعلاج الطبيعى.. وفيما يلى نص التصريح :

1 - 2 - الاهرام، يوم 1994/10/20.

3 - 4 - الأهرام، يوم 1994/10/29.

تصريح بنشر رواية «أولاد حارتنا»

«أصرح «للأهرام» الذى سبق أن أعطيته حق نشر رواية «أولاد حارتنا» عام 1959 بإعادة النشر وحده دون غيره بالطريقة التي يراها سواء كمسلسل بالجريدة أوفي شكل كتاب وذلك فى موعد لاحق نحدده سوياً فيما بعد، وهذا تصريح مني بذلك».

توقيع

نجيب محفوظ

«1994/10/20»

يوم 1994/10/26[1].

«غادر الأديب نجيب محفوظ غرفة الرعاية المركزة بمستشفى هيئة الشرطة إلى حجرة الاطباء ليتحدث اليهم حيث قال لهم : «جئت أشرب معكم الشاى».. استمر اللقاء حوالى 20 دقيقة.. ثم عاد إلى سريره بالرعاية المركزة»..

بدأت يده اليمني فى التحسن التدريجى نتيجة العلاج الطبيعى ..!

مهرجان القاهرة السينمائى.. يقرر جائزة باسم نجيب محفوظ

قررت إدارة مهرجان القاهرة السينمائى إهداء جائزة باسم الكاتب الكبير نجيب محفوظ لافضل فيلم عربى أو أجنبى يدعو إلى الحرية والعدالة الديمقراطية وينبذ العنف والارهاب.. كما قرر تشكيل لجنة تحكيم خاصة لهذه الجائزة تضم عدداً من فنانى مصر والعالم العربى وأوروبا وأمريكا.. وكان ذلك بمناسبة تزامن الاعداد للمهرجان بعد محاولة الاغتيال والذى ينعقد فى 1994/11/26.

رئيس الولايات المتحدة الامريكية.. يوجه رسالة شخصية(٢) للأديب..

وجه الرئيس بيل كلينتون رئيس الولايات المتحدة الامريكية رسالة شخصية للاديب العالمي نجيب محفوظ.. سلمها له بقسم الرعاية المركزة.. أدوارد ووكر سفير الولايات المتحدة الأمريكية بالقاهرة.. جاء فيها : «أن صوت الرجل الحر أقوى من كل قوى الارهاب والرفض وأن كتاباتك قد أثرتنا جميعاً ونتمنى لك الشفاء التام»..

1 - الأهرام، يوم 1994/10/26.

2 - الاهرام، يوم 1994/10/28.

الباعث على محاولة الاغتيال

ولماذا نجيب محفوظ؟

الباعث على محاولة اغتيال نجيب محفوظ بالمفهوم القانوني.. ليس فقط العامل النفسي الذى دعا الجناة إلى التفكير فى ارتكابها، وإنما يقصد به أيضاً الغاية التى أراد الجناة تحقيقها من ارتكابهم مثل هذه الجريمة.

فالمقصود ليس قتل نجيب محفوظ فقط وإنما إثارة الرعب والفزع فى المجتمع وتوجيه رسالة إلى الشعب بأن الاغتيالات ستستمر.. هذا الاسلوب الاجرامى هو نفسه الاسلوب المنتشر فى كثير من دول العالم اذ يتطلب فى المجنى عليه أحد الصفات التالية:

- إما أن يكون رمزاً من رموز السلطة الحاكمة.
- أو منشآت حيوية.
- أو شخصية عامة لها مكانتها محليا أو دوليا.

ونجيب محفوظ هدف نموذجى لاى تنظيم عقائدى خاطئ ينتهج الاسلوب الاجرامى، إذ تجتمع فيه إحدى هذه الصفات وزيادة لأنه حائز على جائزة عالمية (نوبل) وله مكانة محلية وعربية وإسلامية ودولية!!

فأسلوب الجريمة.. أسلوب إرهابى، والجناة إرهابيون وتأكد ذلك من اعترافاتهم أمام النيابة (أمن الدولة والعسكرية) حيث نفوا قرأتهم لرواية «أولاد حارتنا» أو أى مؤلفات له.. وأنهم نفذوا جريمتهم بتكليف من قيادة الجماعة، ومعنى ذلك أنه لايهم أن تكون الجماعة الارهابية التى ينتمون إليها جماعة إسلامية.. أو تنظيم الجهاد.. أو تنظيم الحقيقة السامية فى اليابان أو حتى ميلشيات متشجم بالولايات المتحدة الامريكية أو منظمة كاخ فى اسرائيل أو النازية الجديدة فى ألمانيا أو حتى الجيش الاحمر.

فالاسلوب الاجرامى للتنظيم الارهابى فى دول العالم واحد يتمثل فى الاستخدام أو التهديد بالاستخدام غير المشروع للقوة أو العنف ضد النفس والمال.. لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو عقائدية.. استراتيجية تشجع العنف المرتكب من قبل الافراد

للوصول إلى الحكم[1] وهو ما أكدته حيثيات حكم المحكمة[2] .. حيث ترى « ... أن القضية ليست قضية فكر أو رأى لأن حرية العقيدة وممارسة شعائرها مكفولة للجميع وعلى أوسع نطاق.. واختلاف الآراء والتعبير عنها من خلال الصحافة بنوعيها الحكومية أو الحزبية لامجال لإنكارها.. ولكن القضية قضية تنظيم إجرامى يسعى من خلال الجريمة والقتل والسرقة والتدمير وتخريب المنشآت الهامة والاقتصادية مع تقويض الحكم وأركانه لزعزعة الاستقرار فى البلاد».

هذا ماذهبت إليه حيثيات الحكم، والحقيقة أن القضية قضية فكر خاطئ يروجه دعاته فى قطاع الشباب المتردد على المساجد والذى لم يتلق أسس الدين الاسلامى الصحيح خلال فترة دراسته حتى التحاقه بالمعهد أو الجامعة بالإضافة إلى غياب الهيئات والمؤسسات المسئولة عن تنمية الوعى بالفكر الاسلامى الصحيح.. فترتب على ذلك نجاح هذه التنظيمات فى تجنيد الشباب على أمل الوصول للحكم فى الدنيا وفى حالة الوفاة الفوز بالجنة ونعيمها فى الآخرة.

وتظهر أهمية معرفة الباعث على ارتكاب الجريمة من زاويتين:

أنه يعطى لرجال الأمن الخطوط الرئيسة نحو استراتيجية أمنية للحد والردع.. كما أنه يكشف للقاضى مدى الخطورة الإجرامية.. فيستطيع تقدير العقوبة المناسبة!!

سؤال .. المجنى عليه .. نجيب محفوظ

ما الذى حدث؟!

سؤال وجه للأديب العالمى نجيب محفوظ.. لمعرفة تفصيلات محاولة اغتياله باعتباره مجنياً عليه.. فكان الجواب[3] :

اسمى نجيب محفوظ عبدالعزيز إبراهيم.. 83 سنة.. أديب وكاتب.. أقيم 172 شارع النيل شقة رقم 1.. دائرة قسم شرطة العجوزة.. وأقول :

1. د. يحيى أحمد البنا، قضية الارهاب ومحاولة اغتيال نجيب محفوظ، الاهرام، يوم 1994/11/28م.
2 - فاروق الشاذلى، حيثيات الحكم فى قضية محاولة اغتيال نجيب محفوظ، الاهرام، 1995/2/28.
3 - حسين فتح الله، قرار الاتهام، الاهرام، 1994/12/6.

غادرت مسكني في حوالي الساعة 5م يوم الجمعة الموافق 1994/10/14 لركوب سيارة صديقي الطبيب البيطري محمد فتحي هاشم للذهاب إلى الندوة الاسبوعية بكازينو قصر النيل، وبعد أن جلست في المقعد الامامي المجاور لمقعد قائد السيارة فوجئت بشئ مثل الوحش أو الكلب الوولف يهجم عليَّ بأظافره ثم أحسست بجسم حاد يدخل في رقبتي.. وشاهدت شخصاً كما لو كان يقفز من السيارة ويلقي من يده بخنجر .. ولم أر الجاني أو أشعر من أى اتجاه هاجمني..! أو كم طعنة طعنني .. أو كيف القى المطواة.. سواء داخل أو خارج السيارة.. وعندما صرخت رآه صديقي محمد فتحي من ظهره يرتدى بنطلونا وقميصاً ويجرى في اتجاه كوبرى الجلاء..

واضاف المجني عليه في أقواله: أنه منذ سنوات أبلغه مندوب جريدة «الانباء» الكويتية في إحدى الندوات أن عمر عبدالرحمن - ينفذ حالياً حكماً بالسجن مدى الحياة في الولايات المتحدة الامريكية على ذمة قضية تفجير المركز التجارى العالمي - أهدر دمه.. وبناءً على ذلك قررت جهات الأمن تعيين حراسة مرافقة.. ولكنه رفض مكتفياً بحراسة ثابتة أمام باب العقار الكائن به مسكنه.. وللأسف لم يكن موجوداً وقت الاعتداء عليه!!.

سؤال .. شهود محاولة الاغتيال

تعرض الأديب العالمي لمحاولتي اغتيال : الأولى فشلت بسبب لادخل لإرادة الجناة فيها والثانية نجحت نجاحاً جزئياً في إصابة الاديب.. وخاب أثرها ايضاً بسبب لادخل لارادة الجناة.

محاولة الاغتيال الأولى[1] .. باقة ورد وعلبة شيكولاته و..!!

زوجة الأديب نجيب محفوظ.. الشاهد الوحيد.. وبسؤالها عن معلوماتها..

اسمي : عطيات ابراهيم رزق.. ربة منزل ولا أعمل .. زوجة الاديب نجيب محفوظ.. وأقيم بنفس عنوانه.. وأقول :

1 - أحمد موسى: زوجة نجيب محفوظ تدلي باقوالها أمام النيابة، الاهرام، يوم 1994/10/25.

في حوالى الساعة 6,30 يوم الخميس 1994/10/13.. فوجئت بشخص .. يتحدث في جهاز «الإنتركم» ويقول :

«إحنا معجبين بالأستاذ نجيب محفوظ.. ونريد مقابلته قبل السفر عائدين للبلد».!

ردت عليه :

«نجيب غير موجود.. وسيكون الساعة 5م الجمعة 1994/10/14م في ندوته بكازينو قصر النيل.. لأنه لا يستقبل أحداً في المنزل...»

فقال :

«معنا باقة ورد وعلبة شيكولاته نريد تركهما...»!

فتحت الباب واستلمت الهديتين.. وشاهدت شخصين: الأول - يرتدى ملابس خليجية.. والثاني - يرتدى «بنطلون وقميص».. ويمكنها التعرف على الثاني.. أم الأول فلم تكن ملامحه كاملة من الغطاء الذى كان يضعه فوق رأسه وأخفى جزءاً كبيراً من وجهه!! وأضافت «أنها لم تستغرب لحضورهما.. لاعتياد حضور أشخاص لزيارتهم والتقاط الصور مع الأديب، لأن المسكن الذى يقيمون فيه به العديد من الشقق المفروشة».

وبعرض صور المتهمين .. تعرفت على صورة الثاني الذى كان يرتدى البنطلون والقميص.. المتهم «محمد ناجي».. تطابقت الشهادة مع اعترافات المتهمين فيما بعد.

أما محاولة الاغتيال الثانية.. مطواة قرن غزال..!!

يوم الجمعة 1994/10/14.

تقدم للشهادة ثلاث أشخاص..

الأول - شاهد شاف كل حاجة..!!

الثاني - شاهد شاف الآلة المستخدمة في الحادث..!!

الثالث - شاهد مشفش حاجة..!

وبسؤال الشاهد الأول[1] عن معلوماته..

اسمي محمد فتحي محمد هاشم - 48 سنة - طبيب بيطرى .. وأقول:

توجهت في حوالي الساعة 4,45م يوم الجمعة ١٩٩٤/10/14 إلى منزل الاديب نجيب محفوظ لاصطحابه إلى الندوة الاسبوعية بكازينو قصر النيل.. وخرج الاديب الساعة 4/50م .. وفتحت له باب السيارة للركوب، واتجهت إلى الباب الآخر لقيادة السيارة ففوجئت بشخص يأتي من الجهة اليمنى من نافذة السيارة المفتوح، فاعتقدت أنه قادم للسلام عليه.. لكنني سمعت الأديب يصرخ «آه»، وشاهدت الجاني وهو يطعن الاديب العالمي بمطواة ولم يكرر الطعن.. ولاذ بالفرار!! فنزلت على الفور من السيارة ووجدت المطواة في رقبته فانتزعتها، ثم القيتها على الأرض.. وركبت السيارة وتوجهت إلى مستشفى هيئة الشرطة لقربها إلى مكان الحادث.. مفضلاً إنقاذ روح الاديب عن مطاردة الجاني الذى هرب؟ وهو له عينان مميزتان.. فهما واسعتان وحاجبه شبه مستقيم..!

أنه صديق الاديب ويحضر ندواته منذ 12 سنة وأنه اعتاد الذهاب إلى منزله مساء كل يوم جمعة لاصطحابه!!

بعرض صور المشتبه فيهم تعرف على المتهم محمد مصطفى.. الذى طعن الاديب.

وبسؤال الشاهد الثاني[2] عن معلوماته..

اسمي أحمد محمد حسين فضيلة، مدير كافتيريا «نعمة»، الكائن بالدور الأرضي بالعقار سكن المجني عليه.. وأقول:

حضر إليّ أثناء وجودى داخل الكافتيريا حسين محمود العامل في نفس المكان وأخبرني بالاعتداء على الاستاذ نجيب محفوظ أثناء جلوسه بالسيارة.. فأسرعت خارج الكافتيريا.. فشاهدت المجني عليه في سيارة ماركة «ريجاتا حمراء اللون» وبجواره سائقها ورقبته تسيل منها الدماء، والسائق يرجع بالسيارة للخلف متجها إلى مستشفى

---

1 . راجع في ذلك:

- حسين فتح الله : قرار الاتهام، الاهرام، يوم 1994/12/6.

- أحمد موسى : مرجع سابق، يوم 1994/10/25.

2 . حسين فتح الله، المرجع السابق.

هيئة الشرطة المجاورة للعقار سكن المجنى عليه.. وشاهدت أسفل الباب الأيمن الامامى للسيارة مطواة «قرن غزال» عليها دماء.. التقطتها بورقة وسلمتها لضابط الشرطة عند وصوله!! وهى مطواة ذات مقبض بني اللون وعليها رسوم في أحد جانبيها وحلقة معدنية ونصلها طوله حوالي 10 سم تقريباً.

وبعرض المطواة بمعرفة وكيل نيابة أمن الدولة، تعرف عليها مقرراً «أنها نفس المطواة المستخدمة في محاولة الاغتيال».

وبسؤال الشاهد الثالث[1] عن معلوماته..

اسمي : يوسف شوقي عوض - سن 12 - عامل بورشة سمكرة السيارات.. وأقول:

دخلت في طريق عودتي من مركز شباب الجزيرة كافتيريا «نعمة» لتناول الطعام.. وخرجت منه عند سماع أنباء الاعتداء.. فشاهدت شخصاً من ظهره يجرى وشخص يشير إليه ويطلب الامساك به (يقصد الطبيب البيطرى محمد فتحي محمد هاشم).. أنه شاهد هذا الشخص يركب سيارة مرسيدس صفراء اللون ويصعد بها في اتجاه كوبرى 6 أكتوبر.

ثبت فيما بعد من اعترافات المتهمين عدم صحة هذه الجزئية من الشهادة والسبب.. انشغاله وقت الحادث في تناول الطعام «ساعة البطون تتوه العقول».. وخروجه من الكافتيريا بعد سماعه بالحادث..

على كل حال، فنظراً لأن الشاهد لم يبلغ بعد سن الرابعة عشر.. فإن شهادته تؤخذ على سبيل الاستدلال دون حلف اليمين!!

المعاينة.. القبض.. التفتيش.. أدلة الاتهام

يوم 1994/10/14..

انتقل فريق من إدارة استكشاف ومعاملة البصمات إلى مكان الحادث لرفع ما قد يوجد من بصمات على السيارة التى كان يوجد بها المجني عليه.. كما انتقل فريق لتصوير مكان الحادث.. أسفرت المعاينة التى قام بها خبراء مصلحة تحقيق الادلة الجنائية والتى أفرغوها في تقارير فنية أرسلت إلى النيابة لتضمينها للتحقيقات عن:-

1 - جريدة الشرق الأوسط، يوم 1994/10/17.

1 - ثبت بفحص المطواة التي ضبطت بمكان الحادث والمستخدمة فيه أنها مطواة «قرن غزال»يوجد على نصلها آثار دماء تنتمي لذات الفصيلة للمجنى عليه وقد أصابته بتمزق حاد من الناحية اليمني للرقبة نتيجة طعنه بآلة حادة.

2 - ثبت بمضاهاة آثار البصمات المرفوعة من على السيارة رقم 328796 ملاكى القاهرة التى كان يوجد بها المجنى عليه وقت الاعتداء عليه على بصمة المتهم محمد ناجي محمد مصطفى .. وجود انطباق الاثر المرفوع من على الزجاج الخاص بالباب الايمن الخلفى من أعلى الجزء المناظر له من راحة اليد اليسرى للمتهم تمام الانطباق .. الامر الذى يتفق مع التقرير الطبى مع التقرير الفنى فى إمكانية حدوث إصابة المجنى عليه من هذه الآلة .. كما اتفق الدليل الفنى مع رواية الشهود والمتهمين محمد ناجى وعمرو محمد ابراهيم وظروف الواقعة وملابساتها.

يوم 1994/10/15.

مساء 1994/10/15 وردت معلومات مؤكدة من أحد مصادر قطاع مباحث أمن الدولة تفيد : أن ثلاثة ممن اشتركوا فى محاولة أغتيال الاديب العالمى نجيب محفوظ سيتواجدون فى حوالى الساعة 10م فى مقهى «سليمان عود» بشارع جنينه الشريف بعين شمس .. تم استصدار إذن من نيابة أمن الدولة بالضبط والتفتيش ..

توجهت فرقة من مكافحة الارهاب .. تم نصب كمين فى المنطقة المحيطة بالمقهى .. مخارج ومداخل الشارع .. لإحكام السيطرة للحيلولة دون هروب المأذون بضبطهم .. نزلت القوة المكلفة بالقبض من السيارة أمام المقهى .. شعر بهم المتهمون وقاموا باطلاق الاعيره النارية اتجاه القوة التى بادلتهم الاطلاق .. اسفرت العملية عن ضبط كل من :

1 - باسم محمد خليل شاهين وكنيته «محمود» الذى أصيب وتوفى فى مستشفى هليوبوليس فور وصوله (هارب من حكم بالسجن ثلاث سنوات فى قضية اغتيال الدكتور فرج فوده) .. فالقاتل يقتل ولو بعد حين !!

2 ـ محمد ناجي محمد مصطفى وكنيته «علاء» مصاب بطلق نارى، 21 سنة، فني إصلاح أجهزة كهربية.

3 ـ عمرو محمد محمد ابراهيم وكنيته «حسن ابو على»، 24 سنة، فني تكييف وتبريد ووفاة المواطن أحمد مصطفى بطلق نارى طائش بالصدر.

وعثر بحيازة المتهمين على:

1 ـ طبنجة ماركة «حلوان» عيار 9م طويل بداخلها خزينة بها 4 طلقات من نفس العيار وخزينة أخرى بها 8 طلقات من نفس العيار.

2 ـ طبنجة ماركة «حلوان» عيار 9م طويل رقم 928222 بها خزينة بها طلقتان من نفس العيار.

3 ـ طبنجة مجهولة الماركة عليها رقم 43110 بها خزينة بداخلها طلقة واحدة عيار 9م طويل.

4 ـ كيس من الورق على شكل قرطاس بداخلة 20 طلقة بجوار المتهم باسم محمد خليل وبحيازته بطاقة شخصية رقم 53541 سجل مدني عين شمس.

عقب الضبط.. انتقل فريق القبض والتفتيش إلى مساكن هؤلاء المتهمين وأسفر التفتيش عن:-

1 ـ عثر بمسكن محمد ناجي محمد مصطفى، الكائن بشارع الجرجاوى بعين شمس على مايلي:-

- مطواة قرن غزال بحلقة معدنية عليها 3 نجوم بالمقبض (جاء بتقرير المعمل الجنائي رقم 5015 بتاريخ 1994/11/24، أن المطواة مدرجة بجدول الاسلحة البيضاء المحرم حيازتها وصالحة للاستخدام).

- أوراق عليها دوائر كهربائية.
- أوراق بعنوان «جواز القتال بغير أيام» عليها شعار الجماعة الاسلامية.

2 - عثر بمسكن باسم محمد خليل شاهين «الذى أرشد عنه المتهم محمد خضير أبو الفرج المحلاوى وكنيته «طارق» الذى قبض عليه فى نفس التوقيت في كمين نصب له أمام السنترال ومعه عبدالحميد محمد أبوزيد بالمطرية» على مواد مفرقعة وذخائر واسلحة بيضاء.

فى نفس توقيت هذه العمليات .. كانت هناك فرق أخرى من قطاع مباحث أمن الدولة وأجهزة الأمن تتولى القبض وتفتيش باقى المتهمين الماذون بضبطهم وأسفر القبض والتفتيش عمايلى :-

1 - عثر بمسكن على جمعة وشقيقة عبدالناصر على جمعة على مواد مفرقعة وذخائر وسلاح أبيض وزجاجات وبرطمانات بها بودرة وسوائل.. (أفاد فيما بعد التقرير الفنى للمعمل الجنائى رقم 94/4464 بتاريخ 1994/11/24.. أن هذه المضبوطات مواد مفرقعة وذخائر صالحة للاستخدام واسلحة بيضاء مجرم حيازتها).

كما عثر فى حجرة عبدالناصر على حقيبة بها طلقات نارية وأظرف فارغة ومفكات وخنجر وجوالان بحفرة أسفل السرير بها كميات كبيرة من البمب والمسامير والطلقات وأسلحة بيضاء وذخائر خرطوش وبرطمانات بها بودرة..

2 - عثر بمسكن أحمد حسنى طلبة على جهاز كمبيوتر كامل و 12 شريط كاسيت و 2 ديسك كمبيوتر وبعض الأوراق الخطية .. وبمواجهة المتهم عقب تلك المضبوطات.. أقر باعتناقه لفكر الجماعة الاسلامية من خلال المتهم أحمد عبدالفتاح على.. وأن المتهم عبدالحميد محمد أبوزيد كلفه بطبع ونشر محتويات 2 ديسك عليها ابحاث الجماعة.. فضلاً عن جمع التبرعات لأسر المعتقلين.. بلغت حوالى 600 جنيه.

.. أثبت التقرير الفنى لإدارة المعمل الجنائى أن الكمبيوتر صالح للاستخدام ويعمل بكفاءة ويستخدم فى كتابة الرسائل والوثائق ويمكن عمل احصاءات ورسومات وادخال وتعديل على الرسومات وتسجيل الاصوات وتعديلها وعمل أى برامج مساعدة ونسخ معلومات على أقراص ممغنطة .. وأن به برامج تم تسجيلها..

يوم : 1994/10/16.

بناءً على محضر تحريات قطاع مباحث أمن الدولة أصدرت نيابة أمن الدولة إذناً بضبط وتفتيش شخص وسكن ياسر أبوعطية حسن محمود ، 25 سنة ، طالب بنهائي كلية الطب ، ويقيم بالحجرة رقم 6/5/12 بالمدينة الجامعية ببين السرايات بالجيزة ، وكل من يتواجد حال الضبط .. انتقلت فرقة القبض والتفتيش وضبطت المذكور وأسفر التفتيش عن ..

العثور أعلى دولاب ملابسه على حقيبة ضخمة مملوءة بالمتفجرات المعدة لاستخدمها في نشاط يخل بالأمن والنظام العام.

اعترف المذكور فور القبض عليه .. بأنه قام بتأجير غرفة بالمدينة الجامعية للمتهم محمد خضير الحلاوى بطريقة غير رسمية عن طريق موظف بالجامعة .. أقام الحلاوى فيها - وهو ليس طالباً بجامعة القاهرة .. بل طالب بالمعهد الفني التجارى ببورسعيد - ليمكنه الهروب من المتابعة الأمنية خلال فترة إجازة الصيف .. ومع بداية الدراسة انتقل للإقامة معه في حجرته .. ولم يتم كشفه من المكلفين بحراسة المدينة الجامعية[1] .

انتهت عمليات القبض التى قام بها قطاع مباحث أمن الدولة بالاشتراك مع أجهزة الأمن بضبط 42 متهماً أنهت النيابة (أمن الدولة والعسكرية) تصفيتهم إلى مجموعتين : الأولى - 16 متهما صدر في حقهم قرار اتهام فى القضية رقم 24 لسنة 1994 المعروفة باسم «قضية محاولة اغتيال نجيب محفوظ» وتم محاكمتهم بعد أقل من شهرين من محاولة الاغتيال في 1994/12/1م بالإضافة إلى المجموعة الثانية والتى سيتم نظرها فيما بعد[2] .

الاعتراف[3]

من اعترافات محمد ناجي محمد مصطفى ..

في الشقة ...

تعرف محمد ناجي محمد مصطفى في شهر يونيو 1994 .. أثناء عملة فى الكهرباء

1ـ أحمد موسى : الاهرام ، يوم 1994/10/18.

2 ـ الجزيرة : يوم، 1995/1/16.

3 ـ احمد فؤاد وجمال الخولي : اغتيال رموز الامة ، الاهرام ، يوم 1994/12/7.

بإحدى شقق مدينة نصر بالقاهرة على أحد عناصر الجماعة الاسلامية كنيته[1] «خالد» وابدى له رغبته في المشاركة في عمل «جهادى» .. وعده «خالد» بتعريفه على شخص يدعى «محمود» ليحقق له رغبته.. وحدد له موعداً على محطة الأتوبيس للتعارف.. على محطة الاتوبيس..

تعرف على المدعو «محمود» الذى تبين أن اسمه «باسم محمد خليل إبراهيم» أمام محطة أتوبيس بمنطقة ألف مسكن «شرق القاهرة».. اتفقا على أن يتسمى محمد ناجي باسم كنيته «علاء» مع حلق لحيته للسرية.

تعددت اللقاءات بينهما.. وكان محور الحديث.. شئون الدين والحكم وعدم شرعيته في البلاد.. وضرورة مهاجمة السلطة.

اقتنع محمد ناجي بعد هذه اللقاءات بفكر الجماعة[2] ووسيلة تحقيق أهدافها، وأبدى رغبته في المشاركة في عمل جهادى يخدم الدعوة والجماعة من وجهة نظره.. وهو اغتيال أحد الوزراء أو أى عمل جماعي آخر لقلب نظام الحكم.. وعده باسم محمد خليل إبراهيم بتخطيط عملية له.

بعد شهرين من آخر لقاء..

أبلغه باسم محمد خليل إبراهيم بعملية اغتيال نجيب محفوظ.. مخبرا إياه.. أن سبب الاختيار يرجع إلى أن نجيب محفوظ..

- مرتد .. يسب الله سبحانه وتعالى والرسول صلى الله عليه وسلم!!

- كتاباته بشكل عام .. تحرض على الفسق والرذيلة.

- أصبح رمزاً للفتنة.. واغتياله سوف ينعكس أثره الكبير على الكتاب الآخرين ويجبرهم على الالتزام في كتاباتهم.

كلفه باسم محمد خليل ابراهيم باستطلاع ورصد سكن الاديب العالمي نجيب محفوظ. وسلمه في هذا الصدد عنوان محل إقامته 172 شارع النيل دائرة قسم العجوزة.

---

1 ـ يقصد بالكنية الاسم الحركى - غير حقيقى - تطلقه التنظيمات السرية على كوادرها لمزيد من السرية.

2 ـ يوجد تشكيلان أو أكثر يحملون اسم «الجماعة الاسلامية»، موزعين بين الاخوان المسلمين وجماعة الجهاد الاسلامى، راجع : د. رفعت سيد أحمد : الحركات الاسلامية فى مصر وايران، (سيناء للنشر، القاهرة، الطبعة الاولى 1989)، ص117 - 120.

نفذ التكليف وحدد شقة الاديب رقم 1 بالدور الارضي على يسار الداخل.. وابلغ باسم بالنتيجة.

قبل محاولة الاغتيال باسبوع..

عرف باسم محمد خليل ابراهيم، محمد ناجي محمد مصطفى بشخص يدعى محمد خضير أبو الفرج الملاوي وكنيته «طارق» وافهمه :

- أن محمد خضير المحلاوى.. هو المسئول عن عملية الاغتيال.

قبل محاولة الاغتيال ببضع أيام..

عرف الاثنين بالمدعو حسين علي بكر عوض وكنيته «عمرو» .. وذهبوا جميعاً إلى شقة بالمرج حيث قام محمد المحلاوى بتعريف محمد ناجي محمد مصطفى بالمدعو عمرو محمد ابراهيم وكنيته «حسن ابوعلى» واتفقوا على تفاصيل عملية الاغتيال.

التدريب.. خاب إن أفلح!!

تولى باسم محمد خليل ابراهيم تدريب محمد ناجي محمد مصطفى على كيفية الذبح بالمطواة.. وذلك بالإمساك بها بشدة لتحدث الإصابة المطلوبة عند استخدامها.

لم يفلح المدرب على القتل إن صدق.. فقد نفذ محمد ناجي توجيهات مدربه.. فكانت النتيجة إصابة المجنى عليه إصابة جزئية.. ولكنه خاب، لأنه ترك دليل إدانته.. بصمة راحة يده اليسرى على زجاج الباب الأيمن الخلفى من أعلى.. التي سند عليها يده اليسرى حتى يتمكن من الضغط بقوة على عنق الاديب بيده اليمنى الممسكة بالمطواة!!

من اعترافات محمد خضير أبوالفرج المحلاوى..

انضم للجماعة الاسلامية في دمياط عام 1989..

اشترك في أول نشاط له مع الجماعة في محاولة اغتيال المقدم مطاوع أبوالنجا.. مباحث أمن الدولة في نهاية 1991.. وكان دوره تأمين العناصر التى صعدت إلى شقة الضابط.. هرب من حكم بالسجن 3 سنوات على ذمة هذه القضية.. تلقفه أحد أعضاء الجماعة في القاهرة لإيوائه وعرفه بطلعت ياسين همام (قتل عند القبض عليه في قضية اغتيال اللواء. رؤوف خيرت - مباحث أمن الدولة) الذى أسكنه بمفرده في شقة في

مدينة الاسماعيلية مجهزة بتليفون وفاكس.. وكان يتلقى رسائل من الخارج ثم تولى مهمة مندوب اتصال بين طلعت ياسين همام وبعض أعضاء الجماعة في القاهرة.. اسكنه طلعت بعد ذلك في مدينة السويس.

عاد إلى القاهرة وتقابل مع شخص كنيته «ابو مدين» الذى عرفه على «ياسر أبو عطية» الذى أسكنه معه في المدينة الجامعية على أساس أنه قريبه.

اشترك قبل تكوين مجموعة اغتيال الاديب نجيب محفوظ في أعمال استطلاع ورصد معرض القاهرة الدولى للكتاب تمهيداً للتخطيط لاغتيال بعض الشخصيات العامة المترددة عليه..

تدرب في شقة ببولاق الدكرور - محافظة الجيزة، غرب القاهرة - لمدة ثلاثة أسابيع نظرى وتطبيقى على صنع الدوائر الكهربائية والإلكترونية ودوائر التفجير وكيفية وضع القنابل وكيفية التصنيع بطريقة الأطباق النحاسية.. قام بتصنيع 400 طبق نحاسي و800 قمع لهذه العبوات ووزعها على الاعضاء[1]..

من اعترافات عمرو محمد محمد إبراهيم..

انضم للجماعة الاسلامية بعد اعتقاله مرتين: الاولى - في آخر 1988، والثانية - في بداية عام 1995.. انتظم في حضور اللقاءات والدروس التى تعقدها الجماعة في أحد مساجد منطقة المرج بعين شمس (شرق القاهرة).

تعرف عام 1992 على باسم محمد خليل ابراهيم أثناء تردده لحضور دروس الجماعة.. انقطعت صلته به.. قبل محاولة الاغتيال بشهرين أى في نهاية عام 1994 وأثناء سيره في سوق التلات بالمرج قابله.. حدد له موعداً للمقابلة.. في الموعد المحدد تقابلا وعرض عمرو على باسم سوء أحوال المعتقلين.. فرد عليه باسم بضرورة عمل جهادى.. وافقه عمرو بشرط أن يؤدى العمل إلى :

- الافراج عن المعتقلين.

---

1 - راجع في ذلك :

- أحمد فؤاد جمال الخولى، مرجع سابق.

- حيثيات الحكم، أخبار الحوادث، يوم 1995/3/9.

- عودة الدعوة إلى المساجد.

وافقه باسم وعرفه على باقي مجموعة الاغتيال.. وأطلق عليه اسم حركي «على» أعد له باسم بطاقة شخصية مزورة تحمل رقم 61498 سجل مدني الزيتون باسم «على عيد» بعد أن سلمه صورة له لوضعها على هذه البطاقة لاستخدامها في تحركاته حتى لا تقبض عليه أكمنة أجهزة الأمن.

اشترى شقة بوساطة محام يدعي «على حسن سباق».. يساعد أعضاء الجماعة فى استصدار تصاريح الزيارة بحكم المهنة.. وكان مع محمد المحلاوى نسخة من مفتاح الشقة ويتردد عليها.

من اعترافات حسين على بكر عوض وشهرته «الشاهندى»..

كان منتمياً لجماعة القطبين[1] من سنة ونصف (قبل القبض عليه).. وبعد ثمانية أشهر تعرف على ثلاث اشخاص من أعضاء الجماعة الاسلامية.. اقنعوه بفكر الجماعة..

تعرف على فيصل شحاته (متهم فى نفس القضية) عضو الجماعة الذى عرفه على باسم خليل ابراهيم منذ ثلاثة أشهر.. حيث ارتبط تنظيمياً وكلفة برصد سيارة ماركة «لادا» حمراء تتردد على شارع جنينه الشريف بناحية عين شمس.

أطلق عليه باسم كنية «عمرو» قبل محاولة اغتيال نجيب محفوظ بأربع أيام.. ثم عرفه على محمد خضير المحلاوى الذى استفسر عنه وعن مدى استعداده للاشتراك فى عمل جهادى.. فوافقه.. عقب ذلك اصطحبه إلى شارع إبراهيم عبدالرازق بعين شمس واشار له على منزل وقال:

- فيه هدف ساكن هنا.. تم التخطيط لقتله.

صباح يوم 1994/10/12 تقابل مع محمد ناجي محمد مصطفى ومحمد خضير المحلاوى وباسم محمد خليل ابراهيم الذى أصطحبهم إلى شقته بالخصوص حيث وجد فى انتظارهم عمرو محمد محمد إبراهيم.. فاتحهم محمد خضير فى قتل نجيب محفوظ.. وتم وضع الخطة..

---

1 - الجماعة القطبية، هى تيار فكرى واسع الانتشار داخل الحركة الاسلامية أكثر منه تنظيم راجع، د. رفعت سيد أحمد، المرجع السابق، ص 120-121.

سيناريو وحوار محاولة الاغتيال الاولى[1]

يوم 1994/10/13

باقة ورد .. وعلبة شيكولاته .. وخنجر. ومسدس 9م.

قام محمد المخلاوى .. أمير مجموعة الاغتيال بوضع سيناريو التنفيذ ..

الموعد : قبل غروب يوم الخميس 1994/10/13.

الأدوار والملابس :

- يرتدى محمد ناجى حلة (بدلة) ويحمل باقة ورد، وعلبة شيكولاته .. يخفى طى ملابسه خنجراً ومسدساً 9م.

- يرتدى باسم محمد خليل إبراهيم زيا عربياً.

ويتوجهان لمنزل الأديب ..

يدعيان أنهما من المعجبين بالاديب .. عندما تتم المقابلة .. يشل باسم حركة زوجته والموجودين فى الشقة .. يقوم محمد ناجى بالاجهاز عليه بالخنجر .. !!

- يتولى محمد المخلاوى تأمين العملية خارج العمارة سكن الاديب حاملاً مسدس 9م وبصحبته عمرو محمد ابراهيم وحسين بكر.

- اتفق الجميع على إشارة فى حالة وجود الأديب فى مسكنه .. يضع محمد المخلاوى يده فى جيبه الأيسر .. وفى حالة عدم وجوده يضع يده خلف ظهره.

صباح يوم الخميس 1994/10/13.

التقى الجميع فى شقة بناحية المرج (منطقة نائية شرق القاهرة) وغادروها قبل موعد التنفيذ فى مجموعتين :

الأولى - تضم محمد ناجى وباسم محمد خليل.

الثانية - تضم محمد المخلاوى وعمرو محمد ابراهيم وحسين على بكر توجهت المجموعة الأولى إلى العتبة - وسط القاهرة - حيث قاما بشراء باقة ورد وعلبة شيكولاته،

1 ـ أحمد فؤاد وجمال الخولى، مرجع سابق.

وجاكت اسود.. وفى دورة مياه أحد المساجد بالعتبة قام باسم محمد خليل بارتداء الجلباب والغطرة والعقال على البنطلون وسلم محمد ناجي المسدس 9م والخنجر وارتدى الجاكت واخفى المسدس فى الجانب الايمن للبنطلون.. استقلا سيارة اجرة (تاكسى) حيث يسكن الاديب نجيب محفوظ»..

وصلا الساعة 6م متأخرين عن الموعد المحدد.. ولم يلتفتا حسب الاتفاق للمجموعة الثانية التى كانت فى انتظارهم أمام كافتيريا «نعمة» اسفل العقار الذى تقع فيه شقة الاديب.. وصعدا للشقة وتحدث باسم من خلال جهاز «الإنتركم» مع زوجة الاديب.. فتحت الباب.. قالا :

- احنا معجبين بالاديب نجيب محفوظ.

ردت عليهما :

- نجيب غير موجود.. وسيكون الساعة 5م الجمعة 1994/10/14 فى ندوته بكازينو قصر النيل.

فانصرفا عائدين إلى شارع الكابلات بالمطرية حيث تقابلا مع المجموعة الثانية.. دار بينهم نقاش حاد أعرب فيه محمد المحلاوى عن غضبه لتأخر محمد ناجي وباسم محمد خليل ابراهيم فى الحضور قبل الغروب قائلاً :

- غادر نجيب محفوظ منزله قبل وصولكما.

- سأقوم بتنفيذ الاغتيال بمفردى!!

اعترض الجميع وأبدوا رغبتهم فى نيل هذا «الشرف»!! أى شرف هذا المنافى للاسلام.

- انتهت المحاولة الأولى بالفشل بسبب لادخل لهم فيها!!.

سيناريو وحوار محاولة الاغتيال الثانية

تعلم محمد ناجي محمد مصطفى وعمرو محمد محمد إبراهيم درساً من التأخير فى المحاولة الأولى.. ولكن تأكداً من زوجة الاديب بموعد تواجده بندوته الأسبوعية بكازينو قصر النيل..

توجها إلى مسكن الاديب.. ووصلا الساعة 4م .. قبل وصول مجموعة التأمين.. اتفقا على ذبحه بالمطواة «قرن غزال» فى مدخل العمارة.

السيناريو .. والادوار..

يقوم عمرو محمد ابراهيم بالسلام عليه مدعياً أنه من المعجبين.. فى نفس اللحظة يقوم محمد ناجى بطعنه بالمطواة فى رقبته..

كمن محمد ناجى وعمرو محمد ابراهيم للاديب.. لم تصل مجموعة التأمين .. فى هذه اللحظة شاهدا سيارة فيات «ريجاتا» حمراء تقف أمام العمارة.. يغادر الاديب متجها إلى السيارة وقد صافح سائقها واجلسه بجواره استعدادا للتحرك.. فى هذه اللحظة أعطى عمرو محمد إبراهيم لمحمد ناجى المطواة.. الذى سارع بطعن الاديب فى رقبته من الناحية اليمنى وترك المطواه فى رقبته وفر هارباً .. ثم استقل سيارة أجرة إلى ميدان التحرير ثم عين شمس.. استمر عمرو محمد ابراهيم فى موقع الحادث للمتابعة وحتى لايلفت انتباه أحد إليه.

تقابل أعضاء المجموعتين بشارع الكابلات بالمطرية.. حيث أحضر باسم محمد خليل ابراهيم معه چاكت وقميص من شقة الخصوص بالقليوبية..

قام محمد ناجى بارتدائهما فى مكان مظلم وانصرف بعد الاتفاق على اللقاء مساء اليوم التالى فى مقهى «سليمان عود» بشارع جنينه الشريف.. حيث تم القبض عليهم.

انتهت المحاولة الثانية.. التى دارت أحداثها فى القاهرة .. الجيزة.. القليوبية.. حلقات متصلة فيها.. الورد .. بالشيكولاته.. بالخنجر مع المسدس 9م ومطواة قرن غزال.. والدم بالغلو فى الدين والفقر والبطالة بالعنف.. وتغير الملابس بدورة مياه المسجد.. كان ماحدث فى العجوزة: نهاية محاولتى الاغتيال!!

قرار الاتهام.. والإحالة للمحكمة[1]

أصدرت النيابة العسكرية قرار الاتهام فى القضية رقم 1994/24 جنايات إدارة المدعى العام العسكرى والمعروفة باسم «قضية محاولة اغتيال الاديب الكبير نجيب

1 - حسين فتح الله، مرجع سابق، الاهرام يوم 1994/12/6.

محفوظ» .. وقد تضمن قرار الاتهام 16 متهماً هم:-

1 - محمد ناجي محمد مصطفى وكنيته «علاء» - 21 سنة، حاصل على دبلوم صناعي ويعمل في مجال إصلاح الاجهزة الكهربائية ويقيم 4 حارة ياسر الجرجاوى بكفر الشرفا بمدينة السلام.

2 - عمرو محمد محمد ابراهيم وكنيته «حسن أبوعلى» - 24 سنة، حاصل على دبلوم تكييف وتبريد، ويقيم 10 شارع الشهيد محمد مجاهد منشية التحرير بعين شمس.

3 - محمد خضير أبوالفرج الحلاوى وكنيته «طارق» 22 سنة، طالب بالمعهد الفنى التجارى ببورسعيد ويقيم 30 شارع مدرسة الهزاوى بسوق الحسبه.

4 - حسين على بكر عوض وشهرته «الشاهندى» وكنيته «عمرو» - 20 سنة طالب بالمدرسة الثانوية التجارية بالزيتون ويقيم 54 شارع محمد حسان بعين شمس الغربية.

5 - محمد عبدالظاهر السيد على - 27 سنة، موظف بهيئة البريد ويقيم 17 شارع محمد يوسف المتفرع من شارع عبدالمعطى الخيال بمصر الجديدة.

6 - على جمعة - 24 سنة، ليسانس تربية، ويعمل في المعمار، ويقيم بالمرج «الخصوص» بمدينة الخلفاء الراشدين.

7 - عبدالناصر جمعة على جمعة - 22 سنة، مبيض معمار، ويقيم 18 شارع سلامة حسنين بمدينة الخلفاء الراشدين.

8 - مصطفى عبدالباقى أحمد - 23 سنة، ويقيم بشارع مسجد الرحمن بمدينة الخلفاء الراشدين.

9 - أحمد حسن إبراهيم - 26 سنة، «مكوجى»، ويقيم بالخصوص قليوبية، شارع الخلفاء الراشدين.

10 - ياسر أبوعطية حسن محمد - 25، نهائي كلية الطب جامعة القاهرة، ويقيم بالمدينة الجامعية ببين السريات.

11 - أحمد حسني حسن طلبة وكنيته «أبوصفوان» - 26 سنة، مدير شبكة الحاسب الآلي بشركة - «بلاك أند بيتشن»، ويقيم 10 شارع شاهين بالدقي.

12 - عبدالحميد محمد أبوزيد وكنيته «علاء» و«عماد» - 22 سنة، بالفرقة الثالثة بمعهد التخطيط العمراني، ويقيم 2 شارع عبدالله باشا بالمطرية.

13 - محمد معوض عبدالرحمن معوض - 26 سنة، طالب بنهائي طب القاهرة، ويقيم 46 شارع مصطفى شركس ببولاق الدكرور.

14 - على حسن سباق - 30 سنة، محام حر، ويقيم 65 شارع أحمد اسماعيل عين شمس.

15 - فيصل شحاته محمد مصطفى - 22 سنة، حاصل على دبلوم تجارة، ويعمل «فرارجي» ويقيم ٣٤ شارع جرجس حنا المتفرع من شارع الزهراء بعين شمس الشرقية.

16 - صلاح محمد محروس إبراهيم - 17 سنة طالب بالصف الثالث الثانوى بمدرسة طلعت حرب الصناعية بالعجوزة، ويقيم بعزبة الشوربجى ببولاق الدكرور.

- جاء في قرار الاتهام والإحالة .. «أن المتهمين جميعاً ارتكبوا في غضون سنة 1995 وما بعدها جرائم الانضمام إلى جماعة أسست على خلاف القانون وهي ماتسمى «بالجماعة الاسلامية» الغرض منها الدعوة إلى تعطيل أحكام الدستور والقوانين ومنع مؤسسات الدولة من ممارسة أعمالها والاعتداء على الحرية الشخصية للمواطنين، وكان الارهاب من الوسائل التي تستخدم في تحقيق وتنفيذ أغراضها بأن وضعوا أنفسهم تحت إمرة هذه الجماعة مع علمهم بأغراضها وبوسائل القوة والضغط والتهديد التي تستخدم في تحقيق وتنفيذ هذه الاغراض، وأنهم اشتركوا في اتفاق جنائي الغرض منه ارتكاب جرائم القتل وحيازة وإحراز الاسلحة والذخائر والمفرقعات بدون ترخيص وتزوير المحررات الرسمية والسرقة وتلاقت إرادتهم على ذلك ووزعوا الأدوار فيما بينهم لتنفيذ هذه الجرائم».

الحكم[1] ..

بعد 12 جلسة استمعت خلالها المحكمة العسكرية إلى الدفاع وشهادة الشهود ومرافعة النيابة ومناظرة الاحراز.. ووسط اجراءات أمن مشددة ولفيف من رجال الصحافة ووسائل الإعلام المحلية والعالمية.. أصدرت المحكمة العسكرية حكمها الذى يقضى بـ:

إعدام كل من محمد ناجي محمد مصطفى ومحمد خضير أبو الفرج المحلاوى، والأشغال الشاقة المؤبدة لمدة 25 سنة على كل من عمرو محمد إبراهيم وحسين على بكر عوض.

والاشغال الشاقة المؤقتة لمدة ١٥ سنة على محمد عبدالظاهر السيد على وبالسجن ٧ سنوات لكل من:

- ياسر أبوعطية حسن محمود.
- عبدالحميد محمد أبوزيد.

وبالسجن 5 سنوات للمتهم على جمعة على جمعة.

- وبالسجن ٣ سنوات على كل من :
- محمد عبدالباقي أحمد.
- أحمد حسن إبراهيم.
- أحمد حسنى طلبة.
- محمد معوض عبدالرحمن.
- فيصل شحاته مصطفى.

وبراءة كل من :

- عبدالناصر جمعة.
- على حسن سباق.
- صلاح محمد محروس.

---

1 - الاهرام، يوم 1995/1/10.

النهاية .. الجلاد وغرفة الإعدام

تحدد يوم الأربعاء الموافق 1995/3/31 موعداً لتنفيذ حكم الإعدام فى محمد ناجى محمد مصطفى ومحمد خضير أبوالفرج الحلاوى.. بعد التصديق على الاحكام من الرئيس محمد حسنى مبارك.. وإخطارهما برفض التماسهما بإعادة النظر فى حكم المحكمة العسكرية باعدامهما.

الساعة 5 ص الراية السوداء فوق مبنى سجن الاستئناف.. أعلانا عن تنفيذ الحكم.

الجلاد[1].. يستعد لتنفيذ الحكم.

حضر فى الصباح الباكر.. توجه إلى غرفة الاعدام.. عاينها للتأكد من صلاحيتها لتنفيذ الحكم..

يتوجه إلى المحكوم عليهما.. ناظرهما لتحديد طول حبل المشنقة[2] لأن طول الحبل يتحدد على أساس طول المحكوم عليه ووزنه.. فكلما زاد طول الشخص قصر طول الحبل.. وكلما قصر طول الشخص زاد الحبل طولاً..

يعود الجلاد إلى غرفة الإعدام ليحدد طول الحبل من خلال جنزير معلق فى سقف الغرفة.. يركب الحبل الذى يتناسب مع محمد ناجى محمد مصطفى الجلاد يخلع ملابسه العسكرية ويرتدى بدلة الاعدام وهى سوداء اللون..

---

1 - الجلاد هو الاسم القانونى لمنفذ حكم الاعدام.. أما اسم عشماوى فقد أطلق عليه لأن أول من نفذ حكم الاعدام فى مصر كان ينتمى إلى أسرة اسمها أسرة العشماوى.. ذاع الاسم لأن الصحافة تردد فى ذلك الوقت عند تنفيذ أى حكم بالاعدام عبارة «واقتاده عشماوى إلى حبل المشنقة» فتواتر الاسم واصبح يطلق على منفذى أحكام الاعدام. راجع فى ذلك، هشام زكى محمود، زيارة إلى الغرفة التى لايرغب فى زيارتها أحد، مجلة الشباب، نوفمبر 1995، العدد 220.

2 - حبل يجب أن يكون ذا مواصفات معينة .. شديد الصلابة.. كان يستورد من انجلترا ولكن بعد الغاء انجلترا عقوبة الاعدام عن طريق الشنق لم تعد تنتجه.. يصنع حالياً فى مصر وهو من الحرير الخالص.. يبلغ ثمن الواحد حوالى 500 جنيه.. ينفذ به الحكم على أربع أو خمس حالات على الأكثر.. راجع فى ذلك : هشام زكى محمود المرجع السابق، ص88.

يقف الجلاد ومعه مساعده بنفس الزى أمام غرفة الإعدام.. فى انتظار هيئة تنفيذ الحكم..

تصل الهيئة المكونة من : مأمور سجن الاستئناف .. ممثل النيابة العسكرية بزيه الرسمى.. ممثل نيابة الدرب الاحمر وواعظ السجن والطبيب الشرعى..

يحضر المحكوم عليهما صحبة الحرس.. يتقدم الجلاد لاصطحاب محمد ناجى محمد مصطفى إلى غرفة الإعدام.. ينهار .. يجر رجليه.. يحاول التماسك !!

قبل وضع الحبل حول عنقه تسأله هيئة التنفيذ عن الشئ الذى يتمنى تحقيقه[1] .. يطلب كوب ماء .. يفرغ من الشرب.. يقوم الجلاد بوضعة على طبلية الإعدام[2] .. يضع الحبل حول عنقه.. يغطى وجهه بقناع أسود .. يطلق محمد ناجى صرخة عالية.. يعطى رئيس هيئة تنفيذ الحكم إشارة التنفيذ للجلاد.. يقوم بسحب ذراع الطبلية.. تنفتح الدرفتان ويسقط جزء من جسد محمد ناجى فى البئر الموجود أسفل الطبلية.. تنكسر فقرات الرقبة ويتهتك النخاع الشوكى.. يموت خلال دقيقتين.. يترك معلقا لمدة نصف ساعة فى الحبل حتى يتجلط الدم الذى ينزف منه.. ينزل الطبيب الشرعى صحبة الجلاد يتأكد من أنه فارق الحياة.. تسلم جثته إلى أهله.

يأتى الدور على محمد خضير أبوالفرج المحلاوى .. ويجرى نفس السيناريو.. تغطى الدموع وجهه .. لم يطلب أى شئ.. يهمهم ويردد بعض العبارات غير المفهومة[3] .. يستند على ذراع عشماوى حتى يصل إلى حبل المشنقة.. ثم يسقط جزء من جسده فى البئر أسفل الطبلية.. تنكسر فقرات رقبته.. يتهتك نخاعه الشوكى.. يموت خلال دقيقتين.. يتأكد الطبيب الشرعى من وفاته.. تسلم جثته إلى أهله .. وتكون النهاية..

---

1 ـ يجب أن يكون هذا الشئ من الممكن تحقيقه فى الحال مثل شرب الماء أو الشاى أو يصلى ركعتين.. ولا يلتفت لطلب المحكوم عليه إذا كان غير ممكن فى الحال. راجع، هشام زكى محمود المرجع السابق.

2 ـ طبلية الإعدام .. «عبارة عن درفتين خشبيتين توجد تحتهما بئر عمقها ٤ امتار ويقف عليها المحكوم عليه بحيث لا تلامس قدماه أرض البئر.. راجع، هشام زكى محمود المرجع السابق.

3 ـ أخبار الحوادث، يوم 1995/4/6.

نجيب محفوظ.. والشعراء يباشرون التحقيق!!

فور تلقى بعض الشعراء المصريين والعرب بلاغ محاولة اغتيال الأديب العالمى نجيب محفوظ.. باشروا التحقيق بقصائد شعرية، وبمناسبة نشر هذه القصائد.. تم استدعاؤهم من خلال قصائدهم لمعرفة معلوماتهم عن هذه المحاولة وعلاقتهم بالجنى عليه ورأيهم.. وبمناسبة مثولها أمامنا شرعنا فى سؤالهم بالتالى اجابوا:

س : ما اسماؤكم ؟ وما هى عناوين قصائدكم؟!!

جـ : أحمد عبدالمعطى حجازى، مصرى، قصيدة بعنوان : «الساعة الخامسة مساءً»![1].

فاروق شوشة، مصرى، قصيدة بعنوان «الذبح والسكين»[2].

حسن طلب، مصرى، قصيدة بعنوان «كنت وحيداً فى العربة»[3].

غازى القصيبى، سعودى، سفير المملكة العربية السعودية، قصيدة بعنوان «برقيةعاجلة إلى نجيب محفوظ من غازى القصيبى»[4].

زينب عزب، قصيدة بعنوان «ثرثرات.. وصلوات»[5].

أحمد تيمور، قصيدة بعنوان «وكان الزمان نجيب محفوظ»[6].

جلال عابدين، قصيدة بعنوان «الكل يهديك السلام»[7].

محمد عبدالرحمن، قصيدة بعنوان «الله رعاه»[8].

محمد السيد حجاب الله، قصيدة زجلية بعنوان «تسلم يا رابع هرم»[9].

سمير درويش، فلسطين، قصيدة بعنوان «القمقم إلى نجيب محفوظ»[10].

---

1 - 2 - 3 - مجلة الأدب والفن «ابداع» تصدر أول كل شهر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد الحادى عشر، نوفمبر 1994، ص4 - 13، ونشرت بعض أبيات من قصيدة أحمد عبدالمعطى حجازى، بجريدة الجزيرة، يوم 1994/10/19م.

4 - جريدة الشرق الاوسط.

5 - 6 - 7 - 8 - 9 - جريدة الاهرام الصادرة صباح 1994/11/18.

9 - جريدة الجزيرة، يومية، سعودية، 1994/11/30.

س : متى وأين وقع الحادث[1] ؟ وماهى حالة الطريق؟ ومن كان مع المجنى عليه؟!

جـ : «... كانت الساعة الخامسة

والمدينة غائبة بين قيلولة ومساء

مخدرة بشذى يتصاعد من شجر دائخٍ

جاثم كطيور خرافية فوق ضفتي النهر

ينفث فيه هواجسه الهاجسه...»[2]

- «كنت وحيداً في العربة

حين تخلف سائقها عنك وعنها

فوق طريق موُحِلةٍ

بين عمائرِ آيلةٍ

وصروح خربةْ

وعلى الجنبيِن حشود سود

لرجال بوجوه حائلة

ونساء منتقبه...»[3].

س : كم عمر المجنى عليه وقت الحادث؟ وهل شاهد الحادث أحد؟

جـ - «... كانت الساعة الخامسة

والمدينة مهجورة

ما عدا رجلاً طاعناً في الثمانين،

ليس له أن يغيب،

ولا أن يموت

يواصل تجواله في شوارعها البائسة...»[4].

1 - المتعارف عليه في التحقيقات، سؤال الشهود، يكون على انفراد.. وخروجاً عن المألوف ولظروف التأليف قررنا لأول مرة توجيه الأسئلة بشكل جماعي لما فيه الفائدة في اكتمال الصورة حول هذا الحادث التاريخي لأول أديب مصري مسلم عربي دولي!! وخروجاً ايضاً عن المألوف سنصرف النظر عن سؤال افتتاح التحقيق: ماهي معلوماتكم؟ وسنوجه الأسئلة عن تفصيلات الحادث!

2 - أحمد عبدالمعطي حجازي : قصيدة بعنوان «الساعة الخامسة مساءً» المرجع السابق، ص4.

3 - حسن طلب : قصيدة بعنوان «كنت وحيدا في العربة»، المرجع السابق، ص11.

4 - أحمد عبدالمعطي حجازي: المرجع السابق، ص5.

س : ما هى الآلة المستخدمة ؟ وكيف استخدمت فى الحادث؟ وما الذى فعله الجانى وما هو رد فعل المجنى عليه «الأستاذ نجيب محفوظ؟!!

«أنفذ الوحش في عنق الشيخ مديتهُ
ومضي عاوياً
يتشمم ريح فريسته
ويعض بأنيابه الضارسه...»[1]

«في البدء كان الذبح والسكين!
فهل تحسست عروق الرقبة؟
وهل تعقبت دماء في الثرى منسكبة
وخافقاً منسحقاً..
ينساب كالبخار صاعداً من الوتين؟
وخيط ماء من بكاء الروح
من تململ الشجون
في الفرائض المشتبكة!
القشرة التى ظلت تخالس الوجوه ساعة من الزمان
سرعان ما تشققت..
وانحسر النقاب
فجلجلت شريعة الذئاب
وانطفأ السلام في العيون!
ما عاد يجدى أن يقال:
اشتعل الغاب
وعربد الجنون!..»[2].

1 - أحمد عبدالمعطى حجازى، المرجع السابق، ص5.

2 - فاروق شوشة، قصيدة «الذبح والسكين» ، مجلة ابداع، المرجع السابق، ص 8،9.

س : من الذى ارتكب الحادث؟ ومن حرض عليه؟ وما هو قصد المحرضين؟ وما هو تمويلهم؟!!

جـ : « ... نحن المنافقين والأوغاد واللصوص

والقابعين فى رهان الخلط والتخليط

يفتون

ويعبثون

والمارقين فى دهاليز الكلام

أو مباخر النصوص

والباحثين عن شريحة من جثة الوطن

ليصنعوا وليمة الذئاب

لعلها أن تشبع البطون!

والصامتين..

لم ينافحوا..

ولم يحركوا السكون..

لكنهم بدورهم، يراهنون!...»[1]

« ... من سلط هذا السرطان عليك؟

ومن أخلى ما بين المدية والرقبه؟

فتوى الشيخ ابن الشيخ ابن أخى الشيخ؟

أم تحريض سماسرة الكتبه؟!

ممن ركبوا أولى موجات الطوفان

ولاذوا ببلاط الملك النعمان

وعلى هضَبَهْ

1 ـ فاروق شوشة : المرجع السابق، ص10.

جلسوا يتمنون لمصر الغرق

فيوم النكسة صلى شيخ ركعة شكر لله

ويوم الطعنة أخرج شيخ صدقه

من حر ريالات النفط ودولارات الأمريكان

وجفف شيخ عرقه...»[1]

س: ما هى وسائل المحرضين؟ وما هو أسلوبهم فى التحريض؟

جـ- «والأمة - تلك العاقر - إن ولدت

فشيوخ أنابيب

مسوخ وغرابيب

بمصاحف جاهزة التفسير

وميكروفونات ومحاريب

وأشداق تتبرطم بالخطب الشبقه...»[2]

س: ما هى الظروف التى أفرزت المحرضين والمنفذين لمحاولة الاغتيال؟

جـ« ...والدولة - تلك القاصر

- تفتك بالحشرات نهاراً

وتعود إذا جن الليل فتحتضن اليرقه

لتداهمنا فى الصبح عقول نافقة

وجلود دبقه

فى الصحف السيارة أقلام بلحى وجلابيب

وفى التلفزيون غرابيب ومرتزقه

فى الجامعة وفى الجامع

فى المدرسة وفى المحكمة وفى المصنع

فى مجلس نواب الشعب...»[3].

1 - حسن طلب: المرجع السابق، ص12.

2 - 3 - حسن طلب: المرجع السابق ص12.

س : من أوجد هذه الفئة؟!!

جـ : «... لكم يا مصر بليت بأجيال أولى الأمر[1] الحمقى
والأبناء العققه
من أدنى طبقه
حتى أعلى طبقة...»[2].

س : هل لديكم أقوال أخرى؟

جـ : نعم!!! «... مازلت وحيداً فى العربة
حين تخلى سائقها عنك وعنا
وحواليك حشود سود تصرخ بالويل
تلوح بالحربة والدرقه
مازلت وحيدا..
لاتملك غير عصاك
وغير القلم الغاضب
والورقه...»[3]

«... فانهضى الآن يا مصر! إن كنت ناهضة
ولك الشمس مركبة، والزمان حصان
أو فإن ظلت هامدة
فغدا لن يجئ، ولن يشرق الكوكبان!...»[4].

---

1 ـ شكل الجماعات الإسلامية، الأستاذ محمد عثمان اسماعيل بالإتفاق مع الرئيس الراحل محمد أنور السادات، راجع فى ذلك : كرم جبر : فؤاد علام أخطر لواء أمن دولة يروى السادات.. المباحث.. الاخوان، (الطبعة الأولى، 1996)، ص85، وذلك لمواجهة التنظيمات الشيوعية السرية التي كانت تسيطر علي الحركة الطلابية في السبعينات.. ولكنها (أى الجماعات الاسلامية) خرجت عن مجال السيطرة السياسية فانطلقت إلى مانحن عليه الآن فى ظل الظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى تصاعدت منذ السبعينات والثمانينات والتسعينات.

2 - 3 ـ حسن طلب : المرجع السابق، ص13.

4 ـ أحمد عبدالمعطى حجازى : المرجع السابق، ص8.

«يا أيها الطود الكبير الأشم!

ياهرماً.. أصغر منه الهرم

تعذرهم يا سيدى والدما

على محياك.. وصمت الألم؟

تعذرهم يا سيدى إنهم

عصابة مولعة بالعدم؟

يا سيدى! الجهل مهما عتا

يرعش مذعوراً أمام القلم!»[1]

«يابو الأدب.. والقلم

عطر نسيم.. الجو..

كل القلوب فى.. ألم

من غدر أهل السو

تسلم يارابع هرم

ولا فيك فى يوم نتسو

صابرة كثير «مصرنا»..

ولكل شئ فيه.. حد

عايزين يهدوا الهرم

هوه الهرم يتهد؟!»[2]

ملحوظة :

هذا ، «وقد أصدر المثقفون المصريون بياناً وقعه أكثر من 500 من الكتاب والمفكرين والفنانين والإعلاميين،استنكروا فيه نشر رواية الاديب الكبير : «أولاد حارتنا» دون

1 .جريدة الشرق الأوسط.

2 . محمد السيد جاب الله : قصيدة زجليه بعنوان «تسلم يا رابع هرم»، جريدة الاهرام، 1994/11/18.

إذن.. كما أصدر الكتاب في الاردن بيانا وقعه 36 كاتبا وأديبا، عنهم الناقد زياد أبولبن، تعبير عن مشاركتهم الجماعية في «وقفة يسجلها أمام قوى الظلام والتخلف، ضد الاغتيال والاعتداء على روح الحياة، وألق الفجر، على الفكر والأدب، متمثلاً بعظماء هذه الأمة «يقول البيان» : «إننا نستنكر حادث الاعتداء على الروائى نجيب محفوظ، وهو اعتداء على حرية الفكر والابداع ومناف لحقوق الانسان والحريات والديمقطراطية»[1].

وبهذه الملحوظة ينتهى تحقيق الشعراء مكتفين بما ذكره أحمد عبدالمعطى حجازى وفاروق شوشه وحسن طلب الذى أصاب كبد الحقيقة بشهادته هو وزملائه حول محاولة الاغتيال والتى أشارت إلى الظروف الذاتية والموضوعية المحيطة بالجريمة بكل صدق وأمانة بلفظ قليل يحمل معانى كثيرة وأصاب العقاد حين قال : «أن الشعر أنفس من القصة»[2].

1 - جريدة الاهرام يوم 1994/11/18.

2 - عباس محمود العقاد : الشعر والقصة، (مقال نشر فى مجلة المصور، العدد 3557 بتاريخ 1992/12/11) ص37.

الفصل الثالث

وجهة نظر.. نجيب محفوظ حول المجرم والجريمة والظواهر الإجرامية

نجيب محفوظ ووجهة نظر.. قدوة بين القلم وتوابع المطواه..!!!

نجيب محفوظ ووجهة نظر بالقلم[1]..

دقـة .. انتظام.. التزام.. حـرص على أداء الواجب.. يكتب الاديب العـالمى مقـالاً صـغـيراً كل يوم خـمـيس فى باب «وجـهـة نظر»- الذى يتبـادل الكتـابة فـيـه الكتـاب والصـحـفـيـون فى جـريدة الأهرام اليـومـيـة - «... بتـواضع شـديد لم يطلب أن يميز فى المساحة.. أو الإخراج.. أو أن يكتب اسمه بشكل خاص متميز .. ولو طلب لاستجاب.. الأهرام فوراً.. وهذا حقه.. ولكنه اختار - وأصر - على أن يكتب كواحد من تلاميذه فى نفس المكان، وتحت نفس العنوان، وبنفس المساحة.. ودون معاملة تفضيلية تليق بكاتب حاصل على جائزة نوبل، ويتحدث عنه العالم باحترام كبير وتمنح جامعات أوروبا وأمريكا واليابان درجات الماجستير والدكتوراه للباحثين فى أدبه وفكره...»

«... وطوال أربعة عشر عاماً لم ينقطع نجيب محفوظ عن الكتابة أبداً، لأى سبب.. لايوقفه المرض.. وقد تعرض للمرض كثيراً.. فى عينيه.. وأذنيه.. وعانى من مضاعفات السكر.. ولكنه ظل يكتب بانتظام، لأن هذا هو «الواجب».. وفكرة الواجب ،والالتزام به، تمثل محوراً أساسياً فى فهم شخصية هذا العملاق النادر المثال...»

ومن مظاهر ذلك «عندما كان يسافر إلى الإسكندرية فى شهور الصيف، كان يبعث بمقالات تكفى الشهر بعدد أيام الخميس التى تقع فيه، أربعة، أو خمسة، دون أن يخطئ الحساب.. وقبل أن ينتهى «الرصيد» يبعث بمجموعة أخرى».

و«... حتى عندما فاز بجائزة نوبل.. وبعد ساعة من إعلان فوزه بالجائزة الكبرى، دخل الأهرام، فى الخامسة مساء وهو يحمل مظروفاً فيه مجموعة من المقالات لتكون رصيداً لباب «وجهة نظر»...»

1- رجب البنا : الأمية الدينية والحرب ضد الاسلام، الهيئة المصرية العامة لكتاب، 1997، ص94 - 95.

و« . . . عندما مرض بالقلب، وتقرر سفره إلى لندن لاجراء عملية جراحية خطيرة في الشريان الاورطى، وهو الشريان الرئيسي الموصل للقلب، وكان اليوم الذى سافر فيه هو اليوم الذى نفذ فيه رصيد المقالات» . . اعتزم الاستاذ رجب البنا المسئول عن صفحات الرأى في جريدة الأهرام أن يكتب اعتذاراً باسمه . . لكنه فوجئ في المساء بمظروف من الأديب حمله سائق سيارة الأهرام الذى أوصله إلى المطار . . ووجد داخله خمس مقالات و«عبارة رقيقة» تقول : «إنى سأتغيب خمسة أسابيع كما قال الاطباء، وأعتقد أن هذه المقالات تكفي، وإلا فسأرسل إليك من لندن إذا طالت إقامتي» . . «وظل مقال وجهة نظر ينشر بانتظام كل يوم خميس، حتى وهو في غرفة العمليات، ثم في غرفة الإنعاش» . . وعندما عاد كانت المقالات قد نفذت وخجل الاستاذ رجب البنا أن يذكره فطلبه تليفونياً للسؤال عن صحته، فوجئ بالسيدة زوجته تقول : «إنه أصر على أن يستقل سيارة «تاكسى» ويذهب إلي الأهرام . . «وبعد قليل وجد المظروف الاصفر المعتاد وفيه مقالات «وجهة نظر» وقال له : «إن الاستاذ نجيب محفوظ جاء في سيارة تاكسى، ولم يستطع أن ينزل منها، وترك لك هذا المظروف . . .»

نجيب محفوظ ووجهة نظر وتوابع المطواه!!

إصرار على : الدقة . . الانتظام . . الالتزام . . أداء الواجب . . كانت وجهة نظر الاديب العالمى قبل محاولة اغتياله يكتبها بالقلب والعقل واليد والقلم . . وبعد المحاولتين استئنفها بالقلب والعقل واللسان . . أم القلم فتسلمه الاستاذ محمد سلماوى لكي يفرغ حواراته مع الاديب . . التي يسجلها معه على شريط كاسيت . . لتنشر في مكانها المعتاد . . الخميس من كل أسبوع . . والسبب أن المطواة المتنطعه أثرت على أعصاب اليد اليمنى للأديب العالمى . . ولكنها ارتفعت باسمه من زيل المقال إلى صدارته . . فزادت الفائدة للقراء . . فبعد أن كان الاديب يجهد قلمه في الكتابة بعقل واحد . . أصبح المقال جهد عقلين . . الأديب يتذكر ومحمد سلماوى[1] يذكر . . فكان الصدق عن دقة . . واعتقد أن

1 - يقول محمد سلماوى «الأستاذ هو كل من تعلم منه الإنسان وفي ذلك فإن المرء لا يتوقف عن تلقي الدروس، ومازلت اتعلم كل يوم من الاستاذ الكبير نجيب محفوظ أن التواضع هو أنبل الفضائل وهو درس لن أمل من تلقيه حتى نهاية العمر» . . راجع : مجلة نصف الدنيا، العدد 277، يوم 1995/6/4.

لولا محاولة الاغتيال لكان الأديب اعتذر عن وجهة نظر.. لتداعيات مرض السكر!!

توقف الأديب نتيجة الحادث الطارئ عن الكتابه خلال فترة علاجه واستئنفها اعتباراً من الخميس 1994/12/22، (العدد 39462 من جريدة الأهرام) تحت عنوان «محاورات نجيب محفوظ» ثم تعدل العنوان فيما بعد إلى «حوارات نجيب محفوظ» وبهذا التعديل.. رجع الفكر لصاحبه!!

إن ماكتبه بيده وقاله بلسانه ونشر في وجهة نظر أو غيرها من وسائل الاعلام.. له أهمية في بناء الإنسان المسلم.. لماذا؟ لانه يفكر ويخطط ليقول بصدق المؤمن في ظل الظروف الموضوعية المحيطة بكل قضية.. يدلي فيها برأيه.. فهو يخاطب العقل والعقلاء بتوازن المسلم الحق.. لايمين ولا يسار.. ولكن باعتدال.

ولقد قمت بتجميع بعض مقالاته التي نشرت في باب «وجهة نظر» قبل محاولة اغتياله بعدة سنوات فيما يتعلق بالظروف الموضوعية للجريمة والظواهر الاجرامية.. ولكن فوجئت بالاستاذ فتحي العشري ينشرها في ثلاث كتب[1] تحت العناوين التالية:

«نجيب محفوظ .. حول التدين والتطرف».

«نجيب محفوظ .. حول العدل والعدالة».

«نجيب محفوظ .. حول العرب والعروبة».

ويعتزم نشر الباقي في كتابين:

«نجيب محفوظ .. حول التحرر والتقدم».

«نجيب محفوظ .. حول العلم والعمل».

لذلك صرفت النظر عن هذه المرحلة.. وجمعت بعض حواراته المنشورة في باب «وجهة نظر» بعد محاولة اغتياله.. وكذا بعض مقالاته التي كتبها قبل ذلك لمزيد من التعمق في بيان وجهة نظره بقلمه!!

---

1 ـ الناشر، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الاولى - جمادى الاولى 1417 - أكتوبر 1996.

تعريف الظاهرة الإجرامية

الظاهرة هي أعلا كل شئ سواء استوى أو لم يستو[1] .. والظاهرة الإجرامية هي تكرار سلوك فرد أو أفراد باداء فعل غير مشروع أو الامتناع عن أداء فعل يجب إتيانه، مما يحدث اضطرابات في المجتمع نتيجة لمخالفة قواعد الضبط الاجتماعي.. وهذا الفعل أو الامتناع الاجتماعي يطلق عليه اسم «الجريمة»، وعلى ما أرتكبة أسم «المجرم».. فالظاهرة الإجرامية.. هي ظاهرة اجتماعية فردية يرجع سببها في تكوين هذا الفرد أو في ظروف الجماعة[2] .. أما على المستوى الدولي.. فهي تكرار ارتكاب نوع معين من الجرائم على مستوى الدول مثل: ظاهرة العنف، وجنوح الاحداث وجرائم الشباب[3] .

أسلوب دراسة الظاهرة الإجراميه..

الظاهرة الإجرامية هي اصطلاح وضعه فقهاء علم الاجرام.. وهو العلم الذى يدرس أسباب تكون الظاهرة الاجرامية في المجتمع والاسباب الفعالة لمواجهتها.

يعتمد الباحثون في دراستهم للظاهرة الاجرامية.. من زاوية المجرم والجريمة على عدة أساليب..

فدراسة شخص المجرم.. تكون بالفحص الجسماني والنفسي.. أو ملاحظة المجرم سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.. ومن خلالها يصل الباحث إلى أسباب الاجرام.. أو من خلال الاستبيان والمقابلة.. عن طريق الاسئلة المعدة سلفا أو وليدة المقابلة وتدور جميعها حول أسباب ارتكاب الجريمة.. أو دراسة الحالة بمعنى جمع بيانات عن ماضي وتطلعات المجرم[4] .

---

1 - ابن منظور : لسان العرب، (دار صادر، بيروت، بلا تاريخ)، الجزء الرابع، ص524.

2 - د. جلال ثروت : الظاهرة الإجرامية - دراسة في علم الإجرام والعقاب، (بلا ناشر، 1972م)، ص21.

3 - الوثيقة رقم 7 - 169 التي أعدتها الأمانة العامة لمؤتمر الامم المتحدة التاسع لمنع الجريمة ومعاملة المجرمين الذى أنعقد في القاهرة، 29 إبريل - 8 مايو 1995.

4 - راجع المؤلف : الظواهر والبؤر الاجرامية.. التخطيط لمكافحتها.. (محاضرات غير منشورة، أكاديمية نايف للدراسات الامنية والتدريب، الرياض).

أما دراسة الجريمة.. فتكون إما بالدراسة الاحصائية.. وهي تحويل حجم ظاهرة إجرامية معينة إلى بيانات وأرقام ونتائج تقريبية.. وإما بالمسح الاجتماعي بمعنى جمع بيانات عن ظاهرة اجرامية معينة ويتولاه فريق من الباحثين.. متبعين أساليب الملاحظة والمقابلة والاستبيان ودراسة الحالة والاسئلة جميعها تدور حول الظروف الموضوعية المحيطة بالمجرم.. ونتائجها تقريبية.

أسباب الظواهر الاجرامية..

دراسة أى ظاهرة (الجريمة والمجرم) هي دراسة واقعية تتحرى أسبابها لدى الفرد ولدى البيئة التى نبتت فيها الجريمة.

والظواهر الإجرامية هي دائماً وفي كل حالة نتيجة التفاعل بين العوامل الشخصية للمجرم (الذاتية) والعوامل الموضوعية أى الخارجية أو البيئية المحيطة بسلوكه الاجرامي.

وتسهم الابحاث العلمية للاجرام في مساعدة رجال الشرطة والقضاء والمشرع في مجال مكافحة الظواهر الاجرامية بتحديد الاسباب والعوامل التى تساعد على تكوينها.. ويمكن تقسيمها إلى :

- عوامل شخصية بالمجرم.
- عوامل بيئية خاصة بالمجرم.
- العوامل البيئية في المجتمع.
- العوامل البيئية الخاصة بالفعل الاجرامي.

أين نجيب محفوظ من ذلك!!

تبين من خلال مقالات الاستاذ نجيب محفوظ في باب وجهة نظر أنه عالم في علم الاجتماع الجنائى!!.. وهو أحد فروع علم الإجرام الذى يبحث عن أسباب نشوء الظاهرة الإجرامية وعوامل تكوينها.. فعلم الاجتماع الجنائي.. يبحث في الاسباب الاجتماعية المؤدية إلى الجريمة جنائية كانت أم سياسية.. وبذلك يمكن منح الاستاذ نجيب محفوظ بمحصلة مقالاته الصادقة درجة الدكتوراه في هذا الفرع.. ولا عجب لأن الدليل أتى في الصفحات التالية..!

نجيب محفوظ بالقلم .. حول أسلوب دراسة الظواهر الإجرامية :

خريطة الشباب :

«الشباب الذى يبشر بخلق أمة ناهضة يتسم بمواصفات أساسية لا غنى عنها. إنه يؤمن بهدف كبير فى العصر الذى يعيش فيه، وبالتالى يتطلع إلى دور شخصى يناسبه فى نطاق ذلك الهدف، ويكتسب من هذا وذاك انتماء صادقاً، وضميراً اجتماعياً يقظاً، وعزيمة وأملاً وإصراراً يستعين بها فى شق طريقه فى أطوار التعليم والعمل، فكيف نرى خريطة شبابنا على ضوء تلك المواصفات.

يوجد ولاشك شباب يعرفون لذواتهم أهدافاً شخصية تحوم حول الوظائف الممتازة والمهن الرفيعة، ولا يحول بينهم وبينها حائل، وهم أبناء الصفوة القادرة، وإن خالطت حياتهم سلبيات فهى سلبيات المال والفراغ، ونادراً ما تتجاوز اهتماماتهم الذات وما يدور حولها، وتمضى حياتهم بلا سدود أو إحباطات اجتماعية.

ويوجد آخرون - ولعلهم الكثرة - يتخبطون فى طرقات غاصة بالأشواك، تعليمهم ناقص، وأبواب العمل فى وجوههم ضيقة عسيرة، ومرتبات العامل منهم غير كافية وعاجزة عن إشباع احتياجاتهم الأساسية من المأوى والزواج وتحقيق الذات،وهم يعيشون فى وجوم وسوء ظن، بلا انتماء أو مشاركة فى الحياة العامة، ولو بالقلب، رافضين لما حولهم، حالمين بالهجرة، فى ظل تهديد دائم بالانحراف.

وهناك شباب يعرف لنفسه هدفاً، ويتمتع بالانتماء والإيجابية والإيمان، فيه تتجلى المواصفات الأساسية للشباب الناهض، ولكن من المؤسف أن يخالط فكره تطرف يشذ به عن القصد، وقد يتمادى بعض منه فى تطرفه فيتخطى القانون ويسفك الدماء.

ولذلك تلح المصلحة العليا على بذل المستحيل لإرجاع هذه الفئة إلى حظيرة القانون والشورى والموعظة الحسنة، ليدخلوها - بكل ما يحظون به من إيمان وإيجابية وانتماء - إلى هدف أسمى، فيكون حجر الأساس لبناء نهضة، وسياج دفاع للأمة حيال التدهور والفساد.

ونحن لنا دين يقدس العلم والعمل، وحقوق الإنسان والوطن. وتوفيقنا في ذلك خليق بأن ينقذ الفئة الأولى من أنانيتها، كما يخرج الثانية من حيرتها، والله يهدى من يشاء إلى سواء السبيل»[1].

خريطة المجاهدين:

«في مجتمعنا أحزاب كثيرة ومشكلات أكثر.. ومن الطبيعي والمتوقع أن تقوم خلافات وتتضارب آراء حول المشكلات من نواحي التشخيص والعلاج والحلول المقترحة، فحول الخصخصة جدل، وفي البطالة خلافات، وعن الفساد تتعدد الآراء، ولكن كل أولئك يجرى في جو من المعقولية والموضوعية، ونادراً ما يمس الإثارة، وهو أبعد ما يكون عن العنف، إلا مسألة نظام الحكم، وهل يكون مدنياً أو إسلامياً، فهذه يحتد حولها الخلاف ويشتد، وتجنح في أحوال إلى العنف وسفك الدماء، فلا نبالغ إذا قلنا: إنها المسألة الأولى في جدول حياتنا السياسية.

ولعله من المفيد أن نلقى نظرة سريعة على موقف القوم من هذه المسألة الخطيرة.

فأما المدنيون فيتمسكون بالحكومة المدنية، وتفضل أغلبيتهم الإطار الديمقراطي، مع إيمان بأن الدين لله والوطن للجميع، وأكثريتهم مؤمنة، وفيهم متدينون صادقون، ولذلك فلا يجدون بأساً في الاعتراف بأن مصر دولة إسلامية، وأن الشريعة هي المصدر الأساسي للتشريع، وكثيراً ما يرددون بأن أكثر من 90٪ من القوانين متوافق مع الشريعة الإسلامية.

وأما الإسلاميون فمنهم المتطرفون، وفيهم يتوالد الإرهابيون، ونظراتهم للدين تقوم على التشدد والمغالاة، حتى ليكفروا المجتمع حكاماً ومحكومين.

ومنهم محافظون معتدلون يمكن أن نطلق عليهم بحق «السلفيين». ومنهم المستنيرون، ولعلهم أقرب إلى حقيقة الإسلام، يحترمون الفكر والديمقراطية والوحدة الوطنية، ولديهم من المرونة والاستنارة ما يستطيعون أن يواجهوا به العصر.

1 ـ فتحي العشري، حول التدين والتطرف، المرجع السابق، ص67-68 وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1988/2/11.

ولعله من الخير للوطن ومستقبله ألا ينقطع الحوار بين هؤلاء المستنيرين والديمقراطيين، ولعله ينكشف عن قاعدة واحدة وهدف مشترك»[1].

خريطة الثقافة

«كانت لنا خريطة ثقافية في صبانا وشبابنا. وكانت تنقسم إلى قسمين رئيسيين، نسمي أحدهما المجددين والآخر المحافظين. وكان كل قسم ينقسم بدوره إلى فئتين، متطرفة ومعتدلة. على ذلك يمكن قراءة الخريطة على الوجه الآتي :

1 - مجددون متطرفون وهم يدعون إلى الارتماء في أحضان الحضارة الغربية دون قيد أو شرط، ويتخذون من تركيا الكمالية قدوة ومثالاً.

2 - مجددون معتدلون وهم يعتزون بالتراث ويقدمون شوامخه، وينفتحون على الثقافات العالمية وفي مقدمتها الثقافة الغربية دون أن تتزعزع ثقتهم في أنفسهم يثنون على روائعه وينقدونه نقد الراشدين.

3 - محافظون متطرفون وهم يدعون إلى زمن السلف الصالح فكراً ووجداناً وسلوكاً ويغلقون النوافذ أمام الغريب.

4 - محافظون معتدلون وهم يتوافقون في جملة رؤيتهم مع معتدلي المجددين، ولعل الفارق المهم بين الفريقين أن أحدهما نشأ نشأة تراثية ثم انفتح للعالم أما الآخر فقد نشأ نشأة مدنية ثم اتجه إلى التراث.

ولعل الخريطة لم تتغير اليوم في مضمونها وأن اختلفت الأسماء فاختفى المجدد والمحافظ وحل محلهما اليساري والعلماني من ناحية والإسلامي بدرجتيه من ناحية أخرى.

غير أنه يوجد عامل آخر ذو تأثير كبير هو المناخ العام، قديماً كان المناخ سمحاً مرنا فارتفع صوت النقاش واختفى الشجار تأثراً بالثورة التي خلقت ذلك المناخ، ثورة 1919، ثورة التحرير والحرية.

---

1 - فتحي العشري: المرجع السابق، ص169-170، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1993/9/30

أما اليوم فالمناخ يشيع فيه التشدد والتعصب ويتسم بالعنف فضاقت الصدور وكثرت الاتهامات والمصادرات تأثرا بالثورة التى خلفت مناخه وهى ثورة يوليه التى جاءت بالقوة وأجلت تطبيق الحرية ظناً منها أنها لاتتفق مع العدالة التى انجزتها.

من ذلك نرى أن مشكلة الثقافة ليست ثقافية بحتة ولكنها سياسية فى المقام الأول، وأنه لاسبيل إلى إعادة التوازن إلا بالديمقراطية الكاملة واحترام حقوق الانسان»[1].

كلمة بين الصخب والغضب:

«إليك صورة عامة لحياتنا اليوم.. شعب يقف صابراً أمام وحش الغلاء، وترهقه أزمة شبابه، ودولة تنفذ خطة بعيدة المدى بجهد غير منكور، ولكنه دون الكفاية بالقياس إلى ضخامة المشكلات، وفى وسط ينوء بالتسيب واللامبالاة، وبين هذا وذاك تنطلق من حين لآخر شرارات غاضبة تسفر عن ضحايا من الشعب ورجال الأمن، متحرشة بالاستقرار، ومنقضة برعونة علَى وحدة الأمة المقدسة..

لابد من كلمة للجماعات الإسلامية، ولابد من كلمة إلى الدولة.

للجماعات أقول: إنه لم يخل عصر من عصور الإسلام من فرق متناقضة، تعايش بعضها فى ظل الخلاف المشروع، وتقاتل البعض الآخر فى حروب أهلية أنهكت الأمة ونالت من وحدتها وقوتها. فى عصرنا يعالج الخلاف الفكرى فى جو الديمقراطية بالمناقشة والدعوة، ولا يلجأ فيه إلى القوة إلا عاجز أو مستبد أو إرهابى، وما أنتم فى النهاية إلا فرقة إسلامية لها فكرها ورؤيتها، ولستم الوحيدين فى الساحة، فثمة غيركم مسلمون لهم فكرهم ورؤيتهم.

من حق كل فريق أن يعيش تحت مظلة فكره مؤمناً آمناً، وأن يمارس حياته بما يرضى ضميره ويبرئ ذمته. أما تجاوز ذلك إلى استعمال القوة فى فرض الرأى فهو سلوك خارج علي القانون، مهدد للأمن، ونذير سوء لاستقرار المجتمع ووحدته الأساسية، ولا مفر من أن يُقابله المجتمع بالدفاع عن نفسه وسيادته بدون هوادة، وإلا فقد جدارته ومضمونه،

1 ـ فتحى العشرى: حول العدل والعدالة، مرجع سبق ذكره، ص189-190، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1994/3/7.

فليكن جهادكم مشروعاً، واحقنوا دماءكم ودماء إخوانكم من رجال الأمن.

وللدولة أقول : إنه لابد من مضاعفة الجهد في البناء، ومطاردة الفساد، وإحقاق الحق والعدل، وسيادة القانون، وإن ملاذنا الأخير في استكمال الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان، فدعوا الأحزاب تتكون كيفما تشاء، وأطلقوا الحرية للأحزاب القائمة لتعمل على استقطاب الشباب وتربيتهم، وبث الوعى المضئ فى قلوبهم، دعوا الشعب يتحرك ويستعيد صحته وعافيته ليعلو صوته على جميع الأصوات.

إن النذر تتطاير من حولنا حاملة رسائل الكدر، ولن يعنى السكون إلا الاستسلام لمستقبل مجهول في غير صالحنا»[1].

شرفاء لكن مجرمون :

«لا يخلو مجتمع من الجريمة، ولكن كلمتى لن تجرى حول المجرمين العاديين، مثل معتادى الإجرام والمتورطين في الجريمة لأسباب شتى، وذوى العاهات العقلية، والإرهابيين.

هنالك نوع آخرٌ، لا يختلف في مظهره عن المواطن الصالح، فهو يمارس مهنة مشروعة، وقد يحظى بالجاه والنفوذ، ولكنه يرتكب من الغش والفساد والانحراف فى عمله ما يتسبب في الأذى أو يسوق إلى الهلاك، وهو يقدم على انحرافه بدافع الطمع أو الإهمال، وبضمير ميت يدل على أنه دسيسة خبيثة في المجتمع وليس عضواً عاملاً فيه.

وقد عرفنا من تلك الجرائم ألوانا شكلت فى زماننا ما يمكن أن نعتبره ظاهرة، أسوق إليك أمثلة على سبيل التذكير ليس إلا.. منها الأغذية الفاسدة التى طرحت للتداول مع علم أصحابها بفسادها.. ومنها الأغذية التى هم أصحابها بإدخالها إلى البلاد وهم على تمام العلم بتسرب الإشعاع القاتل إليها. ومنها ما نشر عن كابلات مستهلكة ظلت تعمل بعد انقضاء عمرها الافتراضى، فأحدثت المئات من الحرائق والضحايا، وغير ذلك مما تراه الأعين أحياناً فى الطرقات.

ماذا يعنى هذا ؟ يعنى أن يوجد مجرمون متخفون تحت أقنعة الشرفاء.

1 ـ فتحي العشرى: حول التدين والتطرف، مرجع سبق ذكره، ص89-90، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1988/10/13 .

وأن انحرافهم يتجاوز حدود الفساد الجارى إلى الشروع فى القتل أو القتل نفسه، وأن المواطن الذى نطالب له بحقوق الإنسان محروم لديهم من حقوق الحيوان والنبات.

والأمر لا يحتمل الصبر حتى يطرح التهذيب والتربية والحضارة ثمراتها الإنسانية، فلا مناص من الرقابة والمتابعة واتخاذ الإجراءات الصارمة للقضاء على الجريمة والمجرمين ذوى الأقنعة الشريفة، وهم شر أنواع المجرمين»[1].

البناءون والمخربون :

«فى حياتنا أصدقاء وأعداء، أولئك يبنون وهؤلاء يخربون، ربما انتصر المخربون فترة من الزمن، ولكن العاقبة فى النهاية للبنائين. ولعله من المفيد أن نستعرض ونتذكر، فمن هم البناءون ومن هم المخربون؟

أذكر فى البنائين :

1 - الرئيس الذى لا ينى عن الحث على العمل والتحذير من الفوضى، يطوف بمواقع العمل فى الداخل، وينتقل بين الشرق والغرب فى الخارج سعياً فى سبيل الخير والسلام.

2 - قلة جادة مجتهدة، عاملة فى صمت، تنفذ الخطة بأمانة وخبرة، تكافح مشكلات الحاضر وتتطلع إلى الغد، وتبشر بمستقبل أفضل.

3 - معارضة صادقة وطنية لا تضن برأى ولا تخشى فى الحق لومة لائم، وتصبر على مكاره كثيرة وظروف عسيرة.

4 - جماعة مخلصة من أهل الرأى والخبرة فى المجالس القومية، تفكر وتفكر، وتصدر التوصيات تلو التوصيات، وتتابع بهمة كل كبيرة وصغيرة.

وأذكر فى المخربين :

1 - المهملين والمتسيبين واللامبالين.

2 - ناهبى المعونات ومهربى الأموال.

3 - المتهربين من الضرائب.

1 - فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص91-92، وانظر إشارته إلى نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1988/11/10 .

4 ـ تجار الموت من مهربي المخدرات ومروجيها.

5 ـ المتربحين من معاناة الشعب والمتاجرين بلقمته.

6 ـ المضللين المزايدين بأجمل الكلمات لخدمة أحط النوايا.

7 ـ العابثين بحقوق الإنسان وقيمه وآماله

أما البناءون فيستحقون تقدير الأمة. وأما المخربون فيستحقون الموت»[1].

بين الحب والكراهية:

«من طرائف البحوث ما تقوم به وزارة العدل الأمريكية من رصد وتسجيل للجرائم التي ترتكب بدافع الكراهية في الوطن الأمريكي. ولا شك أن وراء ذلك النشاط رغبة حكيمة في فهم المجتمع وما يؤثر في العلاقات المتبادلة بين أفراده وجماعاته، للارتقاء بالتشريعات مستقبلا لتجئ مطابقة لواقعه، معالجة لأدوائه، مهذبة لسلوكياته، وحافظة لحقوق الإنسان فيه. سوف يكشف ذلك الرصد عن مدى الأثر الفعلي للعنصرية، وتباين العقائد، وفوارق الطبقات، وتضارب الثقافات والإحباطات الجنسية والعاطفية، والصراعات الاقتصادية، وخصام الأجيال المتتابعة.

حقاً إن الحياة الاجتماعية هدف إنساني قديم، وهو في مضمونه يقوم على التعاون، ومن أجل التعاون فيما يحقق للإنسان أمنه وأمانه وتقدمه، ويكرس واجباته وحقوقه، ويمهد له السبل للإبداع والرقي، ولكن الأنانية والمنافسة وتفاوت الإمكانات تفسح مجالاً واسعاً للظلم والبغي، والقهر والضياع. وقد تصدت لذلك على مدى التاريخ الديانات والمذاهب، مستهدفة العدل والتوازن والرحمة ومحاربة البغي والفساد، وما القدر المتاح من السعادة للبشر إلا الثمرة التي يفوز بها في معركة الخير والشر، أو القانون والفوضى، أجل، إن السلوك البشرى يحتاج إلى مراجعة دائمة ويقظة ساهرة، ويتجلى ذلك في نهضاته الدينية، وتجديداته المذهبية، وفتوحاته الفكرية. إنه في حاجة دائمة إلى مايفجر طاقات عقله، ويقوى إرادته، ويؤجج حبه للخير. إنه بحاجة دائمة إلى قهر عواطف

1 ـ فتحي العشري: المرجع السابق، ص101-102، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1989/6/8 .

الكراهية والشر، وتربية عواطف الخير والحب لمواطنيه خاصة، وللبشر عامة.

ليت كل فرد منا يسأل نفسه قبل النوم عما فعل به الحب، وعما فعلت به الكراهية، ليعرف أى إنسان هو، وأى طريق يسلك.

هذه هى معركة الإنسان الأبدية، وهذا هو قدره»[1].

مناجاة البلايين المهربة:

«يحدثنا بعض من أهل الخبرة ونجوم الإعلام عن البلايين المهربة فى الخارج، وتكرر الحديث حتى صح لنا أن نميل إلى تصديقه.. أموال فلكية الأرقام، وتعتبر من ناحية الوطن ضائعة، وأصحابها يعيشون بيننا غرباء، قلوبهم وآمالهم هائمة فى الخارج، ولَدَى أول بادرة تنذرهم بما يسوء يرحلون إلى الأبد، وكأنهم ماكانوا.

وجزء من تلك الأموال يستطيع أن يصنع المعجزات فى انتشال الوطن من مأزقه، والانطلاق بالتنمية الشاملة إلى آفاقها المنشودة، وطبعاً لا جدوى هنا من استعمال لغة الضمير أو الوطنية، كما يبدو أن يد القانون لا تطولهم، ولكن ألا يمكن تجربة لغة المصلحة المتبادلة؟ بمعنى - مثلاً - أن نقترح عليهم أن يستوردوا احتياجاتنا الضرورية للحياة، والتنمية ببعض مالهم، ويكون لهم المال وأرباحه، ليستثمروه بعد ذلك فى الخطة الموضوعة، مع الانتفاع بكافة التسهيلات والامتيازات الممنوحة، بالإضافة إلى الإقرار بفضلهم فيما يقدمون من خدمات، وذلك يعنى أننا أنقذنا بعض المال الضائع واستخدمناه فى خير وجهه، كما يعنى أننا أرجعنا أناساً ضائعين إلى حظيرة الوطن، بل إلى أعز مكان فيه.

إنَّ من يتحدثون عن الأموال المهربة يتحدثون عنها بثقة من يعرف أصحابها فرداً فرداً، فلماذا لا نفاوضهم وندعوهم إلى المشاركة الوطنية، وبخاصة أننا لا نحملهم أى تضحية، بل على العكس، نهيئ لهم فرصة لمضاعفة الأرباح والانتماء الوطنى؟ إنها فكرة إنسان أرهقه التفكير فى حال الوطن ومصيره، وعسى ألا تكون فكرة خيالية»[2].

---

1 ـ فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص123-124، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1991/8/15 .

2 ـ فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص65-66، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1988/1/14 .

الإيدز السياسى :

«كيف تفشت الأخلاق الرديئة؟ حسبى أن أركز على سببين جوهريين تعاونا على غزو أمتنا الطيبة العريقة مثل داء الإيدز فأفقداها أصول مناعتها، وهما : نظام حكم قام على الاستبداد والقهر، وأزمة اقتصادية خانقة تهز الاستقرار النفسى والأمان الاجتماعى، ولن أطيل فى تفصيل آثارهما الوبيلة، فقد خبرناهما كما يخبر المريض الذى ألصق به أعراض المرض، مثل ارتفاع الحرارة، والغثيان، والصداع، والآلام المبرحة.

إنه حال يفرغ المواطن من شجاعته وسروره بالحياة، ويحيطه بالخوف وسوء الظن، ويدفعه إلى مداهنة الحاكم، بتقديم قرابين النفاق والكذب والخداع، وانفصام الشخصية، ثم يسقطه فى الصمت والسلبية وعدم الانتماء، والانحصار فى لقمة العيش، مع الاستعداد للانحراف، والإعراض عن التقاليد الكريمة، وقد تثور الأعصاب فيقتل أو يغتصب، وقد تسد المنافذ فيدمن المخدرات أو ينتحر.

أما الذى يمارسون الاستبداد فمع الزمن يتعالون ويستكبرون، وتقسو قلوبهم فلا يتورعون عن التنكيل بالضحايا بالإيذاء والتعذيب، هازئين بكل قيمة، وفى مقدمتها حقوق الإنسان والإخوة الوطنية، ثم يعميهم الجشع بالنهب والسلب والعدوان وتخطى العرف والتقاليد والقانون.

هذا ما فعله بنا الاستبداد والأزمة، سلط بعضنا على بعض، ثم سلطنا على أنفسنا.

ولا شك أن العلاج قد بدأ فى الفترة الأخيرة بالتوجه النهائى نحو الديمقراطية، والحث المتواصل على العمل والإنتاج، والمحاولة الدائبة لاحتواء الأزمة.

ولكن لا مفر من خطوة جديدة حاسمة كى يكون لهذا الليل آخر»[1].

نجيب محفوظ بالقلم.. حول أسباب الظواهر الإجرامية :

الجريمة فى زمن البراءة:

«للجريمة أسباب كثيرة ومتنوعة. منها على سبيل المثال الامراض النفسية ومنها الامراض الاجتماعية كالفقر والحرمان والثأر والشرف والحب والغيرة. وأكثر تلك

1 - فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص73-74، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1988/4/21 .

الجرائم قد يرتكبها متعلمون كما قد يرتكبها جهلة من عامة الشعب، غير أن جرائم السرقة أو القتل من أجل السرقة الغالب فيها أن تنتشر فى بيئة الفقر والجهل هذا ما جرت عليه العادة قديماً، أما اليوم فثمة نوع من المجرمين يطالعوننا، مجرمين من المتعلمين، بل ومن أوساط الطلبة حيث يفترض أن توجد البراءة والمثالية والتأسى بالقدوات الصالحة. ولنقف ملياً عند الطلبة، رموز البراءة والمثالية، كيف انقلب عدد منهم إلى رؤساء عصابات، وسفاحين ومغتصبين؟.. بل كيف تمادى الامر ببعضهم ليقتل أخاه أو أمه وأباه؟ كيف، يحدث هذا؟.. طبعاً لا أقول أنهم أصبحوا ظاهرة يومية ولكنهم لم يعودوا استثناء نادراً. وطبيعى أن نشير إلى الفقر أو الحاجة إلى النقود بسبب أو آخر كعاملين يتركز فيهما الاتهام.. ولكن علينا أن نتذكر أن مجتمعنا لم يخل قط من الفقر أو الحاجة إلى النقود. إذن فلابد من البحث عن أسباب أخرى لفهم الفساد الذى دب فى حياة البراءة وسأحاول تلخيصها فيما يأتى :

1 - ضعف التربية الدينية والأخلاقية والفنية.

2 - خلو الحياة من القدوة الصالحة.

3 - الطريق المسدود أمام طموحات الشباب.

4 - مظاهر الاستفزاز المتمثلة فى الثراء الفاحش والفساد ومايذاع عنه.

5 - الارهاب وإيحاءاته الوحشية.

وليس لهذه الجريمة علاج خاص بها ولكن علاجها تتضمنه الوصفة العلاجية العامة الشاملة التى نسميها بالتنمية الشاملة[1].

بين الدفاع والإصلاح :

«هانحن نعقد العزم على التصدى بحزم لجرائم المخدرات والاغتصاب، ونتشدد فى سن القوانين الرادعة العادلة حماية للكرامة البشرية وسلامة الوطن. وما من شك فى أن جميع انحرافات الفساد التى تعوق نهضتنا عن الانطلاق، وتدهمنا وتداهم أبناءنا

1 - نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1993/7/19.

بالإحباط والسلبية، واستغلال النفوذ، والمحاباة الطبقية، كل أولئك تشكل وضعاً غير إنساني، وتحدث ضرراً بالغاً للملايين، وتعوق نهضتنا عن الانطلاق، وتدهمنا وتداهم أبناءنا بالإحباط والسلبية، وتحرض البعض على التطرف، كما تغرى البعض الآخر بالانحراف. ومع ذلك فحذار أن نتوهم أن العقوبة هى نهاية الجهد والاجتهاد أو غاية الختام، العقوبة وسيلة لا غنى عنها لخط الدفاع الأولى، وهى تجئ فى تقدير الإصلاح فى المستوى الأدنى، وما هى إلا الوسيلة السهلة المتاحة إذا تأخرت الوسائل الناجعة أو تأخرنا عنها.

العلاج الحقيقى يوجد فى شبكة معقدة متكاملة من الإنجازات: في الاقتصاد، والسياسة، والثقافة، والأخلاق، وهو ما نسميه بحق التنمية الشاملة. هى المشروع القومى لمن يبحثون عن مشروع قومى، وأى مشروع يفوق فى أهميته القضاء على التخلف والانطلاق نحو العصر. وكلما تقدمنا خطوة فى الإنجاز تقدمنا تلقائياً فى خدمة الوطن والشباب والعقل والذوق، وتغير منظور الحياة أمامنا، وارتفع موقعنا فيها، فتجرى الدماء فى العروق، والآمال فى القلوب.

والعقوباتُ الحاسمة ضرورة ولاشك، ولكن الشباب فى حاجة إلى من يناجيه في أزماته الطاحنة، ويهديه إلى الصراط المستقيم وهو يخوض ظلمات الليل البهيم. أهلاً بالعقوبات الحاسمة، ولتكون فرصة نقوم فيها المعوج من شئوننا، ونطهر أنفسنا من الخبائث»[1].

دعوة للدفاع عن النفس:

«لو وازنا بين المشكلات من ناحية والجهد المبذول لحلها من ناحية أخرى نجد أن كفة المشكلات مازالت الراجحة، وقبل أن يدهمنا المجهول ونحن منهمكون في حياتنا اليومية، علينا أن نفكر فى مواجهة دفاعية شاملة لاتخاذ موقف، والإشارة إليه إشارة واضحة، ونحن - كأفراد وأحزاب وهيئات ومؤسسات - لا نقصر فى التفكير فى حاضرنا وغدنا، فما أكثر المقالات والبحوث والكتب والوصايا، ولكن ذلك جميعه يدور فى برج مستقل

1 - فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص97-98، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1989/5/4 .

عن الواقع والتنفيذ، كأنما هو جهد من أجل راحة الضمير أو تزجية الفراغ، ويبقى الركود من حولنا أو شئ من التحرك البطئ الذى لا يتناسب مع ضخامة المشكلات وتربص الويلات.

علينا كأمة أن تجتمع لتحدد موقفها من تحديات عصرها. أن تجتمع أحزابها المعلنة وغير المعلنة، وأهل الخبرة الموزعون بين المجالس القومية والنقابات المهنية والعمالية والجامعات. أن يجتمعوا لدراسة المشكلات واقتراح الحلول. قد يتفقون على رأى فى أمر أو أكثر، وقد يصلون إلى أغلبية فى أمور، وقد يختلفون فيما عدا ذلك، ولكننا سنهتدى من خلال الاجتماع إلى قرارات على سبيل الإجماع فلا نتردد فى تنفيذها، وهو حكم يسرى على الأغلبية، ويشجع الحكومة على إصدار قراراتها، وحتى ما نختلف فيه سيتضح لنا منه ما يخفى على العين العابرة. علينا أن نتحرك حتى لا نبدو لعين التاريخ كقوم غارقين فى غفلة الذهول انتظاراً لما يجئ به الغيب. وكيف يركن قوم للغفلة وحياتهم تموج بمشكلات مثل الديون، والنمو السكانى، والبطالة، وأزمة الإنتاج، والفساد،والتوفيق بين الرؤية الإسلامية والوحدة الوطنية والعصر؟![1].

حوار بالإنجليزية:

«تعليقاً على وجهة نظر (86/9/25) التى تطالب بحُسن المعاملة للناس فى مختلف المواقع أرسل إلىَّ الدكتور عبدالحميد أبو السبع، رئيس مجلس إدارة المركز الدولى للتنمية الريفية بمريوط رسالة تأييد، عبرت بعمق عما يجيش به صدره من صدق وحماس. وعلى سبيل المثال الحى ترجم لى نص حوار دار بينه وبين صديق إنجليزى وثيق الصلة بموضوعنا، حدثه الصديق الإنجليزى عن بعض ذكريات أول يوم له فى خدمة الحكومة كموظف، وكيف استدعاه رئيسه المباشر ليدور بينهما الحوار الآتى :

المدير - إنك موظف بدءاً من هذه الساعة، فهل تعرف ماذا يعنى ذلك؟

الموظف - إنه يعنى أننى موظف.

المدير - كلا، إنه يعنى أن تضع نفسك فى خدمة كل من يقصد هذه الحجرة من الجمهور.

---

1 - فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص95-96، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1989/9/12 .

هذا هو أول درس تلقاه الموظف الجديد من رئيسه المباشر، وهو درس يجب أن يعيه كل موظف عند بدء خدمته، وأن يرسخ في نفسه وهو يتدرج من درجة إلى درجة حتى يبلغ قمة مسيرته، فجميع الموظفين قد بوأهم نظام العمل وظائفهم لخدمة الشعب، والشعب بداية ونهاية هو الذى يستخدمهم ويمنحهم مرتباتهم من كدحه وكده، وانعكاس الآية دليل على فساد الإدارة واختلال ميزان القيم. وهيهات أن تتهيأ لنا إدارة حقيقية إن لم تنهض على أساس مفهومها الصحيح لتؤدى رسالتها الصحيحة»[1].

نجيب محفوظ بالقلم واللسان «حول علاج الظواهر الإجرامية»:

محاورات نجيب محفوظ:

«طال اشتياق القارئ إلى كاتبه الكبير نجيب محفوظ الذى تعود أن يلتقى به فى هذا المكان يوم الخميس من كل أسبوع، وقد حمل «الأهرام» رسائل القراء حول هذا الموضوع إلى الاستاذ نجيب فقال: «بل أنا الذى اشتقت إلى القارئ.. لقد أمضيت ما يقرب من عشرين عاماً التقى بالقارئ بشكل منتظم فى باب «وجهة نظر» إلى أن فرضت علينا القطيعة بعد أن نفد رصيد ماكنت قد أعددته قبل الحادث من مقالات.

وإذا كانت يد الارهاب السوداء الأثمة قد قبضت على اليد اليمنى المجيدة لكاتب الوطن العربى الأكبر فى ذلك اليوم المشئوم من شهر أكتوبر وقت غروب الشمس، فإن العلاج الطبيعى وإرادة الرجل التى لاتنهزم قد بدأ أخيراً يؤتيان ثمارهما فعادت الشمس تشرق بعد شهرين من الظلام وبدأ الاستاذ يمسك بالقلم ليعلم نفسه الكتابة من جديد فى كراسة خاصة أعدت لذلك.. كراسة من الحجم الكبير صفحاتها مسطرة يكتب فيها الكاتب الكبير يومياً أسماء أصدقائه وبعض أرقام التليفونات محاولاً ألا يهبط عن السطر أو يرتفع عنه وكالتلميذ التجيب أخذ الاستاذ يحسن خطه بشكل ملحوظ من أسبوع لأسبوع.

ولقد رأى الاستاذ نجيب ألا يظل منقطعا عن القارئ إلى أن يتمكن من العودة للكتابة

---

1 ـ فتحى المشرى: المرجع السابق ذكره، ص39، 40 وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1986/12/25 .

بشكل طبيعى، وذلك من خلال هذا اللقاء فى شكل مقال قصير كالذى تعوده منه القارئ طوال السنوات الماضية، لكنه قال : أنا أحب دائماً الصراحة مع القارئ.. إذا كان هذا حديثاً فلماذا لا نقدمه كحديث؟ لماذا لا نقدمه كمحاورة حية تشغل عقل القارئ معنا؟

وإذا كان الاستاذ قد أختصنى بإجراء تلك المحاورة التى تنشر أولى حلقاتها الخميس القادم فقد أضاف إلى ما منحنى من رصيد سابق شرفاً جديداً أعتز به، وقد كلفنى بمهمة لن تكتمل فيهاسعادتى إلا حين لايعود هناك حاجة إليها.. حين يعود نجيب محفوظ إلى الكتابة المرسلة دون عناء بخط يده المميز ذى الأحرف الكبيرة الواضحة»[1].

الله والدين:

«بعدما أثير حول رواية «أولاد حارتنا» وحتى نأخذ الأمور من بدايتها، لم يكن من الممكن إلا أن أبدأ حوارى مع نجيب محفوظ بالسؤال عن الدين، فقلت : بعد كل ما حققته البشرية من تقدم وتكنولوجيا.. هل مازال هناك مكان فى عالمنا المادى هذا للدين؟

قال بلا لحظة تردد واحدة بل دعنى أقول لك أنه بسبب هذا التقدم الذى سخر للانسان قوة هائلة لم يكن بسيطر عليها من قبل ولم يكن يتصورها حتى فى الخيال، أصبحت ضرورة الدين أشد، لأن هذه القوة إما أن يراعى فى استخدامها شئ من المبادئ الإنسانية والأخلاقية، أو ستخضع لتقدير العقل والمصلحة وحدهما، والعقل والمصلحة بعيداً عن المبادئ قد تنشأ عنهما الكثير من الكوارث مثل الحربين العظمين مثلاً اللتين كان الدافع وراءهما هو المصلحة أن مانراه الآن حولنا من جرائم وأحداث إغتصاب وأعمال عنف إنما هو نتاج لانفصال العقل والمصلحة عن المبادئ.. أما حين تخضع قوة الانسان للمبادئ الدينية فإنها تصبح لخير الانسان.

أوليس الدين بهذه الصورة كمنظومة من المبادئ - يمكن الاستعاضة عنه ببعض الفلسفات الوضعية الحديثة التى تنطوى هى الأخرى على المبادئ الإنسانية والأخلاقية.

هناك من الفلسفات مايدعو للمبادئ العامة هذا صحيح، لكن أغلبها متأثر بالأصل الدينى.. فلم يكن جان جاك روسو مثلاً بعيداً عن المسيحية ولا كان فرانسيس بيكون،

1 - حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1994/12/22.

على أن مايقدمه الإنسان من اجتهاد ليس مثل مايتلقاه وهو مؤمن بأنه أت من رب هذا الكون هناك فرق كبير بين الاثنين، لذلك تجد مبادئ بعض الناس أحسن ماتكون. لكن أصحاب الإيمان وحدهم هم الذين يموتون في سبيل المثل والمبادئ النبيلة، فوراء التضحية دائماً إيمان وليس مجرد اقتناع عقلي، وهو ماجعل الفلاسفة أنفسهم يطالبون بالدين مثل الفرنسي فيكتور كوزان الذى قال في القرن الماضي إننا في حاجة إلى الدين من أجل الدين.

إذن فالفارق بين الفلسفة والدين هو الإيمان بوجود الله..

فقال مبتسماً : وهل هذا فارق بسيط؟.. إن الذى يخلق المبادئ بعقله قد يتشكك فيها. قد يقول لنفسه ماالذى يلزمني بهذا؟ ولماذا أضحي بلذتي وسعادتي السريعة وكافة الفوائد الأخرى من أجل بضعة أفكار؟.. لكن حين تكون المبادئ مستوحاة من الإله صاحب الكون وخالق الناس يكون لها معنى أخر..

ثم ينهي الكاتب الكبير حديثه قائلاً :

الله هو الذى يعطي للقيم معناها. الله هو الذى يعطي للوجود معناه.. بدونه لامعنى للوجود.. لامعنى للقيم.. وبديله هو العبث.. اللامعنى»[1].

أثر الحادث :

«وأقول للأستاذ نجيب محفوظ : الآن وقد أصبح حادث أكتوبر الماضي الآثم وراء ظهرنا هل لي أن أسألك عن الاثر الذى تركه هذا الحادث في نفسك؟

فيقول الاستاذ بعد لحظة تفكير : لا ، ليس بعد .. إن كل انسان هو بلاشك نتاج لما يتعرض له من تجارب، لكني أعتقد أن التأثير العميق لتجربة أكتوبر الماضي لن يتضح إلا فيما بعد، لأنه منذ تعرضت لهذا الحادث قبل خمسة أشهر وأنا أقامتي محدودة أولاً بالمستشفى ثم الآن بالمنزل حيث مازلت خاضعاً للعلاج الطبيعي بذراعي اليمنى، لذلك فإن الأثر الذى يمكن أن يتركه الحادث في الأعماق - أيا كان وصفه - لم يحن وقته بعد فيما يخيل لي ثم يقول : السبب الثاني هو أن الحادث كأنه حدث لغيرى.. أى أنني لم أكن من شواهده، لو كنت رأيت الشاب الذى أعتدى عليَّ أو كنت متذكراً كيف مددت

1 - حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1994/12/29.

له يدى بالسلام كما قيل لى لكانت للواقعة الآن أثر ما فى نفسى، لكنى لا أتذكر إلا أننى بعد أن جلست فى السيارة واستدرت للتحدث إلى زميلى شعرت بهذا الوحش الذى انقض عليَّ ولا أتذكر شيئاً بعد ذلك وكأنى كنت فى غيبوبة تامة لا أدرى ما حدث.

فاقول ربما أن الانسان فى تلك الظروف يتصرف بالغريزة أو بشكل لا إرادى فلا يعود يتذكر بعد ذلك حقيقة ما حدث.

فيجيب الأستاذ وقد أعتلت وجهه ابتسامة هادئة : أو أنه من نعم الله علينا أننا لا نتذكر تفاصيل مثل هذه المواقف والا لما استطعنا مواصلة الحياة إذا لم تفارق تلك التفاصيل مخيلتنا.

حين تقول أن الاثر العميق لم يظهر بعد فهل تقصد الأثر الذى يعبر عن نفسه فى رؤيتك للحياة وينعكس على كتاباتك؟

بل وعلى حياتى أيضاً، فقد عرفت الآثار المادية للواقعة الماثلة أمامى سواء فى العناية التى لاقيتها بالمستشفى أو فى أهتمام الناس بى الذين أحاطونى بعطف شديد سيظل يمثل دينا لن أستطيع أن أوفيَّه فالذين حزنوا للحادث كثيرون ولم أكن اتصور أننى أملك كل هذا العطف.

سبب سؤالى لك أننى لم ألحظ أى تغيير قد طرأ على شخصية الأستاذ نجيب محفوظ الذى أعرفه، فأنت كما أنت: نفس الإنسان المحب ذى الوجه البشوش والابتسامة العريضة الصادقة.. فيجيب عليَّ الاستاذ بكلمة واحدة : ربما![1].

العنف والإرهاب:

وقلت فى حوارك الاسبوع الماضى أن الكثير من أعمال العنف والجريمة التى نشهدها فى عالمنا الآن هى نتيجة انفصال العقل والمصلحة عن المبادئ الدينية، فما قولك يا أستاذ نجيب فى الدين حين تكون وسيلته فى التعامل مع المجتمع هى ذات العنف والإرهاب الذى قلت أن الدين يقى منه؟

---

1 - حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1994/12/19.

فيما أعلم لا أعلم ديناً وسيلته العنف والإرهاب، ليس هناك دين يمسك سكينا ويضرب بها الناس لكي يحملهم على اعتناقه، والإسلام في مقدمة هذه الأديان حيث قال تعالى «لا إكراه في الدين» و«ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر» لا ليس هذا بالاسلام.

ألم يعرف الإسلام العنف في أى من مراحله التاريخية؟

كل شئ بأسبابه، كما أن في الماضي كانت هناك أخطاء، لكننا لدينا القدوة الحسنة في السلف الصالح : الرسول والصحابة، هؤلاء أهم من حكام المماليك، والترك مثلاً، فهل نريد حكم النبي وحكم عمر أم حكم معاوية وحكام الطرق والديلم؟ أم أننا سنقتدى بالخوارج الذين رغم تقواهم الشديد فهم أسوأ مثل في التطرف فقد كانوا يكفرون وينفذون؟ إن الإسلام الحقيقي هو إسلام الرسول الذى لم يعرف التكفير ولا الإرهاب.

ثم يضيف الأستاذ في صوت رخيم : الإسلام لم يعرف العنف إلا دفاعا عن النفس وماغير ذلك فهو انحراف في الفهم خطؤه نابع ممن يتبعونه ومسئوليته تقع عليهم، وليس على الإسلام.

هل يمكن أن يكون هؤلاء في حالة دفاع عن النفس؟

لا .. ليسوا في حالة دفاع عن النفس وقد بدأوا هم بالعدوان.. أن الإرهاب كجريمة لايمكن الدفاع عنه، قد يمكن تفسيره أو فهم ظروفه، لكن تبريره أو الدفاع عنه لا يمكن الا إذا كان يمكن الدفاع عن الجريمة.

كيف يمكن تفسيره أو فهم ظروفه؟

إن كل مذهب به اعتدال بالوسط وتطرف على اليمين وآخر على اليسار، وفي مجال الافكار لا بأس من ذلك لأنه يدخل في باب الحوار، بل هو من متطلبات الحوار ولا ضرر منه البتة، وقد وجدت المذاهب الاسلامية وغير الإسلامية على هذا الأساس.

ويختتم الأستاذ حواره بكلمات اختارها بعناية : أما في ظروف أخرى يشتد فيها الضغط الاجتماعي والاقتصادى وتسوء الحالة فإن الفكر المتطرف بسبب يأسه قد يسقط في الجريمة.

وعلاج الإرهاب كجريمة هو التصدى له دون تفكير لأن من قتل يجب أن تشهر سلاحك فى وجهه، لا يمكن أن تتسامح مع الجريمة أو تؤجل التعامل معها، ولكن الاكتفاء بذلك خطأ وهو يمثل نظرة ضيقة، للظاهرة التى هى أوسع بكثير من الحيز الأمنى، صحيح أن الشرطة تتصدى للإرهاب على أكمل وجه لكن الأفكار الي أدت إلى هذا الإرهاب مازالت فى حاجة لمن يتصدى لها. وذلك لا يكون بالعنف وانما بالفكر»[1].

الاسلام نهى عن الغلو!!! والتنطع!!

الإسلام دين التسامح والاعتدال دون أفراط أو تفريط.. لا غلو فيه ولقد حذر الله تعالى من ذلك فى قوله :

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾[2].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم :

«أياكم والغلو في الدين» وكرر عليه الصلاة والسلام لثلاث مرات تحذيره :

«هلك المتنطعون»[3] والمتنطعون هم المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وافعالهم[4].

كما قال صلى الله عليه وسلم : «يا أيها الناس! إياكم والغلو فى الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين»[5].

والمناسبة التى قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الحديث كانت بشأن حجم الحصيات التى تلقى عند جمرة العقبة.. ولقد طلب بأن تكون فى حجم الخذف حتى لايصاب أحد بضرر[6].. وهذا النصح في أمر بسيط.. فما بالك بالمسلم الذى يذبح إخاه المسلم أو يقتله والذى قال الله تعالى فيه :

﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا...﴾[7]

1 - حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1995/1/5.

2 - القرآن، سورة، المائدة، الآية : 77.

3 - 4 - أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى : صحيح مسلم، (دار إحياء التراث العربى، بيروت. لبنان، بلا تاريخ) جـ4، ص 2055.

5 - أحمد بن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، (دار صادر، بيروت، بلا تاريخ، جـ1، ص347.

6 - الحافظ ابن عبدالله محمد بن يزيد القزوينى المعروف باسم : ابن ماجه، سنن، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقى، (دار إحياء التراث العربى، القاهرة، مصر، بلا تاريخ)، جـ2، ص1008.

7 - القرآن، سورة المائدة، الآية : 32.

التصدى للإرهاب :

«كيف يكون التصدى لظاهرة السلفية والتطرف الدينى والارهاب؟ هل يكون بطرح بديل عصرى يعتمد على الفكر الحديث المتنور أم يكون بالرد على المفاهيم الدينية الخاطئة ومن ثم اللعب على نفس أرضية الاتجاه السلفى؟

إن القول بأن تجنب التطرف والارهاب يعتمد على تجنب الدين، إنما يعنى أن ديننا يؤدى بالضرورة إلى الارهاب، أو أن التنشئة الدينية تخلق الارضية الصالحة لزراعة الإرهاب وتلك فروض خاطئة.. أن أفضل مقاومة للانحراف الدينى والارهاب هو التسامح الذى يقوم عليه الدين والتركيز على القدوة الحسنة القديمة والحديثة.. هذا هو المصل الواقى ضد الانحراف والارهاب.. الدين هو العلاج وليس الخروج عن الدين.. لكنه الدين المتقوم بالعلم لأن التقدم لا يكون إلا بالعلم والدين معاً.

ثم يبتسم الأستاذ فى خجل وهو يقول : لقد كنت أول من استخدم تعبير «العلم والايمان» منذ أكثر من نصف قرن من الزمان، فلقد احضر لى أحد الاصدقاء مقالاً قديماً نُشر لى «بالمجلة الجديدة» فى بداية الثلاثينيات كان هذا التعبير هو عنوانه.

وعلى من تقع مسئولية التربية الدينية السليمة ؟

المسئولية تقع أولاً على التعليم، ولقد تربينا جميعاً تربية دينية جيدة بالمدارس فلم نتطرف ولم نتعصب ولم ننحرف، وكنا نفترق مؤقتاً مع إخواننا الاقباط وقت درس الدين فقط ثم نعود أصدقاء وأصحابا. ثم هى بعد ذلك مسئولية وسائل الاعلام من الإذاعة والتليفزيون، أن بعض ما تقدمه الاذاعة والتليفزيون يؤدى بالفعل إلى الانحراف لانه بعيد عن روح الدين واقرب إلى الخرافات والخزعبلات، أن أجهزة الاعلام يجب أن تحكى قصة الدين النير.. الدين المتسامح .. الدين الإنسانى.. وتملأ بها قلوب الناس.. ثم يضيف : اذا أردت مقاومة الارهاب والانحراف.. إذا أردت أن تدعو إلى انسانية شاملة ومحبة فانشر الفكر الاسلامى الصحيح فى مكانه الصحيح ما بين التعليم والاعلام.

وهل على المثقفين ايضاً مسئولية ؟

بالطبع .. فالذين سيقومون بهذه المهمة هم المثقفون، فالمدرسون بالمدرسة من المثقفين وكتاب المادة الدرامية بالاذاعة والتليفزيون من المثقفين ايضاً.

هل ساهمت أنت شخصياً يا أستاذ نجيب فى هذا المجال؟

إن فكرة الدين والله من الأفكار الاساسية التى تدور دائماً فى أعماقى، وقد برزت بالطبع فيما كتبت من قصص وروايات، فكل أناء بما فيه ينضح»[1]

سبق وأن نشر الاستاذ نجيب محفوظ قبل محاولة اغتياله بفترة طويلة كيف السبيل إلى التصدى للارهاب؟ بمقالات عدة منها :

- نحو تربية حديثة.
- رؤية جديدة.
- حول التربية الدينية.
- التربية الدينية.
- قيم صالحة لكل زمان ومكان.
- الدين فى العصر الحديث.
- بين الدين والدنيا.
- الوعظ فى هذا العصر.
- الدعوة والدعاة.
- الرأى والخبرة والمشورة.
- البريد والوزراء

ولكن هل من قارئ؟!! وهل من منفذ؟!!

نحو تربية حديثة:

«التربية مسئولية عامة خطيرة بما تمثل من عناصر أساسية فى بناء الشخصية الإنسانية، لذلك يجب أن نهتم بها الاهتمام الواجب فى جميع مراحل التعليم وأجهزة الإعلام لنقيم أساساً متيناً للفرد، وقاعدة بشرية جديرة بالحياة فى هذا العصر. ونحن نولى التربية الدينية والقومية ما تستحق من عناية، ولكن لابد من إضافات أخرى، تنضم كدراسات حرة، أو فى كتب القراءة، وغير ذلك من وسائل الاتصال الحديثة.

فى مقدمة ذلك التربية الثقافية التى تستهدف خلق المواطن المحب للمعرفة، والمتذوق للجمال فى كافة صوره الفنية والطبيعية، مما يقتضى نشر المكتبات فى المدارس، والمجلات، وفرق التمثيل، والموسيقى، والشعر، والخطابة. ومن الأهمية بمكان عرض تاريخ الحضارات لإيضاح ما قدمه كل شعب للإنسانية من إنجازات روحية ومادية، وليكون تنوع الحضارات مدخلاً للتفاهم، وتبادل التقدير بديلاً من الجفوة وسوء الظن.

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1995/11/12.

كذلك يجب أن يلم أبناؤنا بما يتيسر من مبادئ المنهج العلمي، لا باعتبارها باب النجاح للعلم وإنجازاته فحسب، ولكن أيضاً بوصفها المنهج الصحيح للتفكير السليم. والضمان لسلامة العقل وصونه من الانحرافات والآفات التي تخضعه لتسلط الانفعالات والتعصب، وتحرره من قبضة الخرافات والترهات التي تزيف الحقائق وتوقف التقدم.

وأخيراً وليس آخراً، يجب الاهتمام خاصاً بحقوق الإنسان: في فكره، وعقيدته، وسلوكه، والتعامل معه، لينشأ الأبناء على احترام أنفسهم ومواطنيهم والناس جميعاً، وليحظى الفرد عندهم بما يستحق من احترام وتقديس.

إن الاهتمام بتلك القيم هو اهتمام بالإنسان والإنسانية، اهتمام بالعقل والفكر والديمقراطية الحقة كما تجرى في الحياة اليومية. هو في النهاية الحضارة التي يجب أن نتحضر بها في العالم الحديث للتكيف معه، واكتساب القدرة على العيش فيه بنجاح وسعادة وكرامة»[1].

حول التربية الدينية:

«تلقينا في طفولتنا وصبانا تربية دينية شاملة. درسنا الفرائض والأخلاق، حفظنا ماتيسر من السور، وألممنا بالسيرة النبوية وجانب من تاريخ الإسلام.

من المسلم به أن التربية الدينية يجب أن تشمل ذلك كله، ولكن يجب أيضاً أن نضيف إليها بوعي وتركيز أغراضاً جديدة، تعد من ناحية من صميم روح العصر، كما أنها مستمدة من مضمون الدين بلا تكلف من ناحية أخرى. من ذلك أن نربي الناشئة على حُب العلم والمعرفة وتبجيل العلم والعلماء، وسنجد لتأييد ذلك مانشاء من سند في القرآن والحديث، وأن نوجههم إلى تقديس العمل والإخلاص فيه، والتفاني في تنفيذه لخير الفرد والجماعة، وسوف يمدنا الدين بما نشاء من آيات وأحاديث وحكايات مؤثرة، وأن نشرب قلوبهم حب الحرية والديمقراطية، وندربهم عليها بالحوار والتزام العقل، منطلقين من الشورى ومواقف مشهودة في تاريخ الرسول والخلفاء الراشدين، وأن نملأ قلوبهم بحب العدالة الاجتماعية، انطلاقاً من مبدأ التضامن البشري، والمساواة، وحكمة

1 - فتحي العشري: المرجع السابق ذكره، ص121-122، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1991/8/1 .

الزكاة. ولنذكرهم دائماً وأبداً بتقديس حقوق الإنسان ومغزاها في التاريخ الإسلامي، لنجعل من ذلك أساساً متيناً للوحدة الوطنية والإخوة البشرية.

إن الفرد الذي ينشأ على تقديس هذه المبادئ - تقديسه - للتوحيد، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج - لهو فرد جدير بالحياة في دنيانا، مؤهل لذلك خير تأهيل بما تلقنه من قيم روحية ومادية، جدير بأن يشارك في العصر معتمداً على نخبة من روحانياته، ومتطهراً في الوقت نفسه من كثير من آفاته»[1].

التربية الدينية:

«ماذا نريد من التربية الدينية؟ نريد منها أن تجسد الدين روحاً، ومبادئ في الفرد. طبيعي أن نبدأ بتلقين الطفل أركان دينه، وتعليمه كيف يؤديها، وعلينا بعد ذلك أن نبث في وجدانه المبادئ التي ميزت الرسالة، ومكنت المؤمنين من أن يقيموا للدين داراً، وأن يعمروا الدار بالحضارة والثقافة والعلم، ومن ذلك: مبدأ الشورى في الحكم، وتقديس الإنسان والحرية، والمساواة بين البشر بدون اعتبار لعنصر أو لون، والتسامح الديني، وخلافة الإنسان لله في الملكية، وشروط سلامتها، والتفكير كفريضة، والعلم كفريضة، والعمل كقيمة مفضلة حتى على العبادة والتضامن البشري في المجتمع.

هذه المبادئ يجب أن يتكون منها وجدانه عاماً بعد عام، مؤيدة بالآيات والأحاديث والوقائع التاريخية، ويجب أن يجري الامتحان فيها لا على الورق، أو لا على الورق فحسب، ولكن من خلال ملاحظة السلوك العام في المدرسة، كما ينعكس في علاقة التلميذ بالتلميذ، والتلميذ بالمدرسة، والتلميذ وواجباته، والعلوم التي يتلقاها. نريد من التربية أن تجسد الدين في التلميذ قولاً وفعلاً وسلوكاً ورؤية وعلاقات إنسانية. نريد منها أن تخلق لنا جيلاً من المنتمين حقاً وصدقاً إلى الواجب والعمل والعلم والتفكير وحقوق الإنسان وحقوق المجتمع.

لا يجوز في أمة متدينة أن تعرف سلبيات مثل الكسل والتهاون والتسيب والظلم والرشوة والاستغلال والامتيازات، فإن وجدت فإنما يعني هذا أنها لا تعرف دينها، فإن

---

1 - فتحي العشري: المرجع السابق ذكره، ص75-76، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1988/5/5 .

كانت تعرفه فإنما يعنى أنها تعرفه ولا تؤمن به، فإن كانت تؤمن به فإنما يعنى أن إيمانها ينقصه التطبيق، وأنها تتهاون فى تعليمه لأبنائها. ليست التربية الدينية حفظاً وتسميعاً وإعراباً، ولكنها محاولة صادقة لإعادة خلق الفرد على أسس سامية يصلح بها لمواجهة تحديات عصره، وتحفظ له التوازن النفسى والعقلى والخلقى بين ما يبغى فى دنياه، وما يتطلع إليه فى آخرته»[1].

قيم صالحة لكل زمان ومكان :

«حديث اليوم لا جديد فيه، حديث يعرفه كل مسلم مهما تكن درجته في ثقافته الدينية، حديث أفتن الدعاة والمفكرون فى عرضه، وتقديم الشواهد على صدقه من القرآن والحديث وأقوال التابعين، وأفعال الولاة الصالحين. فما هو هذا الحديث؟

قالوا : إن ركيزة الإيمان – وهي شهادة أن لا إله إلا الله – تعنى تحرير الإنسان من أى ربقة أو عبودية أو سلطة دنيوية، فالمسلم حقاً هو الحر حقا الذى لا يستعبده فرد، أو نظام، أو شهوة.

وقالوا : إن الإسلام يحث على العلم، ويكرم العالم ويؤثره بالفضل والعزة، فالمسلم حقاً ينبغى أن يكون عالماً أو محباً للعلم والعلماء.

وقالوا : إن الإسلام يدعو إلى التفكير والتأمل، ويقدس العقل، فالمسلم حقاً هو المفكر، أو من يتخذ من التفكير نبراساً وهداية فى حياته.

وقالوا : إن الإسلام يحرص على العمل، حتى ليفضله على العبادة، فالمسلم حقاً هو العامل المجد المخلص لعمله المتقن له.

وقالوا : إن الإسلام يوحد فى رؤيته بين البشر، لا يفرق بين فرد وآخر بسبب من عنصر أو لون أو عصبية أو طبقة، فالمسلم حقاً من يحترم الإنسان لإنسانيته وقيمه وتقواه وسلوكه.

وقالوا : إن الإسلام يحترم جميع الأديان، ويهب كل ضمير حريته فى الاختيار، فلا إكراه فى الدين، والله يهدى من يشاء، فالمسلم حقاً من يعايش جميع الأديان فى سلام.

1 - فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص27-28، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1986/5/15 .

هكذا يقول الدعاة والمفكرون، ويقدمون الشواهد من القرآن والسنة والتاريخ.

وكما قلت : فلا يجهل ذلك مسلم مهما كانت درجته في الاطلاع على دينه، ولكننا نفتقد تلك القيم في حياتنا اليومية، أو لا نجدها بالحضور الذي يجب أن تحظى به بين قوم عرفوا من قديم بالتدين والتقوى، وكأنها معارف من الثقافة التي يطلع عليها المطلعون، ثم يمضون إلى غيرها في سرور ودعة ولا مبالاة. والحق أنها يجب أن تستقر في قلوب الأبناء منذ الصغر، وتجرى مع دمائهم، وتتردد مع أنفاسهم، كي تنعكس في سلوكهم اليومي وتنفرد بآثارها شخصياتهم، وهذه هي مهمة التربية ورسالتها، وواجب أولى مما ينبغي أن تضطلع به وزارة التربية، وأجهزة الإعلام، والآباء، وبها يحق لنا أن نقول : إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان»[1].

الدين في العصر الحديث :

«ثمة صحوة دينية شاملة لا يمكن إنكارها، ولا يجوز تجاهلها، وهي ليست مقصورة على الجماعات الدينية، ولكنها تسرى في روح الأمة جمعاء، وإن تفاوتت درجاتها. وتلك حال يجب أن يتأملها المصلحون والمخططون للمستقبل بعناية فائقة، وعليهم أن يعتبروها قوة متاحة وطاقة مدخرة تنتظر من يتعامل معها بحكمة ودراية، ويوجهها الوجهة الصحيحة السليمة لبعث الأمة من رقادها، والسمو بها إلى ذروة نهضة متينة الأساس، قوية الأركان.

ومن نعم الله علينا أن ديننا دين دنيا كما أنه دين آخرة، يدعو إلى تعمير الأرض، ويقدس العلم، ويعد العمل عبادة، فضلاً عن أنه رحمة للعالمين بما أعلن من حقوق للإنسان، وما قرر من مساواة بين أهل الديانات. وما عصرنا إلا عصر العلم والعمل وحقوق الإنسان، فمن الحكمة أن نجعل من الدين منطلق تربيتنا ونهضتنا، وفي ذلك ما يضمن خلق إنسان صالح يملك من مقومات الوجود ما يقتضيه الوجود الإنساني المستنير الشريف، يزدهر تكوينه بالانتماء والإيجابية، والاستقامة والاجتهاد، وحب العلم والمعرفة، وحب الإنسان.

1 - فتحي العشرى: المرجع السابق ذكره، ص31-32، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1986/6/12 .

ولا يفزعنك ما نلقى أحياناً من شباب منحرف الفكر أو السلوك، فلو أن حصن بالتربية السليمة التي لا ترعى إلا وجه الحق وحده بدون خوف من إنسان أو تملق لسلطة، لكان الأساس الراسخ لنهضة شاملة بإيمانه وإيجابيته وحماسه، وقدرته على تحدى التحديات.. نحن نملك ثروة طائلة فلنستثمرها في الخير، ولا نكن كالوارثين الفاسدين الذين يبددون ثرواتهم في الباطل[1].

بين الدين والدنيا :

«كل حكومة هي حكومة دينية على نحو ما، لا أعنى بذلك أن تكون السلطة بين رجال الدين، أو بيد شخص يدعى لنفسه العصمة، أو أنه ظل الله على الأرض، وغير ذلك من الأقنعة التي يتخفى تحتها الاستبداد، ولكن من ناحية المضمون الأخلاقى الذى تلتزم به في معاملاتها وتشريعاتها، ذلك أن الدين من الناحية التاريخية هو المعلم الأخلاقى الأول للبشرية، وأنه ما من حكومة إلا وتلتزم في دستورها وقوانينها بالسائد من الأخلاق والتقاليد والقيم، ولذلك يمكن أن نعدها حكومة دينية من ناحية المضمون، حتى إن نحت الدين جانباً أو نبذته نبذاً.

ومن هنا نجد في الدستور السوفيتي قيماً دينية الأصل، كالمساواة، والعدالة، كما نجد في عقوباتها ما يشبه الحدود أو ما هو أشد. أجل إنه عند التطبيق تحدث فجوة بين ما ينبغى أن يكون وما هو كائن، وقد يستشرى الفساد فتتسع الفجوة حتى تطمس الصفة الدينية أمام الأعين، وخاصة أعين المتطلعين إلى المثل الأعلى، فيشتد بهم الغضب، ويكفرون الجميع - دولة وشعباً - ويتخطون في غضبهم المألوف والقانون، وينادون بحكومة دينية كوسيلة للتطهير والتقدم.

والواقع أن الحكومة المنشودة قائمة بالفعل، وإن توارى جوهرها تحت الأتربة المتراكمة، وقد يعيدها إلى أصلها الإصلاح العميق الشامل الذى يعنى في النهاية تضييق الفجوة أو سدها، وإعادة النظر في بعض الأمور، وتغيير بعض العناوين. وإذا نفذ ذلك بالحكمة والإدراك السليم وفهم روح الدين والاستجابة لمقتضيات العصر جاز لنا أن نأمل في حياة جديدة فيها الخير كل الخير للناس أجمعين، وعندنا من أهل الخبرة والاعتدال من يؤكدون ذلك، وقد أعلنوا رأيهم مراراً وتكراراً، وهو أن الفارق بين القوانين القائمة

1 - فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص89-90، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1988/6/9 .

والأخرى التي يطالب بها الآخرون قليل، وأن الاجتهاد كفيل بالتوفيق بين الثوابت والمتغيرات، وإذا كان ذلك كذلك فلماذا نقف عند حد المناقشة ولا نتجاوزه إلى حيز التنفيذ؟ لماذا لا نخرج من جو القتامة والشك إلى نور النهار السافر المؤيد بالمصلحة العامة وحقوق الإنسان والوحدة الوطنية؟»[1].

الوعظ في هذا العصر:

«رسالة الوعظ هي أن تعرفنا بالدين للعمل للآخرة والدنيا معاً، أن نعبد الله عبادة صحيحة، وأن نتعامل مع الناس وأطوار الحياة بما يرضيه، ومهمته الأولى يسيرة، أما المهمة الأخرى فشاقة وعسيرة، الأولى يسيرة لثباتها ووضوح معالمها، أما المهمة الأخرى فشاقة وعسيرة، لأنها لا يجوز عليها الكسل أو الغفلة، لأن الدنيا تجرى بدون توقف مع الزمن، وتتلقى كل يوم - وربما كان ساعة - جديداً في المعرفة والعمل، وما يترتب على ذلك من تجديد في المعاملات والسلوك والعلاقات التي يتبادلها البشر، سواء في الوطن الواحد أو على مدى الكرة الأرضية. ويتطلب ذلك من الواعظ يقظة مستمرة، ووعياً بعصره، واطلاعاً متواصلاً على ما يحدث في الحضارات، وما يضطرم به جوف الحاضر أو يتمخض عنه وجه المستقبل.

ويجب أن يوضع ذلك في الاعتبار عند وضع المناهج الدراسية للوعاظ، وبخاصة ما يتعلق بالحضارة وروح العصر ومتطلباته، وسير البشرية من الثورة الزراعية إلى الصناعية، وانتقالها رويداً رويداً إلى عصر المعلومات، وكيف أنها بفضل وسائل الاتصال الحديثة تتجه نحو نوع من التوحد، وأنه لن يوقف موجاتها المتدفقة قرار أو مصادرة أو رقابة أو غير ذلك من وسائل الهروب. فالسؤال المطروح على الوعظ والوعاظ هو : كيف نعيش مسلمين اليوم وغداً في هذا العالم المهيمن الذى لا مهرب منه؟

من هنا تجئ أهمية الاجتهاد للتصدى والمواجهة، ولكي يشارك المسلم في الحياة المتجددة بدون حرج أو شعور بالغربة، أو محاولات يائسة للهروب إلى كهف الماضي، فإما أن نجتهد وإما أن نقترض، ولذلك يجب أن ينتمي الوعاظ إلى هيئة عليا من العلماء

1 - فتحي العشري: المرجع السابق ذكره، ص81-82، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1988/6/16 .

المجتهدين، لعلها أخطر الهيئات الدينية في عصرنا، يوكل إليها رسم الحدود لحياة المسلم في العصر الحديث، جميل أن نتذكر القول بأن الإسلام يصلح لكل زمان ومكان، وقد آن لنا أن نثبت ذلك بالفعل والعقل والإيمان»[1].

الدعوة والدعاة:

«في مناسبات ماضية كتبت عن الدعوة والدعاة. أشدت بالمهمة الكبرى التي يقومون بها في حياة الأمة باعتبارهم مربي وجدانها الديني، والصوت المسموع في مساجدها المنتشرة في المدن والقرى. والحق أنهم بحكم طبيعة رسالتهم أقوى تأثيراً في النفوس، وأسرعهم نفاذاً إلى القلوب، وبوسعهم حقاً أن يسهموا في تشكيل الأجيال وبعثها من سباتها. من أجل ذلك دعوت إلى الارتقاء بإعدادهم إلى أعلى الدرجات العملية والثقافية، حتى يصبحوا أهلاً لحمل الأمانة في هذا العصر بالغ التعقيد، والذي يسمى فيما يسمى بعصر العلم والاتصال والمعلومات.

ويجب ألا ننسى ما حل بنا من جراء انتشار الأفكار المتطرفة التي أساءت إلى الإسلام وأهله، وألا يدعو انتشارها حينا إلى وجوب إعادة النظر فيما يجب علينا نحو الدعوة والدعاة. ولا يجوز أن ينهزم الهدى أمام التطرف وهو يملك المساجد، ووسائل الإعلام، والحق والحقيقة.

فعلينا أن نعد الداعية الإسلامي، وأن نهيئ له سبل العمل الصالح. الداعية هو لسان التنوير الديني، ويجب أن يظل في كل مكان وزمان.

نتوقع أن نعرف من الدعاة الإسلام في مضمونه وفرائضه وأخلاقه، وأن تمتد دروسهم لتشمل مبدأ الشورى، أو ديمقراطية الإسلام السياسي، كما ينبغي أن يفهم اليوم وغداً.

وأن يحدثونا عن العدالة الاجتماعية في الإسلام، وعن تقديس الإسلام للحرية والفكر والعمل والإنتاج.

وعن حقوق الإنسان التي قررها الإسلام، وعما يمكن أن يقبله من الحقوق التي لم يقررها.

والحمد لله فلن تعوزهم المراجع قديمها وحديثها، ولن تعوزهم الرغبة الصادقة في النهوض بالأمة في هذا العصر»[2].

1 ـ فتحي العشري: المرجع السابق ذكره، ص99-100، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1989/6/1 .

2 ـ فتحي العشري: المرجع السابق ذكره، ص187-188، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1994/8/4 .

الرأي والخبرة والمشورة :

«التحديات المفترسة تقتضى عملاً شاملاً وموقفاً وطنياً حاسماً. لابد من نشاط مخلص جاد يدعو إلى ميدانه كل فكر ثاقب وخبرة صادقة بلا تفرقة بين حزب وحزب أو تيار وتيار ودون انتظار لدعوة رسمية أو تنظيم حكومي ولدينا من الأمثلة الرائدة التجمع الاقتصادى وما جرى فيه من تشخيص لأزمتنا الاقتصادية واقتراح العلاج لادوائها. ومثله أيضاً المناظرة التى قامت بين التيار الدينى والعلماني في نقابة الأطباء.. نحن في اشد الحاجة اليوم إلى تعاون فكرى عام نخرج به من الظلمات إلى النور، ومن البلبلة إلى الاستقرار، ويتصدى لمشكلاتنا المزمنة مثل التكاثر السكاني الخيف، والتعليم والشباب والديمقراطية والتطهير وسيادة القانون والبطالة المقنعة والانتماء والزراعة والصناعة والاسكان والمخدرات إلخ إلخ. يجب أن نعرض مشكلاتنا للبحث المنظم فى نطاق الاختصاص والخبرة، وأن نفيد من كل اجتهاد فردى سابق بالاضافة إلى بحوث المجالس القومية وأكاديمية البحث العلمي، وأن يدعى في النهاية مؤتمر قومي لمناقشتها والتصديق على ماتتفق الكلمة عليه، ثم تطبع حصيلة ذلك كله وترفع إلى السيد رئيس الجمهورية والمؤسسات الشرعية، على الا يقف الاجتهاد عند ذلك الحد ولكن أن تدرسه الجهات المسئولة تمهيداً للالتزام بتنفيذه في خططها المستقبلة تحت رقابة الشعب ومتابعته عاما بعام ويوماً بيوم. ونحن بحمد الله نملك الخبرات والمؤهلات ولايعوزنا الحماس ولا الوطنية، وما أدعو إليه هو أقل مايجب على قوم يشهدون أمتهم وهى تعبر محنة فيلتزمون تلقائياً باخراجها إلى الفرج، لافرق في ذلك بين يمين ويسار ووسط فقد وضعهم التاريخ فى قارب واحد تاركا لهم اختيار المصير»[1].

رؤية جديدة :

«مواجهة الإرهاب تقوم اليوم على دعامتين :

١ - استراتيجية جديدة.

٢ - المشاركة الشعبية.

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1986/9/18.

وعن الاستراتيجية الجديدة فقد أوضح وزير الداخلية موقفه الحاسم من الخروج على الشرعية، وفى الوقت نفسه قدم رؤية جديدة للنضال تلتزم باحترام حقوق الإنسان فى أقسام الشرطة والسجون، ورفض التعرض للأبرياء، ومحاربة الفساد، والبطالة.. إنه أسلوب جديد يتصدى للإرهاب باعتباره ظاهرة أمنية اجتماعية سياسية، تعالج بالحزم والإصلاح، ومراعاة المبادئ الإنسانية، وإلا كانت معركة بين إرهابيين، ونحن ندعو الله أن تصدق الوعود، وأن يتحقق للوطن الأمن والأمان والاستقرار، وحقن الدماء.

ومن ذلك المنطلق تصبح دعوة الشعب للمشاركة ذات معنى، والحق أن المشاركة تطالب الناس بالشجاعة، والتضحية إذا لزم الأمر، وشعبنا لا تنقصه الشجاعة، ولا يضن بالتضحية، وبخاصة إذا اقتنع بأنه يدافع عن مصالحه، وكرامته وقيمه، ولعله يأمل بعد ذلك أن تكون مشاركته فى التصدى هى الخطوة الأولى فى مشاركه أكبر وأشمل، وهى المشاركة فى ممارسة حقوقه السياسية، والاجتماعية الكاملة.

وما نطلب بعد ذلك إلا أن يجئ الفعل مصدقاً للقول، وأن تكون الاستراتيجية مرنة تتابع الواقع وتغيراته، وأن تتحلى بالحكمة كما تتحلى بالحزم، وأن نتذكر أن هدفها القومى الحقيقى هو تحقيق الأمن والأمان، والاستقرار، وحقن دماء المصريين»[1].

مسببات الإرهاب :

- «قلت فى حوار سابق يا أستاذ نجيب أن للارهاب أسباباً كثيرة بعضها فكرى والبعض الآخر اجتماعى واقتصادى.

إن البعض لايقبل هذه الفكرة فإذا قلت أن من بين أسباب الارهاب البطالة والفقر والغلاء يثورون ويفضلون القول بإن الارهابيين مأجورون من الخارج وأنا أقول دعونا لانختلف فلندع الارهاب جانباً.. أليس الفقر والغلاء والبطالة أعداء علينا محاربتها؟ فلنحاربها جميعاً كل لغرضه.

---

1 ـ فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص161-162، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1993/5/6 .

ويصمت الأستاذ قليلاً ثم يقول : إن الشباب حين ينشأ في جو مريح اقتصادياً واجتماعياً فإن الحياة بالنسبة له تصبح غالية ويصبح حريصاً عليها ويفكر كيف يسعد نفسه والآخرين لكنه حين يوضع في جو قاس طاغ.. فإنه أن لم يلجأ للارهاب الدينى فهو يلجأ للجريمة من أجل السرقة أو القتل والكثير من الجرائم التى نسمع عنها اليوم لم تكن موجودة في مجتمعنا من قبل حين كانت الحياة أقل قسوة.. لقد أتت بها البطالة والفقر ونتيجة لذلك نقول أن الارهاب سيختفى جزء كبير منه بالعمل على رفع مستوى المعيشة وإذا كان البعض يقول أنه ليست هناك علاقة بين الاثنين فإنى لن أجادل في ذلك وسأكتفي بالقول : دعونا نتصدى معا للمشكلة الاقتصادية والاجتماعية فلا أظن أن هناك خلافاً على ذلك.

هل ترى أن هناك بين مسببات الإرهاب جانباً سياسياً أيضاً ؟

بالطبع فنحن إزاء جماعة تقول أن الاسلام دين ودنيا واننا مسلمون ويجب أن نحكم بالشريعة ولنا سياسة وبدلاً من أن يقال لهم أعملوا فى نطاق الشرعية فكونوا جمعية أو حزبا وادعوا لآرائكم وسندخل معكم في نقاش فى ضوء حقائق العصر الذى نعيش فيه أى بدلاً من أن تمنحهم حقوقهم السياسية فإننا نقول لهم : لا حقوق لكم.

ألا ترى يا أستاذ نجيب أن على هذه الجماعة أن تقبل أولا قواعد اللعبة قبل أن تدعى للمشاركة فيها ؟

يجب أن نبدأ أولاً بأن نعطيهم حق التكوين ثم يأتى الحوار بعد ذلك والتفاعل مع المجتمع وهما كفيلان باقناعهم بقبول مؤسسات الدولة العصرية لانهم سيضطرون للتعامل معها بدلاً من أن كانوا يكفرونها وبقبول التعددية السياسية لأنهم سيكونون أحد أطرافها بدلاً من أن كانوا يقاطعونها.

ثم ينهي الأستاذ حديثه قائلاً : أن الدين ديننا جميعاً وأنا مطمئن على أنه دين سلام وتسامح وعلم وتقدم وليس هناك مجال للخوف من الدين.

ثم طوى معى الأستاذ صفحة الدين والارهاب ليفتح صفحة جديدة فى حوارنا»[1].

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1995/1/19.

سبق للأستاذ نجيب محفوظ أن وضح في مقالات سابقة أسباب الارهاب والتطرف منها على سبيل المثال المقالات التالية :

- نحو الشاطئ الاخضر.
- فتح الطريق المسدود.
- كيف نتصدى للارهاب.

وفيما يلي نص هذه المقالات لتعميق الفهم..

نحو الشاطئ الأخضر:

«إنهما توءمان، اللامبالاة والتطرف. يبدوان نقيضين ولكن تناقضهما الظاهري ناجم عن خاصية واحدة مشتركة هي التطرف. فاللامبالي يقف عند آخر طرف في خط الانتماء كما أن المتطرف يقف في آخر طرفه الأخر. وبنظرة في ظروفنا الخاصة نجد أن باعثهما واحد هو الفساد، جر الأول إلى حافة اليأس من كل شئ والآخر إلى الغضب على كل شئ وكلا الموقفين ينحرف عن الصواب، فاللامبالاة قد تورط صاحبها في الفساد والتطرف كثيراً مايغري بالعنف وتخطي القانون، والنتيجة المؤسفة لعدم كفاية الأدلة أو لشدة حذره وهو يرتكب جريمته الكاملة، وكثيراً مايقع اللامبالي لقلة خبرته والمتطرف لتهوره. ولن يجئ الإنقاذ بالوعظ، ولا حتى بالمناقشة الحرة وإن لم تخل من فوائد، ولكن أولاً وقبل كل شئ بالقضاء على الفساد والمفسدين وبالقدوة الحسنة. فعلى الذين ينفقون نصف هذا الجهد والمال في الرقابة اليقظة الساهرة على الإدارة وقنوات العمل في المصالح والطريق ومطاردة المستغلين والشرهين والعابثين بالاقوات. عليهم أن يطهروا الحياة من الشوائب التي تشوه وجهها وتقبح سمعتها لترجع الثقة إلى النفوس وتعود الروح إلى القلوب، وليحظى العمل المبذول في التنمية الشاملة بالتصديق الذي يستحقه والتأييد الذي يستاهله، لكي نصبح بنعمة الطهارة والاخلاص والجدية إخوانا متعاونين ويداً واحدة أمام تحديات فرضت علينا في ليل الجهل والعسف والغرور ولامحيص عن أن يكفر عنها البرئ بدلاً من المجرم، إذ لابديل عن أن تمضي بالسفينة إلى مرفأ الأمان والسلام»[1].

1. نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1986/8/7.

فتح الطريق المسدود :

«يحدثونك عن الإرهاب فيربطون بينه وبين أشياء كثيرة، مثل الفتاوى الخاطئة، والأزمة الاقتصادية، والفراغ السياسي، والحكم الشمولي، والاستهانة بحقوق الإنسان، والإرهاب يمكن أن يكون ثمرة مرة لجميع تلك الظاهرات مجتمعة، أو لإحداها، تبعاً للظروف والأحوال.

غير أنهم ينسون ظاهرة أخرى لا تقل عن أى من تلك الظاهرات عاقبة - إن لم تزد - ألا وهى انسداد القنوات الشرعية الموصلة للسلطة، وما ينتج عن ذلك من إحباط، وضيق لجيل صاعد يتطلع إلى حقوقه فى الحياة، ومن بينها - وربما فى مقدمتها - حتى تبوء السلطة.

الحق أن كل جيل جديد يتطلع إلى السلطة أو الحكم، باعتبار ذلك سبيله إلى تحقيق ذاته الفردية، وحلمه الجماعى لتغيير المجتمع، من حق كل جيل جديد أن يتطلع إلى ذلك، بل إن واجبه وانتماءه وطموحه يملى عليه أن يتطلع إلى ذلك، ويعمل على تحقيقه بكل وسيلة مشروعة، فإذا بدا الطريق أطول مما يجب أو طال بطريقة مفتعلة أو سد تماماً فلا أمل فى منفذ، أصبح اللجوء إلى العنف مما قد يرد على بعض الخواطر.

وقد عاصرت الحياة قبل ثورة يوليو، وأشهد أنه لو كان الدستور قد احترم وعرف كل هيئة حدودها فربما كتب لتاريخنا أن يكون غير ما كان.. كان من المحتوم أن تفقد الأحزاب القديمة شعبيتها، وتحل محلها أحزاب شابة مبشرة بالتغيير الاجتماعى، أو فى تقديرى أن أجيال الشباب يميناً، ويساراً كانت سترث الأغلبية فى انتخابات 1950، وتمضى فى تطبيق ما طبقته ثورة يوليو فى جو من الحرية والديمقراطية، كان خليقاً أن يجنبنا كثيراً من الأخطاء القاتلة.

فلننظر إلى واقعنا على ضوء ماضينا من ناحية، والتسليم بالحقائق البشرية من ناحية أخرى، فنجعل لنا طريقاً ممهداً للسلطة، خالياً من العقبات المفتعلة والرواسب الشمولية.

من أجل ذلك أقول : إن الحل الأمثل هو الديمقراطية، واحترام حقوق الإنسان»[1].

1 - فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص143-144، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام 1992/8/6.

كيف نتصدى للإرهاب؟

«الإرهاب مشكلة تتفاقم يوماً بعد يوم، وتمتد عواقبه إلى مجالات كثيرة، فأصبح يهدد الأمن والاقتصاد والوحدة الوطنية، طبيعى أن ينشغل كل مواطن بعلاجه والتخلص منه، فلا يمكن أن نتجاهله، إذ لا استقرار نفسياً مع تجاهله.

هو فى أصله فكر متطرف، وجد فى التاريخ الإسلامى منذ نشأته. والفكر المتطرف فى ذاته ليس مشكلة، فما من رأى أو مذهب إلا وفيه الاعتدال والتطرف، وأذكر أنه على طول حياتى لم يخل المجتمع من آراء متطرفة ذات اليمين وذات اليسار.

ولكن التطرف قد ينحرف إلى العنف فيصير إرهاباً. كيف ومتى ينحرف التطرف إلى الإرهاب؟ أرجو - بادئ ذى بدء - ألا يتجه تفكيرك إلى دولة خارجية أو أكثر، فالإرهاب كظاهرة لا تستطيع أى دولة خارجية أن تخلقه، وغاية ما تستطيعه الدولة الخارجية هو أن تستغل وجوده فتمده بما يحتاج إليه من مال أو سلاح خدمة لأغراضها. وإذن فعلينا أن نبحث عن أسباب الإرهاب فى الداخل قبل كل شئ. فكيف ومتى ينحرف التطرف إلى الإرهاب؟

هناك أسباب كثيرة قد يتعاون بعضها على خلقه، ويكون أثرها أشد إذا اجتمعت معاً منها الأزمة الاقتصادية وما تحدثه من إحباط وبطالة ويأس، ومنها الفساد وما يعقبه من استفزاز وغضب والقضاء على الثقة فى المسئولين والقانون، ومنها استحالة التغيير بالطرق المشروعة وانسداد القنوات الشرعية إلى السلطة، ومنها ما يتعلق بالمعركة بين المتطرفين ورجال الأمن، وما تسفر عنه أحياناً من عدم احترام لحقوق الإنسان، الأمر الذى يدعو للحقد والثأر.

ومن عرض الأسباب تتضح لنا سبل العلاج، وهى إن أتبعت بأمانة قضى على الإرهاب وأصبح جريمة فردية بعد أن كان ظاهرة اجتماعية.

ولا ينكر منصف ما تبذله الحكومة فى الإصلاح الاقتصادى، ولا فى الدفاع الأمنى وهى تقاوم الفساد، ولكن جهدها فى ذلك دون المطلوب، كما أنها لم تُعْنَ كما ينبغى لها بالإصلاح السياسى الذى يغطى بقية الأسباب.

وأعلموا يا سادة أن الإرهاب لا يصير ظاهرة إلا إذا أصبح المجتمع فى أشد حاجة إلى علاج، وكان العلاج فى أشد حاجة إلى الشجاعة والتضحية»[1].

---

1 - فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص151-152، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام 1992/12/7.

انحصار الإرهاب :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ أصدرت أخيراً منظمة حقوق الإنسان المصرية - غير الحكومية - تقريراً يشير إلى أن أحداث العنف والارهاب التى ترتكبها الجماعات الدينية قد انخفضت إلى النصف فى العام الأخير، فما هى فى تصورك أسباب ذلك؟

قال الأستاذ : الأسباب ثلاثة.. أولاً : ينبغى التأكيد على أن - الإجراءات الأمنية قد نشطت وتطورت بشكل كبير فى الفترة الأخيرة وهذا وضع سليم فنحن بصدد اتجاه له جانبه الإجرامى الذى ينبغى مواجهته بالأمن الذى أعتقد أنه يقوم بواجبه الآن كما يجب.

ثم يضيف : أن أصدقائى الذين زاروا الصعيد يقولون أنه قد أصبح هناك وجود ملحوظ للأمن فى كل مكان، وهذا يشكل بلاشك نوعاً من الردع الذى يحول دون وقوع الجريمة ويستطيع ملاحقتها بسرعة إذا وقعت.

ومن ناحية أخرى فأنا لا أستبعد أن يكون للاهتمام الرسمى الأخير بتنمية الصعيد دخل فى هذا الانحصار، فلاشك أن أحد جوانب ظاهرة التطرف هو اقتصادى، صحيح أن مشروعات التنمية فى الجنوب أمامها بضع سنوات قبل أن تؤتى ثمارها، لكن مجرد الشروع فى التنمية أنما يبعث أملاً جديداً فى نفوس أجيال الشباب الذين يتطلعون لتحقيق أمالهم فى الحياة الحرة الكريمة، وإن إغلاق هذا الباب فى وجوههم هو أحد أسباب رفضهم للمجتمع واتجاههم إلى التطرف والإرهاب.

السبب الثالث قد يكون أن الناس تعى ما يجرى حولنا سواء فى الجزائر فى الغرب أو فى إيران فى الشرق، فالجزائر الدامية تقدم لنا كل يوم رؤية مؤلمة لما يمكن أن يصل إليه الوضع إذا ما تمادينا فى هذا الاتجاه المتطرف الأعمى، وعمليات القتل الجماعى التى تجرى هناك كل يوم هى من أبغض الأشياء إلى قلب وروح المواطن المصرى.

أما فى الشرق فقد وجدنا أن إيران بعد سنوات من التمادى فى اتجاهها الدينى المتطرف قد أضطرت فى النهاية إلى الاعتدال نزولا على رغبة الجماهير، كما أثبتت نتائج الانتخابات التى جرت هناك فى الشهر الماضى»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1997/7/3.

المواجهة الفكرية :

«.. ويواصل الأستاذ نجيب محفوظ حديثه عن انحصار ظاهرة الارهاب فيقول : إن مواجهة ظاهرة التطرف والارهاب يجب أن تتم على ثلاثة مستويات أولها الأمن وثانيها التنمية وسبق أن تحدثت عنهما وقلت إن هناك تقدما ملحوظاً فى كل منهما حيث أصبح جهاز الأمن يقوم بمهامه على خير ما يرام وبدأ فى الوقت نفسه الاهتمام بتنفيذ برامج لتنمية الصعيد.

أما المستوى الثالث لمواجهة الظاهرة وهو مستوى خطير فهو المستوى الفكرى، فمن الخطأ أن نتحدث عن ظاهرة الارهاب وكأنها ظاهرة إجرامية بحتة، إن للظاهرة جانباً إجرامياً بلا شك لكنها فى الوقت نفسه تستند إلى أصول فكرية قد تكون خاطئة أو واهية أو مريضة لكنها قائمة ومالم نواجهها فكرياً فإن معالجتنا لظاهرة التطرف لن تكون كاملة.

وأسأل: وهل ترى أن المواجهة الفكرية للظاهرة تواكب المواجهة الأمنية والتنموية؟

فيقول على الفور : لا إن هناك بلا شك الكثير من الكتاب الذين تعرضوا لهذه الظاهرة بالكتابة فى الصحف والمجلات، لكننا يجب أن نعى أن الجزء الأكبر من الشباب المتطرفين لا يقرأونه أصلاً ويكفى العودة للمقابلات التى جرت مع بعض من قبض عليهم فى هذه العمليات للاطلاع على ضحالة مستواهم التعليمى والثقافى وتلك حقيقة فهمها جيداً الاتجاه المتطرف ولذلك قرر منذ البداية النزول إلى هؤلاء الناس فى مواقعهم الطبيعية فى القرى والمساجد والمدارس بكتابة المقالات فى الصحف، وأنا أعتقد أن على المثقفين الآن أن يفعلوا نفس الشئ، كما أعتقد أن على التليفزيون أيضاً مسئولية كبيرة وخطيرة فى هذا الصدد»[1].

تبرعات رأس المال :

«سألت الاستاذ نجيب محفوظ عن دور رأس المال الخاص فى دعم وتمويل العمل العام بمناسبة تلك التبرعات الفلكية، التى نسمع عنها فى الخارج والتى كان آخرها تبرع تد

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1997/7/17.

تيرنر صاحب محطة الـ«سى. إن إن» الأمريكية بأكبر مبلغ تم التبرع به فى التاريخ وهو مليار دولار وهبها للأنشطة الإنسانية للامم المتحدة على مدى السنوات العشر القادمة.

فقال: إن التبرع للناس هو من السمات المتأصلة فى مجتمعنا منذ قديم الزمن لدرجة أن أنشئت لذلك وزارة خاصة من بين وزارات الدولة هى وزارة الأوقاف والتى كانت فى الماضى من الوزارات المهمة، فإن هذه الوزارة التى عملت بها فى بداية حياتى أنما تقوم على الأموال التى أوقفها أصحابها لمساعدة المحتاجين وقد قامت بدور إنسانى واجتماعى كبير فى هذا الصدد لدرجة أن أصبحت أموالها مطمعاً للبعض، وأذكر أننى حين كنت أعمل سكرتيراً بالوزارة للمرحوم على عبدالرازق باشا وزير الأوقاف الأسبق أن كان هناك وقف هو عبارة عن ضيعة شاسعة تزيد على الـ20 ألف فدان وتقع بعد القناطر الخيرية وقد طمع جلالة الملك نفسه فى إيرادها، فطلب أن تؤول إليه إدارتها باعتباره الولى على الجميع، لكن عبدالرازق باشا طلب من مندوب السراى الانتظار حتى العام القادم إذ أن الميزانية الحالية تم إعدادها متضمنة ايراد هذا الوقف فما كان من الملك إلا أنه أصدر أمراً بضم الوقف على الفور، وحين توفيت زوجة على عبدالرازق لم يرسل له الملك أية تعازى كما كانت العادة، ولقد اعتبر الوزير ذلك إهانة له وعزم على الاستقالة، لكن رئيس الوزراء النقراشى باشا تدخل وأقنعه بالعدول عن ذلك حتى لاتسقط الوزارة.

إذن فإن مسألة أن لرأس المال الخاص دوراً اجتماعياً فهذا مفروغ منه وقد تم تحويله إلى نظام اساسى فى الدولة، لكن هذا الدور من خلال الأوقاف ينصب أساساً على الجانب الإنسانى، أما فى المجتمع الحديث فإن دور رأس المال الخاص يتطرق إلى مجال الانشطة العلمية والثقافية والتعليمية ولذلك حديث آخر»[1].

الدور الاجتماعى لرأس المال:

«ويواصل الاستاذ نجيب محفوظ حديثه عن دور رأس المال الخاص فى العمل العام فيقول:

فى مجتمعنا الحديث فإن دور رأس المال الخاص يزيد كثيراً على مجرد مساعدة

1ـ حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، العدد 40519، يوم 1997/11/13.

المحتاجين ليصبح مورداً أساسياً من موارد عملية التنمية الشاملة للمجتمع خاصة إذا كنا قد اخترنا طريق الاقتصاد الحر الذى لا تحتكر الحكومة فيه كل الأنشطة، فى هذا الاطار فإن على رأس المال الخاص أن يعاون فى تمويل البحث العلمى مثلاً وفى انعاش الانشطة الفنية والثقافية إلى جانب الرعاية الصحية مثل إقامة المستشفيات وخلافه.

ثم يضيف : إن علينا أن نتذكر أن رأس المال الخاص فى مصر مهما بلغ من ثراء فهو يعتبر نسبياً حديث العهد ولا يمكن مقارنته برأس المال الأمريكى أو الأوروبى لذلك فهو أقل إقداما على مثل هذه الأعمال المهمة التى تؤكد الدور الاجتماعى لرأس المال والسبب فى ذلك هو أن رأس المال الخاص كان إلى عهد قريب لا يثق كثيراً فى مستقبل الوضع الاقتصادى ومن لا يشعر بالاطمئنان يميل إلى اكتناز المال وليس إلى التبرع به، أما السبب الثانى فهو أن الكثير من أصحاب رأس المال الجديد من حديثى العهد بالمال، لذلك فليس لديهم تصور بأن دورهم الاجتماعى على درجة كبيرة من الاهمية وهو دور لا نقاش فيه فى الانظمة الرأسمالية التى تأصلت على مدى عشرات السنين، أما عندنا فإن بعض من يقدمون علىّ التبرع يفعلون ذلك بدافع الشفقة على بعض المحتاجين وليس عن اقتناع بدور رأس المال فى تنمية مختلف جوانب المجتمع.

ثم يختتم حديثه قائلاً : لكننى أعتقد أن رأس المال عندنا صار له حوالى ربع قرن الآن فى الساحة، وقد آن الآوان أن يتأصل دوره الاجتماعى بما يتفق مع حجمه المتزايد، وعلى كل مؤسسة مالية أن تضع فى ميزانيتها بنداً ثابتاً للمصلحة العامة يتم الإنفاق منه فى أوجه النشاط الاجتماعى المختلفة»[1].

الدور الإجتماعى

«.. ويواصل الأستاذ حديثه عن القطاع الخاص فيقول: إن القطاع الخاص الحقيقى حين يصل إلى مرحلة النضج فهو يصبح عوناً كبيراً على الرعاية الاجتماعية أيضاً والثقافية، ففى الدول التى وصل فيها القطاع الخاص إلى أعلى مراحل تطوره نجد هناك مراكز أبحاث تقيمها كبريات الشركات للتوصل إلى أحدث الاكتشافات ونجد أيضاً مراكز تعليم وتدريب يتخرج فيها جيل مدرب على الاحتياجات الفعلية للسوق، فهو لا

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، العدد، 40526، يوم 1997/11/20.

يدرس لسنوات أشياء لا يعرف بعد ذلك ماذا يفعل بها حين يبدأ حياته العملية، كذلك فإن القطاع الخاص الذى يحقق أرباحاً طائلة من مشاريعه يجد لزاماً عليه أن ينفق بعض هذه الأموال فى أعمال الخير وفى رعاية الفنون والآداب، وهذا ما ينبغى أن نؤكد عليه ونلح إلى أن يصل القطاع الخاص عندنا إلى هذه المرحلة من الوعى بدوره الاجتماعى، فنحن لم يعد لدينا فى هذا العصر اختيار ما بين نظام اقتصادى وآخر لأن العالم كله أسقط الاشتراكية واتجه بكامله إلى الاقتصاد الحر الذى يقوم على مركزية القطاع الخاص، لكن ما نملك أن نفعله هو أن نرشد هذا القطاع الخاص بحيث نستفيد منه فى التنمية الاقتصادية وكذلك فى التنمية البشرية اجتماعية كانت أو ثقافية، والأمل فى رجال القطاع الخاص الجدد كبير كى يعرفوا أن عليهم مسئولية عظيمة فى الجانب الإنسانى والاجتماعى والثقافى للبلاد، وعليهم أن يعرفوا أن وراءهم تقليدا عريقاً فى هذا الشأن يرجع إلى النصف الأول من هذا القرن حين كان لرأس المال الخاص دور مشهود فى هذه الجوانب وليس فقط فى الإثراء السريع»[1].

نجيب محفوظ بالقلم واللسان..حول الظواهر الإجرامية المحلية .. وكيف العلاج؟

أسرة الأرهاب:

«لعل أبسط تعريف للإرهاب هو استعمال القوة غير المشروعة فى سبيل الوصول إلى غاية ما - إن صح هذا التعريف - فليس الإرهاب المعروف هو الإرهاب الوحيد الذى يمارس فى المجتمع، كل ما يتحقق بالقوة لا بالقانون أو الشرعية هو نوع من الإرهاب. والقوة لا تعنى الرصاص والقنابل فحسب، فهناك أيضاً قوة النفوذ، والقرابة، والحزب، والأسرة، والطائفة، والدين، فيمكن القول بأن أية قوة تستعمل لخرق الشرعية أو تخطى القانون هى إرهاب، ويجب أن نعتبرها كذلك، وأن نضعها فى كفة واحدة مع الإرهاب الذى نطارده صباح مساء.

فالوصول إلى السلطة قد يكون نتيجة جهاد مشروع، أو ثمرة لعنف إرهابى. وشغل الوظائف العامة قد يكون بحسب المجموع أو من خلال امتحان نزيه، وقد يعتمد على قوة النفوذ والواسطة، أى على الإرهاب، والصفقات التجارية قد تعتمد على قوانين

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1999/11/18.

السـوق، وقـد يتحكم فيها النفوذ والرشوة، وغير ذلك من وسائل الإرهاب الاقتصادى. وعلى هذا النحو تجرى الخدمات، فانظر إلى ما يقع فى الطريق والمستشفى والمواصلات والمصالح الحكومية، هل تتم المعاملة وفقاً لنظام ثابت شامل لا يفرق بين شخص وآخر. أم أنه يفتح ذراعيه بحرارة الترحاب لأناس ويصب على الآخرين عذاب المعاناة بغير حساب؟

بعد هذا التمهيد فإننى أدعو كل قارئ لتأمل ما يحدث فى مجتمعنا، وليحكم بنفسه أهو مجتمع قانونى شرعى أم مجتمع إرهابى؟

وأظنك تتفق معى على أن أولى درجات الحضارة أن يتحول المجتمع من مجتمع يقوم على الغريزة والقوة إلى مجتمع يحيا فى ظل القانون والشرعية ليحقق الحرية والعدل»[1].

العنف:

«العنف كاد يصبح ظاهرة فى حياتنا.. أجل، لا يخلو عصر أو مجتمع من عنف، ولكنه لم يكن ظاهرة تتكرر مع توالى الليل والنهار. وأنباء العنف لا تنقطع، نسمع عنها فى مجال السياسة فى حكايات اغتيالات دامية، وفى مجال الأسرة نسمع عن قتل الأبناء للآباء أو الآباء للأبناء، وفى الشارع فى المشاجرات الدامية لأسباب تستحق أو لا تستحق، وخطف الزوجات، والاعتداء على الأعراض، والسرقات بالإكراه، وفى وسائل النقل، حيث يمارس القتل علناً وفى وسط الزحام، وطبعاً نذكر ما يقع فى المدارس بين التلاميذ والمربين، وما يحدث بين الأزواج.

حقاً لم يعد العنف استثناءً، ولكنه ظاهرة، بل يوشك أن تمر أخباره بدون إثارة تذكر، وكأنها لازمة من لوازم الحياة اليومية، ولم يكن الزلزال إلا مشاركة من الأرض وقواها الخفية فى مسلسل العنف ومعاركه. ونحاول أن نجد تعليلاً للظاهرة، فنحصى ما تزخر به حياتنا من سلبيات، مثل عنف السلطة فى المعاملة، والأزمة الاقتصادية، وسوء الخدمات، والبطالة، وانسداد الطرق أمام الشباب، وعدم إحترام حقوق الإنسان. والحق أنه لا يمكن إلا أن يكون لتلك العوامل أثرها فى خلق ظاهرة العنف، ولكن العنف يطالعنا

1 - فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص185-186، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام 1994/7/14.

بعد ذلك في أوطان هي المثل في الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان والتوازن الاقتصادى والحضارى، مما يجعل من العنف ظاهرة عالمية، ويزيد تعليله صعوبة وغموضاً.

ولكن يبدو أن الحقائق نسبية، وأن نظرتنا إلى المجتمعات الراقية تختلف عن نظرة أهلها لها، فهناك أيضاً توجد سلبيات، وإن كنا لا نتصورها كذلك، وها هي ذى الإحصاءات تحدثنا عن أكثر من ثلاثين مليوناً من البشر يعيشون تحت مستوى الفقر في الولايات المتحدة، أغنى بلاد العالم، وملايين من مرضى الأعصاب والقلق وضحايا المخدرات، وإضافة إلى ذلك فإن إحساس شعوب الأمم المتحضرة بنقصها أشد من شعورنا بنقصنا، واحتجاجهم عليه أشد كذلك.

خلاصه القول: إن سلبياتنا تصلح تفسيراً للعنف في حياتنا، وإن هدفنا الأول في الحياة يجب أن يكون في القضاء عليها، وهو هدف واجب أيضاً بصرف النظر عن علاقته بالعنف، بل لعل العنف يكون من دوافع النهضة، باعتباره ردَّ فعلٍ وتحذيراً وتحريضاً دائماً على الإصلاح»[1].

المزاج والعنف:

«لمناسبة حوادث «أبو حماد» المؤسفه قال المحافظ المسئول: العنف مزاج عام، وعلينا كأجهزة مسئولة أن نبحث له عن علاج.

لكن ما الذى جعل العنف مزاجاً عاماً لشعب عرف على مدى التاريخ بالوداعة والصبر؟

الحق أن الأسباب كثيرة، ولا تغيب عن ذاكرة أحد فقد حفل تاريخه المعاصر بالاستبداد، والإرهاب، والفساد، والهزائم، والغلاء، والبطالة، وانسداد الطرق أمام الشباب، والظلم، والمحسوبية، وسوء الخدمات، واضطراب الإدارة، وعدم احترام حقوق الإنسان، والتطرف والتهديد، لا من المواطنين وحدهم، وربما وجدت تفاصيل تزيد الصورة قبحاً وبشاعة.

1 - فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص139-140، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام 1992/3/19.

وهناك سبب آخر، وهو أن المصريين في معاناتهم التاريخية التي تلقوها على أيدى حكام أجانب أو شبه أجانب لم يرجوا لديهم خيراً، ولاشك أنهم أملوا – بعد أن آل الأمر إلى أبنائهم – أن تتغير المعاملة، وأن يجد المصرى في دواوين الحكومة ومستشفياتها ومدارسها وسجونها مالم يكن يحلم به من قبل.

هذه هي الأسباب التي أفقدتنا الصبر ودفعتنا إلى العنف. ولعل السيد المحافظ قد أدرك الآن أن مهمة العلاج أخطر من أن يقوم بها سيادته أو أجهزته، إنها تحتاج إلى علاج شامل وخطة متكاملة وتنمية جامعة مانعة، وهذا ما تقوم به الدولة وتركز عليه في عهدها الأخير خاصة، ولكنه يحتاج إلى زمن، وإلى صبر، وإلى عمل، وإلى جهد، فلندع ما للدولة للدولة، ولنفكر قليلاً فيما ينشب بين الشرطة والجمهور، مما يوشك أن يصير ظاهرة لا حادثة عابرة.

والعلاج واضح، وهو «أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به»، ولكنه يحتاج إلى مجاهدة للنفس، وإخلاص للمجتمع، ووطنية صادقة. يجب أن تقوم العلاقة بين الشرطة والجمهور على الثقة والاحترام في ظل احترام حقوق الإنسان، يجب أن تذكر الشرطة أن واجبها الأول هو أن تكون في خدمة الشعب حقاً وصدقاً. إننا نعرف تماماً ما الشرطة، وما واجباتها، وما تضحياتها، وما خطورتها في حماية المجتمع وتكريس القيم والمبادئ.

لذلك لا نريد أن نسمع عن فرد تساء معاملته في قسم شرطة، فضلاً عن أن يقتل فيه، لا نريد أن يصدق الناس شائعة كاذبة عن حادث وقع في قسم، إن خدماتكم تملأ السجلات فلا تفسدوها بغضبة عارضة، أو كبرياء في غير موضعها»[1].

السياحة بين الدين والسياسة:

«يمكن تفسير ضرب السياحة بدافعين قد يصلان معاً متعاونين، وقد يعمل أحدهما دون الآخر، أول الدافعين: تصور دينى متطرف. وثاني الدافعين: رغبة سياسية جامحة تستهدف إحراج الحكومة، ولو خرب في سبيل ذلك الاقتصاد القومي. ونناقش الدافع الديني فنقول:

1 ـ فتحي العشرى: المرجع السابق ذكره، ص147-148، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام 1992/10/15.

إن مفكرين إسلاميين كبيرين، هما المفتى والأستاذ الغزالى، قد أغنيانا عن ذلك، وخير الكلام ما صدر عن أهل الاختصاص فيه، فمن موقعيهما المميزين قرر أن السياحة حلال، وأن حياة السائح وماله فى ذمة المسلم.

ولا بأس من أن أضيف إلى ذلك الرأى الشرعى الحاسم تصورى للموضوع من الناحية الإنسانية العامة، فأقول : إن السياح قوم يزورون بلادنا باختيارهم، وبرغبة صادقة، فزيارتهم دليل على حبهم لبلادنا يستحقون عليه الشكر، وأنهم ينفقون فى بلادنا أموالاً طائلة ننتفع بها فى دعم نهوضنا وتقدمنا، مما يستحقون الشكر عليه أيضاً.

قد يعترض البعض على تقاليد السائحين مما لا يتفق مع تقاليدنا أو يتنافر مع أذواقنا، ولكن هل نخلو نحن من مثل تلك السلبيات؟ إن بلادنا حتى قبل أن تصبح سياحية لم تخل من الخمر والسكارى والمقامرين والمستهترين والداعرين، وهيهات أن يخلو مجتمع من بعض الانحرافات التى تقل أو تكثر تبعاً للأحوال والظروف.

بل أقول أكثر من ذلك : إن لدينا من السلبيات مالم يسمع السياح عن مثله، أو ما يندر وجوده فى بلادهم. فكثير من بلادهم لا تعرف الرشوة أو لا تكاد تعرفها، ولا تعرف الإهمال والتسيب، ولا تعرف الغش فى البناء الذى يعرض مئات الأرواح للهلاك فى أوقات الزلازل وفى غيرها. فمفتى السياح - لو كان لديهم مفتى - هو الذى كان يجب عليه أن يحذرهم من سلبياتنا، ويحثهم على الوقاية منها.

الحق أنه لاتوجد حجة لدى المتربصين بالسياح، لا من الناحية الدينية ولا من ناحية الأخلاق والتقاليد. لم يبق لتبرير الجريمة إلا الرغبة السياسية فى إحراج الحكومة للتخلص منها والاستيلاء على السلطة.

وقد تكون السلطة غاية مشروعة للمواطنين جميعاً على اختلاف مشاربهم، ولكن لا يجوز المساس بحرمة المصالح القومية العامة من أجل الوصول إلى تلك الغاية، يجب أن نكون فى صراعنا السياسى ديمقراطيين لا إرهابيين»[1].

١ - فتحى العشرى: المرجع السابق ذكره، ص149-150، وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1992/12/10.

الوحدة الوطنية :

«وتهيم نظرات الأستاذ وهو يعود بذاكرته إلي الوراء ليقول :

إن الجيل الذى انتمى إليه نشأ دون ذرة تعصب ، لم يكن هناك قبطى ومسلم ، بل كنا جميعاً مصريين ، وكان هذا هو الشعور السائد على جميع المستويات ، حتى أن الوزارة التي لم يكن عدد وزرائها آنذاك يزيد كثيراً على أصابع اليدين ، كان بها وزيران مثلاً من الأقباط ، والجميل أن ذلك كان يتم بشكل تلقائي ودون أن يكون مقصوداً ، ولمدة طويلة كان رئيس مجلس النواب قبطياً وهو ويصاً واصف باشا محطم السلاسل والذى حطم السلاسل التي أقفلت بها أبواب البرلمان بعد أن قرر صدقي باشا رئيس الوزراء إغلاقها في وجه النواب ، وقد كان ويصاً واصف بطلاً قومياً في ذلك الوقت .

ثم يضيف : لقد كنت تجد في الانتخابات أن داعية إسلامياً كبيراً يمكن أن يفوز في دائرة قبطية ، وأذكر أن إبراهيم باشا فرج حكى لى أن الوفد رشح أحد الأقباط فى دائرة بالوجه البحرى ، فطلب المرشح من النحاس باشا زعيم الحزب أن ينقله إلى دائرة أخرى ، يكون بها تعداد قبطى كبير حتى تكون فرصته أفضل ، لكن النحاس قال له إنه رشحه لهذه الدائرة عن عمد «لأننا نربى الناس سياسياً وهذا أهم من الفوز في الانتخابات» ، ولقد خاض المرشح الانتخابات ونجح فيها رغم أن الدائرة لم تكن دائرة قبطية .

ثم يقول الأستاذ : لقد نشأت لا أعرف الفرق بين المسلم والمسيحى ، وحتى سن متأخرة لم أكن أعرف من من أصدقائي المسلم ومن المسيحى ، وفي بعض الأحيان كنت أكتشف دين أحد أفراد شلتنا حين يتوفى له قريب ، فنذهب إلى الكنيسة لتقديم العزاء ، وأذكر أن العادات في الوفاة كانت متقاربة ، فقد كان الأقباط المتوفون تسير لهم الجنازات ، والبعض كان يقيم سرادقاً أيضاً مثل المسلمين ، بل إني كنت أجد في بعض ما يقوله القس في القداس المقام على روح المتوفى ماهو مأخوذ عن القرآن كأن يقول أن الموت حق على الجميع «ولو كنتم في بروج مشيدة» .

لذلك فإن جيلنا هو أكثر من يتألم مما يقال في بعض الأحيان عن التعصب الذى هو دخيل على مجتمعنا المصرى ، وأى شئ يمس الأخوة الأقباط هو بالنسبة لنا من الكبائر التى لاتغتفر»[1] .

---

1. حوارات نجيب محفوظ ، الأهرام ، يوم 1996/3/21 .

ثم عاد وقال الأستاذ نجيب محفوظ في عام 2001 عن الوحدة الوطنية مايلي :-

الوحدة الوطنية :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : ربما كان أكثر من جسد الوحدة الوطنية هو حزب الوفد ذلك أن الوفد كان تجسيداً لروح الأمة، وتعبيراً صادقاً عما يعتمل في وجدان الناس، ومن هنا كانت شعبيته.. لذلك كان يجب أن يجئ الوفد معبراً عن الوحدة الوطنية بشكل لا لبس فيه، لأن هذه الوحدة متأصلة في الشعب المصرى منذ وجد شئ اسمه مسلمون وأقباط، ولقد كان أعداء الوفد من أحزاب الأقلية يطلقون عليه حزب الأقباط، لكن ذلك كان في مرحلة متأخرة وبعد رحيل سعد زغلول بسنوات، فكلما عاد الوفد إلى الحكم كانت تخرج علينا جريدة «الكشكول» بعنوان: عودة الحكم القبطى!.. وكان ذلك بالنسبة لنا أشبه بالفكاهات التى كنا نضحك لها، فأنا أنتمى لجيل نشأ على الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط، ولم نعرف أن تعاير طائفة في المجتمع طائفة أخرى بانحرافات بعض أتباعها، لأن الانحراف يمسنا جميعاً كمصريين سواء كنا أقباطا أو مسلمين، وهذا شئ تلقائي وطبيعي، فأحد لم يعلمنى الوحدة الوطنية في الصغر، لأنى نشأت فوجدت هذه الوحدة حقيقة من حقائق الحياة في مصر.

ثم يبتسم الأستاذ ويقول : وقد لا يعرف البعض أننى شخصياً أعتبر أحد الأمثلة الحية على الوحدة الوطنية.. فقد سميت على اسم طبيب التوليد القبطى الكبير نجيب محفوظ باشا.. ولذلك حكاية، ففي بداية القرن العشرين كانت الداية هي التى تشرف على الولادة، ولم يكن يستدعى الطبيب إلا في الحالات المتعثرة، وكانت الولادة تتم دائماً بالمنزل وليس بالمستشفى، ولما كانت ولادتى متعثرة جداً، فقد تم استدعاء طبيب قبطى شاب كانت له سمعة جيدة، فأشرف على الولادة بسلام، فقرر والدى أن يطلق اسم الطبيب القبطى على ابنه المسلم، وأذكر أن صديقى الكاتب ثروت أباظة قد أخذنى بعد ذلك بسنوات طويلة للقاء الدكتور محفوظ فقدمنى له قائلاً : هذا أحد مواليدك ياباشا»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2001/6/28م.

الأقباط :

«اعترض الأستاذ نجيب محفوظ على أن يصدر الكونجرس الأمريكي تقريراً يتحدث فيه عن مشكلة للأقباط فى مصر، قائلاً : إن الاهتمام بحقوق الإنسان لا يجب أن يخضع للأهواء السياسية، وإلا فلماذا لم يتحدث نفس التقرير عن مشكلة الفلسطينيين الذين يحملون الجنسية الإسرائيلية والكثير منهم مسيحيون مثل الأقباط تماماً، وهم موضع اضطهاد لا يخفى على أحد، فلماذا لم يتحدث الكونجرس عن حقوق الإنسان فى هذه الحالة؟

ثم يضيف : ومع ذلك فدعنى أقول إن ذلك لا يمنع من أن نعيد النظر فى الأمور عندنا ونبحث بأنفسنا ودون حاجة إلى أية جهة أجنبية إن كان هناك سبب للشكوى على المستوى الشعبى والحكومى وكيف يكون العلاج، ويجب فى هذه الحالة أن يكون علاجنا نحن سابقاً على أى تدخل أجنبى، فلا يكفي أن نقول إن مشاكلنا الداخلية ليس من حق أحد أن يتدخل فيها، ولكن يجب أن تكون لدينا أيضاً الشجاعة لكى نواجه هذه المشاكل بالعلاج السليم، والشجاعة هنا مطلوبة من الفريقين، ويجب أن يكون النموذج الذى نحتذى به هو ما كان سائداً فى فترة ثورة 1919 حين لم نكن نعرف من هو المسلم ومن هو المسيحى، فقد كنا جميعاً مصريين نحارب معركة واحدة فى مواجهة عدو واحد من أجل حرية وطن واحد، وكثيراً ما يقال إنه فى هذه الفترة كان هناك توحد كامل بين عنصرى الأمة من أقباط ومسلمين، لكن الحقيقة أن مصر ليس بها عنصران فنحن عنصر واحد، نحن جميعاً من نسل الأقباط لكن بعضنا دخل الدين الإسلامى، والبعض ظل على دينه المسيحى، وكثيراً ما كان يتزاوج هؤلاء من هؤلاء، وكنا فى جيلى نسمى أنفسنا جميعاً أقباطاً وطناً ومسلمين أو مسيحيين ديناً»[1].

كنيسة أبو قرقاص:

«قال الأستاذ نجيب محفوظ تألمت ألماً شديداً للهجوم الذى وقع على كنيسة مارجرجس بأبو قرقاص والذى ألم المصريين ألماً شديداً وكان من الأشياء القليلة التى حدث فيها إجماع فى المشاعر لم يشذ عنه أحد فالهجوم على دار للعبادة مرفوض إسلامياً وأخلاقياً وإنسانياً وعلى جميع المستويات، ولقد أثلج صدرى موقف شيخ الأزهر من هذه المأساة وكذلك ما قيل فى بعض خطب الجمعة بالمساجد فى هذا الموضوع، والذى حاول أن يبرد الجرح الذى أصابنا جميعاً.

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1997/10/2.

لقد اتصلت بعدد من أصدقائي الأقباط أقدم لهم التعازي في هذا المصاب الأليم، فوجدت أنهم يدركون جيداً أبعاد الموقف ويعرفون أن الارهاب لايفرق بين مسلم وقبطي، والحقيقة أن ضحايا العمليات الإرهابية من المسلمين حتى الآن هو أضعاف أعداد الأقباط لأنه متى وجد الإرهاب فإننا جميعاً ضحايا.

ثم يقول : إن هذا العمل المشين دخيل على طبيعة الشعب المصرى وعلينا أن نتخذ منه قوة لتشديد الرابطة التى بين عنصرى الأمة والتى لم تقم لنا نهضة إلا باتحادهما.

ويخفض الأستاذ بصره ويتوقف عن الحديث وكأنه في لحظة حداد ثم يعود ليقول : إن تلك الحوادث غريبة حقاً علينا وإني لا أستبعد أن يكون هناك علاقة بينها وبين زيارة الرئيس القادمة إلى الولايات المتحدة، فقد كان هذا الموضوع قد نسى تماماً وانتهى منذ فترة مسلسل الإعتداء على دور العبادة، كما أن العمليات الإرهابية نفسها كادت تختفي، فلماذا العودة الآن إلى هذه الممارسة القبيحة، ولماذا في هذا التوقيت بالذات؟ هل المقصود هو إثارة بعض الغبار في الجو أثناء الزيارة؟ هل المطلوب وضعنا في موقف دفاعي خلال الزيارة؟ إن ذلك الغبار لن يكون له أى تأثير.

ثم يختتم الأستاذ حديثه قائلاً : إننى أعتقد أن مثل هذه الأعمال مسيئة لمصر ولجميع أبنائها ولن يكون لها تأثير على طبيعة الشعب المصرى الذى كان تاريخه كله خير شاهد على تقديسه للأديان جميعاً»[1].

طائفية حقيقية وطائفية عارضة :

«يندر أن يتميز مجتمع بالتجانس الكامل في جميع النواحي العرقية والدينية، ولكن الاختلاف لا يؤدى دائماً إلى الفتن والمشاكل المزمنة، والطائفية لا تصبح مشكلة حقيقة ونزاعاً أهلياً إلا إذا تعذر السلام واستحال الوفاق، وأنذرت المعاشرة بالعواقب الوخيمة، كالحال بين البيض والزنوج، أو بين الهندوس والمسلمين.

مصر تخلو من الطائفية بهذا المعنى، وهى لم تعرفها في أى عهد من العهود، تعايشت فيها الأجناس والديانات في سلام، وانحرافاتها في ذلك الشأن لا تتجاوز

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1997/2/27.

انحرافات الأقارب فى الأسرة الواحدة، والقرية المصرية خير شاهد على ذلك بما تأوى بين جناحيها من أصول مختلفة وديانات متباينة، وكذلك الحارة ولكن من الحق أن نقول: إن المعاشرة لم تخلُ أحياناً من توترات تشتد أو تخف تبعاً للظروف والأحوال، ويمكن إرجاعها جميعاً إلى أسباب اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية، تفسد الأمور بفسادها وتصلح بصلاحها.

تعال نتقصى الأسباب لنزداد فهما لواقعنا فنزداد قدرة على تقويمه:

قد يجئ التوتر من الدولة نفسها إذا مارست التفرقة بين أبنائها فى الوظائف والمعاملات، وليس التعصب هو الدافع، بدليل أن التفرقة تمارس أيضاً بين المسلمين لحساب أهل القمة. إذن فالعيب يكمن أساساً فى سوء الإدارة والفساد والاستغلال، والصلاح يجئ بالنزاهة والاستقامة والعدل، فيتحقق الاستقرار والطمأنينة للمسلمين والأقباط معاً.

وقد يجئ التوتر من الاستبداد، حين يستأثر فرد أو جماعة قليلة بالسلطة ويحرم الشعب من المشاركة. والحق أن الحرمان يقع على الجميع، ولكن المنتمى إلى الأقلية يظن أنه هو المقصود به، ولا علاج لذلك إلا بالديمقراطية واحترام حقوق الإنسان.

وقد يجئ التوتر من سوء الحال الاقتصادية، والخوف من الفقر، حيث يضيق الإنسان بنفسه وبأسرته وبجيرانه.

وقد يجئ التوتر من خطورة تيارات متطرفة تنادى بالعداوة وتميل إلى العنف، ولكن هذه التيارات تتجاوز حجمها الطبيعي بمن ينضم إليها من الساخطين على الحياة نتيجة للانحراف الإدارى والسياسى والاقتصادى.

إن ما يكدرنا اليوم من توتر طائفى لا علاقة له بالطائفية الحقيقية، إنه توعك عارض نتيجة لحال عامة، ونذير يحث على مضاعفة الجهد لإحداث وثبة إصلاحية. إنها مشكلة حضارة لا مشكلة خصام دينى»[1].

١ - فتحي العشرى: المرجع السابق ذكره، ص113-114. وانظر إشارته إلى وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1990/5/3.

اضطهاد الأقباط :

«وتحدث الأستاذ نجيب محفوظ عن مكانة الأقباط في المجتمع المصرى بمناسبة مايثار بشكل شبه صورى في الولايات المتحدة حول دعوى اضطهادهم والتى وراءها بالطبع جماعة الضغط اليهودية المعادية لمصر فقال :

إني لا أتذكر أبداً منذ بداية وعيي على الحياة أن كان للأقباط أسباب للشكوى من اضطهاد .. تفرقة، فلم يكن هناك فرق بين المصريين مابين مسلم أو مسيحى، وأذكر في المرحلة الليبرالية السابقة على الثورة أن كان الكثير من الوظائف الكبرى في الدولة يشغله الأقباط وفي ذلك الوقت كان أهم شئ تظهر به التفرقة في المعاملة هي الوظائف، فقد كان الحزب يغير ويبدل في الوظائف الكبرى كما يشاء، وفي فترات حكم الوفد بشكل خاص كان بعض معارفي من الأقباط يقولون لى : نحن الآن في العصر الذهبي للمساواة، ذلك أن الاضطهاد الذى كان سائداً أنذاك هو الاضطهاد السياسي وليس الدينى، وكان ضحية ذلك هم المسلمين والمسيحيين معاً، فإن كان الإنسان وفديا كانت تأتي فترات يفرق في المعاملة ضده ويضطهد لانه وفدى، وبصرف النظر عن ديانته فيتم رفتهم وتنحيتهم إلى أن يعود الوفد إلى الحكم مرة أخرى فيعودون، وأذكر على سبيل المثال أنه في هذه الفترة حين لم يكن عدد الوزراء يزيد على 15 وزيراً أن كان هناك وزيران من الأقباط، وأن رئيس مجلس النواب كان قبطياً وأكاد أقول أنه كان هناك تميز للأقباط في ذلك الوقت.

على أنى أريد أن ألفت النظر إلى نقطة مهمة، وهى أنه إذا كان هناك تغير طرأ في هذا الصدد فذلك ليس مرجعه تغير في طبيعة الشعب المصرى وإنما مرجعه هو الإرهاب وأفكاره التى انتشرت في الآونة الأخيرة والتى لاتفرق ضد الأقباط وحدهم، وإنما ضد المسلمين أيضاً ممن لا يسايرون اتجاهاتهم المتطرفة»[1] .

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1998/6/11.

زيارة البابا :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : إن عدد المسيحيين الكاثوليك فى مصر يعتبر ضئيلاً بالمقارنة بعدد الأقباط الأرثوذكس لكن زيارة البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان لمصر لم تكن بسبب رعاياه ممن ينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية وإنما بسبب ما تمثله مصر بالنسبة للدين المسيحى ولكل المسيحيين على اختلاف مللهم، فمصر هى التى احتضنت العائلة المقدسة وحمت الطفل يسوع عليه السلام من بطش هيرودس الرهيب فى فلسطين والذى أمر بقتل كل الأطفال الذكور، ولم تترك العائلة المقدسة مصر إلا بعد أن مات هيرودس ولولا هذه الحماية التى وفرتها مصر وشعبها للعائلة المقدسة طوال ثلاث سنوات كاملة ما كانت هناك اليوم ديانة مسيحية فى العالم، ولذلك فقد وصف بابا الفاتيكان زيارته لمصر بأنها حج كان يتطلع إليه منذ سنين بصفة شخصية ومن قبل أن يصبح بابا فكان أول بابا يقوم بزيارة رسمية لمصر، وقد كنت أتمنى أن يتسع وقته لزيارة بعض الأماكن التى توقفت فيها العائلة المقدسة فى أثناء رحلتها إلى مصر وهى أماكن جميلة أعرفها جيداً وكثيراً مازرتها فى صباى حيث كانت والدتى تأخذنى معها لزيارة الكنائس القديمة والأديرة أسوة بزيارة المساجد والأضرحة.

ويصمت الأستاذ قليلاً ليعود فيقول : إن من أجمل ماشهدته زيارة البابا إلى مصر هو تلك الحفاوة التى قوبل بها من جميع المواطنين أقباطا ومسلمين وغيرهم حتى إن القداس الكبير الذى أقيم بالاستاد لم يكن مقصوراً على المسيحيين وحدهم وإنما حضره الكثير من المسلمين، لقد كان صديقى الراحل إبراهيم باشا فرج يعترض دائماً على الحديث عن «عنصرى» الأمة وكان يقول عن حق - إن المصريين جميعاً عنصر واحد وإن اختلفت دياناتهم، وقد تذكرت هذه المقولة فى أثناء خروج المصريين جميعاً لاستقبال بابا الفاتيكان»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2000/3/2 .

عبدة الشيطان :

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ عن رأيه في تلك الظاهرة التي أطلق عليها اسم عبدة الشيطان فقال : إن هذا موضوع يحيرني حقاً وأعتقد أن ما خفي فيه أعظم مما ظهر وعلينا أن نحلل هذه الظاهرة جيداً لنتبين معالمها بشكل أوضح، ولقد طلبت من الدكتور يحيى الرخاوى أن يكتب في هذا الموضوع وسعدت أنه استجاب لهذا الطلب ونشر مقالاً بالفعل في الاسبوع الماضي، كما طلبت من طبيب صديق يتعامل بالانترنت أن يبحث لنا بين مئات الملفات التي تتحدث عن هذا الموضوع في الانترنت عن أسباب هذه الظاهرة في الخارج وماهي فلسفة من يمارسون هذا الاتجاه عسى أن نستفيد بذلك عندنا.

ولقد كتب في هذا الموضوع حتى الآن الكثيرون لكن كلاً منهم كتب عن نفسه أكثر مما كتب عن هذا الموضوع الذى مازال غامضاً، فمثلاً من يطالب بمشاركة سياسية أكبر أعاد أسباب الظاهرة إلى غياب هذه المشاركة ومن قضيته هي التعليم قال أن أسباب الظاهرة تربوية، بينما الدول التي ظهر فيها هذا الاتجاه لا يمكن أن يقال أنها تفتقر إلى المشاركة السياسية أو أن نظامها التعليمي فاشل.

ثم يضيف الاستاذ : بودى أن أقول شيئاً واحدا وهو أنه حين يظهر مرض ما لا نستطيع التعرف على أسبابه فإن الطب إلى جانب استمرار الفحص المعملى إنما يدعو إلى إتباع الارشادات المتعلقة بالصحة العامة إلى أن يتم التوصل للعلاج الصحيح، مثل النظام الغذائي والرياضة والشمس والهواء النقي والنظافة.. إلخ.

لذلك فإني اقترح في الفترة التي يجرى فيها البحث عن أسباب هذه الظاهرة - إذا كان هناك بحث يجرى - أن نلجأ إلى وسائل الصحة العامة الاجتماعية مادام هذا هو عرضاً اجتماعياً، ووسائل تلك الصحة العامة في رأيي هي أولاً : التربية الدينية والأخلاقية والقومية السليمة، والتي يجب أن يتشبع بها النشء، ثانياً : ملء فراغ الشباب بالرياضة والثقافة والحياة الإجتماعية النشيطة والمشاركة السياسية حتى يكون لدى الشباب مبادئ وعقيدة ولديه مجال حركة وعنده أمل أن يكون له دور في المجتمع وهي متطلبات - مثل الصحة العامة - يجب أن تكون موجودة في حالة وجود عبادة الشيطان أو عدم وجودها»[1].

1- حوارات نجيب محوفظ، الأهرام، 1997/2/20.

البلطجة!

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ بمناسبة ظاهرة البلطجة التي انتشرت في الآونة الأخيرة: لقد صورت شخصية البلطجي في الكثير من رواياتك خاصة في مرحلتك الواقعية، فمن هو البلطجي وماهو أصل البلطجة؟

قال: البلطجي هو الذى يعيش ويتعامل مع الناس ليس بعقله أو خلقه ومبادئه وإنما بقوته، ولذلك فهو لاتردعه إلا القوة التي هي أكبر منه، أما أصل الكلمة فهي من «البلطة» فقد كان الجيش التركي على مايبدو قبل أن يدخل منطقة يرسل من يحملون البلط ليقوموا بتقطيع الأشجار ليمهدوا الطريق للجيش ومن هنا جاءت كلمة «بلطجي».

ثم يقول: وأود أن أشير إلى شئ مهم للغاية وهو أن الدولة معناها في الأساس هو الأمن قبل كل شئ، بل أن الدولة ربما لم توجد في التاريخ ألا لتوفير الأمن، وإذا نظرنا كيف تكونت الحكومة في مصر القديمة فسنجد أن النيل كان يفيض فتبدأ المشاجرات بين السكان فوجدت الدولة لكي تنظم ذلك وحتى توفر الأمان للناس، إذن فأساس فكرة الدولة قائم على الأمن والأمان، لذلك فقد تنازل المصرى القديم عن قدر كبير من حريته ومجهوده في سبيل الأمن حتى تتوافر له مياه الرى وحتى لايحدث بعد أن يزرع أرضه أن يأتي أحدهم لينهبها، إذن فالأمن هو أهم شئ في الدولة وإذا لم يوجد فلاتوجد دولة، ولذلك فأنا مع مواجهة هذه الظاهرة بكل حزم، فليس الإرهاب وحده هوالذى يهدد أمن المواطنين وإنما أيضاً البلطجة، فإذا حدث إطلاق نار في الطريق وأصيب المواطنون الأبرياء فلايعنيني كثيراً إن كان من أطلق النار يلبس جلباباً أو يرتدى البلوجينز، فيجب أن نحافظ على أمن الشارع المصرى»[1].

لا احتفالات هذا العام:

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ: في الأسبوع القادم سيحل عيد ميلادك الـ ٨٦ والذى يحرص محبوك على الاحتفال به كل عام حتى صار يشبه المناسبة الأدبية السنوية، فكيف ستحتفل به هذا العام؟

قال: هذا العام لن أقبل أى نوع من الاحتفال، فأنا على المستوى العائلي لا أحتفل أصلاً بأعياد الميلاد، فلم يتعود جيلي على ذلك، أما على مستوى الأصدقاء فقد اعتذرت

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1997/8/14.

كل من كان يريد الاحتفال لأننا فى ظرف لا يسمح بالاحتفالات، والاحتفال فيه بعيد الميلاد غير مقبول، وهذا بالنسبة لى قرار نهائى، فالشكر لكل من كان يريد الاحتفال وأطال الله فى عمرهم جميعاً إلى أن تسلم البلاد من كل شر يتربص بها.

قلت : لكننا نتمنى لك وللبلاد الخروج من حالة الحزن هذه التى أصابتنا جميعاً بعد مذبحة الأقصر، فكيف يكون السبيل إلى ذلك؟

قال : على المستوى الفردى يكون الخروج من هذه الحالة بالإرادة وبالمحاورة مع النفس ومعرفة كيف نقابل الشدائد، لكن على المستوى الوطنى فإن البلد يجب أن تقابل مثل هذا الحادث المروع بما يضاهيه من العمل والإنتاج، فيجب علينا بعد أن ننتهى من تصحيح الأخطاء التى وقعت من الناحية الأمنية والاطمئنان على سد الثغرات التى كانت قائمة أن نبدأ فى القيام بعمل كبير فى اتجاه التنمية وخاصة فى الصعيد على أن تكون هذه العملية مضاعفة فى حجمها لما حدث صباح ذلك الاثنين الدامى بالدير البحرى، إن الإرهاب إنما يتغذى على مشكلات الفقر والبطالة التى يعانيها أبناء الصعيد فلماذا لا نبذل مجهوداً أكبر فى تنمية هذا الجزء الغالى من الوطن؟ إننى أدعو مثلاً إلى مضاعفة حوافز إقامة مشروعات التنمية هناك، فإذا كنا نقدم إعفاءات ضريبية لمشروعات الاستثمار تصل إلى ١٠ سنوات فلنزدها إلى ٢٠ سنة لمن يقيم مشروعه فى إحدى مدن الصعيد أو فى ريفه، وليكن هذا الحادث الحزين دافعاً لنا على زيادة جهودنا فى هذا الاتجاه وإعادة تنظيمها»[1].

عام التعبئة :

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ بمناسبة العام الجديد : كيف ترى العام المنصرم 1997 فى حياة الأمة؟

فقال : الحقيقة إنه فيما عدا الحادث الأليم[2] الذى وقع فى الأقصر فقد كان عاماً طيباً أهم مافيه هو الايقاع السريع الذى دخل على العمل الحكومى فى ظل الوزارة الحالية

1 - حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، العدد، 40540، يوم 1997/12/4.

2 - وقع فى حوالى الساعة 8,45 ص يوم الاثنين 1997/11/17م هجوماً إرهابياً على السياح فى منطقة المعبد البحرى بالأقصر ذهب ضحيته 64 قتيلاً واصابة 24 ومقتل الإرهابيين الستة برصاص قوات الأمن، راجع فى فى ذلك : الأهرام، الطبعة الثالثة، 1997/11/18م، ص 1 ، 3 ، 7 ، 13 .

للدكتور كمال الجنزورى وخاصة فى مجال الخصخصة والاستثمار وكذلك الاتجاه إلى تخفيف الأعباء عن المواطنين، ولقد كان عاماً يبعث على التفاؤل فى المستقبل لولا ما عكر صفوه، ولكن على الجانب الآخر وتقريباً فى نفس الوقت وجدنا تحسنا ملموساً فى العلاقات الدولية مع السودان من جانب وإيران من الجانب الآخر، كذلك فإن المسألة الفلسطينية وإن كانت لم تتقدم كثيراً خلال العام الماضى إلا أن هناك احتمالات للتحرك فى العام الجديد.

أما على المستوى العلمى فإنى أرى أن مسألة الاستنساخ تعتبر من أهم الاكتشافات التى سيكون لها تأثير كبير على حياة الانسان فى المستقبل فأحدث ماسمعته فى ذلك هو أنهم سيستنسخون كائنات بلا رؤوس تكون بمثابة مستودع قطع غيار للأعضاء الآدمية بحيث إذا احتاج الانسان قلبا أو كبدا أمكن إمداده به فى الحال.

قلت : وماذا عن العام الجديد؟

قال : إن العام الجديد من منطلق حادثة الأقصر يفرض علينا واجبا مهما هو التعبئة العامة لجميع قوانا متخذين من مواجهة الارهاب وسيلة لمواجهة كل مشاكلنا، فبالاضافة إلى الأمن الذى هو خط الدفاع الأول فإن علينا الاتجاه إلى التنوير الدينى والدنيوى بهدف بعث حركة تنويرية جديدة طالما نادينا بها. كما أن علينا الاتجاه بكل قوتنا إلى الانتاج الذى يجب أن يتضاعف فهذا هو السبيل الوحيد للارتقاء وللحد من السلبيات التى تتغذى على مشاكلنا الاقتصادية.

وفى النهاية فإنى أرى أن التقدم الذى نسعى إليه يجب أن يمر عن طريق فتح الباب أمام المزيد من المشاركة الشعبية، ويجب أن نسعى بمجتمع به إحترام أكبر لحقوق الانسان الشخصية والاجتماعية والسياسية.

وينهى الأستاذ حديثه قائلاً : إننى أسمى عام 1998 عام التعبئة فإن نجحنا فى ذلك فالمستقبل لنا، وإن ظلت ممارساتنا على ماهى عليه فللأسف لن يكون حادث الأقصر هو آخر ما يعكر صفوناً»[1].

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، العدد 40568، يوم 1998/1/1.

تحية للشرطة :

«تحدث الأستاذ نجيب محفوظ عن المذبحة الإرهابية التي شهدتها أخيراً مدينة الأقصر فقال إنه تألم لها أشد الألم لدرجة أنه لم يذق طعم النوم ليلة حدوثها رغم المنومات التي وصفها له الطبيب، ووصفها بأنها كارثة حقيقية ألمت بالبلد وأن أشد ما يؤلم بها هو أنه كان بالإمكان تلافيها أو الحد من حجمها لو أننا كنا أكثر يقظة ولم تكن هناك بعض الثغرات التي استغلها الإرهابيون، كما أن الطريقة الوحشية التي نفذوا بها عمليتهم تؤكد أنهم يفتقرون إلى الحد الأدنى من الشعور بالإنسانية، فالقتل شئ والتمثيل بالجثث شئ آخر.

ثم أضاف : على أنني أريد أن أنتهز هذه الفرصة لأقول إننا وسط التقصير الذى حدث ينبغي لنا ألا ننسى الدور العظيم الذى لعبته قوات البوليس فى التصدى للإرهاب طوال السنوات الماضية، فقد كانت المواجهة الوحيدة للإرهاب ولفترة طويلة هي المواجهة الأمنية ومازال أفراد الأمن من عساكر أو ضباط يقدمون حياتهم فداء للوطن فى مواجهتهم لهذا الخطر الأسود الذى يتربص بنا حتى أصبح عدد الضحايا من قوات الشرطة يفوق عدد السواح الذين فقدوا حياتهم فى العمليات الإرهابية، ولقد وصل الأمر إلى حد محاولة الاعتداء على حياة وزير الداخلية نفسه، لذلك فحين نتحدث عن القصور الذى تسبب فى هذه المذبحة فإننا يجب أن نتحدث عنه في إطار أن قوات الشرطة هي الذى كانت تتحمل المسئولية الأولى فى مواجهة الإرهاب وهى التى كانت «فى وجه المدفع» كما يقال، ونحن حين نحاسبها على ما حدث فإن علينا أيضاً أن نوجه لها التحية على ما قامت به حتى الآن»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، العدد 40533، يوم 1997/11/27.

الأديب والوطن :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : لقد عبرت في رواياتك عن أهم الأحداث القومية التي شهدتها البلاد خلال القرن العشرين، من ثورة ١٩١٩ إلى انفتاح السادات، فهل تعتقد أن الأديب عليه مسئولية خاصة في التعبير عن وطنه؟

قال : بلا شك، لكن المسألة تختلف درجاتها من أديب إلى آخر، فهناك من الأدباء من يهتم بالشأن العام، وهناك من لا يأتي هذا الشأن عنده في المرتبة الأولى من الاهتمام، أما أنا فقد كنت أهتم بالقضايا الكبرى للأمة، لذلك فحين قررت أن أكون أديباً كانت على مسئولية خاصة تجاه قضايا الوطن.

قلت : الأحداث التي نشهدها الآن في فلسطين والتي انفعل بها الشعب العربي كله، متى تصبح مصدر إلهام للأديب؟

قال : إنها مسألة زمن يسمح للحدث بأن يختمر في وجدان الأديب، إن الأحداث الجسام التي نشاهدها الآن في فلسطين ليست بحاجة لأديب أن يكتب عنها، وإنما هي تحتاج لمن يشارك فيها، فهذا هو وقت الفعل، لأن الأدب وقت وقوع الحدث هو ترف، أما بعد أن يكتمل الحدث فهو التأريخ الوجداني لهذا الحدث، وحين تحدثت أنا عن ثورة ١٩١٩ كان ذلك بعدها بما يقرب من ٥٠ عاماً، أما وقت حدوثها فقد كنت بداخلها مع بقية الشعب المصري، فوقت الفعل لا يستطيع أحد أن يجلس إلى مكتبه لكي يكتب رواية أو مسرحية، أما الكتابات التي تتابع الأحداث يوماً بيوم، فقد تكون نشيداً مثلاً أو أغنية تواكب الأحداث، لكن العمل الكبير الذي يخلد الحدث فهو بحاجة لمسافة زمنية كافية، فمثل هذا الحدث إنما يرقد على صدر الأديب ويصبح قوة ضاغطة تحتاج إلى انفراج لا يأتي إلا مع الوقت، وأنا أتصور أن هناك أدبا عربياً وفلسطينيا يختمر الآن في وجدان الأدباء وسيخرج إلينا في حينه إن شاء الله بعد أن يتحقق النصر»[1].

1ـ حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 2002/5/2م.

قسمتي ونصيبي :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : لك يا أستاذ نجيب قصة قصيرة بعنوان «قسمتي ونصيبي» تحكي عن سيدة رزقت بمولود بجسم واحد ورأسين فأسمت أحدهما قسمتي والآخر نصيبي امتثالاً لقدرها، وتلك القصة تذكرنا بالوضع في فلسطين حيث يشترك كل من الفلسطينيين والاسرائيليين في نفس الأرض بحيث لم يعد من الممكن فصل أحدهما عن الآخر، ولم يعد من الممكن - كما هو في قصتك - أن يستأثر أحدهما ببقية الجسم دون الآخر، فكيف الخلاص ؟.

قال : في القصة حدثت مشادات ومشاحنات لا نهاية لها بين قسمتي ونصيبي إلى أن تعلما أن على كل منهما أن يقبل الآخر ويتعايش معه فهذا هو قدرهما أن يكونا اثنين مشتركين في جسد واحد، وقد كان قسمتي في القصة هو الداعي الى هذا التعايش السلمي ، أما نصيبي فكان أكثر عدائية وأقل استعداداً لقبول شريكه الآخر، وهذا الوضع قد يشابه ما يحدث في فلسطين حيث نجد الاسرائيليين الآن أقل استعداداً من الفلسطينيين على قبول الآخر والتعايش معه على أرض واحدة.

ثم يضيف : إن ما تحاول الحكومة الإسرائيلية الحالية تحقيقه هو أن تستأثر بكل ما تريده وأن ترغم الفلسطينيين على قبول ذلك والاذعان له وهذا ليس من السلام في شئ، فالسلام القائم على الاستسلام هو هدنة مؤقتة وليس سلاما دائماً والتاريخ يعلمنا ذلك منذ الازل، فقد كان من الممكن أن يتجنب العالم ويلات الحرب العالمية الثانية لو لم تكن اتفاقية فرساى قد فرضت على ألمانيا الاستسلام الكامل لأن مثل هذه الاتفاقيات في الحقيقة دعوة إلى الثورة والتمرد ونحن نسعى إلى السلام والتعايش في أمان.

قلت : في قصتك يموت أحد التوءم في النهاية فما المعنى في ذلك؟

قال : المعنى ليس أن أحدهما يجب أن يموت وإنما في أنه حتى بعد أن مات واحد فقد ظل الثاني يحمله معه بعد أن قال الاطباء أنه لا يمكن استئصاله، لذلك فإنه لابد من التعايش فهذا هو ما يمكن أن تنتج عنه حياة طبيعية للطرفين يتبادل فيها التعاون وينسى الماضي فيما ينتجه الحاضر من فوائد للجانبين»[2].

---

1. حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 1997/4/24م.

البوسنة:

«وأقول لنجيب محفوظ : أن يوجوسلافيا من الدول القليلة جداً التى قمت بزيارتها يا أستاذ نجيب فماهى ذكرياتك عنها؟

فيقول : لقد كانت يوجوسلافيا من أجمل بقاع العالم وقد كنت أتصور أننى فتنت بمنطقة لابلانا والبحيرات لآن أسفارى قليلة، لكن المرحوم الأديب السورى سامى الدروبى ذا الأسفار العديدة الذى كان معى قال لى أنه ليس فى العالم ماهو أجمل مما نشاهده الآن إلا الغابة السوداء في ألمانيا.

فأسأله: وكيف ترى ما يحدث الان بهذه البلاد من حرب إبادة ضد المسلمين؟

فيجيب : كنت قد قرأت الكثير عن أن المشكلة فى الحقيقة عرقية قديمة وليست دينية وقد يكون ذلك صحيحاً ولكن قد تصادف أن العرق الذى يتعرض الآن لهذا الهجوم الوحشى هو من المسلمين ولا نستطيع أن ننسى ذلك.

فأسألة كيف يكون الحل فى ظل رفض الدول الكبرى رفع حظر السلاح عن البوسنة؟

فيقول : إن منطق رفض تسليح البوسنة بحجة أن ذلك سيحول المسألة إلى حرب علنية هو منطق لا يستقيم ولايقنع أحداً لأنها هى بالفعل حرب الآن ترتكب فيها فظائع قد لاتحدث في بعض الحروب، وإذا كان هناك إصرار على عدم قيام حرب هناك فإما أن يمنع السلاح عن الجانب الآخر أو أن توجه القوات الدولية مهمتها إلى الدفاع عن البوسنة، لكن أن نترك البوسنيين يتعرضون للإبادة ونقف لنتفرج فهذا غير مقبول.

وأقول : إلى من توجه حديثك هذا وقد رفضت الدول الكبرى كل ذلك؟

فيجيب الاستاذ : أعتقد أن الأمة الاسلامية تستطيع أن تقدم عونا للمسلمين فى البوسنة عن طريق سبل ثلاثة : أولاً التبرع سواء بالمال لشراء السلاح أو بالسلاح العينى إذا تعذر عليهم شراؤه، ثانياً بالتطوع، إننى لا أفهم كيف تفتح أمريكاً باب التطوع فى أفغانستان وتقوم قواتها بتدريب المتطوعين على أعمال الحرب فى حملة دولية تتحمس لها كبرى الدول الاسلامية فى العالم ولا يحدث هذا فى البوسنة؟ أيجب أن يكون هناك

1ـ حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1997/7/10.

عدو سوفيتي تريد أمريكا إحراجه كما كان الحال في افغانستان؟

ثم ما شأننا نحن بذلك وكيف لانتصرف كما تصرفنا في افغانستان؟ ثالثاً: يجب أن تصل الدول الاسلامية فيما بينها إلى موقف موحد يشكل قدراً من الضغط على الدول الكبرى ويجب ألا نظل هكذا بلا رأى ولا موقف!!

لقد حان الوقت لعقد قمة إسلامية على وجه السرعة»[1].

الفتوة على الساحة الدولية:

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ: لقد كتبت كثيراً عن «الفتوة» في أعمالك الأدبية، والآن يبدو أن هذه الظاهرة قد انتقلت إلى ساحة السياسة الدولية، فالكثير مما نراه الآن من القوى العظمى يبدو أقرب إلى البلطجة السياسية.

فقال على الفور: لا.. إن الفتوة عندى لم يكن دائماً بلطجياً.. لقد كان في الكثير من الحالات هو الذى يحمي الحارة وينتصر لأهلها، فكلمة «الفتوة» تنطبق في الحقيقة على عدة أنواع من الشخصيات، أحسنهم هو الفتوة الشهم والشجاع الذى ينصف المظلوم ويتصدى لكل من يهاجم الحارة وسكانها، وقد كان السكان من رجال ونساء وأطفال وشيوخ جميعاً مرتبطين به، فهو المدافع عنهم دائماً، وقد كان بين الحوارى فيما مضى معارك ومنافسات، فكان الناس ينحازون في أى معركة إلى حارة أو أخرى، مثل الانحياز الآن للأهلي أو الزمالك، فهؤلاء قد يقفون مع حارة العطوف وأولئك مع حارة الحسينى.

لكن للأسف أن كلمة «الفتوة» اتسعت دلالتها بعد ذلك لتنطبق على صنف ردئ جداً من البشر هو البلطجية، والبلطجي يفرض سيطرته بالقوة وبالتهديد، وبالاعتداء غير المشروع على الناس، وذلك طمعاً في موارد الآخرين وأموالهم التى يحصل عليها بالقوة وبالتهديد، فقد يتوعد أهل الحارة ويهدد بضربهم، وقد يحاول بقية السكان الإمساك به حتى لا يؤذى البشر لكن دون جدوى.

إن هذا النوع الأخير هو الذى نجد بعض مواصفاته أمامنا الآن على الساحة الدولية، أما الفتوة الحقيقى فهو غير ذلك تماماً»[2].

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1995/8/3.
2. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2002/10/31.

حوارات نجيب محفوظ.. حول زعماء مصر من الساسة وولاة الأمر وقادة الرأى فى الأدب والفن والعلم

أولاً - الساسة ولاة الأمر :

سعد زغلول :

«وأسال نجيب محفوظ عن زعماء مصر الذين عاصرهم فأبدأ بسعد زغلول فتلتمع عيناه وتعلو نبرة صوته :

سعد زغلول هو بطل جيل بأكمله، من عرف السياسة في جيلنا كان مدخله إليها سعد زغلول، مدخله إلى الوطنية كان سعد زغلول، مدخله لتاريخ مصر كان سعد زغلول.

هل قابلته؟

لم أره قط.. كانت هناك فرصة وحيدة لرؤيته لكنها لم تتحقق فحين أختلف مع الملك وقامت المظاهرات أمام سراى عابدين تهتف سعد أو الثورة! كان سعد سيجئ لمقابلة الملك فقلت لنفسى : اليوم سأراه!.. لكن ما إن وصل إلى ساحة عابدين حتى أحاطت به الآلاف من كل اتجاه حتى أن سيارته تحولت إلى كتلة بشرية تتقدم بصعوبة فى اتجاه القصر، حاولت جاهداً أن أجئ يميناً أو يساراً علنى ألمحه لكنى لم أستطع حتى أن أرى سيارته.

وتدمع عينا نجيب محفوظ وتحتبس الكلمات فى الحلق فيحل الصمت لحظات متصلة لا أستطيع خلالها مواصلة الحوار احتراماً للحظة وتقديراً لمشاعر الرجل التى فاضت أمامى فى تلقائية نبيلة فاجزع السؤال بداخلى فلا يطل برأسه إلا بعد أن يستعيد الأستاذ هدوءه : علام حزنك يا أستاذ نجيب ؟

ليس حزنا .. الحزن قد فات وقته وانقضى إنه شريط الذكريات التى أحياها حوارك اللعين ثم يضيف : لقد كان سعد زغلول هو المدرسة التى تخرجنا فيها جميعاً، المدرسة التى تعلمنا فيها كيف نحب مصر من يوم أن وجدت، أن نحبها بقدر عمرها :

ويصمت الأستاذ من جديد ولا أرضى عن نفسى وأنا أقطع الصمت بسرعة كى أواصل الحوار : وماذا عما يقال عن أن سعد بعد توليه الوزارة تراجع قليلاً عن مواقفه السابقة وصار يتعاون مع الإنجليز ؟

فيقول محفوظ فى هدوء لكن بإصرار والدمع مازال فى عينيه :

لم يتراجع أبداً ، والوزارة التى تولاها فعلت ما لم تفعله قبلها وزارات مصر مجتمعة من حيث الإصلاح والمواقف الوطنية ، أما عن علاقته بالإنجليز فبعد مقتل السردار فإن الإنجليز استخدموا القوة وطردونا من السودان فماذا كان باستطاعة سعد أن يفعل ؟ وحين وجه إليه أعضاء الحزب الوطنى المعارض مثل هذه الانتقادات قال لهم :

أعطونى «تجريدة» أى جيش وأنا أرد على الإنجليز . .

وتتوالى الذكريات فيقول الأستاذ : وحين ذهب اللنبى يعطى لسعد إنذاره الشهير دخل عليه مجلس الوزراء بالجيش والخيالة وبدون سلام أخرج الإنذار وقرأه ، فقال له سعد بابتسامة : لم أكن أعلم أنكم أعلنتم الحرب !

كم حزنت على وفاته ؟

حزناً لم أحزنه على أحد . . ربما كان أكبر حزن فى حياتى»[1] .

مصطفى كامل ومحمد فريد :

«ويمتد الحوار مع نجيب محفوظ حول الزعماء المصريين فأساله عن مصطفى كامل ؟

فيقول : هذا هو زعيم الوطنية المصرية ، هو أول صوت بعد الاحتلال يرتفع لينفخ فى نار الوطنية المصرية ، هو الذى ربى الجيل الذى حين تطورت الظروف صار جند سعد زغلول - الذين كانوا يهتفون : نحن جنودك ياسعد ! جميع هؤلاء الطلبة والشباب هم فى الحقيقة تربية مصطفى كامل .

ومن هو محمد فريد ؟

محمد فريد يقال فيه ماقيل فى مصطفى كامل ، لكنه يهيأ لى أنه لم يكن يتمتع بصمود مصطفى كامل ، فحين وجد نفسه مهدداً بالسجن ترك مصر وهرب وكان ذلك سبباً أساسياً فى الضعف الذى لحق بالحزب الوطنى ، حتى أن أحد رجال الحزب الذى كان يراسل محمد فريد قال له : لو كنت أعرف أن خروجك سيكون له هذه النتائج على الحزب الوطنى لكنت قد قيدتك بحبل وتركتك تدخل السجن حتى لايضعف حزب الوطنية المصرية .

1- حوارات نجيب محفوظ ، الأهرام ، يوم 1995/2/2 .

ودون أن أسألة يعود الأستاذ مرة أخرى إلى سيرة زعيم صباه سعد زغلول فيقول : إن محمد فريد لم يكن يحب سعد زغلول وكان يقول عنه أنه يتعاون مع الانجليز ، لكن الغريب أنه حين أخذوا يشكون له من ضعف الحزب الوطني وانفضاض الناس عنه أرسل لهم رسالة من منفاه الاختيارى بفرنسا يقول لهم فيها : خذوا لرئاسة الحزب سعد زغلول فأنا رغم اعتراضى على الكثير من تصرفاته إلا أنى لا أشك في وطنيته ولا في نزاهته ، هكذا شهد خصم سعد زغلول ، ولقد قرأت ذلك إما في مذكرات محمد فريد أو في تاريخ الرافعي، لا أذكر .

وقبل أن أطرح سؤالا جديداً يواصل الأستاذ في إصرار : سعد زغلول لم يكن زعيم مصادفة ، لقد كان وكيل الجمعية التشريعية، أى أنه كان زعيم الشعب المنتخب وقد انتخب في دائرتين ، وكان أول من وضع تقاليد الانتخابات في مصر ، فقد كان يخطب في الجماهير معلنا عن برنامجه فيما لو انتخب .

ثم يضيف : كان ذلك في بداية القرن فقل لى الآن كم مرشحاً يدخل الانتخابات ببرنامج محدد يستفتى عليه الناس ثم يعمل على تنفيذه بعد انتخابه»[1] .

النحاس ومكرم عبيد :

«ثم يأتى دور مصطفى النحاس في الحديث عن الزعماء فيقول نجيب محفوظ النحاس هو خليفة سعد زغلول ، قد لايتمتع بعبقرية سعد لكن أخلاقه وصلابته لم يعرف لها مثيل فقد كان يناجز الاستعمار والملك بكل شدة مدافعاً عن حقوق مصر الداخلية والخارجية ، وظل في هذا الجهاد من بعد وفاة سعد عام 1927 وحتى قيام ثورة يوليو عام 1952 ، وكان مثالاً للنزاهة بين من حكموا مصر فقد كان الوفد لكى يحافظ على كرامة زعماء الحزب يصرف له مرتباً من أموال الوفد مع أنه حصل على رئاسة الوزارة عدة مرات وكم من المناقصات والمزايدات مرت في عهده دون أن تمتد يده إليها من قريب أو بعيد وذلك في وقت كانت الوزارة في مصر تمثل سبيلاً للغنى ، أما هذا الرجل فكان إما يتكسب من المحاماة أو يصرفوا له مرتباً ليتفرغ لزعامة الوفد .

وما هى إذن قصة الكتاب الأسود و . .

1- حوارات نجيب محفوظ ، الأهرام يوم 1995/2/9 .

فيقاطعني الأستاذ على غير عادته قائلاً : دعني أولاً أكمل لك الكتاب الأبيض..

ثم يسترسل : لقد كان جمال عبدالناصر يصرف له راتباً شهرياً في أواخر أيامه حين علم أنه لايملك ثمن الدواء الذى يتناوله، فكان أحد الضباط يذهب إليه شهرياً ليسلمه مبلغ 300 جنيه وهو مبلغ كان له في ذلك الوقت قيمته قد تساوى أكثر من 3 الآف جنيه اليوم..

أما الكتاب الأسود فإذا أردت أن تعرف قيمته فابحث عن نسخة قديمة منه وأقرأها فستجد فيه مثلاً إتهاماً لحكومة الوفد تحت زعامة النحاس بأنها منحت أحد الموظفين علاوة 4 جنيهات مرتين فى سنة واحدة.

لقد كان مكرم عبيد صاحب هذا الكتاب زعيماً وطنياً لكنه كان عصبياً وقد أثر فى نفسه تأثيراً كبيراً أن ضعفت في وقت ما صلته بالنحاس فقد كان يحب دائماً أن يكون رجل النحاس الأول ولا يطيق أن يرى أحداً فى هذا المكان، لكن تلك الصلة تدخل فيها نساء ورجال وخلافه حتى انقطعت فكان الكتاب الأسود.

وما هو رأيك في مكرم عبيد كزعيم؟

كان مكرم عبقرياً وكان وطنياً.. هو من الناس الذين كانت خطبهم غناء. محمد عبدالوهاب الخطابة السياسية، ومصر لم تر خطيباً بعد سعد زغلول مثل مكرم، فقد كانت بلاغته من القرآن الذى كان يحفظه عن ظهر قلب ويدرسه دراسة جيدة، إن مكرم بلاشك من العناوين الثابتة للوحدة، من الرجال العظام فى تاريخ مصر.. ذلك هو مكرم عبيد»[1].

جمال عبدالناصر:

«ونصل فى حوارنا عن زعماء مصر إلى جمال عبدالناصرفأبادر نجيب محفوظ بالقول رأيتك يا أستاذ نجيب وقد تهلل وجهك وأنت بالمستشفى حين حضر لزيارتك الدكتور خالد نجل الزعيم الراحل جمال عبدالناصر وقد قمت لأول مرة من مرقدك وأخذت ترحب به قائلاً : أهلا بابن الزعيم، ثم سألت عن المصور وقلت إن كل من أتى لزيارتى فى غرفة الإنعاش كان يحضر معه مصوراً، ألا يوجد مصور الآن ليصورنى مع ابن الزعيم؟

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1995/2/16.

فيبتسم الأستاذ وهو يقول : جمال عبدالناصر هو زعيم ثورة وقد أثر في مصر تأثيراً كبيراً جداً، فقد غير تركيبها الطبقي، أي أنه رفع الشعب عدة درجات، وحطم الإقطاع دون سفك دماء وعمل إصلاحات لمصر لم تعرفها من قبل، ولم يكن به عيب إلا انزلاقه، أو انزلاق الدكتاتورية إليه، واللعب الشيطاني الذي لعبته المخابرات في وقته، لكنه زعيم من أجل وأعظم زعماء مصر.

كم مرة قابلته ؟

قابلته عدة مرات في مناسبات عامة ومرة واحدة في مناسبة خاصة.

أما المناسبات العامة فكانت في عيد العلم مثلاً حين قلدني وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى، وكان هذا هو أول وسام في حياتي، وفي عهده أيضاً حصلت على جائزة الدولة التقديرية، وفي عهده توليت كل منصب كبير توليته في حياتي.

وأما المناسبة الخاصة فكان عند افتتاح المبنى الجديد «للأهرام» عام 1968، وقد كنت جالساً مع د. حسين فوزي وصلاح جاهين وصلاح طاهر حين دخل علينا به الأستاذ هيكل، وأتذكر أنه قال لصلاح جاهين : أكل لحمة الرأس تخنك كثيراً، ثم لاطفني قائلاً : لماذا لم نقرأ لك قصصاً «بالأهرام» منذ عدة أسابيع ؟ وقد كنا يوم الخميس فقال له الأستاذ هيكل بالمصادفة فإن له قصة غداً في عدد الجمعة وهي من النوعية التي «تودي» في داهية فقال له عبدالناصر على الفور : «توديك إنت».

وينطلق الأستاذ يضحك من القلب ثم يعود إلى هدوئه ليقول : إن جمال عبدالناصر بالنسبة لجيلكم هو ما كان سعد زغلول بالنسبة لجيلنا.. رمز للوطنية وبطل لجيل بأكمله»[1].

رحيل عبدالناصر :

«لن أنسى أبداً مثل هذا اليوم منذ 25 عاماً بالتمام والكمال، فقد كنت دائماً آخذ إجازتي السنوية في سبتمبر، وفي عام 1970 عدت من الاسكندرية مساء يوم 28 من هذا الشهر أنا وزوجتي وابنتانا، ولم يكن هناك بالطبع أي استعداد للعشاء بالمنزل الذي كان مغلقاً منذ شهر كامل، فقالت زوجتي أنها سترسل الشغال ليحضر لنا عشاء جاهزا من

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1995/2/16.

أحد المطاعم القريبة فجلسنا أنا والبنتان أمام التليفزيون نتسلى إلى أن يأتى الطعام، فلا حظنا أن التليفزيون لا يقم إلا القرآن وعندما طال ذلك قلت لزوجتى إن هناك بالتأكيد كارثة وقعت وأن الراجح عندى هو أنهم قد قتلوا الملك حسين، فقد كان الملوك العرب مجتمعين فى القاهرة بدعوة من الرئيس عبدالناصر فى محاولة لوقف مذبحة أيلول بين الأردن والفلسطينيين، لكن فى أثناء ذلك عاد الشغال من المطعم ليقول أنه سمع أن «الريس» توفاه الله ففزعت فيه فزعة عارمة ونهرته بشدة وقلت له ألا يفتح فمه بمثل هذا الكلام وأن يمكث بالبيت ولا يبرحه فقد خشيت أن يروج مثل هذا الكلام فى الخارج، لكن بدأ يداخلنى الشك والقلق ولم أستطع أن أذوق الطعام، وبعد دقائق أعلن بالتليفزيون أن نائب الرئيس أنور السادات سيلقى بياناً، وما أن شاهدت وجه أنور السادات على التليفزيون حتى كنت أنا الذى قلت «الريس مات»، فلم أر فى حياتى وجها كوجه أنور السادات فى هذا اليوم الذى كان مكتوباً عليه الموت بخط فارسى.

وأسأل الأستاذ: ماذا كان شعورك بعد أن تيقنت من الخبر؟ فيقول كنت فى حالة من الارتباك من جملة عواطف شديدة جداً، فمن ناحية لم أكن مصدقاً تماماً فى داخل نفسى أن عبدالناصر قد مات، فقد كنت أحد المختلفين ليس مع عبدالناصر وإنما مع نظام حكمه وكنت من المعارضين الشرفاء فى الكثير من رواياتى خاصة ما كتبته بعد نكسة يونيو 67 وقد قبل عبدالناصر هذه المعارضة ولم يصادر عليها لا فى كتاب ولا فى فيلم، وفى الوقت نفسه أنا أول المعترفين بمآثره وما فعله للمجتمع المصرى والعربى، لكن فى هذه اللحظة لم يكن أمامى إلا مآثر هذا الزعيم العظيم، وحدث لى فزع شخصى عميق التأثير لن أنساه مدى حييت، من أننى سأموت، فإذا كان عبدالناصر قد مات فمن ذا الذى سيحيا؟! فالموت كما يقول الشاعر «حتم مؤجل» لكن هذا الحدث لم يجعله مؤجلاً بل جعله واقعاً ماثل أمامى، فها هو الزعيم الذى أحدث فى العالم كله هذا التأثير بعيد المدى وهذا الرجل الذى دخل كل قلوب أبناء وطنه بطرق مختلفة حتى أصبح جزءاً منها لا يتجزأ حتى لم نكن نتصور الحياة بدونه قد مات وانتهى، لقد كانت تلك لحظة أخذت فيها درساً عن قيمة العظمة وقيمة الحزن وقيمة الحياة التى لا تساوى شيئاً مع إحساس شديد بالعدم، كان يوماً عانيت فيه من المشاعر المتضاربة مالم أعان فى حياتى»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام.

الثورة والثقافة :

«بمناسبة مرورة 45 سنة على قيام يوليو تحدث الأستاذ نجيب محفوظ عن تأثير الثورة على الثقافة فقال أنه قبل الثورة كان المجال مفتوحاً في الثقافة لكل من يريد أن يأتي بشئ فمن يريد أن يكتب يكتب، ومن يريد أن يصدر مجلة يصدرها، ومن يريد أن ينتج فيلما سينمائياً ينتجه، أما ثورة يوليو فقد أتت بالثقافة المنظمة فبدأت بانشاء المجلس الأعلى للفنون والآداب، ثم جاء نادى القصة وقطاع المسرح وهيئة الكتاب ومؤسسة السينما، وكان أهم من ذلك كله إنشاء وزارة الثقافة نفسها، وقد خصصت الثورة ميزانيات لهذه الهيئات فانتجت كل منها انتاجاً غزيراً بعد أن خضع للتخطيط فكانت هناك لكل من هذه الهيئات خطة سنوية عليها أن تنجزها.

ثم يضيف : ولكن ككل شئ منظم فإن الإنتاج الثقافي كان موجها إلى حد ما وأصبح الفن فناً موجها إلى حد ما.

قلت : لكننا وجدنا في تلك الفترة أعمالاً كثيرة لم تكن نتاجاً لأى توجيه، بل كانت هناك أيضاً بعض الأعمال التي كانت تقدم نقداً كان في بعض الأحيان لاذعاً لبعض الأوضاع السياسية.

قال: هذا صحيح لذلك قلت إن الثقافة كانت موجهة إلى حد ما ولم أقل أنها كانت موجهة تماماً، على أنى أعتقد أنه من أعظم انجازات الثورة في الثقافة كان إقامة مدينة الفنون التي جمعت فيما بعد في أكاديمية الفنون بما حوته من معاهد فنية متخصصة فقام الفن لأول مرة على أساس علمي من الدراسة والتدريب، كما انتشرت أيضاً المجلات الثقافية المتخصصة بشكل لم يكن له مثيل»[1].

أنور السادات :

«وأسال نجيب محفوظ عن أنور السادات فيقول :

أنور السادات هذا تضعه في قائمة السياسيين الكبار على مستوى العالم، ورغم أن له شخصية الزعيم وقوته إلا أنه في الأساس سياسي والمعارك التي كسبها كسبها بالسياسة

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام 1997/7/24م.

بما فى ذلك الحرب التى كسبها أيضاً بالسياسة، ولقد غير السادات صورتنا فى العالم، والحقيقة أن الأثر الآليم الذى تركته حرب يونيو 67 فى نفوس جيلكم وجيلنا والهزيمة النفسية التى ملأت العرب لم يخلصنا منها إلا أنور السادات :

ألم يكن له - كسائر الزعماء - نقاط ضعف؟

بل كانت له أخطاء جسيمة ربما تفوقت فى رأى البعض على أخطاء من سبقوه، لكن من حق أنور السادات علينا أن ننسى كل سيئة وكل خطأ وكل مصيبة فى عهده من أجل انتصار أكتوبر والقرار الذى اتخذه فيها فرفع مصر والأمة العربية كلها، ثم السلام الذى أوصلنا إليه بعد ذلك.

ويستطرد الأستاذ : إن المرة الوحيدة التى منعت فيها من الكتابة كانت فى عهد أنور السادات، وذلك فى بداية عام 1973 حين وقعنا على بيان ضد حالة اللاسلم واللاحرب كان قد كتبه توفيق الحكيم وكنت أنت أحد الموقعين معنا[1].

ولقد منعت جميع أعمالى من الاذاعة والتليفزيون أنا وتوفيق الحكيم ولم يعد مسموحاً أن يذكر اسم أى منا رغم أن اسمينا لم يظهرا فى قائمة الممنوعين من الكتابة والذين تم نقلهم إلى هيئة الاستعلامات.

ثم يقول : لكن عذر السادات فى ذلك هو أنه كان يعد لحرب أكتوبر العظيمة ولم يكن يريد خلخلة فى الجبهة الداخلية، ولم نكن نعلم ذلك.

رغم حديثك الحماسى عن انتصار أكتوبر فلا أجد أنه قد ألهمك شيئاً.

بل ألهمنى ولكن بالطريقة الأدبية فقد تأثرت بالحرب نفسياً ولذلك ما استلهمته منها هو روحها وليس تفاصيل معاركها وروح أكتوبر هى أعظم مافيها.. لقد ظهرت تلك الروح بشكل واضح فى «الحرافيش» التى أعتبرها ثمرة من ثمرات ٦ أكتوبر فليس لى أدب قبلها بهذا التفاؤل وبهذه البطولة وبهذه الهمة، إنها ملحمة حقيقية»[2].

1- يقصد الاستاذ محمد السلماوى.

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1995/3/2.

أكتوبر :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : أكتوبر هذا مهم جداً في حياتنا فقد أثبت أن العرب يجب أن يعمل حسابهم ليس فقط بالنسبة للعالم وأنما أثبت ذلك بالنسبة للعرب أنفسهم، فلا تؤاخذني إذا قلت لك : إنه كان هناك الكثيرون من بيننا من وصلوا إلى مرحلة من اليأس الكامل لكن أكتوبر جاء بعظمته ليرد فينا جميعاً الروح.

قلت : كيف تفسر يا أستاذ ما لم يستطع أحد تفسيره حتى الآن؟ وهو أن أكتوبر بكل أمجاده لم يتم التعبير عنه حتى الآن فنيا كما يجب، صحيح أنه ثمة بضعة أفلام تحدثت عن حرب أكتوبر، ومثلها بعض القصص القصيرة أو الأشعار لكنها جميعاً ليست بحجم هذا الانتصار غير المسبوق في تاريخنا الحديث، فأين الأعمال الأدبية العظيمة من هذا الانتصار؟

فقال الأستاذ : أولاً مثل هذه الأحداث الكبرى تحتاج من الأديب إلى فترة من الوقت، والحقيقة أنه ما إن انتهت الحرب العسكرية بكل تداعياتها السياسية حتى دخلنا في مسائل خلافية كبيرة حالت بيننا وبين هذا الحدث الكبير، ومنها مثلاً سياسة الانفتاح التي كان لها في البداية تأثيرات سلبية على الرأي العام ثم تلتها سياسة السلام التي أثارت في البداية الكثير من التوجس والقلق، أما الآن وبعد مرور ربع قرن تقريباً على كل ذلك فأعتقد أنه آن الأوان أن ننظر إلى أكتوبر ليس في سياق سياسات أخرى قد تتفق معها أو تختلف وإنما كحدث قائم بذاته، ويحضرني مثال جان دارك التي لم يكن من الممكن أن يكتب عنها الأدباء الإنجليز وهي التي أحرقها الإنجليز أنفسهم، لكن بعد مرور سنوات طويلة وجدنا مثلاً الكاتب البريطاني الكبير برنارد شو يكتب عنها مسرحية «القديسة جان» كما قدمت عن حياتها أفلام متعددة ولقد حضر السفير الإنجليزي الحفل الأول لأحد هذه الأفلام.

الشئ الثاني هو أن أكتوبر قدمت للناس على أنها نهاية كل الصعاب وبعدها سيعم الرخاء والسعادة. وهذا بالطبع لم يحدث لأن أكتوبر في حقيقة الأمر كان بداية ولم يكن نهاية وتلك هي عظمته فهو بداية طريق الإصلاح الطويل الذى بدأنا الآن فقط نجني بعض ثماره.

وأسأل : أين تضع أكتوبر في سجل أعمال أنور السادات؟ فيقول : هي بلاشك رقم واحد يليها بعد ذلك السلام ثم الديمقراطية»[1].

1ـ حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، العدد 40464، يوم 1997/5/9.

حسنى مبارك :

«ثم ينهي نجيب محفوظ حواره عن زعماء مصر بحسني مبارك فيقول :

لقد أتى حسني مبارك بأعمال لا تعد ولا تحصى، وله إنجازات كبيرة لم تأخذ قدرها الحقيقي بعد، فقد ورث مبارك تركة مثقلة بجميع أخطاء الماضي وحسناته، الحسنات كنا تعودنا عليها وصارت في أعيننا أمراً مسلماً به، لكن ما كان يستفحل هو الأخطاء، فكل الأزمات في السياسة والاقتصاد وفي الدين ورثها حسني مبارك بذورا زرعها الماضي ونمت في أيامه.

ثم تشرد عينا الأستاذ لحظات ويبدو وكأنه يبحث عن شئ : كيف أمثل لك حسني مبارك؟ إنه أشبه بمن ينتشل غريقاً من أعماق البحر فهو يعمل بلا هوادة في الصعود به ثم بعد فترة يقول لقد ارتفعنا بمقدار كيلو متر كامل، لكن الغريق لا يشعر بذلك إلا حين تصعد أنفه فوق سطح الماء، فهو قد ارتفع به مسافات رهيبة ونهض به كثيراً ولكن الغريق مازال حتى الآن غريقاً وإن اقترب من سطح الماء.

ثم يضيف :

إنني أرجو حقيقة أن يجد تعب حسني مبارك جزاءه، أى أن يتمكن من الارتفاع بالشعب إلى مافوق سطح الماء حتى نشعر جميعاً بما بذله من جهود بدون حاجة إلى أى كلام أو دعاية، ويأخذ حسني مبارك حقه ثمرة ناضجة نتيجة عرق وجهد مستمرين سنوات متصلة، هذا هو رأيي في حسني مبارك.

باستعراض ما قلته يا أستاذ نجيب عن زعماء مصر في حواراتنا على مدى الأسابيع الماضية أجد أنك لم تؤكد إلا على حسناتهم.

لأني أتحدث عن الأحياء فأنا أحب الزعماء المصريين.

أليس بين الزعماء من تكره أو ترى أن له من الأخطاء ما أضر بالشعب أكثر مما أفاده؟

إنني أدرك أخطاءهم جميعاً وأقدرها على قدرها لكنى أحب هؤلاء الزعماء من أحمد عرابى إلى حسني مبارك ولا أجد في نفسى كراهية لأى منهم وإن اختلفت مع بعض ممارساتهم، فأنا وطنى أحب مصر وأحب من يخدم مصر وهؤلاء الزعماء قد وهبوا حياتهم بالكامل لمصر فكيف أحمل ضغينة لأى منهم وكيف أكرهه.. لا .. أنا أحبهم جميعاً»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1995/3/9.

عيد ميلاد الرئيس :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : جرت العادة في أعياد الميلاد أن يقدم لصاحب العيد هدية، لكنى اليوم بمناسبة عيد ميلاد الرئيس مبارك الذى حل هذا الأسبوع، سأسألك عما قدمه هو لنا خلال الخمسة عشر عاماً الأخيرة.

فقال الأستاذ : أولاً وقبل أن نعدد ما قدمه الرئيس مبارك، يجب أن نحدد ماورثه من التركة التى تمثلت في الأزمة الاقتصادية وما تبعها من بطالة وفساد، وكذلك الفتنة الطائفية والإرهاب، كما كانت البنية الأساسية للبلاد متهالكة من التليفونات إلى المجارى، ولم تكن إسرائيل قد رحلت عن كل سيناء بعد، أما فى الخارج فكانت علاقات مصر مقطعة مع أشقائها العرب، ومع الكثير من دول العالم الثالث ومع كل دول الكتلة الشرقية، لذلك فقد اتسم عهد مبارك أولاً بمحاربة السلبيات التى كانت قائمة من جانب، ثم بإعادة البناء من جانب آخر، وأفضل صورة يمكن أن نرسمها للرئيس هى وهو يقف فى أحد المصانع وسط العمال.

ولقد تمكن الرئيس من إصلاح البنية الأساسية بشكل كامل ، ورغم أن الرئيس السادات هو الذى حول دفة الاقتصاد من التخطيط المركزى إلى الإقتصاد الحر، إلا أن الرئيس مبارك هو الذى حقق هذا التحول ولم يحققه السادات، وإنجاز مبارك الحقيقي فى هذا المجال هو أنه يسعى لتحقيق هذا التحول دون أن يكون ذلك على حساب حقوق العمل. كذلك يجب أن يذكر لمبارك تصديه الواضح والصريح للإرهاب، والذى لا يقبل أى مقايضة ولا مساومة، وإذا كان الإرهاب قد أنحسر الآن فى مصر، فإن الفضل فى ذلك يرجع لهذه السياسة.

على أن مبارك فى رأيى سيذكر فى التاريخ الحديث لمصر بأنه بدأ عهداً جديداً اتسم بقدر من الحرية لم تعرفه البلاد من قبل، فرغم كل ما نقرأه فى مختلف الصحف، فإن قلماً لم يقصف فى عهده، ولم يحدث أن اطمأن الشعب على نفسه رغم ما قد يبديه من رأى، كما حدث فى عهد مبارك.

أما فى السياسة الخارجية، فقد تمكن من إعادة علاقاتنا بجميع دول العالم، ووضع

مصر فى مكانها الصحيح فى العالم العربى، وإستعاد بقية سيناء وقارب على تحقيق السلام العربى الشامل بالإتفاق الفلسطينى الإسرائيلى، فهو داعية سلام وداعية تعمير فى آن واحد.

واسأل : ألا ترى أية سلبيات لعهد مبارك فيقول الأستاذ: بل أرى سلبيات متعددة كما هو الحال مع أى نظام سياسى، لكنى أعجز عن أن أجد سلبية واحدة نشأت فى عهده، فكل السلبيات التى نعانى منها الآن هى موروثة، وإن كان مبارك قد تعرض لها فبالإصلاح والتقويم، وإذا كانت قد تاهت عن ذاكرتى سلبية جدت فى عهد مبارك فلتذكرنى بها.

فأقول : ذاكرتك دائماً بخير يا أستاذ نجيب»[1].

مبارك وأمريكا :

«قال نجيب محفوظ: لقد مرت علاقتنا بأمريكا بمراحل كثيرة ومتنوعة منذ بداية الثورة، حين كان لدى المصريين إحساس بأن واشنطن تبارك الثورة التى خلعت الملك وأسست الجمهورية، والحقيقة أن الولايات المتحدة غازلت بالفعل النظام الجديد فى مصر والذى لم يجد غضاضة فى أن يصادقها كوسيلة للخلاص من المستعمر البريطانى، ونستطيع أن نقول إنه من عام ٥٢ وحتى سحب جون فوستر دالاس تمويل السد العالى كانت فترة شهر العسل بين مصر وأمريكا.

لكن منذ ٥٦ حين أكتشفنا أن تقرب أمريكا لنا وراءه سياسة ملء الفراغ، وأن الولايات المتحدة تحاول أن تحل محل النفوذ الاستعمارى القديم توترت العلاقات بشكل كبير رغم أن الضغط الأمريكى على بريطانيا وفرنسا للانسحاب من السويس عام ٥٦ كان يمكن أن يكون بداية جديدة، لكنه كان قراراً منفرداً من أيزنهاور ولم يعكس سياسة مستقرة تدعو لتحرر الشعوب كما كنا نتصور عن أمريكا.

ولقد وصلت العلاقات فى توترها إلى أسوأ مراحلها مع حرب ٦٧ التى كان فيها الرئيس جونسون متواطئا بالكامل مع إسرائيل، إلى أن جاء الرئيس السادات وقرر أن ينحاز إلى أمريكا ويعتمد عليها بالكامل فى حل القضية وفى الناحية الاقتصادية أيضاً،

1ـ حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1996/5/9.

وهكذا تحولت علاقاتنا بأمريكاً ١٨٠ درجة فانتقلنا من النقيض إلى النقيض.

أما في عهد مبارك فإن البندول الذى كان في أقصى جانب العداء خلال عهد عبدالناصر ثم تطرف في الجانب الآخر في عهد السادات قد استقر في مرحلة وسطى تتسم بالعقلانية في التعامل بين الجانبين، وقد كان هذا واضحاً في زيارة الرئيس الأخيرة إلى أمريكا والتى تعتبر من أنجح الزيارات التى قام بها، فهو مثلاً لم يسلم لأمريكا أو إسرائيل بكل ما تطرحه مجنباً وجهة النظر العربية، كما أنه على الجانب الآخر لم يذهب لتأكيد الخلافات وإنما طرح الموقف العربى بوضوح، ونجح في أن يحصل على تأكيدات بمتابعة محاولات التسوية كما يراها الجانب العربي.

إن العلاقات المصرية - الأمريكية الآن علاقات حتمية لا يشوبها التطرف في جانب أو آخر، لأنها مبنية على السيادة والاحترام المتبادل»[1].

ثانياً - قادة الرأى فى الأدب والفن :-

عبدالرحمن بدوى

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : كانت معرفتي بالفيلسوف الراحل عبدالرحمن بدوى معرفة سطحية وحذرة، ذلك أنه كان إنساناً له أسلوب خاص في الحياة ليس فيه مجال للود المتبادل بين الناس، لقد كان عبدالرحمن بدوى راهباً في محراب الفلسفة، ولم يكن يميل للاختلاط بالناس أو إضاعة وقته في مجاملتهم، ولم تكن الناس تتقبل ذلك بسهولة، وأذكر أن أحد الأصدقاء الذين كانوا يجلسون معنا في كازينو الأوبرا وكان اسمه الشيخ عجلان قد لمح ذات مرة عبدالرحمن بدوى سائراً أمام الكازينو فحياه، لكن عبدالرحمن بدوى كعادته اكتفى بأن أومأ إليه بإشارة من بعيد دون أن ينطق بكلمة ترد التحية، فما كان من الشيخ عجلان الذى استاء كثيراً لهذه المعاملة إلا أن سبه وجرى في إثره يريد ضربه، وظل الاثنان يجريان أمامنا في ميدان الأوبرا الواحد وراء الآخر.

ولقد كنت ألتقي بعبد الرحمن بدوى في منزل المرحوم الشيخ مصطفى عبدالرازق، فقد كان عبدالرحمن بدوى من تلامذته المقربين، وكنت كثيراً ما أزور الشيخ مصطفى

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1996/8/8.

وألتقي بعبد الرحمن بدوى هناك.

أما بداية تعرفى بعبد الرحمن بدوى فكانت فى أثناء الدراسة بالجامعة فقد كنت فى السنة الرابعة بقسم الفلسفة بآداب القاهرة وكان هو فى السنة الثالثة وكنا ندرس «التحقيق» معا على يد البروفيسور كراوس، لذلك كنا نلتقى أسبوعياً فى هذا الدرس، ولقد مات كراوس بعد ذلك منتحراً وهو مازال شابا، بينما شب عبدالرحمن بدوى ليصبح واحداً من أكبر من حققوا النصوص الفلسفية فى عصرنا الحديث، وماقدمه من ترجمات ومؤلفات هى علامات مهمة فى مكتبتنا الفلسفية، وقد كرس سنواته الأخيرة للدفاع عن الإسلام فهاجم كل المستشرقين الذين كان لهم موقف من القرآن أو من الرسول صلى الله عليه وسلم»[1].

توفيق الحكيم

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ: هذا الأسبوع حلت الذكرى العاشرة لرحيل الكاتب الكبير توفيق الحكيم، ولقد تذكرت بهذه المناسبة التى مرت علينا مر الكرام ما قلته لى بعد فوزك بجائزة نوبل من أنه كان هناك من كانوا أحق منك بها، وذكرت لى يا أستاذ نجيب العقاد وطه حسين وتوفيق الحكيم.. فقال: هذا صحيح، وأنا مازلت عند رأيى هذا وأشكرك أنك ذكرت ذلك فى وقت يبدو أننا قد نسينا أفضال توفيق الحكيم على الأدب العربى.

سألت: وماذا كانت أفضاله: فقال: إن ما تسألنى فيه أكبر من أى حوار محدود كحوارنا هذا، ولا أستطيع أن أقول لك إلا بعض الانطباعات البسيطة التى تناسب هذا المقام الصغير المتاح.. أولاً لقد كان ظهور توفيق الحكيم فى حياتنا الادبية مفاجأة فنية كبيرة لأننا اعتدنا على الأدباء الباحثين والنقاد الذين كان الإنتاج الفنى على هامش حياتهم، فكان كل منهم يؤدى رسالته العقلية النقدية أولاً ثم بعد ذلك قد يكتب الرواية أو الشعر، لقد كان هذا هو حال المفكر الكبير عباس محمود العقاد وأستاذ الجامعة العظيم د. طه حسين، حيث كان انجاز كل منهما فى المجال الثقافى أكبر بكثير من الأشعار

---

1 - حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 2002/8/1 م.

التي كتبها العقاد أو الروايات التي كتبها طه حسين، أما توفيق الحكيم فقد كان فنانا في المقام الأول ولم يعتمد على شئ إلا فنه فلم يكن له حزب يشجعه ولازعيم يؤازره ولاكان ناقداً ولا استاذاً جامعياً، ولقد كانت «أهل الكهف» على سبيل المثال مفاجأة كبيرة للحياة الثقافية في الثلاثينيات، وأذكر أنني نزلت من الترامواى وأنا في طريقي للجامعة لأشترى «أهل الكهف» من المكتبة التجارية لأنها كانت حديث الوسط الثقافي كله وكتب عنها العقاد الذى لم يكن يكتب عن أحد بسهولة.

لقد كان توفيق الحكيم في نظرى بحيرة من تلك البحيرات الغنية التي تتفرع عنها الجداول والينابيع والأنهار، فهناك من أخذ عنه الرواية ومن أخذ المسرح ومن أخذ القصة القصيرة، ومن أخذ الفكرة والفلسفة، فتوفيق الحكيم ليس تأثيره في المسرح فقط رغم عمق هذا التأثير ولكن كان له أيضاً تأثير كبير في الفن الروائي فقد كتب أهم رواية عربية كانت قد صدرت حتى ذلك الحين، وهي «عودة الروح» التي لا تضاهيها «سارة» العقاد ولا «أيام» طه حسين رغم روعة كل منهما، لقد كانت «عودة الروح» أول رواية عربية مكتملة فنيا لذلك كانت في حد ذاتها مدرسة تأثر بها كل من كتب الرواية بعد ذلك كما تأثرت بها أنا شخصياً تأثراً كبيرا»[1].

مئوية الحكيم:

«قال نجيب محفوظ: أعجب من هذا الهدوء الغريب الذى تمر فيه الذكرى المئوية للراحل الكبير توفيق الحكيم.. أن للحكيم مكانة فريدة في الأدب العربي، فقد ولد الحكيم في حياتنا الأدبية عملاقاً من اللحظة الأولى، فكانت أول مسرحية يعرف بها هي «أهل الكهف» إحدى الروائع الخالدة في المسرح العربي، لقد كانت بمثابة قنبلة أدبية انفجرت في حياتنا الثقافية محدثة دويا هائلاً، ومالفت نظرى لها هو أن بعض من لم يكونوا كثيرى الثناء على الأعمال الجديدة قد امتدحوها مدحاً شديداً مثل عملاق الأدب العربي عباس محمود العقاد، كما أن آخرين من خارج مجال النقد الأدبي انفعلوا بها ونقدوها بجمال فائق عملاق مثل المغفور له الشيخ مصطفى عبدالرازق، أما أنا شخصياً فقد بهرت بها حين قرأتها وعرفت من خلالها أن فنا جديداً وفنانا جديداً قد دخل فجأة

1 ـ حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 31/7/1997م.

الحياة الأدبية العربية، ومنذ ذلك الحين بدأت أتتبع توفيق الحكيم في كل ما يكتبه فلم يخذلني أبداً، كانت كل أعماله على نفس درجة توقعاتنا من فنان مثله، فقد حدث هذا مع روايته الرائعة، «عودة الروح» ومع الكثير من قصصه القصيرة أيضاً.

ويختتم الأستاذ حديثه قائلاً: إنني دائماً ما أمثل توفيق الحكيم ببحيرة عملاقة مثل بحيرة فيكتوريا، خرجت منها جداولنا الأدبية وتفرعت عنها روافد كثيرة في المسرح والرواية والقصة القصيرة، كما كان صاحب فكر عميق أثر في جيل كامل من القراء، فهل يعقل أن تمر الذكرى المئوية الأولى له بهذه الطريقة المخجلة»[1].

جلسات الحكيم:

«قال الأستاذ نجيب محفوظ: في مثل هذه الأيام من كل عام كان توفيق الحكيم ينتقل إلى الأسكندرية لقضاء أشهر الصيف، وكانت جلساته في كازينو بترو من أمتع الجلسات، فقد كان يتحدث فيها في أمور كثيرة شخصية وعامة فتعرفت من خلالها على آرائه في الحياة والفن وكما عرفت تفاصيل حياته الشخصية، وكيف كانت علاقته بوالده الذي أرسله إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه في القانون فهوى المسرح والفن وعاد بدون الرسالة، ولقد كان الحكيم ينطلق في هذه الجلسات على سجيته فكان من أمتع المتحدثين ولم يكن يدانيه في حديثه الشيق إلا الموسيقار الراحل زكريا أحمد.

ولقد تعرفت من خلال هذه الجلسات على الكثيرين من أدباء الأسكندرية من الشباب الذين كانوا يحرصون على حضور مجلس الحكيم، كما تعرفت أيضاً على مجموعة من أصدقائه القدامى، والذين كانوا ينتمون إلى ماكان يعرف وقتها بالعهد البائد مثل إبراهيم باشا فرج وبرهان باشا نور وشمس الدين باشا عبدالغفار وغيرهم، وفي البداية كان هؤلاء الباشوات متخوفين مني، فقد كانت قصصي تنشر في ذلك الوقت «بالأهرام» الذي كان معروفاً بارتباطه بالسلطة في ظل رئاسة الأستاذ محمد حسنين هيكل فكانوا حذرين في حديثهم أمامي، لكن الحكيم أخذ لي منهم الأمان بعد أن قال لهم أنني «عهدته» الشخصية»[2].

1 - حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 1998/9/30 م.

2 - حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 1998/7/2 م.

شخصية الحكيم :

«ثم يتحدث نجيب محفوظ عن علاقته الشخصية بتوفيق الحكيم فيقول : إن علاقتي بتوفيق الحكيم بدأت «بزقاق المدق» فقد كان لنا صديق مشترك هو محمد متولي الذى كان مديراً لدار الأوبرا، وفي يوم قال للحكيم: سأهديك رواية لشاب جديد وقد فوجئ متولي بعد ذلك بأن الحكيم قرأ الرواية كاملة، وطلب منه أن يرسل له كاتبها لمقابلته، وقد ذهبت إليه بالفعل فى مقهى كان يقع أمام مبنى البنك المركزى الحالى فوجدته جالساً مع صديق له هو الدكتور محمود دسوقي أستاذ اللغة الألمانية، وكان أول ماقاله لي الحكيم هو : ساعزم عليك بقهوة فتقول متشكر فألح عليك، ثم يأتي الحساب فأصمم على دفعه وتصمم أنت بدورك.. فبدلاً من كل ذلك فليطلب كل منا مايريده ويدفع حسابه ! وبعد أن أطمأن إلى تسوية هذا الموضوع بدأ يحدثنى عن روايتى وعن الأدب بشكل عام، وفى نهاية الجلسة كنا قد تقاربنا والتقت أفكارنا، وانتظر الحكيم حتى جاء الحساب فوجدنى أدفع حسابى كما اتفقنا فزاده ذلك اطمئنانا، وكنا على مشارف فصل الصيف فدعانى إلى الانضمام إلى جلسته الأسبوعية فى مقهاه المعتاد بالأسكندرية، وقد كنت أنا الذى اقترحت عليه مقهى «بترو» ففى طريقي إلى المقهى الذى كان قد حدده لى رأيت مقهى «بترو» على الكورنيش فقلت له إنه أفضل من المقهى الذى يجلس فيه، وحين رآه توفيق الحكيم أعجب به ونقل جلسته إلى هذا المقهى الذى ارتبط باسمه لسنوات طويلة قبل أن يزال ويبنى مكانه عمارة سكنية عملاقة»[1].

على الراعى :

«بادرني الأستاذ نجيب محفوظ بالقول: لقد حزنت حزنا شديداً على رحيل الدكتور على الراعي، فقد فقدت الحياة الأدبية في مصر ناقداً كبيراً كان يتصف بالموضوعية وبالخلق المهنى الرفيع، ولقد عرفت على الراعى منذ دخلت الحياة الأدبية وقبل أن أتعرف عليه شخصياً فقد وجدت فيه كاتباً جيداً يدفعنى دائماً لقراءة مايكتب لكنى عرفته شخصياً حين انتقلت من وزارة الأوقاف للعمل بوزارة الإرشاد للعمل مع المرحوم يحيى حتى بمصلحة الفنون وكان ذلك وقت وزارة فتحى رضوان الذى أعتقد أنه كان قد انتدب على الراعي للعمل بمكتبه فتعرفنا كل منا على الآخر وتصافحنا باليد، وكنت فى ذلك

1 - حوارات نجيب محفوظ الأهرام،1998/8/6 م.

الوقت أعاني من الانصراف عن الكتابة، وتحدثت إليه في أزمتي هذه فاهتم بها اهتماماً كبيراً، وقال أن من كتب «الثلاثية» لايجب أن يتوقف عن الكتابة، وكان أول من طمأنني إلى أن المسألة مجرد رد فعل طبيعي بعد الانتهاء من «الثلاثية» ، فهي عمل ضخم يتطلب أن تعقبه فترة راحة، وأكد لي أنني سأعود مرة أخرى للكتابة ولكن بعد أن تحصل نفسي على القسط اللازم لها من الراحة، وقد كان.

ثم يضيف : ولقد كان علي الراعي في علاقاته الشخصية حلو المعشر، أما كناقد فقد ظهرت هذه الأخلاق في كتاباته، فرغم أن الراعي كان يساريا إلا أنه لم يكن يتعصب لليساريين مثل غيره من النقاد والصحفيين، فإذا تناول عملاً أدبيا حكم عليه أدبياً بصرف النظر عن اتجاهات صاحبه، وقد كان هذا شيئاً نادراً في وقت من الأوقات.

على أن أهم ما في علي الراعي كناقد هو أنه كان دائماً باحثاً عن الشئ الجميل وليس عن القبيح، فهناك من يخلطون بين النقد والانتقاد.. أما علي الراعي فكان يعتقد أن مهمة النقد هي أن تبصرنا بمواطن الجمال في العمل الفني.

ويختتم الأستاذ حديثه قائلاً : إن التاريخ الأدبي العربي سيذكر دائماً لعلي الراعي موسوعتين فريدتين هما موسوعتيه عن المسرح وعن الرواية في الوطن العربي، وأنا أعلم أنه كان يفكر في إصدار موسوعة مماثلة عن القصة القصيرة أتمنى أن يكون قد انتهى منها قبل رحيله»[1].

علي الراعي(٢) :

«ويواصل الأستاذ حديثه عن الناقد الكبير الراحل علي الراعي فيقول : لقد كان علي الراعي ناقدا جميلاً ولا أذكر أنه أضر بأحد من الكتاب عن طريق التهجم على عمل له، فقد كان لا يهتم إلا بالعمل الجميل وكانت مهمته هي أن يبصرنا بهذا الجمال، أما إذا وجد عملاً قبيحاً فإنه كان يتجاهله لأنه في تعريفه ليس عملاً فنيا يستحق التوقف عنده لأن العمل الفني دائماً جميل.

ثم يقول : إن ماكتبه الدكتور علي الراعي عن «الثلاثية» سيظل من أجمل ماكتب عنها قاطبة، فقد كانت له رؤية نقدية نافذة وكان أسلوبه في معالجة العمل الفني خلاباً،

1 - حوارات نجيب محفوظ الأهرام،1999/1/28 م.

ولقد كان على الراعى هو أول من قال إن الثلاثية تفتح باب العالمية أمام الأدب العربى وكان ذلك قبل نوبل بعشرات السنوات.

لذلك كان يعجبنى فى على الراعى تشجيعه للشباب، فكثيراً ما كان يتحمس لعمل جديد كتبه أحد الشباب فكان يفرد له المساحة وكأنه بصدد عمل لأحد الكبار، وكان يعتقد أن العمل الفنى الجيد ينبغى الاهتمام به بصرف النظر عن صاحبه، بينما وجدنا الكثير من النقاد يتأثرون ليس بقيمة العمل وإنما باسم صاحبه، وحين يأتى ذلك فى وقت يعانى فيه الشباب الاهمال وعدم التشجيع والانصراف عن الأدب والقراءة وعدم وجود فرص للنشر فإن ما كان على الراعى يفعله مع الشباب لا يمكن التقليل من أهميته.

لهذه الأسباب كلها كانت كتابات على الراعى تفتح النفس للكتابة، بينما نقاد آخرون كانت كتاباتهم تسد النفس»[1].

المازنى:

«قال الأستاذ نجيب محفوظ عن إبراهيم عبدالقادر المازنى : لقد كان المازنى يتمتع بأسلوب أدبى خاص وجميل وقد كان يكتب بحلاوة وعذوبة لامثيل لها وهو الوحيد بين الرواد الكبار - طه حسين والعقاد وهيكل وسلامة موسى - الذى لو تخصص لكان روائيا ضخما لأنه كانت لديه مواهبها جميعاً لكنه للأسف لم يكتب إلا «إبراهيم الكاتب» و«إبراهيم الثانى» - كما كان مترجماً ممتازاً تقرأ له فلا تتبين أن ماتقرأه هو ترجمة وإنما من سلاسة أسلوبه تتصور أنه الأصل..

وقد كانت لى معه واقعة لا أنساها فحين صدرت لى رواية «زقاق المدق» لأول مرة فى عام ١٩٤٧ قال المازنى لعبد الحميد جودة السحار وقد كان صديقاً له، أنه يريد أن يقابلنى وأخبرنى السحار بذلك، فذهبت للقائه وكان يسكن فى شارع فاروق الذى سمى بعد ذلك شارع الجيش، وكان بيته بسيطاً مثل البيوت التى نسكنها، وقد استقبلنى فى حجرة تغطى الكتب جميع جدرانها، فلم أر لها جدرانا، وشجعنى كثيراً على أن أواصل

---

1 - حوارات نجيب محفوظ الأهرام،1999/2/4 م.

الكتابة الروائية لكنه استدرك قائلاً أن ما أكتبه ينتمي لمدرسة الأدب الواقعي والتي لم يكن أحد يتحدث عنها في هذا الوقت المبكر وهذا النوع من الأدب يأتي بالكثير من المشاكل فعليك أن تتوقع مثلاً أن يقيم عليك أحد المواطنين قضية قائلاً أنك كنت تقصده في إحدى رواياتك، ثم أن الرواية عندنا في مصر هي نوع من السيرة الذاتية مثل روايتي «إبراهيم الكاتب» أو رواية «سارة» للعقاد أو «الأيام» لطه حسين .. وحين تكتب أنت الآن «زقاق المدق» فالناس ستقول أن تلك سيرتك، لأننا في مصر لم نتعود الواقعية الموضوعية بعد، لذلك فإني أنبهك لذلك حتى تحترس.

ثم ذكر لي هذا الرجل طيب القلب بعض الأمثلة لكتاب أجانب رفعت عليهم القضايا لنفس هذه الأسباب، فانظر كيف يهتم كاتب كبير بروائي شاب مثلي ويطلب مقابلته ليشجعه ثم ليحذره من بعض المنزلقات...»[1].

عباس العقاد :

«تحدث الأستاذ نجيب محفوظ عن عباس محمود العقاد فقال: إن صلتي بالعقاد منذ الصغر كانت وثيقة للغاية فقد كنت أقرأ له بانتظام باعتباره كاتب الوفد الأول في مختلف الجرائد الوفدية مثل «كوكب الشرق»، و«الجهاد» وذلك وقت المعارك الوفدية الكبرى، وكان العقاد، بالنسبة لي هو الكاتب السياسي الذي وصفه سعد زغلول «بالجبار»، إلى أن قرأت ذات يوم إعلانا عن إعادة طبع ديوان العقاد وأذكر أنني سألت والدي : هل هذا هو عقادنا؟

فقال لي نعم هو نفسه، وحتى ذلك الوقت لم أكن أعرف أنه شاعر، بعد ذلك أصبح العقاد هو الشاعر الوحيد الذي قرأت كل كلمة كتبها من «الألف إلى الياء» فرغم إعجابي بالمتنبي مثلاً فلا أدعي أنني قرأت كل ماكتب، وكذلك أبونواس، لكن الذي كنت أجد فيه مايجذبني لألتهم كل بيت شعر كتبه كان العقاد.

ثم يقول : ومع ذلك فأنا لا أقول أن العقاد كان أكبر عبقرية شعرية عرفتها لكنه كان يمثل نزعة عقلانية واضحة، في وقت كنت أنا أتجه إلى دراسة الفلسفة بالجامعة

1 - حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 1998/4/16 م.

فوجدت في شعره العقلاني ما يتفق مع استعدادى في ذلك الوقت، فقد كان العقاد ينتمي في هذا الصدد إلى مدرسة أبو العلاء المعرى.

ولقد قرأت أيضاً كتب العقاد غير الشعرية مثل كتابه العظيم «ساعات بين الكتب» وكتبه عن سعد زغلول، وعن أبي نواس وعن المسيح، وهو مفكر جيد جداً وأسلوبه العقلاني يحتاج إلى مجهود من القارئ فهو صوت عقلاني منطقي يقول: «ربع واسمعني»[1].

عباس العقاد(٢):

«... ويواصل الأستاذ نجيب محفوظ حديثه عن العقاد فيقول: على الرغم من تأثير العقاد الكبير على فإنني لم أكن أعرفه شخصياً، ولكنه أنصفني عدة مرات دون أن تكون بيننا معرفة، فقد كانت هناك مسابقة للقصة، وكانت اللجنة المشرفة عليها يغلب عليها الذوق التقليدى، ولم يكن فيها شخص مساير للاتجاهات الجديدة غير عبدالقادر المازنى لذلك فضلت اللجنة أن تمنح الجائزة في ذلك العام إلى محمد سعيد العريان عن رواية «باب زويلة» لكن المازني اختلف معهم وقال أن اللجنة لا تستطيع أن تتجاهل الرواية المقدمة من نجيب محفوظ، وكانت اللجنة قد رفضت منح الجائزة لرواية «القاهرة الجديدة» لأنها وجدت بها أشياء جريئة مثل أن بطلها قواد، وكذلك وجدت اللجنة خروجاً على التقاليد في «زقاق المدق» فقال لهم المازنى: وماذا عن «خان الخليلى» إن ما تعترضون عليه في الروايات الأخرى للكاتب غير موجود في هذه الرواية.

وبينما هم يتناقشون تعالت أصواتهم في أثناء خروج العقاد من لجنة أخرى فسمع نقاشهم، فعرج عليهم مستفسراً: لماذا يتشاجرون؟ فقالوا له: لقد جئت في وقتك، لقد اختلفنا حول جائزة الرواية وسنحكمك فيما بيننا، فنحن نريد أن نمنح الجائزة لباب زويلة، والمازني يطلب تقسيم الجائزة بين هذه الرواية و«خان الخليلى»، وقد قيل لى إن العقاد بعد أن قرأ الروايتين بعث إلى اللجنة يقول إنه يختلف مع الرأيين فقد رأى أن يأخذها صاحب رواية «خان الخليلى» وحده وقد رأت اللجنة إزاء ذلك أن تقبل تقسيم الجائزة بين الروايتين.

1 - حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 1999/7/15م.

أما المرة الثانية فكانت بعد ذلك بسنوات ،حين قال العقاد في حديث تليفزيوني أذيع قبل وفاته بقليل : إن عندنا في مصر من يستحق الفوز بجائزة نوبل، وذكر اسمي فكان أول من تنبأ بذلك، وبعد حوالي ربع قرن من الزمان تحققت نبوءته»[1].

ثروت أباظة الصديق :

«بادرني الأستاذ نجيب محفوظ وفي عينيه نظرة أسى قائلاً : لقد صدمت في وفاة ثروت أباظة صدمة كبيرة مازلت غير قادر على تخطيها.

ثم قال : لقد كان ثروت أباظة بالنسبة لي ثلاثة، كان أولاً صديقاً عزيزاً، ثم كان أديباً كبيراً، كما كان أيضاً فارسا نبيلاً، وأول ما عرفت ثروت أباظة كان من خلال مقالاته الأدبية، وقد تصورت آنذاك من مستوى كتابته أنه كاتب كبير إلى أن أخبرني صديقي المرحوم فؤاد نويرة أنه مازال طالبا بكلية الحقوق، وأذكر أنه كتب مقالاً في ذلك الوقت عن إحدى رواياتي وجدت فيه فهما عميقا للفن الروائي وأسلوباً جزلاً يدل على أن كاتبه أديب عظيم، وقد سعدت حين أخبرني فؤاد نويرة أن ثروت أباظة سيأتي إلى مقهى عرابي لكي يتعرف بي، وقد كانت هذه المقابلة بداية صداقة امتدت نحو ستين عاماً، ولم يشبها أي خلل برغم وجهات نظرنا المختلفة، سواء قبل الثورة أو بعدها، وقد كانت مقابلاتنا كثيرة وبعد خروجي على المعاش كان لنا وقت كنا إذا لم نلتق نتحدث بالتليفون لمدة نحو نصف ساعة نتبادل فيها الحديث عما كان كل منا يكتبه من أعمال ويبدى كل منا فيها رأيه للآخر أما في الصيف فكنا نلتقي يومياً، في الإسكندرية على مائدة توفيق الحكيم.

ويطرق الأستاذ مرة ثانية ثم يقول : ودارت الأيام وباعد بيننا مرضي الذي حال دون استخدامي للتليفون، ثم مرضه الذي حال في الفترة الأخيرة، دون كثرة خروجه.

وفي بعض الأحيان لم أكن أستطيع الاطمئنان عليه، فكنت أرسل له التلغرافات، إلى أن وصلني خبر وفاته فشعرت بأن جزءاً غالياً من عمرى قد ذهب بلا رجعة.

أما الأديب والفارس فلهما حديث آخر»[2].

1 - حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 1999/7/22 م.

1 - حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 2002/4/18 م.

ثروت أباظة الفارس

« .. ويواصل الأستاذ نجيب محفوظ حديثه عن الأديب الراحل ثروت أباظة فيقول : لقد كان لثروت أباظة أخلاق الفرسان من الشجاعة والمروءة والشهامة والكرم، وهى فضائل أصبحت قليلة فى عالمنا، لكن كان له منها نصيب كبير جداً ففى الشجاعة أذكر أنه حين كتب توفيق الحكيم عريضته التى بعث بها للرئيس أنور السادات احتجاجا على حالة اللاسلم واللا حرب التى كانت سائدة فى بداية السبعينيات فإن ثروت أباظة غير فيها إحدى الجمل مما جعلها أشد، رغم أننا كنا نميل أنا وتوفيق الحكيم إلى أن نجنبه هو تبعات هذه العريضة، لكنه أصر على توقيعها، ومن شجاعته أيضاً أنه لم ينافق السلطة أبداً لدرجة أنه مكث عمراً طويلاً بلا وظيفة لهذا السبب..

أما مروءته فقد تعجب أن كل من كانت له حاجة من خصومه السياسيين كان يلجأ له لأنهم كانوا يعرفون جيداً أنه كان رجلاً شهما، وقد كنت أنا شخصياً وسيطا فى الكثير من هذه المواقف التى لم يكن يتردد فيها ثروت أباظة عن تلبية حاجة من يلجأ إليه.

لقد كان ثروت أباظة هو مؤسس اتحاد الكتاب، ولم يكن ذلك لمجد كان يسعى إليه، بل كان لخدمة الأدباء، لذلك فلم يكن يتردد أبداً فى خدمة كل أديب مهما كان اختلافه معه فى العقائد، وقد كان فى معاركه السياسية يقف بالمرصاد لليسار وللتيار الدينى فى أن واحد، لكن ساعة الحاجة كان هو دائماً رئيس اتحاد جميع الكتاب، وقد كانت جميع الخدمات التى قدمها الاتحاد للكتاب من جهود ثروت أباظة الشخصية.

لذلك أقول إن ثروت أباظة كان يتمتع بأخلاق الفرسان حقاً، وكان ذلك فريداً فى عصر طغت عليه المصالح الشخصية»[1].

موضوعية الرواد:

« ... إن العقاد وطه حسين والمازنى وهيكل قد أثروا حياتنا بدرجة كبيرة جدا فقد قاموا بعمليتين كبيرتين للغاية، فقد قدموا لنا تراثنا القديم بمنهج علمى حديث فقرأنا «حياة محمد» لهيكل وقرأنا إسلاميات العقاد بفكر حديث ومنهج حديث، أما العملية

1 - حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 2002/4/18 م.

الثانية فهي أنهم قدموا لنا الفكر العالمي والتراث العالمي وهكذا عرفنا برناردشو وهـ.ج ويلز وأناتول فرانس قبل أن نعرف كلمة في الانجليزية أو الفرنسية، أي أنهم قدموا لنا العصر الحديث والعصر القديم بمرآة العصر الحديث، وذلك إنجاز ثقافي كبير استحقوا عليه لقب الرواد والمجددين وكانوا مجموعة لم يشهد لها الأدب المصرى مثيلاً من حيث إنجازها وضخامة عملها.

والحقيقة أن هذا الجيل تميز بشئ مهم وهو أن السياسة لم تفسد ذوقه الأدبي مثلما حدث بعد ذلك من تقسيم الكتاب إلى يمين ويسار، فقد كنت تجد العقاد وهيكل وطه يقاتلون بعضهم البعض بضراوة كل صباح بالصحف الحزبية، ثم يصدر كتاب لهيكل فينقده العقاد بكل نزاهة ويعترف به ومزاياه وطه حسين يعترف بالعقاد ،ونحن تلامذتهم، وقد كنت وفديا متحمساً لا أقرأ أحداً ممن يهاجمون الوفد ومع ذلك فإن مراجعي الأدبية في ذلك الوقت كانت هيكل وطه حسين المعادين للوفد، كما كانت أيضاً العقاد والمازني وسلامة موسى، لقد كنا نقرأ كتب أعدائنا السياسيين ونتعلم الأدب منها.

هذا الوضع لم يكن موجوداً وقت تقسيمة اليسار واليمين والتي للأسف مازالت معنا حتي اليوم، فلم يعد بمقدور البعض التجرد من الاعتبارات السياسية والحكم على الأدب كأدب، فعدوك في السياسة هو عدوك في الأدب، وهكذا فسدت الأذواق»[1].

زكريا أحمد:

«عرضنا على الأستاذ نجيب محفوظ خطاباً وصلنا من الأستاذ عبدالله نوفل المحامى يعترض فيه على إغفال مئوية الموسيقى الكبير الراحل زكريا أحمد والتى مرت مرور الكرام منذ سنتين، ويطلب سماع رأى الأستاذ نجيب في زكريا وفى الجلسات التى شاركه فيها على مدى سنين، فقال الأستاذ على الفور: قد كان واجباً على كل محب للموسيقى العربية أن يحتفل بالذكرى المئوية لميلاد الشيخ زكريا، لأنه كان صاحب أسلوب موسيقى

1 ـ حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 1998/4/2م.

مميز، وهو مازال يعيش في وجدان الملايين، فقد أثر كثيراً في الموسيقى العربية، وأنا أتساءل : أين معهد الموسيقى العربية من زكريا، هذا الموسيقى الكبير وتراثه وأين المجلس الأعلى للثقافة؟!

ثم يضيف الأستاذ : إن زكريا أحمد يمثل تراثاً موسيقياً فريداً، ان هذا العملاق الموسيقي الذى رحل عنا في بداية الستينيات بدأ مبكراً جداً، فقد اكتشفت مثلاً أن أغنية «ارخي الستارة اللى فى رحينا» هي من تلحينه، كما أنه لحن لمنيرة المهدية، كما لحن أغنيات دينية للشيخ علي محمود، ثم لحن لصالح عبدالحى إلى أن وصل إلى أم كلثوم، أى انه عاصر الموسيقى العربية الحديثة منذ بداياتها وحتى وصل إلى قمتها.. إن زكريا أحمد ملحن مصرى صميم، وقد كان أقل الملحنين تأثراً بالموسيقى الغربية وأكثرهم أصالة.. وإننى أشبهه دائماً «بالتقلية»، فكما أن «التقلية» فى الطهى غير موجودة إلا فى المطبخ الشرقى، فإن موسيقى زكريا أحمد هى الأخرى لها خصوصية معينة هى التى تعطى الموسيقى الشرقية مذاقها المميز»[1].

سعاد حسنى:

قال الأستاذ نجيب محفوظ: قابلت سعاد حسنى فى بداية مشوارها الفنى فى ظروف إنتاجية تتعلق بقيامها ببطولة أحد الأفلام المأخوذة عن رواية لى، وقد كانت فتاة مهذبة ودمثة الخلق وخفيفة الظل، كما كانت فنانة مرهفة الحس، ولقد تعجبت فى البداية حين رشحت للقيام لأول مرة ببطولة فيلم لى وأعتقد أنه كان «الطريق» فى أواسط الستينات، فقد أعتقدت أن أراها فى أدوار خفيفة تميل إلى الكوميديا، لكنى وجدت فيها بعد ذلك أبعاداً تراجيدية عميقة، وأنا أعتقد أنها كانت من أكثر ممثلاتنا تنوعاً، فى الأداء فى وقت كان الكثير من الممثلات الأخريات يملن إلى النمطية ولقد بهرت بأدائها فى الكثير من الأفلام المأخوذة عن رواياتى أو التى كتبت لها السيناريو بنفسى، فكان أداؤها رائعاً فى

1 ـ حوارات نجيب محفوظ الأهرام،1998/8/13 م.

«القاهرة ٣٠» لصلاح أبو سيف، وفي «الاختيار» ليوسف شاهين، كما دخلت قلبي بخفتها في «أميرة حبي أنا» لحسن الإمام، ولقد تطورت سعاد بسرعة من أدوار الفتاة الظريفة الخفيفة إلى أدوار المرأة الناضجة بحيث صارت قادرة على أداء أي دور سينمائي مهما تكن أبعاده، فقد كانت لديها مواصفات جميع الأدوار من الفرح الى الحزن ومن الأمل إلى الإحباط.

أما الشئ الثاني الذي ميز سعاد حسني فقد كان مصريتها الصميمة، ففي أدائها شخصية الفتاة الخفيفة كانت خفتها هي الخفة التي اشتهر بها المصريون، كما كانت حاستها الكوميدية ذات طابع مصري أصيل في الوقت الذي كنت تجد فيه بعض الممثلين الآخرين يقدمون كوميديا أقرب إلى ما نراه في الأفلام الأجنبية، لذلك فقد كنت أسعد كلما قدمت سعاد حسني إحدى رواياتي لأن شخصياتي تتسم بالطابع المصري الصميم نفسه الذي اشتهرت به فنانتنا العظيمة.. رحم الله سعاد حسني وجزاها خيراً عن كل ما قدمته لشعبها طوال أكثر من ثلاثين عاماً»[1].

ثالثاً - قادة العلم .. نوبل الكيمياء

أحمد زويل[2]:

«قال الأستاذ نجيب محفوظ: سعدت جداً بكل مظاهر التكريم التي قوبل بها العالم المصري العالمي أحمد زويل قبل وبعد فوزه بجائزة نوبل فأنا كنت أول من تنبأ له بهذا

---

1 - حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 2001/7/5 م.

2 - منح جائزة نوبل في الكيمياء لعام 1999 وهو من مواليد مدينة دمنهور محافظة البحيرة (شمال مصر) في 1946/2/26، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدينة دسوق التي نقل والده للعمل بها حيث حصل على الشهادة الثانوية، ثم التحق بكلية العلوم جامعة الإسكندرية، وحصل منها على البكالوريوس 1967 ثم الماجستير في علم الاطياف عام 1969م، سافر بعدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليبدأ رحلته للحصول على الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا عام 1974... ثم زمالة جامعة بيركلي عام 1975 وعمل أستاذاً مساعداً للطبيعة الكيميائية بمعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا في باسادينا من عام 1976 حتى عام 1978 ثم استاذاً مشاركاً للفيزياء الكيميائية بنفس المعهد حتى عام 1982، بعدها عمل أستاذاً للطبيعة الكيميائية من ذلك التاريخ وحتى الآن، راجع في ذلك: الشرق الأوسط، 1999/12/17، ص4. =

الفوز، وفى أول زيارة له للقاهرة حين كتبت فى هذا المكان أحييه منذ مايقرب من عشر سنوات، ولم أكن فى ذلك الوقت أعرفه، وتصادف بعد ذلك أن كنت جالساً مع الأسرة فى فندق سميراميس حين أقبل على رجل فى منتصف العمر يحمل وجهه المصرى ابتسامة بشوشة وعرفنى بنفسه وكان أحمد زويل.

ثم يضيف الأستاذ : لكن ما أريد أن أقوله هو ماذا نحن فاعلون بعد الاحتفالات والتكريم؟ هل سينفض المولد ويعود كل شئ كما كان؟ إننى أقترح أن نحاول الاستفادة من أحمد زويل الذى أقر العالم عبقريته العلمية والذى يقول أنا مصرى بأن نطلب استشارته فى كيفية وضع قاعدة علمية في مصر تهيئ لأصحاب المواهب أن ينمو مواهبهم ويقدموا لمصر عطاء، يشارك فيها زويل وسائر علمائنا الموجودين فى الخارج والذين برعوا فى مختلف الجوانب العلمية مثل الدكتور مجدى يعقوب فى جراحة القلب والدكتور فاروق الباز فى أبحاث الذرة وغيرهما وذلك مع علمائنا فى الداخل، على أن تكون مهمة هذه اللجنة هى وضع استراتيجية عامة للنهوض بالعلم فى مصر، صحيح أن الأبحاث العلمية يمكن أن تصل تكاليفها اليومية إلى ملايين الدولارات كما شرح د. زويل لكن مهمة هذه اللجنة يجب أن تكون وضع الخطة التى تتفق مع إمكانياتنا، وإذا كانت كل من الهند وباكستان بكل مالهما من مشاكل اقتصادية قد تمكنت كل منهما من أن تصبح دولة نووية فلابد أنه باستطاعتنا نحن أيضاً أن نضع البلاد على أعتاب التقدم العلمى والتكنولوجى الحديث ولا شك فى أن إسهام أحمد زويل وغيره من علمائنا فى الخارج سيكون مفيداً للغاية»[1].

= - منح جائزة نوبل تقديراً لأبحاثه عن المراحل الانتقالية والتفاعلات الكيميائية التى استخدم فيها منظاراً طيفياً بالغ السرعة فى زمن لايتعدى الفيمتوثانية (جزء من مليون مليار من الثانية...) وقالت الاكاديمية السويديه إن أبحاث زويل أنتجت شيئاً يشبه أسرع آلة تصوير فى العالم مما جعل من الممكن رؤية حركة الذرات على حدة راجع فى ذلك: سعودى جازيت، 1999/10/13م ص1.

1 - حوارات نجيب محفوظ ، الأهرام 1999/10/21.

حوارات نجيب محفوظ المتزن.. حول الإنسان وكيف يكون؟.. مع الزمان والمكان والعادات والتقاليد.

رحيل الأم :

وأقول للأستاذ نجيب محفوظ : أعرف أن والدتك كانت لها منزلة خاصة في نفسك، فكيف كان رحيلها ؟

فيقول : من حسن طالعي أنني تمتعت بحنان الأم إلى النهاية، فقد شاء الله أن تعمر والدتي حتى وصل بي العمر إلى مابعد الخمسين، وهكذا تمتعت بالكامل بكل فترات العمر التي تحتاج إلى رعاية الأم وعطفها وحنانها، وأتصور أن يتيم الأم في الصغر قد فقد ثروة لا تقدر، ولا تصدق ما يقال من أن فلانا أو فلانة كان بمثابة الأم، فهذا كلام مجازي لأن منزلة الأم لاتشغلها إلا الأم.

لكن من لطف الأقدار أنني حين توفيت والدتي كنت قد خابرت الموت والأحزان من قبل، فمثلاً توفي والدي وأنا في حوالي الخامسة والعشرين وقد سبب لي ذلك صدمة قوية جداً، لأنه رغم أن علاقتي بوالدتي كانت أشد وأقوى من علاقتي بوالدي، إلا أن رحيل الوالد كان أول تجربة لي مع الموت في محيط الأسرة القريبة مني، ولو كانت المتوفاة هي الوالدة لكانت صدمتي أشد بكثير، لذلك فرغم حبي الشديد لوالدتي الذي لم يكن يدانيه أي حب آخر، إلاأن حزني على والدي كان أشد لأنه جاء في سنوات التكوين الأولى.

وأقول : يقال إن الإنسان لا يبلغ سن الرشد إلا بموت أمه..

فيجيب : هذا صحيح فالإنسان طوال فترة حياة أمة يعتمد عليها في أشياء كثيرة قد لاتكون بالضرورة أشياء مادية ولكن هو يعتمد عليها عاطفياً، لكن برحيلها يفقد سندا عظيماً في الحياة ويدرك أنه قد أصبح الآن وحيداً في هذا العالم، قد يكون له أصدقاء وقد يكون له أبناء وأحفاد لكنه يعلم أن مكان الأم قد أصبح شاغرا إلى الأبد.

ثم يضيف بابتسامة رقيقة : لكن يهيأ لي أنه في الحياة الحديثة، فإن تلك المقولات قد أصبحت قديمة ، فالآن كثيراً ما ينفصل الشاب بعد انتهاء تعليمه عن أمه وأبيه، لذلك فحين يرحل بعد ذلك أحد الوالدين، فالابن كان مسئولاً بالفعل عن نفسه منذ سنوات وبلغ سن الرشد بعيداً عنهما.. لقد تغيرت الدنيا ولم تعد كما كانت»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1999/5/27.

المؤتمر القومى للمرأة :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : إن حركة تحرر المرأة هى سمة أساسية من سمات فترات النهضة في تاريخ الشعوب، فلا يمكن أن تكون هناك نهضة في المجتمع دون أن تصحبها حركة لتحرر المرأة وأقرب شاهد على ذلك هو تاريخنا نفسه ابتداء من فترة صدر الإسلام حين كان مكان المرأة جنباً إلى جنب مع الرجل (سواء فى الشعر أو فى ساحة القتال)، إلى تاريخنا الحديث، فثورة 1919 التى نفخت فى المجتمع رياح التقدم صاحبتها حركة قوية لتحرر المرأة استمرت فى المجتمع حتى الثلاثينيات، وكان من أنصارها سلامة موسى وطه حسين وسائر الكتاب التنويريين، وفى هذه الفترة تم إعادة طبع كتب نصير المرأة قاسم أمين، وقد سبق ذلك بالطبع المواقف المعروفة لهدى شعراوى فى أوائل العشرينيات وتأسيسها لأول اتحاد للمرأة، كذلك فمع ثورة 1952 التى غيرت وجه المجتمع حصلت المرأة على الكثير من حقوقها السياسية والاجتماعية وعينت المرأة لأول مرة وزيرة وسفيرة، فتحرر المرأة لا يقتصر فقط على المطالبة بمساواتها فى الحقوق والواجبات مع الرجل، وإنما فى خروجها إلى معترك الحياة مع الرجل فتأخذ مكانها فى الحياة السياسية والاقتصادية وسائر نواحى الحياة، لذلك فإن المرأة بتحررها تصبح إضافة مهمة للمجتمع فى شتى نواحى الحياة، وأنا لن أنسى أبداً المظاهرة التى شاهدتها فى الثلاثينيات حين خرجت مجموعة كبيرة من سيدات هذا المجتمع لا للمطالبة بحقوق المرأة وإنما لمطالبة الملك بالعودة إلى دستور 1923 المعطل وكان ذلك وقت وزارة إسماعيل صدقى باشا المعروف بقبضته الحديدية، لذلك طرحت آنذاك فكرة إطلاق النار عليهن على الرغم من أنه كانت من بينهن حرم رياض باشا وحب الرمان وغيرهن من صفوة سيدات مصر، لكنهم بدلاً من ذلك استخدموا معهن خراطيم المياه إلى أن تمكنت السلطات من محاصرة المتظاهرات داخل حديقة الأورمان.

لذلك فأنا من أكثر المتحمسين للمجلس القومى للمرأة الذى تم إنشاؤه أخيراً والذى عقد هذا الاسبوع مؤتمره الأول، خاصة أنه يأتى عقب مرحلة من الردة التى حولت المرأة إلى «عورة» تغلق عليها الأبواب ولا تخرج إلى الحياة وبذلك ألغوا نصف المجتمع من منتجين ومبدعين ومشاركين فى الحياة العامة»[1] .

1ـ حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 2000/3/16 م.

المرأة :

«قالت الزائرة الإيطالية للأستاذ نجيب محفوظ : لست كاتبة ولا صحفية، إنى مجرد قارئة قرأت كل ما تم ترجمته من أعمالك سواء إلى الإيطالية أو الانجليزية وقد أعجبت كثيراً بالمكانة المميزة التى وضعت فيها المرأة والتى تختلف كثيراً عما آل إليه حال المرأة والإنسان بشكل عام فى الأدب الحديث فى العالم، فالمرأة فى أعمالك تتمتع بقدر من الاحترام، وبالحب سواء كانت الأم أو الحبيبة أو حتى الأخت التى ذلت قدمها وانجرفت إلى تيار الخطيئة فهنا نشعر أن الكاتب يؤكد نزاهتها وطيبتها وتضحيتها بنفسها من أجل شقيقها الذى يبدأ حياته كضابط، وأن الظروف هى التى دفعت بها إلى هذا الطريق.

وقالت : أنا أشعر أنك كلما تحدثت عن امرأة فأنت تتحدث بشكل مختلف بعض الشئ عن حديثك عن الرجل، فالرجل يمكن أن يكون انتهازيا أو متجبرا أو بلطجيا أو لصاً لكنك حين تجئ إلى المرأة فإن شعورى كقارئة هو أنك تنتقل إلى مستوى أكثر إنسانية وأكثر رقياً مهما كانت تلك المرأة مخطئة أو مقهورة كما هو الحال مع أمينة مثلاً فى «الثلاثية» والتى أصبحت رمزاً فى أدبك للمرأة المهضومة الحق، لكنى أجد أنك قد احطتها بقدر من الاحترام والتقديس داخل بيتها، بحيث يقوم أبناؤها بالانحناء أمامها وتقبيل يديها، وتلك العلاقة بين الأبناء والأباء قد اختفت هى الاخرى من آدابنا الحديثة لأنها لم تعد موجودة فى حياتنا العصرية التى تراجعت منها المثل وسيطرت عليها الماديات، لذلك فأنا حين أقارن بين ما تقدمه فى رواياتك من إجلال للمرأة وبين مكانتها فى أدابنا الحديثة أجد أن الانسان أصبح يتم تصويره الآن كمخلوق دونى يفتقر إلى المثل والاخلاق ولا يحركه إلا المال.

فقال الأستاذ : إننى فيما صورته كنت أنقل واقعاً قائماً ومعاشاً، لكن التغيير الذى حدث عندكم فى العلاقات الشخصية يأخذ الآن مكانه عندنا أيضاً وإن كان بشكل أبطأ قليلاً فالوحدة الآن فى المجتمع أصبحت فى معظم الأحيان هى الفرد وليست الأسرة والفرد أصبح فى معظم الأحيان تحركه المصالح الشخصية وفى مقدمتها الدوافع المادية،

وقد بدأ هذا التغير ينعكس بالفعل على الأعمال الأدبية الحديثة.

فردت الزائرة الإيطالية: إذن نحن سعداء أنك كتبت فى ذلك العصر الجميل الذى كان فيه الإنسان مازال إنساناً لأنك بذلك - شأن جميع الأدباء العظام - قد خلدت إنسانيته ولم تخلد انحطاطه[1].

محفوظ الإنسان:

«كثيراً ما ضاع الوقت الذى يخصصه لى أسبوعياً الأستاذ نجيب محفوظ فى أشياء أخرى تبدو للكاتب الكبير على قدر من الأهمية بحيث تستهلك وقتنا بالكامل، ومن بين هذه الأشياء سؤاله الدائم عن بعض من يتعرضون للمحن الصحية أو غيرها من رجال القلم والفكر ومحاولته الاطمئنان عليهم، وقد كان آخر مثلين على ذلك هما الأستاذ إبراهيم نافع حين سافر فجأة إلى الولايات المتحدة لإجراء العملية الجراحية التى قررها الاطباء بعد اصابته بالانزلاق الغضروفى ثم د. غالى شكرى الذى سافر إلى باريس للعلاج من ضيق فى شرايين المخ.

فقد ظل الاستاذ يسألنى فى كل زيارة عن آخر أخبار «نقيبنا» كما سماه، وهل أجرى العملية أم ليس بعد؟ ومتى سيعود؟ وفى النهاية قلت للاستاذ لماذا لاتتصل بالاستاذ إبراهيم فى الولايات المتحدة وتطمئن عليه بنفسك، فتهلل وجهه وسألنى: هل هذا ممكن؟

وبعد لحظات كنت همزة الوصل بين الاستاذ نجيب محفوظ والاستاذ إبراهيم نافع، حيث ظل الاستاذ يسأل عن تفاصيل حالة «نقيبنا» بعد إتمام العملية فطمأنه الاستاذ إبراهيم أن العملية قد نجحت وقال له إنه يجرى الآن جلسات العلاج الطبيعى الذى سيكمله فى مصر بعد عودته، فقال له الأستاذ نجيب الذى يخضع هو الآخر للعلاج الطبيعى على ذراعه منذ تعرضه لحادث الاعتداء قبل حوالى عام مضى «بقينا فى الهوا سوا».

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 2000/1/27م.

أما د. غالي شكرى[1] فقد أرسل له الأستاذ برقية ترحيب بمجرد عودته من الخارج، لكني وجدته يريد التحدث إليه، ولما كان معى جهاز التسجيل الذى أستخدمه في حواراتنا فقد طلبت منه التحدث فيه بما يريد وسأسمعه بنفسي لصديقه.

وبعد حوالي ساعة كنت في غرفة د. غالي بالمستشفى أقول له : أحمل لك هدية جميلة فنظر لما في يدى وقال : كاسيت؟ قلت : بل ما في الكاسيت، وأدرت الشريط فجاء صوت الكاتب الكبير المميز :

يا عزيزى ياغالي : عرفت أخبار حالتك، وبعد أن كنت قلقاً من أخبار لا أساس لها من الصحة أطمأننت أخيراً أننى سارجع اقرأ بانتظام صوت وفكر د. غالي شكرى وأنا أرجو لك الشفاء من أعماق قلبى، وأرجو أن تظل تشغل مكانتك الأدبية والفنية في حياتنا الثقافية حتى تشيخ وتشيخ وتتعدى المائة!»[2].

عيد الميلاد :

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ عما يمثله له عيد ميلاده الـ ٨٤ والذى حل هذا الأسبوع فقال :

هو محطة يصعب تصور محطة بعدها.. ففي أى عيد ميلاد ينظر الإنسان إلى عيد الميلاد التالي، لكن في سنى هذه يكون الإحساس دائماً بأن هذا هو العيد الأخير.

وأساله : وكيف تنظر لما مضى؟

قال بالرضا، ليس لأن مافعلته خلال حياتي لايمكن طلب خير منه، وإنما لأنى أشعر أننى فعلت مافي جهدى وبالطريقة السليمة، على أنه يداخلني شعور كالذى يشعر به من طال به الأمد في مكان ما حتى مل، ثم يضيف ضاحكاً ضحكته الصادقة : «الحقيقة أنى أنا زهقت».

ويشرح : أنى أشعر بالامتلاء وكأننى شبعت من الحياة وما أصبح يخفف من وطأة الأيام الآن هو أنها تنتهي.

---

1 - توفي فيما بعد.

2- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1995/12/14.

فأقول على الفور : إذا كان شعورك الآن يا أستاذ نجيب هو أنك لم تعد تحتاج للدنيا فإن الدنيا بدورها تحتاج إليك، ابتداء من دائرة أصدقائك المحيطين بك وحتى قرائك المنتشرين فى العالم كله.

فيقول الأستاذ : إن أهم شئ فى حياتى هو الصداقة لولا أصدقائى لكانت فترة السنتين الآخيرتين من أتعس أيام حياتى، أما القراء والذين أعتز بهم كل الاعتزاز فإن كل ما كتبته كان لهم وسيظل ملكاً لهم سواء كنت على قيد الحياة أم لا.

وأسأل : وكيف ترى الدنيا الآن بعين الـ 84 عاماً فيقول : إنها رحلة ثرية بها من كل شئ الخير والشر.

فأسأل : وماذا أخذت من الدنيا؟ فيقول بعد لحظة تفكير : حصلت على تجربة هامة تنطوى على متعة كبيرة وعلى الآم لاتنسى، أى أننى أخذت منها كل شئ يمكن للإنسان أن يأخذه وأكثر ما أعتز به هو ماحصلت عليه من أبناء وطنى البسطاء فالتقدير الكبير الذى حصلت عليه منهم يساوى فى نظرى أهم الجوائز العالمية أما فرحتهم بنجاتى فقد كانت الفرحة الأصفى»[1].

محطة سيدى جابر:

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ الذى بدأ عامه التسعين يوم الإثنين الماضى : لن أسألك كيف احتفلت بعيد ميلادك.. فأنا أعرف أنك لم تتعود الاحتفال به أبداً، رغم أن جميع من حولك يحتفلون بك فيه، لكنى سأسألك: كيف أمضيت ذلك اليوم؟

فتهلل وجه الأستاذ وهو يقول : نائماً، فأنا كما تعرف لا أنام الليل إلا بالمنوم، لكنى فى ذلك اليوم صحوت من نومى فى الصباح لأجد فى نفسى لأول مرة ميلا للنوم من جديد فاستسلمت للنوم لأجد نفسى قد نمت اليوم كله نوماً طبيعياً بلا عقاقير.

قلت : وكيف تنظر إلى عيدك الجديد الذى تبدأ فيه عامك التسعين؟

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1995/12/14.

قال : إن أعياد الميلاد هى محطات على طريق العمر ، والمحطة الحالية تشبه محطة سيدى جابر فحين كنت أسافر إلى الأسكندرية بالقطار كنت أنزل فى المحطة النهائية وهى محطة مصر ، أما المحطة التى قبلها فهى محطة سيدى جابر التى حين أصل إليها أعرف أن الوقت الباقى على نزولى لايسمح إلا بأن ألملم أمتعتى وأستعد لمغادرة القطار .

قلت : كلنا نعرف حال السكك الحديدية عندنا وتلك المسافة القصيرة بين محطة سيدى جابر ومحطة مصر قد تطول بأكثر مما هو مقدر لها .

فضحك وهو يقول : هذا إذا تعطل القطار ، وفى هذه الحالة فما فائدة قطار معطل حتى لو بقى على القضبان سنين ؟

قلت : أمد الله فى عمرك يا أستاذ نجيب ، ومنحك الصحة والعافية . . ثم أضفت : فى رحلتك هذه ما هى المحطة التى كنت تتمنى أن تمكث فيها وقتا طول ؟

ففكر قليلاً ثم قال : قد تكون هى محطة ٦ أكتوبر ففى عام ١٩٧٣ وصلت إلى عيد ميلادى وأنا قلبى مازالت تعمر فرحة النصر الذى كان قد تحقق قبل ذلك بأسابيع قليلة .

قلت : لقد وضحت تلك الفرحة فى أول رواية كتبتها بعد حرب أكتوبر وهى «ملحمة الحرافيش» التى تعتبر أكثر رواياتك تفاؤلاً .

قال : ذلك لأن الروح التى ألفت «الحرافيش» غير الروح التى ألفت بقية الروايات .

قلت : وأحزن المحطات ؟

قال : هى كثيرة ، فدعنا منها ولنبقى فى محطات الفرح»[1] .

زوج الاثنتين :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : نشرت الصحف أن محافظ الإسكندرية عبدالسلام المحجوب قرر إطلاق اسمك على القاعة الملكية بمحطة مصر وعلى ركن بمحطة سيدى جابر ، وذلك بعد تصريحك فى الأسبوع الماضى بأن عيد ميلادك الأخير ذكرك بمحطة سيدى جابر التى كنت تصل إليها قبل لحظات من انتهاء رحلتك الصيفية فى كل عام إلى الإسكندرية والتى كانت تنتهى فى محطة مصر .

1. وجهة نظر نجيب محفوظ ، الأهرام ، 2000/12/14 م .

قال الأستاذ : لا يسعني إلا أن أقدم الشكر والتقدير للسيد المحافظ على كل ما يفعله للإسكندرية، وعلى اهتمامه بمحطة مصر التي كثيراً ما جلست فيها في انتظار قيام القطار الذي كان يعود بي إلى القاهرة بعد انتهاء رحلتي السنوية إلى الإسكندرية، أما في رحلتي من القاهرة فلم أكن أمضي أي وقت بالمحطة على الإطلاق لأنني كنت دائماً متلهفا للوصول إلى الإسكندرية حيث هواء البحر المنعش وصحبة الأصدقاء.

قلت : ليست هذه المرة الأولى التي يطلق فيها اسمك على مكان عام، فهناك مثلاً قهوة نجيب محفوظ بخان الخليلي وقهوة «الحرافيش» التي يحمل فيها كل ركن اسماً من أسماء أصدقائك، وغيرهما من المقاهي التي تحمل أسماء أعمالك مثل «السكرية» و«زقاق المدق» و«بين القصرين» فهل ارتدت هذه الأماكن؟

قال : زرت قهوة «الحرافيش» لكني جلست في ركن بيرم التونسي لأنه كان أقرب إلى الشارع وأنا أحب جلسة الشوارع، كما كنت أذهب إلى مقهى نجيب محفوظ بخان الخليلي كلما كنت في المنطقة فقد كان هذا المكان خرابة كنا نطلق عليها اسم خرابة الثعابين، لكن المهندس المعماري بدلها تماماً، لكني أذكر أنني كلما زرتها كان رجال الفيشاوي يختطفونني قائلين :لا يمكن أن تكون في خان الخليلي ولاتجئ إلى قهوتك الأصلية وهي الفيشاوي، مهما تكن هناك من مقاه تحمل اسمك أو حتى اسم جدك، وقد كان ينتهي بي الأمر إلى ضرورة زيارة الاثنين معا، تماما كمن هو متزوج من اثنتين وكلما زار الواحدة وجب عليه زيارة الأخرى لكي يعدل بينهما، وأتمنى ألا اضطر إلى فعل الشئ نفسه ما بين محطة سيدي جابر ومحطة مصر، فإذا سافرت إلى الإسكندرية نزلت أولاً في محطة سيدي جابر لأمكث بها بعض الوقت، ثم استكمل رحلتي وأنزل بعد ذلك في محطة مصر لأمكث بها بعض الوقت هي الأخرى ثم أدخل بعد ذلك الإسكندرية»[1].

ثلاثة أعياد ولا احتفال :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : كل عام وأنت بخير مرة ثانية بمناسبة عيد الفطر المبارك هذه المرة، وعما قريب سيحل عيد ميلاد السيد المسيح عليه السلام، فقد تزامنت هذا العام الأعياد الثلاثة : عيد ميلادك التسعين وعيد الفطر وعيد الميلاد المجيد، فهل مازلت عازفاً عن الاحتفال؟

1- وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 2000/12/21م.

قال : الحقيقة أنني لا أجد فى نفسى ميلا لأى احتفالات هذا العام بسبب ما حفل به العام من خسارة فى الأرواح تحصى بعشرات الآلاف وذلك فى أفغانستان بتلك الحرب الضارية التى حلت بالشعب الأفغانى دون ذنب جناه، وأيضاً فى فلسطين بعد أن ردت إسرائيل على انتفاضة شعب يسعى للتحرر من الاحتلال الغاشم الرابض على أراضيه منذ ٤٣ عاما بشن حرب نظامية شرسة استخدمت فيها الطائرات والصواريخ وهدمت المنازل واقتحمت المناطق الواقعة تحت إدارة السلطة الفلسطينية، وفى الولايات المتحدة التى سقطت فيها عشرات الآلاف من المدنيين الأبرياء بسبب الدمار الذى لحق بنيويورك وواشنطن فى سبتمبر الماضى كان من بينهم مسلمون وعرب يعملون هناك من أجل قوت يومهم، فضلاً عن بعض مناطق أخرى فى العالم والتى تعودنا على سقوط الأرواح فيها مثل الشيشان لكنها توارت وراء ماجد من خراب فى المناطق الأخرى، فقل لى بربك بماذا نحتفل ؟ وكيف نحتفل؟

قلت : ألا يحمل تزامن أعيادنا هذه الثلاثة بعض الفأل الحسن؟

قال : الفأل الحسن يأتى حين تأتى لى بخبر سعيد من أى من هذه المواقع المتفجرة فى العالم والتى مازال يسقط فيها الأبرياء مع صباح كل يوم جديد»[1].

النيــل :

«وتحدث الأستاذ عن النيل فقال : كما تعرف لقد ولدت ونشأت فى حى شعبى بعيداً عن المياه والحدائق، لكن أذكر أن والدتى كانت تصحبنى للفسحة على النيل، فقد كانت مغرمة بالخضرة وبالمياه وكانت نظرتها للنيل مثل نظرتها للآثار بها كثير من الانبهار، ولقد عشقت النيل منذ الصغر ومازلت أذكر كيف كنت أتدلى من سور كوبرى أبو العلا لأنظر إلى مياه النيل المتدفقة ووالدتى ممسكة بى حتى لا أسقط.

فأقول لقد تغلغل النيل فى جميع كتاباتك ابتداء من المرحلة الفرعونية وأذكر مثلاً الاحتفال الكبير بالنيل فى رواية «رادوبيس» إلى المرحلة الواقعية حيث تلقى نفيسة فى «بداية ونهاية» نفسها فى النيل إلى المرحلة الفلسفية حيث «ثرثرة فوق النيل».

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2001/12/20م.

فيجيب : هذا صحيح فقد استمر عشقي للنيل في جميع مراحل حياتي حتى أنني أول أن تزوجت أحضرت زوجتي من الاسكندرية وسكنا في عوامة بشارع النيل أمضيت فيها أياماً أعتبرها من أسعد أيام حياتي.. حين كنت أفتح الشباك في الصباح لم أكن أرى سيارات ولا شارع أسفلتي وإنما المياه الرقراقة المتدفقة لهذا النهر العظيم ولم أكن استنشق عادم السيارات ولا أنفاس الجيران وإنما رائحة الطمي الطازجة وأشاهد على الشاطئ الآخر أشجار الكازورينا الباسقة وأمامها عوامات أخرى كان من بينها عوامة علي ماهر (باشا) رئيس الوزراء الأسبق والفنانة الكبيرة منيرة المهدية.

وحتى بعد أن تركنا العوامة كنت دائم الجلوس أمام النيل خاصة في شهور الصيف حين كنت أخذ إجازة من الكتابة.. كنت أمضي الساعات الطوال على شاطئ النيل أنتظر ظهور القمر وأتأمل.

وفي بداية تعرفي «بالحرافيش» كنا كثيراً ما نذهب إلى تلك البقعة الجميلة على شاطئ النيل لنتسامر ونتحدث، فإلى أن «لمنا» محمد عفيفي وتوفيق صالح في بيتيهما كانت سهراتنا دائماً «شوارعي»!

ثم ينهي حديثه قائلاً : لقد كانت أغانينا قديماً تتغنى بالنيل وجماله فلم يكن هناك شاعر ولا مطرب لم يتغن بالنيل من شوقي وحافظ إبراهيم إلى محمود حسن إسماعيل ومن عبدالوهاب إلى أم كلثوم.. أما الآن فلا أسمع أحداً يتغنى به لأنه لا أحد يعرفه بعد أن خنقناه بتلك المباني الخرسانية وأقمنا الكازينوهات الصاخبة على ضفافه.. ذلك النهر الخالد الذي عبده أجدادنا»[1].

قضية البيئة:

«تحدث الأستاذ محفوظ عن قضية البيئة فقال : إن الفكر المتخلف كان قديماً يعتقد أن الحفاظ على البيئة يعتبر من قبل الرفاهية في الدول النامية، حيث مازالت هذه الدول تبحث عن إطعام شعوبها، لكن تلك فكرة خاطئة فكيف يمكن لدولة أن تنمي نفسها صناعياً فتنشئ مصانع للأسمنت مثلاً وتتسبب بذلك في القضاء على صحة جيل كامل من الأطفال الذين يسكنون بجوار هذه المصانع، إن التنمية البشرية لا تنفصل عن التنمية

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/10/17.

الصناعية والدول النامية قد تحتاج إلى صحة أبنائها أكثر من الدول المتقدمة لأنهم فى حالات كثيرة يحلون بسواعدهم محل الآلات المتقدمة فى الدول الأخرى.

ثم قال الاستاذ : إن اهتمام الحكومة عندنا بقضية البيئة وتعيين وزيرة للبيئة فى الوزارة الاخيرة أنما يدل على شدة الاهتمام وعلى التنبه لخطورة هذه القضية التى لا تخصنا وحدنا وانما تخص البشرية كلها لأننا نعيش جميعاً فى عالم واحد وتحيطنا بيئة واحدة.

واضاف : أن الاهتمام بصحة البيئة وتنميتها أنما يدخل فى صميم الأكل الذى نأكله والماء الذى نشربه فهل هناك قضية أكثر خطورة مما يدخل أجسامنا، فهذه الخضراوات التى نأكلها هل كمية المواد الكيمياوية التى رشت بها تدخل ضمن الحد المسموح به دولياً أم هى أكثر؟ وماهى الأضرار الكبيرة التى تصيب الناس من زيادة هذه المواد فى أجسامنا؟ ثم هذا النيل العظيم الذى حولناه فى بعض المناطق إلى ماسورة للمجارى، ألا ينتهى الأمر بكل هذا فى كوب الماء الذى نشربه؟!

ثم ينهى حديثه قائلاً : لا، إن قضية التنمية ليست رفاهية أنها صحة الانسان، ولذلك فهى العمق الحقيقى للتنمية وبدونها تذهب جميع الجهود التنموية أدراج الريح»[1].

السحابة السوداء[2]!

«وجدت الأستاذ نجيب محفوظ هذا الأسبوع وقد أصيب بحالة احتقان فى حلقه، بسبب سحابة الدخان الأسود المخيمة على البلاد منذ أكثر من عشرة أيام، والتى أصابت الكثيرين بالتهابات فى الحلق والعيون والصدر، فقال لى : ألم يعلنوا متى ينتظر أن يزول

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، العدد 40505، يوم 1997/10/30.

2- شكلت لجنة بقرار من رئيس مجلس الوزراء للوقوف على أسباب هذه الظاهرة. وأرجعت اللجنة ظاهرة سحابة الدخان لعدة أسباب هى توفر مصادر مختلفة للدخان مثل أنشطة الحرق المكشوف للقمامة والمخلفات الزراعية بالإضافة إلى عوادم السيارات والمصانع وغيرها. وتضافرت الظروف الجوية مع مصادر الانبعاث السابقة فأدت إلى زيادة تركيز الملوثات فصارت على هيئة غلالة أو سحابة تعلق سماء القاهرة. راجع فى ذلك عبدالجواد على أحمد البطريق وآخرين. مجلس الشعب يناقش التلوث البيئى. الأهرام 1999/12/7، ص 13 وانظر إشارتهم إلى رد نادية مكرم عبيد وزيرة شئون البيئة بشأن هذا الموضوع

هذا الدخان؟! قلت : أنهم يصرحون كل ٤٨ ساعة بأن السحابة ستزول بعد ٤٨ ساعة، ثم يعودون بعد ذلك فيقولون انها مستمرة لـ ٤٨ ساعة أخرى!! قال : يقولون أنها بسبب حرق قش الأرز في المحافظات القريبة من القاهرة.. قلت : لقد صرحت بعض هذه المحافظات بأنها لاتحرق شيئاً وأن الجو بها صحو لا سحاب فيه ولا دخان ذلك أنها لا تزرع الأرز أصلاً حسب قرارات وزارة الزراعة، ولما كان من المستحيل أن يكون كلام المسئولين في القاهر خطأ، لذلك فإني أعتقد يا أستاذ نجيب أنهم يقيمون هذه الحرائق سراً وفي أماكن مغلقة داخل منازلهم حتى لايراها أحد، وذلك بعد أن اكتشف الفلاح المصري لأول مرة أن الحرق وسيلة مبتكرة للتخلص من فضلات حقله لم يتوصل إليها أي من أجداده منذ عصر الفراعنة وحتى الآن!

قال الأستاذ : إن الفلاح المصري يحرق هذه الفضلات منذ الأزل، لكنهم يقولون أن هناك مرتفعاً جويا أو منخفضاً لست أدري، هو الذي يستبقي الدخان هذه المرة فوق أجواء القاهرة.. قلت : لقد قالوا هذا فعلاً، لكن ما لم يقولوه هو أن هذا المنخفض هو مثل «الخفافيش» ينام في النهار فيترك جو القاهرة صحوا لاغبار فيه، ثم يصحو في الليل ليستقر مرة أخرى وحتى الصباح فوق القاهرة.. قال : سمعت أن الوزارة عقدت اجتماعاً خاصاً لبحث هذه الظاهرة الغريبة التي تسبب للناس الكثير من المتاعب.. فهل تعرف ماذا دار في هذا الاجتماع؟.. أو إن كانوا قد اتخذوا أي اجراءات تخفف من هذا الغيم الأسود الجاثم على صدورنا؟ قلت : لا أعرف، فالصحف التي كانت قد أعلنت عن الاجتماع يوم انعقاده صدرت في هذا اليوم التالي دون أن تتضمن كلمة واحدة مطمئنة عما دار فيه، وإن كانت هذه الصحف قد تضمنت تصريحات تشير إلى أن السحابة مستمرة ٤٨ ساعة أخرى.. قال بصوت زادت فيه حشرجة الالتهاب : أفادك الله، وافاد جميع المسئولين الغيورين على مصالح الوطن»[1].

---

1 ـ وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 1999/11/4.

حماية البيئة :

«بمناسبة اليوم العالمي للبيئة والذى حل منذ أيام قال الأستاذ نجيب محفوظ : إن من الأشياء التى تسعدني ذلك الوعي الذى تزايد فى الآونة الأخيرة بين الناس بمشكلات التلوث البيئي، فلقد مضى وقت كنا ننظر فيه لموضوع الحفاظ علي البيئة باعتباره من الكماليات، والآن أصبحنا نعرف أنه من الضروريات.. وقد كان إنشاء وزارة تختص بهذا الموضوع من الخطوات الموفقة والتي تضمن للناس حياة كريمة، فهناك شئ فى الأدبيات الغربية يسمى نوعية الحياة Quality of life بمعنى أنه لا يكفى أن يوفر المجتمع للناس الحياة فقط، فهناك نوعيات مختلفة من الحياة وهناك من الشعوب من يحيا حياة لاتليق بالإنسان، فأى نوع من الحياة يوفرها المجتمع؟ هل هي حياة خالية من التلوث الذى يصيب الناس بأخطر أمراض العصر؟ وأى حياة تلك التى يقضيها الإنسان مقعداً فى فراش المرض يعاني مرضاً عضالاً أو يصارع الموت بسبب تعرضه لغازات عوادم المحركات أو رذاذ الأسمنت المتناثر فى الهواء أو الكيماويات التى تتغلغل فيما نأكله من فواكه وخضراوات؟!

ثم يضيف الأستاذ : وإذا جاز لى أن أطالب بشئ فإنى أطالب بأن تكون لوزارة البيئة صلاحيات أكبر حتى تتمكن من مواجهة أسباب الأضرار التى نتعرض لها فى حياتنا اليومية منذ سنوات، وإني أرى أن مهمة الوزارة تنقسم إلى ثلاثة محاور: أولاً بث الوعى بين الجماهير بأهمية الحفاظ على البيئة، وثانياً العمل على إصدار تشريعات قوية تحمى البيئة بالقانون حتى يوفر لنا الحياة الكريمة الخالية من التلوث، وثالثاً ضمان قوة تنفيذية لإعمال القانون، فكم من التشريعات لم تتعد الأوراق التى كتبت عليها؟!

وينهى الأستاذ حديثه قائلاً : إن كل يوم جديد يمر لا يتم التصدى فيه لأسباب تلوث حياتنا أنما يضيف إلى المجتمع أعداداً جديدة من المرضى فى الحاضر أو المستقبل مما يعطل عملية التنمية.. فهل ذلك من الكماليات»[1].

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام ، 2000/6/8 م.

السد لم يكتمل!

«قلت للأستاذ لقد وصل فيضان النيل خلف السد العالى إلى أعلى معدلاته منذ بناء السد، فما هو تقييمك الشخصى للسد العالى؟

قال : السد العالى بلا شك هو من أعظم المشاريع الهندسية فى القرن العشرين، وهو أعظم مشروع هندسى أقيم فى التاريخ المصرى كله ولقد أعطى فوائده أكثر من مرة حين حمى مصر من الجفاف الذى عم دولاً أخرى في إفريقيا كما حماها أيضاً من السيول التى جرفت مدنا بأكملها، لكننى أريد أن أنتهز هذه الفرصة لكى أذكر بأن السد العالى مازال مشروعاً غير مكتمل، لقد توقفنا عند حد معين يسمح لنا بجنى ثمار المشروع من تخزين للمياه واستفادة من الطاقة الكهربائية وخلافه بمجرد أن أتممنا بناء جسم السد عام 1971 لكن المشاريع المكملة لم يتم انجازها، وهى فى رأيى غاية فى الأهمية.

لقد استحوذ السد العالى على اهتمامى حين ثار حوله هجوم فى السبعينيات، فأرسلت إلى المجالس القومية المتخصصة أطلب بعض الدراسات فتفضل الدكتور عبد القادر حاتم رئيس المجالس فى ذلك الوقت فأرسل لى الملف الكامل للسد، ولقد وجدت من خلال قراءتى للملف أن جميع أسباب الهجوم على السد وبصرف النظر عن دوافعها السياسية كان معمولا حسابها بمشاريع أخرى مكملة، لكننا لم ننفذها، ومن ذلك نقصان درجة خصوبة أراضى الدلتا وزيادة النحر وتآكل الساحل البحرى، فلماذا لانتمم هذه المشاريع فنتفادى هذه المخاطر قبل أن تتفاقم، ولا يجدى معها الحل؟ بذلك يكون السد كله فوائد ولا تكون له آثار جانبية»[1].

توشكى :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : إن من أفضل الأخبار التى سمعتها فى الفترة الأخيرة ما أعلنته الحكومة من رد على بعض منتقدى مشروع توشكى العملاق الذى نتطلع إليه كنقطة تحول هائلة فى مستقبل البلاد، فمنذ بداية طرح المشروع شاب شعورنا بالتفاؤل بعض التحفظات التى طرحت وهى تحفظات مشروعة كان ينبغى على الحكومة مواجهتها

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام ، 1996/10/10.

إما بالنفي إن كانت غير صحيحة أو بالمعالجة إن كان لها أساس من الصحة، وقد سعدت أن الحكومة واجهت كل هذه التحفظات وأكدت لنا أخيراً أن المشروع سليم، فأنا شخصياً من أكثر المتحمسين لهذا المشروع الذى سيخلق وادياً جديداً فى الجنوب ينتقل بأبعاد الحضارة إلى أقاصى حدود البلاد، صحيح أن المشروع قوامه الأساسى هو الزراعة لكن المجتمعات لا تقوم إلا على الزراعة ثم هى تبنى على القاعدة الزراعية حضارة صناعية وتجارية، وفى كل هذه المشروعات الزراعية والصناعية والتجارية سيكون هناك آلاف من فرص العمل الجديدة لشبابنا المتعطش للبناء والتعمير.

ثم ختم الأستاذ حديثه قائلاً: إنى أتطلع إلى الزيارة التى سمعت أن الرئيس سيقوم بها لتوشكى بعد عطلة عيد الفطر ليتفقد ما تم إنجازه حتى الآن كما أتطلع إلى اليوم الذى يكتمل فيه المشروع ونجنى ثماره العظيمة»[1].

روض الفرج:

«وتأخذ الذكريات الأستاذ نجيب محفوظ إلى أيام روض الفرج فيقول: كان روض الفرج فيما مضى هو مصيف أهل القاهرة وكان به موسم مسرحى منتعش، فبينما كان الموسم الشتوى يقدم فى مجال الكوميديا كشكش بيه وعلى الكسار كان الموسم الصيفى فى روض الفرج يقدم نفس أعمالهم بمن كانوا يقلدونهم إلى حد يصعب معه تبين الاصل من التقليد، فكان عزالدين يقلد كشكش وفوزى منيب يقلد الكسار، كذلك كان هناك الغناء الموسيقى وكانت من ألمع نجوم روض الفرج فى ذلك الوقت المطربة شمس قدرى، كانت كلها محلات خشبية على النيل. وأسأل الاستاذ عن شكل هذا المصيف القاهرى القديم فيقول: كانت كلها محلات خشبية على شاطئ النيل، حيث كان يقام بين كل منها سور خشبى يفصل مساحة كل من هذه الكازينوهات، وكان يتم رص الكراسى فى هذه المساحة، وكان هذا المكان يعج بالناس التى كانت تأتى إليه للتدخين فى المساء وهربا من حر النهار فى الصيف.

وأسأل: هل تذكر كم كان ثمن التذكرة؟

فيقول الأستاذ: كانت التذكرة بقرشين، وكانت التذكرة تعطيك الحق فى مشاهدة برنامج الكازينو، بالاضافة إلى الحصول على مشروب.

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1999/1/21.

ثم يضيف : وأذكر أن معظم أغاني سيد درويش سمعتها لأول مرة من عزالدين في روض الفرج فقد كنت أذهب في طفولتي مع والدى أو مع شقيقى الذى كان يفصل بينى وبينه 22 سنة، وحين بدأت الاذاعة بعد ذلك تذيع أغانى سيد درويش أدركت أننى كنت أعرفها كلها من روض الفرج.

وأسأل : وماذا كنت تشرب أنت؟

فيقول : كنت أشرب مشروب الجنزبيل المعروف باسم «جنجر أيل».. لقد كان ساحل روض الفرج في ذلك الوقت خالياً من المنازل تماماً، فالمنطقة كانت قائمة على هذه المسارح والملاهى فقط التى تقدم أنجح المسرحيات الغنائية والكوميدية، ولكن بأرخص الاسعار.. لقد كان روض الفرج شيئاً خاصاً لا مثيل له الآن»[1].

أحزان الموت:

«وجدت الأستاذ نجيب محفوظ فى حالة حزن باد، فسألته عن السبب قال: لقد توفى ابن شقيقي الأكبر.. وسهم قليلاً ثم قال : لقد كان لواء متقاعدا تخطى السبعين، لكنى مازلت أذكر كيف كنت أحمله على كتفي وهو طفل صغير، فحاولت مواساته قليلا بالحديث عن حتمية الموت.. لكنه قال: إن مايزيد من ألمى أننى أجد نفسى فى وضع يحظر على المشاركة في مراسم الجنازة أو العزاء لشخص كان عزيزاً على، لقد حالت ظروفي الصحية والأمنية - كما تعلم - دون خروجي بالقدر الذى أتمناه ومنعتنى من المشاركة في أى تجمعات عامة. وكم من مرة اعتذرت عن مناسبات تكريم لى شخصياً أو مناسبات أخرى سعيدة، أو غير ذلك لأناس قريبين إلى نفسى.

ثم سهم الأستاذ ثانية وقال: الغريب : أن والد المتوفى كان معمرا ووالدته معمرة وجديه الاثنين كانا معمرين، وقد جاوز البعض منهم المائة عام، ولقد توفى له شقيقان قبله لم يكونا قد وصلا بعد إلى سن المعاش، لكنها إرادة الله الذى لا راد لقضائه، وهو الموت الذى يجيئ حين يجئ فلا نملك حياله شيئاً إلا التفكر في صخب الحياة الزائف وأحوال الإنسان الذى ينتهى وجوده بها بين لحظة وأخرى وكأنه ما كان.

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1996/4/4.

وسهم ثانية ثم عاد يقول : لقد كان أبناء أخى الأكبر قريبين جداً إلى نفسى، وكنت ألعب بهم وهم صغار.

قلت : متى رأيته آخر مرة؟ قال : حين جاء لزيارتى بالمستشفى وقت الحادث الذى وقع لى، وعاد الأستاذ إلى حزنه الصامت الذى لم أستطع أن أخرجه منه.. فاستأذنت منه بعد برهة ومضيت.. إلى صخب الحياة»[1].

رمضان :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : إن رمضان هو شهر صوم وعبادة وتقوى وتقشف، لكنه فى نفس الوقت هو شهر الولائم والمهرجانات والحفلات والفوازير، فما هو رمضان بالنسبة لك؟

قال : إن ما وصفته ليس هو رمضان بقدر ما هو طبيعة الإنسان المصرى الذى يقول «ساعة لقلبك وساعة لربك»، إن رمضان هو شهر العبادة والتأمل، وأنا أذكر أن الصوم كان يضفى على نفسى صفاء غريباً حتى أنى حين كنت أقرأ أثناء صومى أيا كانت قراءتى : صوفية دينية أو أدبية فلسفية، كنت أتذوقها تذوقاً خاصاً فأشعر بمعانيها تتغلغل فى نفسى للأعماق، لذلك فقد كان رمضان بالنسبة لى هو شهر الوجدان.

وأسأل : متى بدأ الصيام يا أستاذ نجيب؟

فيقول : فى سن السابعة أو ربما أقل قليلاً، وكان الصيام شديداً جداً علىّ حتى أنى كنت أصعد إلى سطح البيت وأظل أنظر إلى مأذنة الحسين فى انتظار أن أرى المؤذن وهو يصعد ليؤذن لصلاة المغرب، ولكن مع قسوة الصيام علىّ فى هذه السن المبكرة فإنه كان متعة روحية كبيرة جداً.

وللأسف فإننى حين اضطررت أن أبتعد عنه بأمر الأطباء وبسبب الأمراض التى تحتاج إلى مداومة تناول الأدوية، وبسبب السن فقد خسرت بهجة كبيرة جداً .

ثم يضيف : ومن أجمل ما أذكره عن رمضان فى تلك السنوات الغابرة أننا كنا نمر على بيوت العائلات الكبيرة فى الحى لأنها كانت تقدم ما كان يعرف باسم «التوليد النبوى» وهو عبارة عن تلاوة القصائد الصوفية التى تمتدح الرسول فنستمع إليها من بيت

1ـ حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2000/5/11 م

إلى بيت، وكان الشيخ على محمود من أجمل الأصوات التى كنت أعشقها، وكل بيت كان له منشده كما كان له مقرئه، كان ذلك فى درب إرمز قبل أن ننتقل إلى العباسية، فقد كانت كل عائلة تفتح أبواب المندرة لكل من يريد أن يدخل ليستمع إلى تلاوة القرآن كما يريد، فلم يكن هناك راديو ولا إذاعة فى ذلك الوقت، وأجمل لحظة كانت حين يأتى وقت أذان المغرب فقد كان يقف كل من هؤلاء المقرئين أمام الدار ليؤذن فى انسجام وانتظام مع باقى المقرئين وكان كل منهم يرد على الآخر فى سيمفونية متناغمة.

قلت: كم يبدو هذا مغايرا لما نراه الآن من مكبرات الصوت المزعجة التى لايهدف كل منها إلا للتغطية على صوت مكبر الصوت الآخر فى ضوضاء لا تشبه السيمفونية فى شئ. فصمت الأستاذ ولم يرد»[1].

القراءة فى رمضان:

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ: كيف كانت عاداتك الشخصية فى رمضان فيما يتعلق بالقراءة والكتابة؟

فقال: إننى منذ الصغر لم أكن أذاكر على الإطلاق خلال شهر رمضان وإن كان رمضان هو أكثر شهر كنت أقرأ فيه، لكنها كانت دائماً قراءات خارجية لقد كان هذا هو شهر القراءات الحرة التى كنت أستمتع بها خلال ساعات الصيام أكثر مما كنت أستمتع بالقراءة فى أية فترة أخرى من السنة، ذلك أننى أثناء الصيام كنت أشعر بقدر كبير من الشفافية التى كنت أدخرها لقراءاتى الحرة وليس لمواد الدراسة.

وقد إستمر معى هذا التقليد فى الكبر وبعد إنتهاء سنوات الدراسة، فحين بدأت أكتب كنت دائماً أمتنع عن الكتابة فى رمضان، وظلت عادتى أن أتوقف تماماً فى الصيف وفى رمضان وحين كان رمضان يأتى فى الصيف كان ذلك يعطينى شهراً إضافياً فى السنة أكتب فيه، أما فى الشتاء فكنت أضحى بالكتابة فى هذا الشهر وأجعله شهراً للمتعة الروحية الخالصة فى أشمل معانيها.

ولقد قرأت كتبا كثيرة خلال شهر رمضان ففى سنة من السنين وكنت مازلت طالباً قرأت القرآن الكريم بالكامل وكانت قراءته خاصة جداً غير قرأتى له فى الأيام العادية،

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/1/16.

وفى سنة أخرى قرأت أحاديث ابن هشام، كما أذكر كتاب «المنتخب فى أدب العرب» الذى وضعه د. طه حسين والشيخ السكندرى وعلى الجارم، وكان يضم نماذج من أشعار ونثر العرب من الجاهلية إلى العصر الحديث، كما قرأت «تاريخ الأدب العربى» للزيات، هذا بالإضافة لكتاب كنت أعتز به كثيراً يحوى نبذه عن تاريخ كل من شيوخ الصوفية ومختارات من كتاباتهم، كما أذكر أننى فى بداية سنوات الجامعة قرأت مسرحيات برنارد شو وأشعارت س إليوت فضلاً عن أنى كنت أتابع الاصدارات الجديدة لكل من العقاد وطه والمازنى، مثل إسلاميات العقاد التى قرأتها كلها فى رمضان «وعلى هامش السيرة لطه حسين»، لقد كنت دائماً أنتقى ما يتفق مع روح التأمل الدينى والنظرة الفلسفية. وكان وقت القراءة بالنسبة لى يومياً هو بعد عودتى ظهراً من العمل أو الدراسة وحتى موعد الإفطار»[1].

الكتابة الذهبية :

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ : كيف تمضى يومك فى رمضان؟

قال : لقد وصلت إلى مرحلة لم يعد فيها فرق بين رمضان وغير رمضان، فيومى الآن له وتيرة واحدة لاتتغير مابين جلسات العلاج الطبيعى ومواعيد تناول الأدوية، لذلك فلم أعد أشعر بفارق بين رمضان وبقية أشهر السنة.

قلت : وماذا عن الكتابة؟

قال : أنا لا أكتب فى رمضان فقد تعودت دائماً أن يكون رمضان شهراً للتأمل، لكنى أستطيع أن أسر لك أننى تصيدت عدة أفكار بالتأمل، وربما بعد رمضن سأشرع فى كتابتها ضمن السلسلة التى أنشرها الآن بعنوان «أحلام فترة النقاهة».

ثم يضيف الأستاذ : الحقيقة أن عملية تأمل العمل الأدبى دون كتابته لها خصائص مختلفة تماماً عن الكتابة، ففى فترة التأمل أجد أننى أظل أغير وأبدل فى الفكرة، وحين

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1997/2/6.

يأتي وقت كتابتها تكون قد تطورت كثيراً عن بدايتها أما كتابة الفكرة مباشرة فهي تثبتها من بدايتها.

قلت : إذن فأنت مازلت تكتب ولكن في ذهنك وليس على الورق.

قال : هذا صحيح، لكنها كتابة مختلفة تماماً عن الكتابة بالورقة والقلم.

قلت : وكم حلماً تصيدت حتى الآن؟

قال : ثلاثة أو أربعة، وهي في تزايد»[1].

قهوة الفيشاوى :

«ويواصل الأستاذ حديثه عن رمضان فيقول : وعلى الجانب الآخر من التعبد والتأمل والشفافية التي كنت أشعر بها في رمضان كان هناك بالطبع الجانب الترفيهي، فما أن ننتهي من الافطار حتى يبدأ السهر الذى كان متميزاً ويختلف كثيراً عن سهرات بقية أيام السنة، فهناك دائماً بهجة خاصة، بل وطعم خاص لسهرات رمضان قل أن توجد في السهرات الأخرى، وإن وجدت فليس طوال أيام الشهر مثلما هو الحال في رمضان.

ثم يقول : كانت ليالي رمضان منذ الطفولة تفوق في متعتها وجمالها جميع الليالي حتى الأعياد، لقد كانت ليالي رمضان أمتع عندى من العيد الصغير أو العيد الكبير، فأول حرية ذقتها كانت في رمضان حين أصبح يسمح لي لأول مرة أن أخرج مع الأصدقاء وأن أسهر معهم في الحي فنلعب ونلهو بعد أن كنا جميعاً مكبلين طوال أيام السنة حتى أننا إذا لعبنا تحت البيت كانوا يراقبوننا من الشبابيك، أما في رمضان فقد أعطونا الحرية كاملة فكنا ننزل بالفوانيس فنلف وندور في ميدان بيت القاضي والحسين ونسهر إلى حد لم يكن مسموحاً من قبل.

أما في سني الكبير فقد كانت السهرة بقهوة الفيشاوى مع الأصدقاء لاتدانيها أية متعة أخرى، لقد كنا نذهب بعد الافطار ونظل بالفيشاوى حتى السحور لنتناول سحورنا هناك ونعود مشيا على الأقدام إلى العباسية حيث كنا نسكن على طريق الجبل فكان ذلك

1 وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 2002/11/4 م

يحضرنى نفسياً للصيام والتأمل في اليوم التالي، فلم يكن هناك فى هذا الطريق إلا المقابر والخلاء.

في ذلك الوقت لم يكن هناك تليفزيون ولافوازير ولا مسلسلات وكانت متعتنا في قهوة الفيشاوى حيث كان البعض يلقى آخر النكات والبعض الآخر «يدخلون لبعضهم قافية»، وكل ذلك فى جو من الود والصداقة والبهجة يستمر حتى الصباح»[1].

الفول والكنافة:

«وأسأل الأستاذ نجيب محفوظ عن مأكولاته المفضلة فى رمضان فيقول على الفور: «ودى عايزه كلام؟» الفول طبعاً.

ثم يضيف: الحقيقة أن الأكل فى رمضان منذ الصغر كان مشكلة بالنسبة لى، ومشكلته الأساسية كانت الفول، فأنا من عشاق الفول وحتي يومنا هذا وعشائى يومياً هو المدمس، وفي رمضان كان الفول يقدم بشتى الطرق التى يتفننون فيها لذلك فلم أكن ساعة الأفطار أرغب في أكل شئ آخر غيره حتى أن والدى أصدر أمراً عسكرياً بأن يكون الفول هو الطبق الأخير في الإفطار حتى اضطر إلى تناول المأكولات الأخرى أيضاً، وكنت بالفعل أتناول أشياء أخرى فى البداية لكنى أتعمد أن أترك مكاناً كافياً للفول الذى لم تكن عينى ترتفع من عليه طوال تناولي للأطباق الأخرى، والفول ليس خاصاً برمضان فقط فقد كنت أتناوله طوال أيام السنة لكن فول رمضان شئ آخر فهو ليس مجرد فول وإنما فول رمضان.

كذلك من المأكولات التى كانت محببة لى فى شهر رمضان الحلويات مثل القطايف والبقلاوة والبسبوسة وخاصة الكنافة التى كانت لها دائماً «شنة ورنة» في رمضان وقد كنا نصنعها بالمنزل، وقد تعجب إذا قلت لك أننى منذ أصبت بمرض السكر عام 1960 لم أتناول أية سكريات حتى يومنا هذا رغم أننى كنت أعشقها بكل أنواعها سواء الحلويات الشرقية أو «الأفرنجية» مثل الجاتوه والتورتة وخلافه.

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1997/1/23.

وأسأل : ألا تتناول «تورتة» عيد ميلادك أو عيد ميلاد أى من أفراد الأسرة أو الاصدقاء؟

فيقول : أبداً، ودائماً ما يقولون لى فى أعياد الميلاد تناول ولو «قطعة» لكنى لا أفعل ذلك تنفيذاً لتعليمات الأطباء سامحهم الله»[1].

ذكرى العيد:

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : لقد حضرت فى طفولتى عيد الأضحى فى أكثر من مكان : أولاً فى حى الجمالية الذى ولدت به، ثم فى حى العباسية الذى انتقلنا إليه بعد ذلك، ثم حضرته فى الكبر فى أنحاء متفرقة من القاهرة والإسكندرية، لكن ذكرى العيد فى الطفولة مازالت هى ذكرى الجمالية، ذلك الحى القديم الذى بدأ وعيى به بمجرد أن عرفت الوعى بما حولى، وحين كبرت قليلاً وبدأ يتشكل لدى الإحساس بالتاريخ كنت أشاهد أهالى الجمالية يمشون فى الطريق، ويتحدثون إلى بعضهم البعض ويقضون حاجاتهم من بيع وشراء وخلافه ويحتفلون بأعيادهم، فكانوا بالنسبة لى قطعة حية من التاريخ، كانوا هم الفاطميين الذين بنى أحد كبارهم وهو جوهر الصقلى القاهرة قبل أكثر من ألف سنة، وبنى أحد قادته وهو بدر الجمالى حى الجمالية الذى سمى باسمه، ولقد كان الفاطميون هم الذين علمونا الاحتفال بالأعياد مثل الموالد، خاصة المولد النبوى الشريف الذى نحتفل به فى مصر بطريقة تختلف كثيراً عن بعض الدول الإسلامية والعربية الأخرى.

أما عيد الأضحى فقد كنت أشاهد مباهجه حتى من قبل أن يسمح لى بالنزول إلى الشارع، فقد شاهدت من خلف مشربية شبابيك البيت مشهد ذبح الضحية بعد صلاة العيد بميدان بيت القاضى، ذلك الميدان الهادئ الملئ بأشجار «ذقن الباشا» كما شاهدت الزينات والأفراح التى لم يمض وقت طويل حتى كنت أشارك فيها بنفسى»[2].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1997/1/30.

2 - حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 2002/2/21م.

تحية العيد :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : يأتى عيد الفطر هذا العام والفلسطينيون هم وحدهم الذين يستحقون التهنئة بالعيد، فهم الجزء الوحيد فى الجسد العربى الذى ينبض الآن بالحيوية، وهم يؤكدون لنا وللعالم ببطولتهم العظيمة فى مقاومة الاحتلال أن الأمة العربية مازالت حية ترزق وأنها قادرة على المقاومة إذا أرادت.

وذلك يأتى فى وقت نشكو فيه من التراخى العربى والعجز شبه الكامل عن مواجهة التحديات الحديثة التى نواجهها فى ظل ما يسمى بالعولمة ومحاولات السيطرة الأمريكية على مقدرات الشعوب كما كان يحدث فى عصر الامبراطوريات الاستعمارية الغابرة، والذى تصورنا أن الإنسانية قد تخطته إلى عصر جديد من الديمقراطية والحرية والوئام الدولى، فقد انتهى عصر الحرب الباردة بين القوتين العظميين لا ليفسح المجال للسلام الدولى المرتقب والذى عادة ما يعقب الحروب، وإنما ليبدأ مرحلة عودة إلى سيطرة قوة واحدة على مقدرات العالم ومحاولتها فرض قوتها العسكرية والسياسية والاقتصادية على جميع بقاع الأرض.

إن مثل تلك السياسة ستؤدى بلا شك إلى قيام مقاومة محلية فى جميع المواقع التى ستمارس فيها القوة الكبرى سيطرتها، وينبغى علينا أن ننظر إلى المقاومة الفلسطينية الحالية من خلال هذا المنظور فهى فى التحليل الأخير محاولة لتأكيد الهوية الوطنية فى وجه قوة خارجية تريد طمسها وفرض هيمنتها عليها.

فتحية للفلسطينيين وكل عام وهم بألف خير»[1].

فسحة العيد!

وأسأل الأستاذ نجيب محفوظ عن العيد فى حياته فيقول :

العيد كان فى الطفولة والصبا، حين كانت احتفالاته تبدأ منذ الفجر مع صلاة العيد وذبح الخروف والإفطار الخاص.

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 2002/12/5م.

ومن المشاهد المتكررة في طفولتي من عام إلى عام رجائي المستمر للوالد بألا يذبحوا الخروف هذا العام، فالخروف كان يأتي إلى بيتنا قبل أسبوع أو اثنين من العيد وكنت خلال هذه الفترة أكون قد تعودت على وجوده معنا فوق سطح البيت وفي بعض الأحيان كنت أقوم بإطعامه بنفسي أو أركب فوق ظهره مثل رعاة البقر حتى أننا كنا نصير أصحابا، لذلك كنت دائماً أتمنى أن يحدث شئ في آخر لحظة يحول دون ذبحه ثم حين تأتي اللحظة المنتظرة ولا تتحقق الأمنية أترجي والدى أن يعتق الخروف هذه المرة لوجه الله.

ثم بعد ذلك يجئ إفطار اللحم المشوى الذى لم يكن يمثل إحدى عاداتنا خلال بقية أيام السنة، وبعد الإفطار يأتي اللعب في الشوارع والحوارى بملابس العيد الجديدة مع أبناء الجيران، وكان كل ذلك يستمر لمدة ثلاثة أو أربعة أيام.

ومن بين فسح العيد أيضاً في هذه السن المبكرة كانت السينما وخاصة سينما «كوزمو» التى لم نكن نذهب إليها هذه المرة بالترامواى وإنما كنا لاننا في العيد نركب حنطوراً.

أما في المساء فإذا كان هناك حفل غنائى لأحد كبار المطربين مثل صالح عبدالحى أو عبدالوهاب أو أم كلثوم فكنا نذهب إليه حتى نستفيد بكل لحظة من لحظات أيام العيد فنشغل يومنا من طلعة الشمس وحتى آخر ساعات الليل.

أما العيد في الكبر فهو يوم «فسحة» عادى يفتقر لكل الاحتفالات التى كانت في الطفولة، فمثلاً كنت أخذ زوجتي وكريمتاى ونذهب إلى الاسكندرية، أو نذهب إلى إحدى الحدائق، لكنى كنت في جميع الأحوال أتجنب زحام العيد، كنت أنظر إلى الزحام من بعيد وأذهب إلى الأماكن التى تكون أقل تكدساً بالناس، ومن الأماكن المفضلة بالنسبة لنا كان مطعم «خريستو» بالهرم الذى حين كنا نخرج منه كنا نفاجأ بالافواج اللانهائية من البشر التى تذهب لزيارة الأهرامات والتى لم تكن تضاهيها إلا الأفواج التى كانت تذهب إلى حديقة الحيوان»[1].

1. حوارات نجيب محفوظ الأهرام، 1997/4/17.

النيل فى العيد :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : كانت إحدى فسحى المفضلة فى الصغر وقت الأعياد الخروج إلى النيل، وبرغم أننى ولدت فى حي شعبى بعيد عن شاطئ النيل، إلا أننى تربيت على عشق النيل منذ الصغر، حتى كدت أقدسه مثل المصرى القديم، فقد كانت والدتى حين تصحبني للفسحة تأخذنى إلى شاطئ النيل تماماً كما كانت تأخذنى لمشاهدة الآثار القديمة والمتاحف وأضرحة الأولياء، فقد كانت والدتى مغرمة بالخضرة والمياه وكانت نظرتها للنيل - مثل نظرتها للآثار - بها مسحة من التقديس، لذلك فقد بهرت بالنيل منذ الصغرومازلت أذكر كيف كنت أتدلى من سور كوبرى أبوالعلا لأتفرج على تدفق مياه النيل، بينما تمسك والدتى بى حتى لا أسقط فى الماء.

وفى مرحلة الشباب أثناء دراستى الجامعية كانت نزهتى المفضلة في العيد أنا وأصدقائى هي الخروج فى نزهة نيلية بالمراكب الشراعية فى ساحل روض الفرج، وقد كنا نستأجر قارباً يسع ما يقرب من عشرين شخصاً من ساعة الغروب وحتى الفجر بخمسين قرشاً، لكننا كنا نتقاسمها فيما بيننا حتى لا تكون التكلفة باهظة.

وسهم الأستاذ قليلاً ثم عاد يقول : إنى لا أفتقد الآن شيئاً بعد أن ضعف نظرى ولم أعد أستطيع رؤية الأشياء البعيدة قدر افتقادى لمنظر النيل وهو يتدفق فى جلال ما بين شاطئيه.

وقبل أن يسترسل الأستاذ فى وصفه للنيل قلت له : لست واثقاً بأنك كنت ستراه على أى حال حتى لو كنت بكامل بصرك، فكمية المبانى الخرسانية التى أصبحت تحيط به كأسوار السجن صارت تحجبه عن رؤيتنا نحن أيضاً»[1].

القاهرة فى أعمالى :

«سأل أحد الصحفيين الأجانب الأستاذ عن القاهرة فقال إن القاهرة تكاد تصبح شخصية مسيطرة فى رواياتك خاصة «الثلاثية» فماذا تمثل لك هذه المدينة العريقة؟

---

1 ـ حوارات نجيب محفوظ الأهرام 2002/2/28 م.

قال : إن القاهرة بالنسبة لى الأساس وهى الأم التى تتفرع عنها كل الشخصيات لأن الشخصيات نابعة من المدينة لذلك لا يمكن بالنسبة لى أن أقدم شخصيات فى فراغ جغرافي.

كما أن ثراء القاهرة التاريخي والثقافي يجعل من غير الممكن لروائى مثلى ولد فيها وأحبها أن يتجاهلها فى رواياته أو يغفل هويتها الثرية، فالقاهرة ليست مثل باقى المدن وإنما لها وجود قوى فى نفوس أهلها مما يجعلها حاضرة دائماً فى ضميرهم، وهكذا كانت فى رواياتى.

فقال الصحفي : قال شاعر الإسكندرية اليونانى الكبير كفافى : إن لكل منا مدينته التى يحملها فى داخله والتى تتنقل معه أينما ذهب، وقد كانت مدينة كفافي هى الإسكندرية، أما مدينتك أنت فهى القاهرة، فإلى أى مدى تتطابق القاهرة التى بداخلك مع القاهرة الخارجية؟

قال : أعتقد أنهما متطابقتان تماماً، فأنا أرى القاهرة بالطريقة التى أصورها فى رواياتى وقد جاءنى الكثيرون من الأجانب الذين قرأوا رواياتى قائلين إنهم تعرفوا على القاهرة الحقة من خلال قراءتهم لهذه الروايات، لذلك فلابد أن التصوير الأدبى للمدينة - خاصة المدينة القديمة - كان مطابقاً للواقع»[1].

الإسكندرية:

«مع دخول الصيف وازدياد حرارة الجو، يتجه الحديث مع الأستاذ إلى الإسكندرية فيقول: إذا كانت الإسكندرية هى العاصمة الثانية فهى كذلك بالنسبة لى لأنها تأتى عندى بعد القاهرة مباشرة.

ثم يعود بالذاكرة إلى الوراء ليقول : كانت أول زيارة لى للإسكندرية فى حدود عام 1920 مع والدى حيث أمضيت حوالى أسبوعين فى مصيف سان استفانو الشهير ، وأذكر أن حمام سان استفانو كان منقسماً إلى حمامين أحدهما للرجال والثانى للسيدات وكان

1- وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، 2001/11/1.

الأطفال يدخلون حمام السيدات لأنه كان هادئاً ومياهه غير عميقة وكانت تذكرة الدخول حوالى قرشين نحصل بمقتضاها على لباس الحمام زائد قرعة حتى لانغرق، أما حمام الرجال فكان عنيفاً، وقد كنت فى بعض الأحيان أتسلل إليه لأشاهد الموج وهو يقلب الرجال - بمن فيهم والدى - رأساً على عقب.

كانت تلك هى الزيارة الأولى وكان عمرى آنذاك حوالى التاسعة وقد عدت من تلك الرحلة فى لون الفحم حتى أن والدتى فجعت حين رأتنى لدى عودتى للقاهرة.

لكنى بدأت أذهب بعد ذلك بشكل منتظم إلى الاسكندرية فى الصيف فى المرحلة الثانوية أى مابين عام 1925 و1930 حيث كنت أذهب مع أصدقائى، وأذكر أن والدى كان يعطينى كلما كنت أسافر مبلغ عشرة جنيهات كانت تكفى لكل مصروفاتى خلال الصيف من مأكل ومسكن وفسحة، وكان عمى لايرتاح لذلك، فكان كثيراً ما يؤنب والدى فيقول له : إنك تفسد الولد بهذا المبلغ الكبير الذى تعطيه له والذى يزيد على الراتب الذى سيتقاضاه حين يستوظف بعد تخرجه.

وأسأل الأستاذ : وكيف كانت الإسكندرية فى ذلك الوقت؟ فيقول : لهذا حديث آخر»[1].

إسكندرية الامتيازات :

«ويكمل الأستاذ حديثه عن الإسكندرية فى العشرينات فيقول إنها كانت بلد الخواجات حتى أن اللغة المتداولة فيها كانت فى معظم الأحيان لغة أجنبية، فرنسية أو إيطالية أو يونانية أو إنجليزية، لكن جمال المدينة كان لا يوصف وكنت من شدة نظافتها بإمكانى أن أكل الأكل من على أرضها، وذلك حتى فى الشوارع الخلفية الصغيرة.

ثم يضيف : باختصار كنت تجد فى الاسكندرية كل ما هو موجود فى أوروبا ولكن بنصف الثمن، من دور السينما والمطاعم والمرافق، لكن ذلك كله كان للأجانب، وكنا نحن متفرجين من الخارج، فقد كان أهل الإسكندرية الحقيقيين، يسكنون المناطق الشعبية ولم يكونوا يظهرون فى الرمل إلا كباعة جائلين أو كماسحى أحذية إلخ.

ولقد كانت هناك دار سينما صيفية فى بداية شارع سعد زغلول لم تعد موجودة

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/5/30.

الآن، كان بها جزء مخصص للمصريين مكتوب عليه بالفرنسية Pour les indigenes أى للمواطنين الأصليين(!) ولم يكن مسموحاً لنا بأن نجلس خارج هذا الجزء.

كان ذلك وقت الامتيازات الأجنبية، وقد ظل هذا الوضع سائدا حتى معاهدة 1936 التي ألغيت في أعقابها الامتيازات وعندئذ أصبح الأجنبي خاضعا لنفس القانون كالمصرى، أما قبل ذلك فكان حتى رجل البوليس في رمل الإسكندرية أجنبياً، وأذكر ذات مرة أنني كنت أتجول مع أصدقائي في شوارع الإسكندرية وكنا نغني أغنية كانت شائعة في ذلك الوقت تقول : «الفتحة للعسكرى قلع الطربوش وعمل ولى» وإذا بأحد العساكر الأجانب يتصور أننا نهزأ به فيأخذنا إلى قسم البوليس ومن حسن حظنا أن الضابط كان مصرياً فتفهم موقفنا فأرضى العسكرى وطلب منا أن نبحث لأنفسنا عن أغنية أخرى لاتخلق مشاكل. وها هى الأيام تدور والآن فى السودان مثلاً نجد أن العسكرى قد خلع الطربوش بالفعل وجعل من نفسه ولياً»[1].

الإسكندرية المصرية:

«ويواصل الاستاذ حديثه عن الإسكندرية فيقول :

بعد ألغاء الامتيازات اختلف أسلوب الاجانب في الاسكندرية فلم يعودوا يتصرفون وكأنهم أصحاب البلاد ونحن - المصريين - مواطنون من الدرجة الثانية، لأنهم كأنوا يعرفون أنهم فى النهاية سيمثلون معنا أمام نفس القاضى، لذلك بدأنا نشعر بقدر أكبر من المساواة، ومع ذلك فقد ظلت جميع خصائص الحياة الأوروبية قائمة لكنها أصبحت بعد إلغاء الامتيازات متاحة لنا أيضاً.

وأذكر أنه فى المطاعم والفنادق الكبرى كان الجرسونات يرتدون ما يشبه بدلة «الفراك» التي لم أكن قد رأيت من يرتديها إلا وزير الخارجية لذلك كنت أطلق على الجرسون اسم «ثروت» نسبة إلى عبدالخالق باشا ثروت وزير الخارجية فى ذلك الوقت، لأنك كنت تشعر وأنت تتحدث إلى أى منهم وكأنك تتحدث إلى وزير الخارجية نفسه، وكان الجرسون حين يأتى لى بالشيشة أقول لأصدقائى ثروت باشا أحضر لى الشيشة.

---

1 حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/6/6.

وفي بعض الاحـيـان كـنت أتسـلل إلى مـحل اثنيـوس الذى لم نكن ندخله من قـبل وكنت أتناول الإفطار لأنه أرخص وجبة، وفي إحدى المرات وجدت حول المائدة التى إلى جانبي عدداً من أكابر البلد وكان من بينهم عثمان باشا محرم وكان مشهوراً بطول العمر والصحة وكان يتحدث إلى المستشار محمود غالب باشا الوزير الوفدى المعروف، وكان يسر إليه بسر صحته وطول عمره فقال له : «تعشى» فول مدمس، وأخذ يشرح له كيفية عمل هذا الصنف الذى لم يكن أحد من الباشوات يتناوله ويصف له الزيت والليمون وكأنه يصف له دواء.

أما غالب باشا فكان كثيراً ما يسهر مع الشيخ البشرى الكاتب الصحفي المعروف وابن شيخ الازهر بكازينو الشاطبي الذى كان يستحضر كبرى الفرق الاجنبية، وكانا يخرجان في نهاية الليل «مبسوطين» بعض الشئ فكنا بمجرد أن نلمحهما على باب الكازينو نبدأ في الهتاف بحياتهما وبحياة الوفد فكان الشيخ البشرى يقول لنا : موش وقته يا ابني! موش وقته!

وينهي الأستاذ حديثه قائلاً : باختصار أصبحت الإسكندرية في ذلك الوقت مدينة أوروبية ولكن للمصريين»[1].

قهاوى الإسكندرية:

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ : لقد كنت من رواد قهاوى الاسكندرية أيضاً فهل عرفت فيها التنوع نفسه الذى عرفته في القاهرة مابين القهوة البلدى وقهاوى وسط البلد الأنيقة والقهاوى الأدبية؟

فقال : لا القهاوى بالنسبة لى في الإسكندرية كانت قهاوى تصييف فكنت أرتادها لمقابلة الأصدقاء ولقد جلست كثيراً مع مجموعة توفيق الحكيم بكازينو بترو وكانت تلك هى القهوة الأدبية الوحيدة التى أرتادها في الإسكندرية، أما جلستى المعتادة فكانت بكازينو سان إستفانو وكازينو جليم من قبله.

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1996/6/13.

وأذكر أن منطقة السلسلة كانت كلها قهاوى تمتد بطول الكورنيش وكانت على البحر مباشرة وكل منها مشهورة بالشيشة الخاصة التى كانت تقدمها، وقد كانت للشيشة فى الاسكندرية ميزة خاصة لأن رطوبة الجو كانت تجعل الدخان رطبا دائماً بينما فى القاهرة كان النادل يأخذها بين الحين والحين ليبللها ويعيدها ثانية حتى لا تحمى.

ولقد كنت أجلس أيضاً على قهوة ديانا وقهوة اللوفر التى كان قد اشتراها المرحوم عبدالحميد الوكيل بعد الثورة، ولقد ذهبت اليها حنينا إلى الوفد لانها كان يرتادها الوفديون القدامى من معارف عبدالحميد (بك) وكنت أشعر براحة كبيرة حين كنت أراهم، ولقد أشتهرت قهوة اللوفر بأنها كانت تقدم أفضل قهوة بالاسكندرية، أما الطعام فقد أحضر عبدالحميد (بك) الطباخ الخاص به من أيام العز وجعله يعمل بالقهوة فكان يقدم الوجبات الفاخرة التى لم يكن لها مثيل إلا فى بيوت الذوات.

وأذكر أننى كنت أذهب مع صديقى المرحوم عمر طوسون وصديقى عصام الإنا أطال الله فى عمره وكنا نرى الوزراء القدامى وكنا نجلس بالقهوة حتى الساعة العاشرة مساء لنتفرج كل يوم على سيارة النحاس (باشا) التى كانت تمر على الكورنيش وهو جالس فى مؤخرتها ليشم الهواء فلم يكن يستطيع الخروج من بيته أثناء النهار، وكانت السيارة تسير به حتى الميناء الشرقى ثم تعود به ثانية.

وذات مرة كنت جالساً وحدى فى القهوة ويدى على خدى فتعرف عليَّ عبدالحميد (بك) وكنت فى ذلك الوقت أكتب فى «الأهرام» وأنتمى الى جيل الثورة فجاء وقال لى: طيب وأنت حاطط إيدك على خدك ليه؟ فقلت له فى عقل بالى: ما أنا منكم وأنتم لا تعلمون»[1].

قهوة المثقفين:

«ويواصل الأستاذ نجيب محفوظ حديثه عن القهوة فى حياته فيقول:

بخلاف قهوة قشتمر وعرابى والفيشاوى التى كنت أرتادها لملاقاة الأصدقاء كانت هناك القهاوى التى كنت أذهب إليها لألتقى بالكتاب والمثقفين وكان أول منتدى أدبى لى هو كازينو أوبرا ثم بعد ذلك جاءت قهوة ريش ثم على بابا وأخيراً كازينو قصر النيل

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1997/12/25.

الذى ظللت أذهب إليه إلى أن وقعت لى الحادثة فمنعونى عن الذهاب إليه.

ومع ذلك ففى حياتى الكثير من القهاوى فقد جلست مثلاً على قهوة الوديجا التى كانت تقع فى عماد الدين وكانت واحدة من أفخم القهاوى، كما جلست أيضاً على قهوة أم كلثوم بميدان عرابى، وفى الصيف كنت أتمشى إلى كافتيريا فندق شهرزاد القريبة من مسكنى لأتناول بها شاى الصباح وأقرأ الصحف.

وأقول للأستاذ نجيب محفوظ: لقد عرفت أنواعا كثيرة من القهاوى فكيف كانت تختلف القهاوى البلدى عن الحسين مثلاً عن قهاوى وسط البلد الأنيقة، فيجيب: أول اختلاف هو أنك على القهوة البلدى لست بحاجة لأن تذهب إليها مع صديق بمجرد أن تجلس يمكن أن تصادق، أما فى القهاوى الأخرى فإذا ذهبت وحدك قد تتركها فى معظم الأحيان وحدك أيضاً، وقد كانت قهاوى وسط البلد بالنسبة لى أنا وأصدقائى هى محطة اللقاء قبل أن نذهب إلى السينما أو المسرح مثلاً.

وأسأل: هل كتبت أى من أعمالك فى القهوة؟ فيقول: كتبت بعض السيناريوهات وكان أحدها لفيلم من إخراج صلاح أبوسيف بقهوة التريانون بالإسكندرية، كما كتبت سيناريو فيلم «ريا و سكينة» فى جليمونوبولو، أما أعمالى الأدبية فلا استطيع كتابتها إلا على مكتبى، لكنى كنت أتوصل إلى بعض أفكارها أثناء جلوسى على القهوة وكنت أنتظر حتى عودتى للمنزل لأدونها، وأكثر قهوة استلهمت فيها أفكار وأحداث رواياتى كانت الفيشاوى»[1].

المعلم عرابى:

«... ويتحدث الأستاذ نجيب محفوظ عن المعلم عرابى صاحب القهوة الشهيرة التى كانت تحمل اسمه إلى أن باعها أولاده بعد رحيله فيقول: كان المعلم عرابى قد سجن لحادثة شهيرة جداً فقد أقام خناقة كبيرة بالضاهر حين أمتطى جوادا ووراءه بقية فتوات الحسينية، فهاجموا فتوات الحى وقاموا بإغلاق الحى كله.

ويقال أن المعلم عرابى أخرج بيديه عينى كبير فتوات الضاهر وتدخلت قوات الأمن وحاصرت المكان وفضت الخناقة، وحوكم المعلم عرابى وصدر ضده حكم بعشرين سنة

1. حوارات نجيب محفوظ - الأهرام، يوم 1997/12/18.

سجن وقد أقيمت بعد ذلك نقطة بوليس خاصة في الحسينية وصودر نظام الفتوات بسبب هذه الحادثة، وقد كان قبل ذلك نظاماً شبه معترف به حيث كانت قوات الأمن كثيراً ما تلجأ إلى الفتوات لحل ألغار بعض جرائم القتل أو السرقة، لكن ذلك كله أنتهى وقد كان المعلم عرابى هو آخر فتوة، فتحول إلى صاحب قهوة مراقب وأية مخالفة كان يمكن أن تعيده مرة أخرى إلى السجن بدون محاكمة.

وأسأل : هل استلهمت شخصية المعلم عرابى بالذات في أى من رواياتك ؟

فيقول : إن كل الفتوات الذين في رواياتي كانوا صورا مختلفة عن المعلم عرابى الذى سمعت عنه عشرات القصص حين كان كبير الفتوات، والذى لم أعرفه إلا رجلا ساكنا وإن كان مهيباً يجلس في قهوته دون أن يثير المشاكل.

ثم يقول : لقد راعنى الفارق المذهل بين ما كان يتردد عن المعلم عرابى.. قصص أشبه بالحواديت وبين شخصيته التى عرفتها بعد خروجه من السجن، فقد ظللت أتردد عليه في قهوته إلى أن توفي ولقد حاول أولاده بعد ذلك إدارة القهوة كما كان يديرها والدهم، لكنهم فشلوا فباعوا نصف القهوة، ثم مالبثوا أن باعوها بالكامل وتحولت على ما أذكر إلى معرض أثاث فطوت تاريخاً بأكمله»[1].

الشتاء :

«مع دخول فصل الشتاء تحدث الأستاذ نجيب محفوظ عما يمثله له هذا الوقت من السنة فقال : الخريف والشتاء كانا دائماً بالنسبة لى فصل العمل والنشاط والحيوية، وبعكس الكائنات التى تعرف البيات الشتوى فإني كنت أجد دائماً أن في هذا الوقت من السنة تكون روحى متألقة وكل استعداداتي وامكانياتي الأدبية في حركة ونشاط ابتداء من الخريف وطوال الشتاء، أما في الربيع فيبدأ عندى ما يمكن أن تسميه البيات الصيفى !

وأذكر أنني حين تخرجت في الجامعة عام 1934 أصابتني أنواع مختلفة من الحساسية في العين وفي الجلد مع بداية الربيع وقد تكررت عدة سنوات مما كان يجعلني غير صالح للعمل حتى إذا أردته، بينما كنت في الخريف أبدأ في استرداد صحتي وإمكانياتي وأصبح

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1997/5/22.

مزدهرا وفي أحسن ما أكون، أى أن الشتاء كان دائما بالنسبة لى هو فصل الصحة وليس فصل المرض سواء كانت النوبات البردية أو غيرها، وقد كان يحدث بالطبع أن أصاب مرة بنزلة برد، لكن ذلك كان قليلاً جداً، لذلك فإنني أحب الخريف والشتاء وأجد نفسي مقبلاً على الدنيا أكثر في ذلك الوقت من السنة، بينما أجدني أتحمل الصيف بصبر وكأني أغالب حالة - وإن كانت خفيفة - من الاكتئاب وأظل انتظر حلول الشتاء التالي.

ثم يضيف الأستاذ : لقد كنت أعتبر فصل الصيف هو عائقاً في عملي الأدبي وأنه أضاع مني شهوراً طوالا على مدى السنين بدون عمل، أما الآن فأستطيع أن أقول لك أن فصول الصيف هذه أفادتني كثيرا، لأنها أعطت لي فترات راحة إجبارية وبدون ذلك كنت سأستمر في الكتابة بشكل مستمر وهذا كان من الممكن أن يجعلني عرضة لبعض ردود الأفعال العنيفة مثل السأم الذى يأتي من العمل المتواصل ويجعل الكاتب يهجر عمله لفترات طويلة، لكن توقفي أثناء الصيف كان دائماً يجعلني أعود للعمل بعد ذلك باشتياق كبير»[1].

الحارة :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : مثلما للحارة أهمية خاصة في الحياة المصرية فإن لها في حياتك وفي أعمالك نفس الأهمية، فكيف ترى الحارة؟

قال الأستاذ : الحارة هي الوحدة التي كانت تتكون منها المدينة القديمة، أما الآن فهناك الشوارع والميادين وتلك أشياء حديثة، وقد أصبح للحارة الآن تخصص فئوى، فليس الجميع الذين يسكنونها والامر لم يكن كذلك في الماضي حين كان المجتمع المصرى كله ممثلاً فيها بكل فئاته بل حتى بجنسياته فقد كان هناك المصرى والتركي والخواجة.

والحارة التي نشأت فيها هي درب إرمز وكنت تجد فيها مثلا ربعاً يسكنه فقراء الناس وهو عبارة عن مبنى صغير يتكون من مجموعة غرف كل عائلة تسكن إحداها وأذكر أن الذين كانوا يسكنون الربع الواقع في حارتنا كانوا عسكريا وعائلته وأحد عمال «كمبانية» النور وشحاذا وزوجته الشحاذة وكان هو ضريراً يخرج إلى الحسين وهي تجلس

1 حوارات نجيب محفوظ، الأهرام ، العدد 39727

على الأرض فى نفس الحى وأمامها طبلية تضع عليها «براغيت الست».

وأمام هذا الربع مباشرة كان يقع الدوار المنيف لعائلة السكرى وقد كانت من أكبر عائلات الحى، وحين كان يفتح الدوار لأهل الحى فى رمضان مثلاً أو فى المواسم كنت تجد فيه حوشاً واسعا به سلاملك كبير وحرملك للسيدات وكان كبير العائلة يخرج بعربة «دوكار» تجرها الخيل ولها سائق وجرس، وكان من بين الأعيان أيضاً الحمصانى، وقد رأيته فى «الدوكار» وكان آية فى الجمال والوسامة حتى أنهم كانوا يتغنون بجماله، ومن كبار عائلات الحارة عائلة السيسى والبنان وكانوا يبيعون البن، والمهيلمى وكانوا يتاجرون فى الخيش وعائلة تركية لم تكن على قدر كبير من الثراء لكنها كانت ذات جاه وهى عائلة الخربوطلى التى أصبح حفيدها بعد ذلك سكرتيرا خاصاً لجمال عبدالناصر.

ومابين الربع والدوار كان هناك البيت الذى تسكنه العائلات المتوسطة وفى أحد هذه البيوت فى حارتنا كانت هناك الست أفكار التى كانت إحدى رائدات التعليم وكان بيتنا فى نفس حجم بيت هذه المدرسة.

وكانت الحارة مبلطة وتكنس وتغسل مرتين فى اليوم الواحد، على أن أجمل ماكان فى الحارة هو تلك الرابطة التى كانت تربط بين جميع أهل الحارة فكان سكان الربع مثلاً يعملون عند البنان أو السكرى وسيداتهم قد يعملن عند سيدات هذه العائلات فيطبخن لهم أو يصنعن المفتقة، وكانت جميع أفراح أو وفيات أهل الربع على حساب الأعيان، فهل يعرف الآن أى ساكن فى شوارع المدينة من الذى يسكن إلى جانبه»[1].

الصحراء:

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ: كثيراً ما يقدم النقاد من مختلف أنحاء العالم تفسيرات متجددة لأعمالك لم يتطرق لها أحد من قبل، وأذكر على سبيل المثال ما قاله ماتيـاهو بيليد حول الصحراء فى أعمالك، فقد قال: إن النيل عندك يمثل كل ما هو دنيوى وحسى، بينما الصحراء ترمز دائماً للتطهر والروحانية.

فقال: نعم لقد قرأت ذلك وهو تفسير مبتكر على حد علمى أن أحداً لم يصل إليه من قبل.

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/5/23.

قلت : لقد كتبت كثيراً عن الحارة في القاهرة القديمة، لكن ماهي علاقتك بالصحراء؟

قال : وقت إن كنت أسكن العباسية في صباي كانت هناك مساحة شاسعة من الصحراء تسمى أرض العيون، وكنا نسميها صحراء مولد النبي لأن احتفالات المولد كانت تقام كل عام في هذه الأرض الفضاء، أما بقية السنة فكانت صحراء خالية، وكثيراً ما كنت أجلس فيها للتأمل، وفي بعض الأحيان كان يكون معي كتاب في الشعر أقرأه هناك في خلوة، كانت هذه الصحراء جوها جاف وجميل ولم أكن أرى للرمال فيها نهاية، لكن ما إن كانت تغرب الشمس حتى كنت أسارع إلى العباسية من جديد فقد كانت هذه المنطقة مهجورة ولم أكن أعرف ما يعيش بها من مخلوقات بعد غروب الشمس.

ثم يضيف : وكانت هناك في هذه الصحراء منطقة ممهدة كنا نتخذ منها ملعباً للكرة، وكنا قد كونا فريقين يتباريان في هذا الملعب وكان جميع أبناء العباسية يشجعونهما تماماً مثل الأهلي والزمالك.

قلت : وأين كانت تقع هذه الصحراء بالضبط؟

قال : ما بين العباسية الشرقية وأرض كانت بها مدافن جديدة في ذلك الوقت هي مدافن الغفير، لكن هذه الصحراء اختفت الآن تماما بعد أن امتلأت بالمباني وصارت الآن جزءاً من العباسية الحالية»[1].

الحالة الصحية:

«ذهبت إلى الأستاذ نجيب محفوظ بطلب من بعض القراء للاستفسار عن الحالة الصحية للكاتب الكبير وطلبت منه أن يحدث القراء بنفسه هذا الاسبوع عن ذلك فقال: «إن تلك مسألة شخصية، وقد لا يكون من الجائز أن نشغل بها القراء» فأطلعته على الخطابات التي وصلتني، وكان من بينها خطاب من القارئ الدكتور علي السيد عبدالفتاح الذي قال فيه: «مالنا نحن بكل هذه الموضوعات العامة التي تحدث فيها كاتبنا الكبير

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1999/4/1م

والتي لا تختلف عما يكتب فيه سائر كتاب الصحف والمجلات ؟! إننا بحاجة أولاً أن نطمئن على أستاذنا العظيم ثم بعد ذلك تحدثوا فيما تريدون : كيف حال ذراعه اليمنى؟ هل أصبح الآن قادراً على استخدامها؟ كيف حال عينيه وكيف حال قدرته على السمع؟ باختصاركيف حالته الصحية والنفسية بشكل عام؟

قال الاستاذ : إن صحتي العامة لا بأس بها، أما الصحة النفسية فهي ممتازة، وذلك بفضل الدكتور يحيي الرخاوى الذى يضعني في شبه علاج نفسي بعد الظهر، فهو يجمع لي الاصدقاء كل مرة في مكان مختلف، وقد حال ذلك دون أن أنعزل عن الحياة بعد الحادثة أو أن أصاب بالاكتئاب مثلاً، لذلك فإني أعتقد أن علاج الدكتور الرخاوى لايقل في خطورته عمن أجرى لي العملية الجراحية بعد الحادث.

أما يدى اليمنى فإنها تتحسن بالتدريج بفضل العلاج الطبيعي، وبعد أن كنت لا استطيع استخدامها على الاطلاق أصبحت الآن قادراً حين أكون وحدى على أن أتناول طعامي دون مساعدة من أحد، كما أنني بدأت أكتب بها بشكل أفضل يسمح بقراءة ما أكتب، لأن الكتابة هي إحدى وسائل التدريب على استخدام يدى.

وأقول : لقد كنت دائماً تهوى المشى فماذا تفعل الآن وأنت لا تستطيع المشى في الشارع؟

فيقول : أني أتمشى هنا في البيت لمدة نصف ساعة على الأقل قبل أن أخلد إلى النوم، ثم يضيف : لكنى لا استطيع أن أتحدث عن حالتي الصحية دون أن أعبر عن عرفاني الكبير لمن منحوني الحياة بعد أن كدت أفقدها، وهم إلى جانب الدكتور الرخاوى والجراح الكبير د. سامح همام جميع العاملين بمستشفى الشرطة»[1].

مصر والسودان:

«يقول نجيب محفوظ: إن جيلي لم يكن ينظر للسودان على أنه بلد آخر، وإنما على أنه مصر الجنوبية ونحن السودان الشمالي ولا نتصور لأى سبب من الأسباب أنه يمكن الفصل بين الشعبين حتي أن الزعيم مصطفى النحاس اكتسب منزلة وطنية خاصة لأنه في

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام.

إحدى مفاوضاته المهمة مع الإنجليز كان قد وصل إلى اتفاق جيد جداً بالنسبة لمصر في ذلك الوقت لكنه وجد أن الانجليز يريدون أن يكون ذلك على حساب السودان فرفض النحاس التوقيع على الاتفاق وقال كلمته الشهيرة تقطع يدى ولا أوقع معاهدة تفصل بين مصر والسودان، وهذا الشعور لم يكن خاصاً بالسياسيين وحدهم وإنما كان في قلوب الشعبين السوداني والمصرى فكان في كل الهتافات وفي الأغاني الوطنية التي تغنت بأن السودان لمصر ومصر للسودان ثم يضيف : هل تعلم أن الجيش المصرى كان دائماً يضم السودانيين؟ فأى دليل على توحد الدولتين أكثر من ذلك؟

إني أذكر أنه حين صدرت الأوامر للجيش المصرى بإخلاء السودان بعد مقتل السردار أن أول من عصى الأمر كانت فرقة سودانية من الجيش المصرى رفضت أن يعود الجيش إلى مصر، وقد استشهد قائدها وكان اسمه - على ما أذكر - عبداللطيف، وذلك دفاعاً عن وحدة مصر والسودان، كما أن التاريخ السياسى للبلدين يقوم على هذه الوحدة فمثلما كان الوفد يعتبر ذلك من ركائزه الاساسية فإن حزب الميرغنى في السودان كان يقوم على نفس الفكرة.

وحين تستعرض الاشقاء العرب جميعاً تجد أن أقربهم دخولا في القلب وبعدا عن الغربة هو السوداني وذلك لأسباب تاريخية ولصلات الدم التى تجمع بين الكثير من العائلات عبر الحدود وإذا كانت النظرية القائلة بأن أصل المصريين من الصومال صحيحة فإن ذلك يعني أن أصولنا جنوبية أيضا ،أضف إلى ذلك نهر النيل الذى شربنا جميعاً منه، والذى كان طريق المواصلات المفتوح دائماً بين الشمال والجنوب وهو طريق الحياة وطريق العبادة أيضاً.

ثم ينتقل الأستاذ إلى الحاضر فيقول : أما حالة التوتر الحالية في العلاقات المصرية السودانية فإننى أنظر لها بألم شديد جداً وأرجو أن أغمض عيني وأفتحها فلا أجد لها أثراً في البلدين لأنها تطور غير أصيل في علاقاتنا التاريخية بالسودان، لكن موجة التطرف تفصل بين فئات البلد الواحد وتحدث إنقساماتها الخطيرة، لكن يطمئنني أن مصر الشقيقة الكبرى بعد لحظات اندفاع قصيرة انزعجت لها أشد إنزعاج وظنت أنها ستؤدى إلى عواقب وخيمة عادت مرة أخرى تتوخى الحكمة التى عهدناها في نظامنا الحالى.

ثم ينهى الأستاذ حديثة قائلاً : إنى أتمنى أن تعبر هذه الأزمة قريباً وأقولها لك بشكل قاطع : ليس هناك سبب من الأسباب يبرر الأحتكاك بالسودان فلا يجوز الخلط بين المتغيرات الطارئة والثوابت التى لاتتغير»[1].

إفريقيا اللانووية :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : لقد سررت جداً لإعلان القاهرة الأخير الذى جعل القارة الأفريقية منطقة خالية من السلاح النووى، فأنا منذ زمن طويل ضد الأسلحة النووية بجميع أشكالها لسبب بسيط، هو أنها تضر بصاحبها مثلما تضر بالخصم، فهى بذلك انتقام يائس يدمر كل شئ، فالسلاح النووى هو السلاح الوحيد الذى يمتد أثره ليصيب البشرية جمعاء، ولعلك مازلت تذكر تشرنوبيل التى يمر عليها عقد من الزمن هذه الأيام ومدى تأثير الاشعاع الذى تسرب منه خارج حدود الاتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت.

فأقول : لكنهم يقولون إن السلاح النووى هو للردع أكثر منه للاستخدام، أى أن مجرد امتلاكه يكفى دون الحاجة لاستخدامه.

فيجيب على الفور : ليس هناك أى ضمان لعدم استخدام السلاح النووى فيمكن فى ساعة الغضب أو اليأس أن يتم استخدامه، كما يمكن أن يقع السلاح فى يد دولة أو نظام لا يقدر المسئولية فيجازف باستخدامه كعمل إرهابى دون أن يكترث للعواقب.

ثم يضيف : هناك أيضاً خطورة أكبر وهى أن بعض الجماعات الإرهابية قد تحصل على السلاح النووى وتهدد به وقد تستخدمه أيضاً، لذلك فإن السلاح النووى يجب أن ينزع من الجميع، وأنا أرى أن تبدأ الدول الكبرى بنفسها قبل أن تفتش على منشآت الآخرين فتتنازل عن سلاحها النووى تدريجياً إلى أن يتم تطهير العالم تماماً من شروره. وعلى أن تكون هناك بعد ذلك مراقبة مشددة بحيث أنه من يوجد لديه بعد ذلك مبادئ تكوين سلاح نووى جديد يعامل بشدة لأنه بذلك يكون عدواً للعالم كله وليس لدولة بعينها، وما يسعدنى فى إعلان القاهرة هو أن قارتنا أخذت المبادرة وأعلنت نفسها قارة نظيفة من السلاح النووى، وكم أتمنى أن يحذو بقية جيراننا فى العالم حذونا»[2].

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1995/7/27.

2. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/4/18.

حادثا إفريقيا[1] :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : إن مايلفت النظر في حادثي الانفجار في كل من نيروبي ودار السلام هو أن الإرهاب لا يكترث كثيراً لما يمكن أن يصيب الضحايا الأبرياء في أي عملية يقومون بها وحتى لو كان هؤلاء لا علاقة لهم بالهدف الذي تصبو إليه العملية الإرهابية ، فهنا كان واضحا أن المقصود كان الرعاية الأمريكيين العاملين بالسفارة ، لكن الحقيقة أن الضحايا من المواطنين الأفريقيين الأبرياء كانت أضعاف أضعاف الأمريكيين ، ألا ينتمي هؤلاء الأفارقة إلى دول صديقة طالما وقفت معنا في قضايانا الكبرى وخاصة في قضية الصراع العربي - الإسرائيلي ، فكيف نعاملهم بهذا الشكل ولاتصبح لأرواحهم أية قيمة لدينا ؟ ! إن الإرهاب لكي يصيب هدفا لايهمه أن يضرب عشرة أهداف أخرى بريئة ، فكيف يمكن أن يكون وراء هذا الأسلوب الدموي أية قضية نبيلة وكيف يجرؤ اتباع الإرهاب أن يتحدثوا عن الإسلام الذي حث على الرحمة وحرم قتل النفس البشرية ؟ ! إن هؤلاء قد أساءوا لسمعة الإسلام كما لم يفعل أحد من أعدائه ، فهل صحيح أن هذه الجماعة المجهولة التي أعلنت مسئوليتها عن العمليتين تنتمي بالفعل للإسلام؟ لقد أعطت هذه الجماعة الفرصة للعالم كله أن يوجه أصبع الاتهام إلى ديننا الحنيف ، ولقد اتصل بي مندوب لإحدى الصحف اليابانية يطلب إجراء حديث حول الإرهاب الإسلامي فلم أتمالك نفسي واحتديت عليه قائلاً : هل تريد أن تسبق التحقيقات وتجرى حديثاً عن الفاعل قبل أن يتم التوصل إليه؟ ! فقال لي : ولكن عناصر إسلامية قد اعترفت بالفعل بمسئوليتها عن الحادث ، لكنني قلت : إن الإرهاب هو ظاهرة عالمية موجود في جميع أنحاء العالم بما في ذلك اليابان ولاعلاقة له بالإسلام»[2] .

1. وقع انفجاران ضد مبنى سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في كل من كينيا وتنزانيا صباح الجمعة 1998/8/7 وراح ضحيته حوالى 168 قتيلاً راجع في ذلك الشرق الأوسط 1998/8/10

2. محاورات نجيب محفوظ ، الأهرام ، 1998/8/30 .

نحن وإفريقيا :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : تابعت أخبار القمة الأفريقية التى انعقدت فى باريس والدور البارز الذى كان لمصر فيها لأننى كنت دائماً من المؤمنين بالروابط القوية التى تربطنا بالقارة منذ التاريخ القديم والتى دعت البعض للقول بأن الحضارة المصرية القديمة هى حضارة زنجية ، وحتى إن لم يكن هذا هو رأينا فإننا لايمكن أن ننكر الاتصال الوثيق الذى كان لمصر القديمة بالجنوب ، ونهر النيل الذى هو شريان الحياة فى مصر قادم إلينا من قلب أفريقيا وهو يربط بصلة الرحم بين تسع دول أفريقية .

لذلك فقد كانت علاقات مصر بأفريقيا سمة مميزة للسياسة المصرية على مر العصور ، وفى العصر الحديث ظهر ذلك بشكل واضح في عصر محمد على ثم فى عصر إسماعيل من بعده ، وكان أكبر اتصال لنا بقارتنا الأفريقية فى عهد جمال عبدالناصر حين كانت مصر نصيراً لكل دولة أفريقية تسعى للتحرر من الاستعمار والعبودية ، وقد وقفت مصر مع كل هذه الدول كما وقفت هذه الدول مع مصر والعرب فكانت دائماً سندا فى المحافل الدولية كلما طرحت قضية الشرق الأوسط على مائدة البحث ، حتى أن الدول الأفريقية اعتبرت القضية الفلسطينية قضيتها .

وأنا أرى أن علينا فى المرحلة القادمة أن نزيد من هذه الروابط فنحن نواجه مرحلة العولمة التى لا مكان فيها للكيانات الفردية ، وإعطاء أفريقيا القوة التى تستحقها على الساحة الدولية لن يتحقق إلا إذا ازدادت الروابط بين دولها ، بل إنى أدعو لإيجاد صيغة ما تجعل بقية العرب جزءا من هذه المنظومة السياسية ، فالعالم العربى الجزء الأكبر من سكانه من الأفارقة لذلك فلا يجوز هنا أن يكون التقسيم جغرافياً لأن العرب أمة واحدة ، يقع جزء منها فى آسيا والجزء الآخر فى أفريقيا ، لذلك فإننى لم أكن سعيداً باستبعاد دولتين أفريقيتين عربيتين هما ليبيا والسودان من قمة باريس ، فقد كان من المفيد إشراكهما فى هذا التجمع الدولى لنفس الأسباب التى استبعدتا من أجلها»[1] .

1 حوارات نجيب محفوظ ، الأهرام ، 1998/12/3 .

التعليم :

قال الأستاذ نجيب محفوظ أثلجت صدرى تلك التصريحات الأخيرة للرئيس مبارك التى تحدث فيها عن التعليم واستراتيجية التعليم فى الفترة المقبلة ، خاصة قوله : إن التعليم يجب ألا يكون تلقينا ، فمثل هذا الكلام يؤكد أن التعليم يحتل جزءاً كبيراً من الاهتمام السياسى ، وهو ما يطمئننا على مستقبل البلاد ، لأن مصلحة الوطن ليست فى الاهتمام بالسياسة وحدها ولا الاقتصاد وحده ، وإنما بالتعليم أيضاً الذى يصنع جيل المستقبل ، والتعليم هو القادر على أن يصنع منه جيلاً متخلفاً يعيش فى معطيات القرن الماضى ، أو جيلاً متقدماً يعرف كيف يخطو بالبلاد إلى القرن الـ ٢١ الذى لم ندخله بعد .. إن التعليم يجب أن يوجه إلى إيجاد عقل وإرادة وقدرة على العمل فى العصر الحديث ، فإذا خطونا هذه الخطوة فإننا نكون قد ضمنا المستقبل .

إن حديث مبارك عن التعليم فى اجتماعه الأخير بالوزراء يعنى أن مثل هذا الكلام يمثل فى الحقيقة تكليفات محددة للوزارة يجب أن تتحول فى الفترة المقبلة إلى سياسات واضحة تسعى لتحقيق هذا الهدف الأكبر وهو تحديث العقل عن طريق تطوير أسلوب التعليم ، بحيث ينصب على الموضوع الأهم ألا وهو : كيف يفكر الطالب؟ .. لأن نظام التعليم القديم لم يكن موجهاً إلى هذا الهدف ، بل كان هدفه هو حشو رأس الطالب بالمعلومات والتى لن تفيده كثيراً فى حياته بعد ذلك ، فمعظم هذه المعلومات تنسى ولا يبقى للطالب إلا عقله وطريقة تفكيره ، أما الجانب الأخلاقى فى التعليم فيجب أن يكون العمل على أن تكون للطالب إرادة تقبل على الحياة ومن ثم تستطيع أن تتغلب على الصعاب [1] .

الأخلاق :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : كثيراً ما يتحسر الناس على تدهور مستوى الأخلاق فى عصرنا هذا ، فهل ترى أن القيم الأخلاقية شئ مهم فى المجتمع الحديث أم أنها لا تخرج عن كونها مجرد ذوقيات التعامل بين الناس.

---

1 حوارات نجيب محفوظ ، الأهرام ، 2002/7/18 .

فقال : إن الأخلاق على مستوى الفرد والجماعة مهمة للغاية لأنها أساس التعامل والثقة، فحين يحيا الإنسان في مجتمع يشعر أن الناس فيه يراعون القيم الأخلاقية كالشهامة والمروءة والصدق والانتماء فهو يشعر بقدر من الطمانينة وبقدر من الثقة، أما حين يجيئك شعور بأن الأخلاق لم تعد عاملاً مهما فإنك تجد نفسك تعيش بدون ثقة فيمن حولك ولا تستطيع التعامل معهم وتجد نفسك في حاجة إلى شهود ومواثيق لأنك لا تأمن لأحد، لذلك فإن أهمية الأخلاق لا تقتصر على مستوى الأفراد فقط وإنما المجتمع ككل، فأى مجتمع لا يقوم إلا على أساس من الأخلاق، وحين تنتشر البضائع المغشوشة أو المأكولات التى انتهت فترة صلاحيتها أو العمارات التى تسقط فإن ذلك دليل على اختلال الأخلاق في المجتمع، فالحقيقة أن أساس التعامل ليس القوانين واللوائح المنظمة لتعاملات الناس وإنما الأساس هو الأخلاقيات المتعارف عليها وما القوانين والأعراف إلا تعبير قانوني عن الأخلاق.

أما ما يقال عن تدهور الأخلاق من عصر إلى آخر فهذا شعور طبيعي لا يعني بالضرورة أن الاخلاق كانت في الماضي لا غبار عليها وإنما هو شعور يعكس معاناة الإنسان من الحاضر، ومن الطريف أنهم وجدوا في بعض البرديات المصرية القديمة بعض الخطابات الشخصية التي كان يتحسر فيها كاتبها على ما وصلت إليه الاخلاق في عصره بالمقارنة لما كانت عليه في الماضي فإن الماضي هو ذكريات الأجداد والذكريات لا تخضع لتقلبات التعامل اليومي لذلك فنحن لا نتذكر منها إلا ما هو جميل وعظيم لأنها ليست مصدر معاناة مثل الحاضر . ولكن علينا أن نضيف هنا العامل الاقتصادي،ففي ظل معاناة مالية يكون الضغط على الأخلاق أقوى مما هو في حالة اليسر المادي والمرء لا يمتحن في أخلاقه إلا وهو في ضائقة مالية، والإنسان في الحقيقة كاليوم نصفه نهار ونصفه الآخر ليل والظروف التي يمر بها قد تظهر جانباً منه وتخفي الآخر وحين تتغير الظروف يظهر الجانب الآخر»[1] .

الآمال الوطنية

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ ما هي الآمال التي نشأ عليها جيلكم ؟

قال : في مقدمة هذه الآمال كانت القضية الوطنية أي الاستقلال ولكن بشقيه الخارجي والداخلي ، ففي الخارج كان هناك المستعمر الأجنبي الرابض فوق أنفاســ٢٤٣نا

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/11/14.

يستغل موارد البلاد ويهدر كرامة مواطنيها من المواطن البسيط إلى الملك نفسه ، وفي الداخل كان هناك ظلم اجتماعي ، والاضطهاد كان أساس العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

قلت : وماذا حدث لهذه الآمال ؟

قال : الكثير منها قد تحقق على يدى ثورة ١٩٥٢ ، فالاستقلال مثلاً قد تحقق وخرج المستعمر البريطاني بعد ٧٠ سنة من الاستعمار ، وقد حاول العودة مرة أخرى عام ١٩٥٦ مستغلاً أزمة السويس لكن في ذلك كانت نهايته في العالم كله ، وإنهيار الامبراطورية التى كانت توصف بأنها التى لم تكن تغيب عنها الشمس ، أما العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، كما كان الحال في السابق ، فقد لا يعرف بعض أبناء الجيل الجديد إن بعض حكامنا في السابق لم يكونوا يتحدثون لغة البلاد ، وإن أول ملك كان يتحدث العربية لأبناء الشعب كان الملك فاروق ولقد تسبب ذلك في اختلاف جميع التوجهات السياسية والاجتماعية والثقافية ما بين الشعب وحكامه على مر العصور، وهذا الوضع غير موجود الآن والفضل في ذلك للثورة ، وهل تحققت هذه الآمال بالصورة التى كنت تتطلع إليها ؟

قال : الحقيقة أنها بدرجة كبيرة ، فما فعلته ثورة يوليو بالنسبة لتحطيم الطبقية وتحقيق العدالة الاجتماعية لايمكن إغفاله، كما أن تحرر الإرادة الوطنية أصبح أمراً مسلماً به .

ثم يختتم الأستاذ حديثه قائلاً : ومع ذلك فهناك بعض الآمال التى لم تتحقق ، ومنها مشكلة الفقر ، فرغم المشاريع الكبيرة التى أقيمت ورغم التقدم الاقتصادى الذى تحقق ، إلا أن مصر مازالت تعتبر دولة فقيرة ، والفلاح المصرى وإن كانت حالته قد تحسنت ، إلا أنه مازال فقيراً ، وإنى أتطلع إلى المستقبل متمنياً أن يكون للمشروعات الاقتصادية العملاقة التى نسمع عنها أثر على حال الفلاح المصرى ، وعلى الوضع الاقتصادى لمصر في القرن الجديد»[1] .

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2000/1/20م.

السياسة والأدب :

«استأذنت الأستاذ نجيب محفوظ فى أن أجعل موضوع حوارنا اليوم هو السياسة فى أدبه، قائلاً : أنت من أوائل من أدخلوا السياسة بشكل واضح في الرواية، فهي قد تكون في الصدارة في إحدى الروايات، أو في الخلفية في رواية أخرى، لكنها دائماً هناك.

فقال الأستاذ : أعتقد أن الكاتب وخاصة الروائي أو المسرحي يحوم دائماً حول الموضوعات التي لها أثر في نفسه، والتي لها إنعكاسات على حياته والتي يهتم بها، فإذا أردت أن تعرف اهتمامات أي كاتب فاقرأ مؤلفاته فستعرف بماذا يهتم في هذه الدنيا، واحد الأبعاد التي أهتم بها هو السياسة، فهي تظهر في الموضوعات وفي الشخصيات التي تقوم عليها رواياتي، هي واهتمامات أخرى بالطبع، مثل الدين على سبيل المثال والحياة الشعبية وربما روح الفكاهة أيضاً.

وسبب اهتمامي بالسياسة يرجع إلى أن جيلي كله إذا أردت أن تصفه فقل أنه جيل سياسي لأننا تفتح وعينا في سنوات حياتنا الأولى على الثورة الشعبية المصرية.

ثم يسرح الأستاذ بعيداً بمخيلته ليقول : لقد شاهدت الثورة بعيني من شباكي ببيت القاضي وأنا طفل في السابعة أو الثامنة من عمري.. شاهدتها وهي تدور في الشوارع وأعلامها مرفوعة، شاهدتها وهي تصارع الانجليز، وسمعت في هذه السن دوي الرصاص، ورأيت قوات الخيالة الانجليزية وهي تقتل وتقتل، ولم أكن في ذلك السن أعرف أنني مُحتل، ولا أعرف الفرق بين أن يكون الإنسان محتلاً أو مستقلاً لأن سن السابعة في ذلك الوقت ليست كالسابعة الآن حيث الإذاعة والتليفزيون والخبرات المكتسبة.. لكني في ذلك الوقت بدأت أسأل وبدأت أعرف ما معنى كلمة إنجليزي أو كلمة وطني.. بدأت أعرف ماذا يعني سعد زغلول، وماذا يعني النفي، وقد تتبعت هذه الأشياء وبدأت أقرأ الجرائد ولا أذكر أنه مر عليّ يوم واحد بدون متابعة للسياسة.

لكنك مع ذلك لم تعمل أبداً بالسياسة ولم تنضم لأي تنظيم سياسي.

لا.. أنا مواطن منتم اهتمامه بالسياسة من الدرجة الأولى، وهذا يكون في بعض الأحيان أكثر إخلاصا لأن من يمتهن السياسة يضحي أكثر، وهو لذلك ينتظر ثمرات أكثر أما نحن فلوجه الله.. نحب لله ونكره الله وإن كان ذلك في بعض الأحيان لايعفينا من دفع ثمن حبنا ذلك وكأننا من رجال السياسة»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1995/11/26.

العبث :

«وينتقل الحوار مع الأستاذ إلى مجال الأدب ومدارسه المختلفة فيتحدث عن مدرسة العبث التى ظهرت فى الخمسينات ووصلت إلى قمتها فى الستينات فى الأعمال المسرحية والروائية للكاتب الايرلندى صمويل بيكيت الحائز على جائزة نوبل فيقول : عالم ما بعد الحرب العالمية الأخيرة فى الغرب خلا من الالوهية والإيمان لذلك سقط فى اللامعنى فاخذ يبحث عن معنى الحياة وعن جدواها وهذا وضع يختلف عما هو موجود عندنا.

وأقول : لكنك تعرضت يا استاذ نجيب لهذا العالم العبثى فى مسرحياتك الخمس ذات الفصل الواحد وفي بعض قصصك.

فيقول أن صدمة الهزيمة عام 1967 أحدثت عندنا ما يشبه الارتجاج فى المخ حيث فقد العالم من حولنا رصانته ومعناه وأصبحنا فى حالة شك وألم لذلك كان أسلوب العبث واللامعنى هو خير الأساليب الفنية فى التعبير عن هذا الوضع.

ولكن لان أساسى الايمانى قوى فقد استخدمت هذا الاسلوب للتعبير عن الحالة الطارئة التى مررت بها نتيجة للاحساس بالهزيمة فالمسرحية أو القصة القصيرة ذات الأسلوب العبثى التى كتبتها فى تلك المرحلة تجد أن لنهايتها معنى أى أنها تستخدم أسلوب اللامعنى لتخرج فى النهاية إلى المعنى.

قلت للأستاذ : أليس الشك والتشكك فى جميع الاحوال هو سمة أساسية من سمات الكاتب ؟ قال : هناك شك يسعى للمعرفة وشك من أجل الشك فهناك مدرسة تشك فى كل شئ بما فى ذلك الالوهية ذاتها والاخلاقيات لكن هناك شك تبدأه كخطوة أولى إلى المعرفة الحقة وهو مافعله ديكارت مثلاً حيث وجد أنه لكى يعرف الوجود ويعرف الخالق لن يبدأ بما قاله الاخرون فى هذا المجال لكن عليه أن يبدأ من الصفر ومن هذا الشك وصل ديكارت فى النهاية إلى الايمان بالله والطبيعة والوجود إنه إذن شك الباحث وليس شك اليائس»[1].

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1995/5/25.

حرية الصحافة :

«وحدثنى الأستاذ عن حرية الصحافة فقال : إن حرية الصحافة فوق كل الحريات، فالحرية كما نعلم ضرورة إنسانية واجتماعية، لكن صوتها لايعلو إلا من خلال الصحافة، والحرية قد تمارس همسا أو على أنفراد أو فى بعض بيئات المجتمع دون غيرها، لكنها فى الصحافة تتحول إلى صوت الشعب الذى يصدح فى المجتمع كله، وحرية الصحافة تخدم الشعب والحكومة معا فهى تنبه إلى الصواب مستخدمة حقاً أصيلاً من حقوق الانسان وحقاً أساسياً من حقوق المجتمع والحق الأول للصحافة.

إن هناك بعض الأشياء قد تعمل بلا حرية ولو بطريقة عرجاء إلا الصحافة فهى إما حرة أو هى ليست صحافة والصحافة غير الحرة لاتفيد أحداً ولا حتى الحكومة لأن أى خبر يرد بها حتى لو كان يخدم الحكومة لا أستطيع أن أصدقه لأن الجريدة التى نشرته ليست حرة والصحافة غير الحرة وراءها دائماً إرهاب خفى، أما بالحرية فإن الصحافة تتحول بسحر ساحر من ورقة صفراء تثير الشبهات والشك إلى صوت الشعب، إلى صوت الحق، إلى صوت الغد.

ثم يضيف الأستاذ : وفى قلب الصحافة يقع الصحفى الذى يقوم بدور ومهمة غاية فى الخطورة وعلى الدولة التى تحترم الحرية والتى تريد بناء الديموقراطية أن تحترم ذلك الصحفى وتصون حقوقه بل وتوفر له كل الضمانات التى تسهل له مهمته وتحميه من الأذى، وحسب الصحفى مسئولية الحرية التى يتحملها لأن تلك المسئولية تكفيه ولسنا بحاجة لتهديده بأى شئ بعد ذلك من حبس أو غرامة أو ما إلى ذلك.

وأقول للأستاذ نجيب : ماذا تقصد بذلك؟ فيقول لى منفعلاً : هل تظن أنك حين تقول لى أنت حر فذلك سهل؟ أنك حين تقول لى أنت لست حراً فذلك أسهل، لأنى بذلك أكتب لك ماتريده وينتهى الأمر، لكنى حين أكون حراً فمعنى ذلك أن علىّ أن أعمل عقلى وأحكم ضميرى وأزن كلامى وأنظر للحاضر وللمستقبل وإلا فلن يقرآنى أحد ولن يصدقنى أحد ولن يحترمنى أحد، إن الصحفى يجب أن يكون حراً لأنه أن لم يكن حراً لم يكن صحفياً بتاتاً، فهو إما حر وصحفى أو غير حر وغير صحفى»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1995/6/15.

وفى عام 1999م قال الاستاذ نجيب محفوظ عن حرية الصحافة[1] :

«إن حرية الصحافة من حرية الوطن ولذلك فأنا مع حرية الصحافة بدون قيد أو شرط لأن الصحافة هى الرئة التى تتنفس بها الأمة ، ويجب أن تعرف من خلالها الحقائق خاصة أننا مقبلون على عصر ستكون فيه المعلومات هى السلاح الأول فى التنافس بين الأمم ، فمن يعرف أكثر ستكون له الغلبة وفى ذلك فإن الصحافة يجب أن تكون لها مرجعية هائلة فى هذا الشأن ، لكن عليها فى الوقت نفسه أن تكون صحافة مسئولة وأمينة فالصحافة التى تستغل الحرية لتنشر علينا الفضائح والشتائم والروايات المختلقة هى صحافة متخلفة عن العصر واحتياجاته ، ومما يحمد لعهد الرئيس مبارك أنه قد أعطى للصحافة حرية غير مسبوقة في تاريخنا الحديث يشعر بها كل من يطلع على الصحف المصرية سواء القومية منها أو الحزبية .

ثم يضيف الأستاذ : وأنا أعرف أنه من الطبيعى أن يكون هناك صراع دائم بين الصحافة والسلطة ، فالصحافة تريد أن تنشر كل شيء والسلطة تريد ألا ينشر الخبر إلا فى الظرف السياسى الملائم ، وقد شهدنا مثل هذا الصراع فى جميع دول العالم وهو من طبيعة الأشياء تحت جميع الأنظمة السياسية ، لكن حين يتحول هذا الصراع إلى محاولة لتكميم الصحفيين بالتهديد والوعيد وبسن القوانين التى تبالغ فى عقوبات النشر حتى تصل بها إلي حد السجن فذلك غير معمول به فى الدول التى تتخذ من الديمقراطية نظاماً لها ، والصراع يجب ألا يصل أبداً إلى حد تقييد حرية الصحافة لأن ذلك غير مجد . والحقيقة ستعرف إن عاجلاً أو أجلاً .. إننا في عصر لم تعد فيه الرقابة ممكنة والحقيقة فيه تخترق كل الحواجز لتصل إلينا فى غرف نومنا وأشد ما يولمنى أن يضطر المصرى إلى الحصول على معلوماته من وسائل إعلام أخرى عربية كانت أو أجنبية وليس من مصادرها المحلية»[1] .

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1999/11/11.

تجاوزات الصحافة :

«وأسأل الأستاذ نجيب محفوظ إن كان يرى أن هناك تجاوزات تحدث في ممارسة حرية الصحافة، فيقول : بالطبع تحدث تجاوزات، ولقد تتبعت مثلاً هجوماً بلغ حد التجريح، وتلك الحملات غير الموضوعية لا معنى لها ولا فائدة فيها، كذلك هناك في بعض الأحيان أخبار تنشر. قد تقلق المواطن على حال بلده، فيقول : هل وصل بمصر الحال إلى هذا الحد؟ أو : إلى أين نحن ماضون؟ ثم يتضح بمرور الوقت أن هذا الخبر لا أساس له.

ثم يرفع الأستاذ إصبعه في وجهي قائلاً : ولكن ألف تجاوز ولا أعتداء وأحد على حرية الصحافة؟

وأسأل : لكن كيف نعالج تلك التجاوزات؟ فيقول : إن القانون العام يكفي لحماية الأفراد في أعراضهم وسمعتهم.. القانون العام الذي يخضع له جميع المواطنين والذي يلزمهم بالأمانة والصدق والإخلاص، ثم أن هناك بالضرورة ميثاق شرف يجب أن نلتزم به أسوة بالمهن الأخرى كالطب والمحاماة مثلاً، فالحرية هي مسئولية قبل أي شئ آخر.

وأسأل الأستاذ : ألم تكن أنت شخصياً في وقت ما ضحية لبعض تلك التجاوزات؟ فيقول : لقد عانيت تجاوزات أدبية وسياسية في الصحافة، أما الأدبية فإني أقبلها وأقصى ما أقوله فيها هو أنها نقد لا يخلو من الهوى، لكن إلى جانب ذلك، هناك دائماً نقد آخر شريف وموضوعي يرد للإنسان قيمته.

أما في السياسة فقد كانت تلك التجاوزات مؤلمة، فحين أعبر عن رأي سياسي أتوقع أن يقول لي أحدهم أحسنت وأن يقول لي عشرة آخرون : أسأت، أو أن يقال لي : دعك من السياسة وابقى أنت في أدبك، كل هذا مقبول مني، لكن حين أنادي مثلاً بالسلام والتفاوض فيقال إنني عميل إسرائيلي (!!) فهذا فيه ظلم لا يرضاه أحد ولا حتى من ارتكبوه. فلقد كان يجيئني هؤلاء ويقولون لي نحن نعلم أنك لست مانقوله فيك لكننا نقول ذلك حتى نردع الآخرين.

وأسأل : لماذا لم تلجأ للقضاء؟ فيقول الأستاذ : إن معالجة تلك الأمور لا يكون فقط بالقانون والإنسان الواثق من نفسه ومن موقفه يعرف أنه لا يصح في النهاية إلا الصحيح،

فـهـا قـد أتجـه العـالم العربى كله إلى طريق السلام والمفاوضة بما فى ذلك من اتهمونى بالخيانة والعمالة أليس فى ذلك رد اعتبار تاريخى وقومى؟ أقوى من أى حكم قضائى؟

ثم ينهى الأستاذ حديثه قائلاً : إننا يجب أن يتسع صدرنا للتجاوزات التى تأتى بها الحرية لأن معالجتها تكون بالرقى العام للمجتمع وبالتهذيب الذى يأتى من خلال استمرار الممارسة الديمقراطية، إن علينا جميعاً أن نواجه تلك التجاوزات بالترشيد والتقويم وليس بسن القوانين التى تجور على الحرية، فإن يضار شعب بأكمله بسبب غياب الحرية فهذا مفهوم، لكن أن يضار شخص واحد فقط بسبب الحرية فهذا يثير الألم فى القلوب»[1] .

أهمية الترجمة :

«يقول نجيب محفوظ : إن الترجمة هى عملية غاية فى الأهمية بالنسبة للرقى الفكرى لأى أمة وهى الوسيلة الأولى لمسايرة العصر وما يجرى فيه من تطورات، ولقد كانت لدينا حركة ترجمة نشيطة فى الستينات.

لست أعرف لماذا وهنت الآن إلى هذا الحد، لقد كنا نترجم أحدث ما تصدره المطابع الفرنسية والانجليزية فقرأنا جان بول سارتر فى الوقت الذى كانت تقرأه أوروبا كما قرأنا ألبير كامى وقرأنا جميع كتاب مسرح العبث فى الوقت الذى كانت عروضهم تقدم على مسارح باريس كما قرأنا ت. س. إليوت، وحين بدأ المسرح الجديد فى بريطانيا بمسرحية «انظر وراءك فى غضب» لجون أوزبورن كانت النسخة العربية للمسرحية تباع عندنا على الارصفة، كذلك قرأنا ألبرتو مورافيا وارنست همنجواى وبيراندلو وغيرهم.

ثم يقول : أما اليوم فمازلت أجد من يقولون لى : قال سارتر (!) وكم كنت أود أن أعرف ماذا حدث فى العالم بعد سارتر، فلا يمكن أن يكون الفكر الانسانى قد توقف عند سارتر وكامى، لكن للاسف أن الجديد لايترجم الآن بنفس السرعة التى كان يترجم بها فى الماضى.

ويضيف : والحقيقة أن فترة ازدهار الترجمة فى الستينات لم تأت من فراغ فلقد نشأنا على حركة ترجمة قوية قبل الثورة فقرأنا أمهات الكتب العالمية فى ترجمات

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1995/6/22.

لأساتذة كبار، فأذكر أننى قرأت شكسبير وجوته وبلزاك وإن كنت قد وجدت أن أجمل الترجمات في الشعر خاصة ليست دائماً اضبطها، فقد استهوتنى مثلاً ترجمات الشاعر الكبير خليل مطران لشكسبير رغم أنه اضطر للكثير من التصرف حتى يضبط ترجمته الشعرية من حيث الوزن والجرس، ومع ذلك فقد نقل إلينا روح الشاعر حتى ليخيل إليك أن شكسبير يكتب بالعربية.

ولقد لاحظت نفس الظاهرة في ترجمات رباعيات الخيام فالتى أعجبتنى كانت ترجمة السباعى رغم أن ترجمة رامى جاءت من الفارسية مباشرة.

وينهى الأستاذ حديثه عن الترجمة قائلاً : إن علينا أن نحيى حركة الترجمة مرة أخرى حتى لانتوقف عند فكر عصر مضى ولا ننغلق على أنفسنا فنجد أننا نتحدث إلى بعضنا البعض بينما العالم الحديث في واد ثان لانعرف عنه شيئاً»[1].

المسرح والمصادرة :

«بادأني الأستاذ نجيب محفوظ قائلاً : أود أن أوجه التحية للفنان فاروق حسنى وزير الثقافة قراره الأخير بإعادة عرض مسرحية «دستور يا أسيادنا» لجلال الشرقاوى، فمصادرة عرض مسرحي أو فيلم سينمائى هو مسألة غاية في الخطورة ولا ينبغي أن تؤخذ باستخفاف، والضجة التى أثارها في العالم كله منع فيلم يوسف شاهين «المهاجر» ليست ببعيدة.

ثم يرفع الأستاذ حاجبيه قائلاً : لقد ذهلت حين سمعت أن هناك في عهدنا هذا مسرحية قد صودرت، فنحن في عهد توافر فيه قدر من الديموقراطية لم نعرفه منذ سنوات، بل لعلى أقول أن هناك قدراً من الحرية لم يكن موجوداً حتى في العهد الليبرالى، وأنا كما تعرف لا أذهب الآن إلى المسرح أو السينما لكن ما أسمعه، عما يقال في هذه العروض شئ مذهل وكأنه لم يصبح هناك الآن موضوع إلا «مداعبة» كبار المسئولين وهذا شئ أنا لا أميل إليه على الاطلاق والفن الأصيل لا يحتاج إلى ذلك، لكن هذا لايعنى أن نصادر عرضاً مسرحياً هكذا بجرة قلم كأننا في ظل حكم شمولى يتحكم فيما يعرض وما يقال للناس.

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1995/7/13.

فأسأل : لقد كنت أنت نفسك يا أستاذ نجيب مديراً للرقابة عام 1959 فهل لم تصادر مسرحية أو تمنع فيلماً؟

فيجيب على الفوز : لم يحدث قط، رغم أن العهد كان غير العهد والسياسات غير السياسات، لكن لم يحدث أن منعت عرض مسرحية أو فيلم.. لقد اعترضت مرة على أغنية كان بها قدر كبير جداً من الخلاعة فى أحد أفلام المرحوم عزالدين ذو الفقار فأخبرته بذلك وتشكلت لجنة تنظر فى هذا الموضوع حتى لا أكون ظالماً فى موقفى، ورغم أن الكثير من أعضاء اللجنة كانوا من أصدقاء عزالدين ذو الفقار، وأنا لم يكن لى من بينهم أحد، فقد أقرت اللجنة وجهة نظرى وحذفت الأغنية، لكنى لم أكن لأجرؤ على وقف فيلم بالكامل أو مسرحية.

فأسأل ثانية : وماذا كنت تفعل لو كانت المسرحية مليئة بما كان فى الأغنية التى منعتها؟

فيقول الأستاذ هناك ياسيدى مئات الطرق لتلافى مايخدش الحياء أو يتعرض بشكل غير لائق لبعض الناس دون أن نسجل على نظام ديموقراطى نضرب المثل ليل نهار بسماحته أنه صادر عملا فنيا، لذلك فإن ماقام به الوزير فاروق حسنى هو خطوة سياسية صائبة عجلت بتصحيح وضع كل يمكن فى حالة استمراره أن يسئ لنا جميعاً»[1].

أنا والرقابة:

«وأقول للاستاذ نجيب محفوظ: قلت لى فى الاسبوع الماضى أنك حين كنت مديراً للرقابة لم تمنع عرض أية مسرحية أو فيلم لكنى أعرف أنه قد منع لك أكثر من عمل فى فترات مختلفة من حياتك.

فيلاحقنى بالقول : أوه خذ عندك! فمن حرب 67 إلى حرب 73 منعت لى ولغيرى بعض الأعمال، مثل «المخططين» ليوسف إدريس ومسرحيات أخرى لسعد الدين وهبة، أما أنا فقد رفض «الأهرام» نشر روايتى «الحب تحت المطر»، وكان فى ذلك الوقت

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1995/8/31.

الأستاذ أحمد بهاء الدين الرواية التي شفاه الله مسئولا عن عدد الجمعة «بالأهرام» حيث كانت ستنشر الرواية التي كانت تتساءل: إلى متى سنظل دافنين أولادنا هكذا في الرمال؟ وكان بها أيضاً جندى عائد من الميدان إلى القاهرة لكنه لا يتعرف عليها ويتصور أنه قد وصل إلى بلاد جديدة تماماً ذات جنسية أخرى، ولقد أخبرني بهاء، وكانت بيننا صداقة كبيرة أن الرواية قد أعجبته، وقال أنه سيعمل على نشرها ولكن ليس في «الأهرام»، وبالفعل فقد كان هو مستشاراً لمجلة يصدرها المجلس الأعلى للشباب والرياضة وقت أن كان رئيسه الدكتور أحمد كمال أبو المجد، فقال لهم لدى هدية لمجلتكم ونشرت مسلسلة في المجلة.

كذلك في بداية عهد السادات تردد «الأهرام» في نشر رواية «المرايا» وكان رجاء النقاش قد أصبح رئيساً لتحرير مجلة «الإذاعة والتليفزيون» وحين علم مني أن لي رواية تأخر نشرها في «الأهرام» طلبها على الفور لمجلته، فقلت له علينا الانتظار إلى أن يحدد «الأهرام» موقفه، وظل يتصل بي يومياً فأقول له: أنا في انتظار الكلمة النهائية، إلى أن ذهبت إلى الأستاذ على حمدى الجمال مدير تحرير «الأهرام» في ذلك الوقت طالباً الرأى النهائي في الرواية فقال لي أن «الأهرام» لن ينشرها لكنى حر في أن أنشرها حينما أريد، فأعطيت الرواية لرجاء النقاش الذى استأذن وزير الإعلام الأستاذ محمد فايق فوافق على نشرها.

ولقد نشرت «المرايا» في «الإذاعة والتليفزيون» مصحوبة برسوم بديعة لفنان الإسكندرية الكبير سيف وانلى، وحققت نجاحا منقطع النظير، وقد دعا ذلك توفيق الحكيم لمعاتبة هيكل قائلاً إن هذا النجاح الكبير الذى تحقق للمجلة من أسبوع لأسبوع كان يجب أن يكون من حق «الأهرام» الذى يعمل به المؤلف.

على أنه كانت لي مواقف عظيمة مع «الأهرام» (خاصة حين منعت من الكتابة قبيل حرب 73 ومنعت أعمالي في الأذاعة والتليفزيون وهناك أيضاً) رواية «أولاد حارتنا» الذى اتخذ الاستاذ هيكل قراراً بنشرها ورفض أمام جميع الضغوط العدول عنه إلى أن انتهت جميع الحلقات»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1995/9/7.

الكاتب بين نارين :

«أرسل الأستاذ نجيب محفوظ رسالة إلى مؤتمر «الثقافة والأدب والديمقراطية» الذى يبدأ أعماله فى باكستان بعد غد قال فيها من بين ما قال أن الديمقراطية ليست شيئاً نطالب به الحكومات وحدها، فالديمقراطية هى روح الحرية ومالم تترسخ فى المجتمع بجميع مستوياته فلا جدوى منها.

إذ أننا نرى الآن أن الكتاب والمثقفين كثيراً مايتعرضون للاعتداء ليس من جانب الحكومات وإنما من قبل جماعات عميت أبصارها ولم تعد ترى غير مايتراءى لها وحدها، وهذا وضع يهدد حرية الإبداع أكثر من أى شئ آخر.

ثم يضيف :

ففى بعض الأحيان يجد الكاتب نفسه واقعاً فى دائرة النار التابعة لبعض الجماعات فى المجتمع التى قد تكون الحكومة نفسها فى حالة صراع معها، وهكذا قد تصيبه النيران من الجانبين.

وأسأل : أليس الكاتب بطبيعته فى حالة صراع مع مجتمعه سواء السلطة السياسية أو أية جماعات أخرى؟

فيقول الأستاذ ؟

ليس بالضرورة.. أن الكاتب قد يكون فى حالة تناقض مع السلطة القائمة لكن ذلك لايعنى أن يكون هناك صراع بينه وبينها، مادامت هناك ديمقراطية فإن الجميع يستطيع التعايش، وتحدث فى بعض الأحيان بالطبع بعض حالات التوتر فى العلاقات بين المثقفين والسلطة لكني لا أعتقد أن تلك من طبيعة العلاقة التى ينبغى أن تقوم بينهما.

فأقول : إذا كان مثل هذا الاعتداء بشقيه المعنوى والجسدى قد يصيب الكاتب من الحكومات والجماعات على حد سواء فأين يحتمى الكاتب؟

فيقول الأستاذ :

يحتمى فى جمهوره لكن هناك أيضا يجب أن نتذكر أن الديمقراطية هى التى وفرت له هذا الجمهور الواسع. ذلك أن الثقافة كانت فى الماضى حكرا على الصفوة الحاكمة من

ملوك وأمراء، فكانوا هم الراعين للفن وهم متلقيه أيضاً، لكن الديمقراطية خلقت جمهوراً جديداً تماماً للكاتب لم يكن متاحاً له من قبل وهو جمهور متنوع يختلف عن جمهور الصفوة القديم في أن ذوقه قد يتراوح مابين أرفع المستويات وأكثرها تواضعاً، لكنه أيضاً جمهور يتسع عن محيط الأمراء والملوك ليحتوى الأمة كلها لذلك فهو يتمتع بقوة لا يستهان بها»[1].

الثقافة والديمقراطية:

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ : هل هناك علاقة قائمة بين الثقافة والديمقراطية؟

أى هل يمكن أن تقوم إحداهما بعيدة عن الأخرى أم أنهما مرتبطتان؟

فأجاب : إن الثقافة بمعنى الفنون والآداب والفكر يمكن أن توجد في ظل أى نظام سياسى، لكن وجود الديمقراطية هو ما ينعشها ويعطيها الهواء النقي الذى تتنفسه فتقوى وتزدهر، ففرق كبير بين ثقافة حية ومنتعشة وأخرى ضعيفة لإنها مخنوقة.

كذلك فإن الديمقراطية تعتمد هى الأخرى فى ازدهارها على الثقافة فالشعب المثقف تكون ممارسته للديمقراطية أنضج بكثير من شعب ثقافته قليلة.

لكن مع ذلك فإن العلاقة بين السلطة السياسية والثقافة هى دائماً علاقة فيها قدر من التوتر تحت جميع الانظمة السياسية فالسلطة دائماً تريد من يؤيد أما المثقفون فهم ضمير الأمة وإحدى مهامهم الأساسية هى توجيه النظر لسلبيات المجتمع والوقوف ضدها، لكن الاختلاف هنا بين النوعيات المختلفة للانظمة السياسية هو اختلاف فقط فى القدرة على احتمال المثقفين فقدرة احتمال النظام الديمقراطي مثلاً أقوى بكثير منها عند النظام الدكتاتورى الذى لايتحمل أى نوع من النقد ويعتبر أن فيه مساساً بهيبته، حتى ليكاد يصبح مقياس الديمقراطية هو قدر ما يتعرض له الحاكم من نقد فتجد في الأنظمة الشمولية لا أحد ينتقد الحكام وكأن / كل شئ على مايرام بينما فى الدول العريقة فى الديمقراطية يواجه الحاكم نقداً لا هوادة فيه لكن ذلك لاينتقص من قدره فى شئ فهذا النقد هو الخبز اليومى الذى تتغذى عليه الديمقراطية السياسية وكل من هو فى السلطة يتوقعه.

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1995/11/30.

ويمضى الأستاذ فيقول : في مثل هذا الوضع حيث حرية التعبير مكفولة تجد الأدب ينتعش والفن ينتعش والفكر ينتعش وهكذا يقوم المثقفون بدورهم في المجتمع على أكمل وجه فيكون لدينا مجتمعاً صحيحاً وسوياً وليس مريضاً منحرفاً، ذلك أن الثقافة تصبح في هذا المجتمع سلطة إلى جانب السلطة تصلح وترشد فتحول دون وقوع الكوارث، فالكوارث القومية لا تتفاقم إلا في الظلام»[1].

الهند :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ إن الهند التى زارنا رئيس وزرائها هذا الاسبوع تربطنا بها علاقات وثيقة منذ زمن طويل تعود إلى وقت غاندى وإلى العلاقات التى كانت تربط بين حزب المؤتمر وحزب الوفد وكانت هناك علاقات تربط بين نهرو والنحاس ثم امتدت العلاقات وازدادت قوة بين نهرو وعبدالناصر، لكن قبل ذلك كله وبعده فإن الهند تضرب المثل الأعلى لجميع بلدان العالم الثالث في الديمواقراطية فهي البلد الوحيد الذى حافظ على الديموقراطية تحت جميع أنظمة الحكم التى عرفتها ولم تحد عنها لا يمينا ولا يساراً، ولقد حقق النظام الديموقراطي للهند إنجازات كبيرة حتى في مجال الاقتصاد حيث تم التوصل إلى الاكتفاء الذاتى فى معظم الأغذية رغم تعدادها الذى يعتبر أكبر تعداد فى العالم بعد الصين، كذلك حقق النظام الديموقراطى التقدم النووى الذى جعلها أول دولة فى العالم الثالث تصل إلى العصر النووى، وهكذا أصبحت الهند مثلاً في السياسة والاقتصاد والتقدم العلمى رغم مشاكلها التى لاحصر لها.

والحقيقة أنه لولا الديموقراطية لتفككت الهند منذ زمن طويل فعدد الأجناس التى بها وعدد الاديان وعدد اللغات بكل مايتضمنه ذلك من تباين واختلاف في العادات والتقاليد كان يمكن أن يهدد وحدة الهند كدولة واحدة ومثلما انفصلت عنها باكستان كان يمكن أن تنفصل أيضاً دويلات أخرى حسب كل دين وكل لغة، لكن الديموقراطية هي التى وحدت البلاد، واليوم لايمكن أن تحكم الهند إلا من خلال نظام ديموقراطي.

إن الرسالة التى تبعث بها الهند لكل دول العالم الثالث هى أن الديموقراطية هى الحل كما تثبت عدم صحة المقولة بأن الديمقراطية لاتصلح في غير الدول المتقدمة فالهند مثل سائر الدول النامية بها أمية وفقر وتخلف ربما أكثر من بعض الدول الأخرى لكنها بالديموقراطية تماسكت وتقدمت، فأهلا بالهند وبتجربتها العظيمة»[2].

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1995/12/12.
2. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1997/10/16.

مطبعة «الأهرام»:

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : كم كنت أود أن أحضر افتتاح مطبعة «الأهرام» الجديدة بمدينة 6 أكتوبر لكن الحالة الصحية أصبحت الآن تحول دون تلك الزيارات الميدانية الواسعة، وذلك ليس فقط بحكم أن هذا المشروع العملاق هو أحد التوسعات الخاصة «بالأهرام» الذى أعمل به، وإنما بحكم أنه أحد الإنجازات المهمة في عصر المعلومات الذى تتنافس فيه كل وسائل الاعلام بحيث لن يكون هناك مكان إلا لكل ما هو سابق للعصر ،لقد مضت العهود التى كنا نطالب فيها بملاحقة العصر، وأصبح البقاء الآن هو لمن يسبق العصر، ففى ذلك وحده إمكانية الاستمرار والتقدم.

ووسط ذلك فإن الصحافة عليها عبء كبير فى المنافسة الشرسة التى يشهدها الآن عصرنا هذا، فهى لم تعد تتنافس مع بقية الصحف فقط، وإنما عليها أن تتنافس مع وسائل المعلومات الأخرى بما فى ذلك الوسائل الحديثة من قنوات المعلومات والانترنت وخلافه، فمهما تطورت قنوات المعلومات فلن يكون هناك غنى - فى رأيى - عن الكلمة المطبوعة التى يستطيع القارئ أن يلمسها بيديه ويدقق فيها النظر أو يطويها ويضعها فى جيبه، إن كل ذلك التقدم فى مجال المرئيات لن يلغى أبدا الوثيقة الورقية، فلطالما قلنا أن السينما ستلغى المسرح أو أن التليفزيون سيلغى السينما لكن ذلك لم يحدث، لذلك فإن التقدم التكنولوجى الآن فى وسائل الإعلام والمعلومات لن يلغى أبداً دور الصحيفة، بل إنى أعتقد - على العكس من ذلك - أن تلك المنافسة ستساعد الصحافة على الالتزام بدورها الحقيقى والذى لاتستطيع أية وسيلة إعلام أخرى أن تنافسها فيه، إن على الصحافة فى العصر الحديث أن تحفظ مكانها بأن تضمن أنها تعطى للقارئ كل مالا تستطيع وسائل الاتصال الأخرى إعطاءه له، والطريق إلى ذلك يمر بشيئين : أولاً الحرية التى لاتحدها القيود وثانياً المطبعة المتطورة»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/3/28.

قصتي مع «الأهرام»:

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : قال لي الاستاذ محمد حسنين هيكل أنه ظل يطاردك سنوات لكي يضمك إلى «الأهرام» وأن ذلك كان بتوصية من توفيق الحكيم الذى رشحك للانضمام لزمرة كبار الكتاب «بالأهرام» فما هي قصة انضمامك «للأهرام»؟

قال : في عام 1957 كنا ذات مساء في منزل إحسان عبدالقدوس حيث أقام لى إحسان - رحمه الله - حفلا للاحتفال بفوزى بجائزة الدولة القديمة قبل إنشاء المجلس الأعلى للثقافة، فأرسل لي الأستاذ محمد حسنين هيكل - وكان قد تولى حديثاً رئاسة تحرير «الأهرام» الاستاذ علي حمدى الجمال رحمه الله الذى قال لى : إننى أتحدث اليك باسم الاستاذ هيكل وهو يقول لك أن عملك الروائى القادم يجب أن تنشره «بالأهرام» وفي ذلك الوقت كنت متوقفاً عن الكتابة لكن إزاء هذا العرض الكريم اكتفيت بالموافقة والشكر وقلت له : أعدك أن أول عمل سأكتبه سأعطيه لك ياعلي بيه، وقد جاء ذلك العمل بعد حوالي ثلاث سنوات وكان رواية «أولاد حارتنا».

وحين تركت مؤسسة السينما وعينني وزير الثقافة الدكتور ثروت عكاشة مستشاراً له اتصل بى الأستاذ هيكل بنفسه وقال لى : مكتبك جاهز فى «الأهرام» فقلت له : أخشى أن يتصور الدكتور عكاشة إنني أنتقل إلى «الأهرام» احتجاجا، وظللت بالوزارة إلى أن تم إحالتي إلى المعاش فشعرت بأنني قد أصبحت حراً أن اختار لنفسى الموقع الذى أريده فتوجهت في نفس اليوم إلى الأستاذ الجمال «بالأهرام» وما أن أخبر الأستاذ هيكل بوجودى حتى طلبني وكان المكتب الذى وعدنى به قد تم شغله بالطبع حيث أقام هيكل وحدة دراسات جديدة.

كان القائمون عليها آنذاك الاستاذ حاتم صادق وزوجته الدكتورة هدى عبدالناصر، لذلك فقد أقترح عليّ الاستاذ هيكل أن أجلس فى غرفة أخرى كان يجلس بها كل من د. حسين فوزى ود. عائشة عبدالرحمن وهى الغرفة الملاصقة لغرفة توفيق الحكيم وكان ذلك في الدور السادس الشهير الذى جمع فيه هيكل أكبر كتاب ومفكرى البلد في ذلك

الوقت والذى كان يضم أيضاً د. زكى نجيب محمود وصلاح طاهر وأخرين. والحقيقة أن الاستاذ هيكل كان يعتنى بالكتاب أشد إعتناء وكان يكن لهم تقديراً واحتراماً كبيرين حيث كان وهو «فى عز هيلمانه» إذا أراد التحدث إلى أحد منا كان يأتى إلينا بنفسه، ولم يحدث أن استدعى أحداً منا إلى مكتبه وقد كان قادراً أن يستدعى الوزراء وكبار المسئولين فيأتونه سعداء، ولم نشهد من هيكل طوال فترة عملنا معه إلا كل رقة وذوق وإنسانية.

قلت : ثم دارت الأيام ورحل توفيق الحكيم ورأى «الأهرام أن غرفته الشهيرة يجب أن تكون لك فانتقلت إليها لكنى لم أراك قط جالساً على المكتب الذى بها.

فقال : كان هذا هو مكتب توفيق الحكيم ولم أكن أتصور أن يجلس عليه أحد غيره، لذلك ظللت أجلس على الأريكة التى أعتدت الجلوس عليها كلما زرت توفيق الحكيم»[1].

«الأهرام» فى حياتى :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ منذ أن ضعف بصرى قبل سنوات وأنا أقرأ بعيون الآخرين، فصديقى وزميلى «بالأهرام» الحاج صبرى يقوم بزيارتى يومياً فى التاسعة صباحاً ليقرأ لى الصحف لمدة ساعتين أو ثلاث، وأنا عادة أبدأ «بالأهرام» وفى أحيان كثيرة لايتسع الوقت لقراءة الصحف الأخرى التى كنت أتمنى متابعتها كما أتابع «الأهرام» الذى له فى نفسى مكانة خاصة بين سائر الصحف العربية، فرحلتى مع «الأهرام» بدأت منذ الطفولة فلم أتركه يوماً واحداً وحين عينت كاتباً فيه عام 1959 كانت تلك نقلة كبيرة فى حياتى أعتز بها أكبر اعتزاز.

فأقول : لكنى قرأت أخيراً فى جريدة «وول ستريت جورنال» مقالاً لكاتبة تدعى مارشا كوروب يتضمن بعض الهجوم على الأوضاع السياسية والصحفية فى مصر وهى تورد فيه مقولة تنسبها لكم مؤداها أنك لم تعد تعبأ بالنظر فى «الأهرام» إلا لتبحث عن أسماء أصدقائك بين المتوفين.

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1998/2/5.

فيقول على الفور : هذا لم يحدث على الإطلاق، ليس فقط لأن «الأهرام» أكبر من أن يترك، ولكن أيضاً لأننى لا أملك أن أنعزل عن العالم، ولا أقبل أن تكون علاقتى بما يجرى من حولى هى وفيات أصدقائى.. إن «الأهرام» هو أعرق مؤسسة صحفية فى الوطن العربى، وقد تعودت على الجريدة منذ الصغر فساهمت فى تكوينى نفسه، وقد حقق «الأهرام» أخيراً قدراً من الاتساع فى مجال حرية التعبير بحيث أصبح يجد الانسان فيه انعكاساً صادقاً لجميع الآراء التى تموج بها الساحة السياسية والثقافية فى مصر فكيف أترك كل ذلك؟

إن أشد ما يحزننى أننى لا أملك من يومى إلا هاتين الساعتين اللتين يقرأ فيهما الحاج صبرى الجريدة وقد كنت أتمنى أن يكون الوقت أطول «فالأهرام» يحتاج سبع ساعات لكى تتم قراءته بالكامل كما كنت أفعل فى السابق أما عدد الجمعة فقد يحتاج سبعة أيام.

وأسأل : ماذا تقرأ فى «الأهرام» فيجيب : أبدأ دائماً بالصفحة الأولى التى تتضمن أهم الأحداث، ثم أمر سريعاً على الصفحة الأخيرة قبل أن أنتقل إلى صفحات الرأى فأقرأ «العواميد» كلها لأنها تتضمن أراء متنوعة حول ما يجرى من أمور، ثم قد أقرأ بعض التحقيقات أو الموضوعات ذات الاهتمام الخاص فى مختلف صفحات الجريدة، أما يوم الجمعة فهو إجازة الحاج صبرى لذلك فإننى أنتظر أن تصحو إحدى ابنتى، فإذا جاءت إحداهما تقول لى صباح الخير وجدت «الأهرام» إلى جانبى فى انتظارها لكى تقرأ لى المقال الأسبوعى للأستاذ إبراهيم نافع والذى يعتبر بتحليلاته الثاقبة بوصلة تحدد اتجاه الأحداث، ومع الأسف فإن بقية صفحات الجمعة مثل الأدب والفكر والثقافة فإننى لا أعرف أخبارها إلا من خلال أصدقائى حين ألقاهم.

وقبل أن ينهى حديثه يسألنى الأستاذ : ماذا قلت اسم الصحفية؟

فأجيب : مارشا كوروب فيقول : لا أذكر أننى قابلت أحداً بهذا الاسم أو أدليت له بتصريحات فى أى شئ وأرد «إن المقال ملئ بما يوحى بأن الكاتبة لم تدرس موضوعها

بالقدر الكافى فهى تصف نقابة الصحفيين مثلاً بأنها وكالة تقوم الحكومة بتعيين أعضائها ومهمتها هى فرض الرقابة على الأخبار وأنها تلزم الصحفيين بأداء قسم يلزمهم بالمحافظة على «الصالح العام» الذى تحدده الحكومة بالطبع.

فيجيب الأستاذ : تلك هى مشكلة من يزورون البلاد لفترة قصيرة ثم يكتبون دون أن يتوافر لهم الوقت لدراسة الأوضاع بالقدر الكافى.

فأقول : لكن هذه الكاتبة مقيمة بالقاهرة.

فيرفع الكاتب الكبير حاجبيه اندهاشاً دون أن يقول شيئاً»[1].

قرن وربع من «الأهرام» :

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ ما هى فى رأيك الصفة التى تميز بها «الأهرام» الذى نحتفل هذه الأيام بوصوله إلى سن الـ ١٢٥ عاماً ؟

قال : لقد كان «الأهرام» سباقاً فى إقامة الجريدة القومية ، فقد كانت كل الجرائد تابعة لأحزاب أو معبرة عن الاتجاهات السياسية للأحزاب .. أما «الأهرام» فقد كان دائماً مستقلاً عن الأحزاب ، لذلك كنت تجد فيه جميع الاتجاهات السياسية ، وكانت أخباره تكتسب مصداقية لأنها لا تعبر عن اتجاه معين .

ثم يضيف : ولقد سمح ذلك «للأهرام» بأن يهتم بالمسائل الثقافية والأدبية أكثر من غيره ، لأن قارئه لم يكن يقصده للأسباب السياسية وحدها مثلما كان الحال مع الجرائد الحزبية الأخرى ، فقد كان العقاد يكتب فى جريدة «كوكب الشرق» المعبرة عن الوفد ، كما كان توفيق دياب يكتب فى «الجهاد» .. لكن ما كان يهم قارئ أى من هاتين الصحيفتين كان هو السياسة فى المقام الأول ، ثم يأتى الأدب بعد ذلك ، لأن كل هذه الصحف كانت صحف المعارك السياسية ، أما «الأهرام» فقد كان بإمكانه أن ينشر قصيدة جديدة لأحمد شوقى فى الصفحة الأولى مثلاً جنباً إلى جنب مع الأخبار السياسية الكبرى .

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/4/11.

ولقد نجح «الأهرام» في العصر الحديث في الاحتفاظ بهذه الصفات التي ميزته على مر التاريخ ، فكانت لأخباره السياسية مصداقيتها التي لا يداخلها شك كما ظل هو الجريدة القومية التي يعبر كتابها عن جميع الاتجاهات السياسية الموجودة في مصر من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار ، وكان من بين بقية الصحف هو الجريدة التي تجمع كل المثقفين من توفيق الحكيم إلى حسين فوزى ، ومن صلاح طاهر إلى بنت الشاطئ ، لذلك فحين عرض على الأستاذ محمد حسنين هيكل الانضمام «للأهرام» اعتبرت ذلك بمثابة تكريم لي ، ثم جاء الأستاذ إبراهيم نافع في العصر الحالي ليضيف إلى المميزات التاريخية «للأهرام» هذا التوسع الاستثماري غير المسبوق الذى ضاعف ميزانية المؤسسة عشرات المرات ، مما جعلها الآن واحدة من أكبر المؤسسات القومية الاقتصادية في مصر في وقت تعاني فيه الكثير من المؤسسات الصحفية في العالم من الأزمات المالية وهذا يحسب له و«للأهرام»[1] .

أزمة الأديب :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ إن من اختار الأدب كمهنة في عصرنا هذا أمامه الكثير من المصاعب أولها أن الكلمة المكتوبة لم تعد هي سيدة الموقف بعد غزو السينما والتليفزيون . ففي مجتمع مازالت نسبة الأمية فيه عالية فإن الفنون المرئية يصبح لها الغلبة على ما هو مقروء .

أما الصعوبة الثانية فهي أنه في ظل الأنظمة الاشتراكية السابقة فقد كانت الدولة تتولى ليس فقط نشر أعمال الأدباء وإنما أيضاً ترجمتها وترويجها . ولقد شاهدت بنفسي في يوجوسلافيا مثلا كيف تقوم الدولة ومؤسساتها مثل السفارات بنشر أدبها خارج البلاد ، وفي ظل النظام الرأسمالي فإن هناك مايعرف باسم الوكيل الذى يمثل الأديب في كل شئ فهو الذى عليه أن يبحث له عن الناشر وهو الذى يفعل له كل شئ ابتداء من التفاوض على الأجر إلى اللقاء بالصحفيين وأجهزة الإعلام .

1. حوارات نجيب محفوظ ، الأهرام ، 2001/8/9 .

وفى هذه الحالات فإن الأديب ماعليه إلا أن يكتب ولا ينشغل بشئ آخر، أما عندنا فقد تركنا النظام القديم فمازلنا فى مرحلة انتقالية بحيث لم تترسخ بعد مقومات المجتمع الرأسمالي، وفى هذا الموضع يجد الأديب نفسه معلقاً فى الهواء فلا تصبح الدولة هى ولية أمره كما كانت فى السابق ولا هناك من يستطيع أن يحل محلها.

قلت : لكنى أعرف أن قسم النشر بالجامعة الأمريكية يتولى الكثير من أمورك.

فقال : هذا فيما يتعلق بأعمالى المترجمة فقط، لكن ذلك ليس متاحاً لكل كاتب فى مصر ولا يصح أن نعتمد على ذلك.. إن الحل فى رأيى فى هذه المرحلة هو أن تقوم الجمعيات الأدبية ببعض هذا الدور، فاتحاد الكتاب مثلاً يقدم مساعدة رمزية لكن أديب يريد أن ينشر عمله.

لكن ربما أمكنه أيضاً أو نادى القصة أو أية جمعية أدبية أخرى البحث له عن ناشر بإرسال ملخص لعمله إلى مختلف الناشرين، وربما أمكنه أيضاً البحث له عن مترجم والترويج لعمله فى الخارج عن طريق ما قد يكون له من صلات بجمعيات مماثلة فى دول أخرى أو بناشرين فى الخارج أو حتى بمستعربين أو مستشرقين أجانب.

ثم يقول الأستاذ : إن لدينا مواهب شابة كثيرة ومالم يتم رعايتها والأخذ بيدها فإنها قد تندثر وفى ذلك خسارة ثقافية وأدبية كبيرة للوطن»[1].

سؤال من شاب :

«سأل الشاب الأستاذ نجيب محفوظ كيف تجعل القلم فى يدك ينبض بآمال الناس وآلامهم ؟ بأفراحهم وأحزانهم؟ حتى أصبحنا نرى أنفسنا فى كل ما تكتب وكأنك تعيش معنا تفاصيل حياتنا اليومية بأفراحها وأحزانها ؟

قال الأستاذ فى بساطة : بالمعايشة والمشاركة فى الاهتمام بكل ما ينبض به المجتمع ينعكس على بحيث يسيطر على وأينما ذهبت يتخايل لعينى .. هموم اجتماعية .. هموم سياسية .. هموم معيشة الحياة اليومية .. هذه كلها كنت أعيشها مع الناس وأشاركهم فيها المشاعر فكان طبيعياً حين أكتب أن ينعكس هذا على كتاباتى .

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/4/25.

قلت للأستاذ : هل تقول بذلك أن انتماء الكاتب للمجتمع شيء أساسي لكتاباته؟

قال : إذا كان يريد لعمله أن يعبر عن هذا المجتمع .

قلت : وهل كنت أنت دائماً تريد أن يعبر عملك عن المجتمع ؟

قال : دون أن أريد ودون أن أقصد وجدتني أعايش مشاكل الناس وأفراحهم يوماً بيوم ، لقد كان ذلك هو حياتي اليومية ونبض قلبي الدائم .

قلت : وبدون هذه المعايشة كيف كان سيكون أدبك ؟

قال : كان سيكون أدباً ذاتياً ، أنا موضوعه وأنا المجتمع الذي يعبر عنه .

قلت : إنك بتواضعك المعهود أرجعت الفضل في ذلك إلى الناس وليس إلى موهبتك الشخصية وحسك الأدبي المرهف ، فكثيرون من الأدباء يتعايشون مع الناس لكنهم لم يحصلوا على جائزة نوبل ، فماذا يحدث معك بعد اهتمامك بالناس حين تختلي في النهاية بالورقة والقلم داخل غرفة مكتبك المغلقة عليك ، ألا يكون العنصر الحاسم هنا هو موهبتك الشخصية ؟

فابتسم ولم يرد ، وفهم الشاب رده فابتسم هو الآخر ولم يزد في السؤال»[1] .

رؤية الكاتب :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ إن ما يفرق بين الأديب الحق ومن يكتب قصصاً للتسلية هو أن الأديب له رؤية هي التي تدفعه للكتابة وهي التي تتشكل وفقها أعماله الأدبية فالرؤية هي المرشد والموجه للفنان ، والرؤية هي التي تعطي للعمل الفني طعماً وعمقاً وفلسفة ، لكن الرؤية أشمل من الفلسفة أو الأيديولوجية . فالرأي السياسي مثلاً هو جزء من رؤية الأديب ، وموقفه من علاقة الرجل بالمرأة هو أيضاً جزء من الرؤية لكن الرؤية تتعدى كل ذلك ولا تقتصر على أي من هذه الجوانب .

فإذا قارنا مثلاً بين شعر أبي العلاء المعري وشعر أبي نواس لوجدنا أن اختلاف الواحد عن الآخر إنما يعبر عن اختلاف الرؤية التي كان يقوم عليها شعر كل منهما ما بين الرؤية

---

1 - وجهة نظر نجيب محفوظ ، الأهرام ، يوم 1999/7/8 .

السوداء لأبى العلاء ورؤية أبى نواس التى كانت ترى العالم وكأنه ملهى كبير ، وهذه الرؤية تتطور مع تطور حياة الفنان ، وهكذا وجدنا رؤية أبى نواس مثلاً تتطور من المجون إلى ما يشبه الحكمة والإيمان وهو ما يشبه ما عبر عنه شكسبير فى مسرحياته الأخيرة أو بيتهوفن فى الرباعيات التى كتبها قبل وفاته .

وأسأل الأستاذ عن رؤيته هو شخصياً فيقول : إننى أترك العمل الفنى يعبر عن هذه الرؤية فأنا لا أحب أن أفسد العمل الأدبى وأتحدث فيه بكلام مباشر ، لأنى طالما اخترت الفن طريقاً للتعبير فيجب أن أترك هذا العمل يتحدث عن نفسه »[1] .

القرآن والرواية الحديثة :

«سألت الأستاذ نجيب عن أصول الفن الروائى العربى ، هل هى «ألف ليلة وليلة» كما يقول البعض. أو «حديث عيسى بن هشام» كما يقول البعض الآخر ، أم أن الرواية فن أجنبى وفد إلينا من أوروبا فى القرن الـ ١٩ ؟ وقلت بما أنك أبو الرواية العربية فقل لنا كيف تكونت الأصول الروائية عندك أنت شخصياً .

قال : إن أول ما كون مفهومى للقصة هو قصص القرآن الكريم ، فقد كنت وأنا أطالع القرآن أقرأ قصصه بعناية لأنها كانت تستهوينى كفن روائى راق كتبت كأجمل وأفضل ما تكون الكتابة القصصية ، ومازالت حتى الآن أكثر القصص الإنسانية تأثيراً فى وجداننا هى القصص القرآنية ، فمن منا يستطيع أن يأتى بقصة مثل قصة مريم عليها السلام أو سيدنا يوسف ؟

ثم يضيف : كما أن القصص القرآنية كتبت على أحدث ما يكون الفن الروائى ، فالقصة فى القرآن لا تبدأ مثل الرواية القديمة فى القرن التاسع عشر ببداية ثم تتطور إلى أن تتعقد خيوطها وتتأزم لكى تصل فى النهاية إلى نقطة الحل ، وإنما هى أقرب لتجارب القرن العشرين الحديثة حيث تسلسل الرواية لا يسير وفق التتابع الرتيب للأحداث وإنما وفق المقتضيات الدرامية التى تحتم أن يرد جزء معين من القصة فى هذا الموضع وجزء آخر فى موضع آخر ، وقد كان هذا يمثل انقلاباً فى الفن الروائى الحديث وجدناه عند جيمس

(1) وجهة نظر نجيب محفوظ . الأهرام. يوم 2001/4/5 .

جويس مثلاً في بريطانيا وعند مارسيل بروست في فرنسا ، لكني منذ قراءاتي الأولى للقرآن وجدت أن هذا هو الأسلوب المتبع في سرد القصص ، فقصة مريم لا تبدأ في سورة مريم من بدايتها وتتسلسل بالترتيب المنطقي لأحداثها إلى أن تنتهي لتبدأ بعدها قصة جديدة أو سورة جديدة وإنما نجد قصة مريم موزعة على سور عدة مثل البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والتوبة ومريم والمؤمنون والأحزاب والتحريم حيث يرد في كل منها جزء من قصتها أو قصة المسيح عليه السلام في موضع يتفق مع هذه السورة بالتحديد ، لذلك كان القصص القرآني أول ما شكل عندي مفهوم الفن الروائي من حيث المضمون السامي لهذه القصص وأيضاً من حيث الأسلوب الفني في روايتها .

قلت : هل يمكن أن نرى هذا التأثير في عمل محدد من أعمالك الروائية ؟

قال : هو تأثير ممتد في كتاباتي بشكل عام ، لكن لعله أوضح ما يكون في «أحاديث الصباح والمساء»[1] .

تنظيم الكتابة :

«تحدث الأستاذ نجيب محفوظ عن عاداته في الكتابة فقال : إن أهم عادة كانت بالنسبة لي هي التنظيم ، فأنا لم أكن أستطيع أن أنجز أي شيء مما أنجزته لولا أنني خصصت أوقاتاً معينة للكتابة ما بين مشاغل الحياة المختلفة ، فقد كانت هناك الوظيفة الحكومية لسنوات طويلة وتلك كانت تأخذ مني نصف النهار ، لكني كنت أقضي النصف الثاني ما بين القراءة والكتابة ، وكانت هناك أيضاً أوقات الأصدقاء ، وأنا في الحقيقة أعطي أهمية كبيرة للصداقة في حياتي ، وقد كان وقت لقائي معهم غالباً ما يكون في المساء بعد أن يكون كل منا قد انتهى من مشاغله وواجباته اليومية .

قلت : أعرف أنك كنت تكتب دائماً في الساعات الأولى من اليوم ، فكيف كنت تتحكم في ذلك ؟ أو بمعنى آخر ألم يكن يأتيك الوحي في غير هذه الساعات التي خصصتها للكتابة ؟

---

1 وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 2000/6/15م

قال : إن مسألة التنظيم لا تخصنى وحدى وإنما تخص أيضاً ما تسميه الوحي ، أى أنني بهذا التنظيم كنت أضع نفسي في وضع استعداد لتلقى هذا الوحي .

قلت : وهل كان ينتظم بالفعل الوحي فى هذه الساعات التى خصصتها له ؟

قال : إلى حد كبير .. طبعاً في بعض الحالات كنت أجلس طوال هذه الساعات بالقلم في يدى والورقة أمامي دون أن يأتيني شيء ، ومع ذلك لم أكن أنهى الجلسة إلا فى موعدها ، لكنى فى معظم الأحيان كنت أجد ما أكتبه وأملأ به هذه الساعات التى خصصتها للكتابة .

قلت : يتصور البعض أنك كتبت أعمالك كلها فى القهاوى !!

قال : أبداً فأنا لم أكتب أبداً فى القهوة إلا بعض تفاصيل السيناريوهات السينمائية ، لكن أعمالى الأدبية كلها كتبتها خلال ساعات النهار التى خصصتها للكتابة داخل غرفة مكتبى» [1] .

الإطلاع على العصر :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ أعرف أنك قرأت خلال حياتك الممتدة مئات الكتب ، وإن قراءاتك كانت دائماً متنوعة ، ولكن حين تنظر اليوم وراءك إلى الماضى ما هى الأشياء التى كنت تود معرفتها ولم تواتك الفرصة للاطلاع عليها ؟

قال : إن سؤالك ينطبق على الواقع أكثر مما ينطبق على الماضى ، ففى الماضى كنت كلما أردت الاطلاع على جانب معين من جوانب المعرفة ، اطلعت عليه دون تأخير ، فقد عرفت المكتبات العامة من الصغر ، وكنت أذهب إلى دار الكتب للاطلاع على أمهات الكتب ، كما كنت زائراً دائماً إلى المكتبات التى تبيع المؤلفات الحديثة ، وقد قرأت فى الأدب والتاريخ والفلسفة والسياسة والعلوم والتراث وغيرها ، فهناك دائماً أشياء يود الإنسان معرفتها ، لكن العمر لايسمح بكل ذلك ، أما الآن فإن ظروفى الشخصية لاتسمح بأى نوع من الاطلاع ، فمنذ ضعف بصرى وسمعى لم أعد متابعاً بالقدر الذى تعودته لتطور الفنون والآداب فى العالم .

---

1. وجهة نظر نجيب محفوظ . الأهرام ، يوم 2000/7/20م .

قلت : أعرف أن الحاج صبرى يقرأ لك الصحف كل يوم وأنه فى أيام الجمعة والإجازات تقوم بهذه المهمة إحدى كريمتيك.

قال : هذا صحيح، ولولا ذلك لانعزلت تماماً عن الحياة، لكن إلى جانب الصحف اليومية فإننى كثيراً ما أسأل أصدقائى حين ألتقى بهم عن الأدب الحديث عندنا وفى الخارج، وكذلك عن الفن التشكيلى وعن الموسيقى، فلدى دائماً شغف لمعرفة أى أساليب جديدة أصبحت تنتهجها الفنون الآن بعد الأساليب التى عرفتها فى السنوات الماضية، وأنا دائم سؤال من حولى عن ذلك، لكننى لا أجد دائماً الاجابة الشافية رغم ما يقولون لى، فيبدو أن معرفة الإنسان بالشئ بنفسه لا تضارعها المعرفة المنقولة عن الآخرين، كما أننى أجد أن الاطلاع عندنا ليس كما كان فى السابق، فالكثير مما يحدث فى الخارج يمر علينا مر الكرام، كما أن حركة الترجمة ليست بالنشاط الذى كانت عليه فى السابق، حين كانت تتم ترجمة الكتب المهمة بعد صدورها فى الخارج مباشرة، وبسبب هذا التكاسل فإن المعاصرة، أى معرفة العصر، الذى نعيش فيه والاطلاع المباشر على تطوراته، قد أصابها قدر من الخمول أتمنى أن يزول»[1].

دار الكتب :

«تحدث الأستاذ نجيب محفوظ عن دار الكتب فقال: إن تلك الدار العتيقة التى قد لا تشكل ركيزة مهمة فى الحياة الثقافية للجيل الحالى، بسبب سنوات سابقة من الإهمال، كانت على وقتنا مركزاً للإشعاع الثقافى والفكرى، وأذكر أننى خلال سنوات ما بين المرحلة الإعدادية والثانوية، وأيضاً خلال سنوات الجامعة، كان اعتمادى الأساسى فى الإطلاع على دار الكتب، ففيها قرأت التراث كما قرأت أيضاً بعض المؤلفات الحديثة المهمة فى الآداب والفنون، والتاريخ والسياسة والعلوم. ولقد قرأت فى كل ذلك بدار الكتب، وقد تشكل مفهومى لفن الرواية من كتب استعرتها من دار الكتب. وكان هناك نظام للاطلاع الداخلى ونظام للاستعارة لقاء ضمانات بسيطة كأن تعطى المدرسة أو الجامعة ما يفيد بأنه طالب بها. أو تقول جهة ما إنه موظف لدينا. وهكذا تسنى لى استعارة كتب عظيمة لا تقدر بثمن.

---

1 وجهه نظر نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 2000/3/23 .

ثم يقول الأستاذ : ولقد عمل بدار الكتب أدباء ومفكرون كبار مثل حافظ إبراهيم وتوفيق الحكيم، وكانت رئاسة دار الكتب تعتبر شرفاً كبيراً، ومما يذكر أن حافظ إبراهيم لم يكن يمضي وقتاً طويلاً بدار الكتب، فهو لم يكن يحب الجلوس إلى المكاتب، وكان يفضل عليها جلسة النكات مع أحد أصدقائه المقربين على القهوة المقابلة للدار.

ثم ينهي الأستاذ حديثه بالقول : لكنني سعدت أخيراً بما توارد إليّ عن خطط لتحديث دار الكتب لكي تساير أحدث النظم المكتبية في العالم باستخدام الأجهزة الإلكترونية بما سيعني بعث الحياة من جديد في هذا الصرح الثقافي المهم»[1].

أهم روايات القرن :

«قلت للأستاذ : طالعتنا الصحف الأجنبية بأن جريدة «الموندو» الأسبانية العالمية قد اختارت روايتكم «كفاح طيبة» كواحدة من أهم روايات القرن العشرين..

قال : سمعت بذلك ولا أخفي عليك أنني دهشت ربما كانوا يقصدون أنها أهم رواية في مرحلة الروايات الفرعونية التي كتبتها قبل رواياتي الواقعية؟

قلت : لا .. ليس هذا مايقصدونه، فقد أوضحت الجريدة العالمية في دراستها التي أجرتها على أهم ما أنتجته البشرية من أدب روائي في القرن العشرين أن روايتك «كفاح طيبة» جسدت روح العصر بتصويرها لكفاح شعب مصر ضد الاحتلال الأجنبي، وقد كانت حركات التحرر هي السمة الأساسية للقرن العشرين الذي شهد الامبراطوريات الاستعمارية واستقلال الشعوب في جميع أنحاء العالم من آسيا إلى أفريقيا وأمريكا اللاتينية، ولقد صورت الرواية هذا الكفاح وربطت بين الواقع المصري المعاصر وقت كتابتها والذي جاء وقت الاحتلال البريطاني لمصر والبعد التاريخي في مدينة طيبة المصرية القديمة، وهكذا أعطت معنى إنسانياً لحركات التحرر الوطني في العالم عبر مختلف العصور والعهود، ومما يؤكد تجسيد «كفاح طيبة» لروح العصر أنها لاقت إقبالاً كبيراً بين القراء في الخارج حين قامت جريدة «الموندو» واسعة الانتشار بطبعها وتوزيعها مع الجريدة.

1. وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 2000/8/17.

قال الأستاذ : لابد أن جزءاً من أهتمامهم بالرواية يعود إلى ولعهم فى الخارج بالتاريخ الفرعونى..

قلت إن لديهم مئات الروايات التى تعالج هذه المرحلة من تاريخنا ابتداء من روايات هاجارد البريطانى فى بدايات هذا القرن إلى روايات كريستيان جاك الفرنسى فى أواخره والتى تحقق مبيعاتها الملايين، لكنهم اختاروا روايتك أنت لقيمتها الأدبية المتفوقة، وهذا فخر جديد للأدب العربى تحقق على يديك يا أستاذ نجيب»[1].

«كفاح طيبة»(2):

«ويتواصل الحديث عن رواية «كفاح طيبة» التى اختيرت كواحدة من أهم روايات القرن العشرين فأقول للأستاذ : ومن بين ما قرأته عن «كفاح طيبة» فى الخارج قولهم إن نجيب محفوظ على الرغم من أنه يتحدث فى الرواية عن الكفاح الوطنى للشعب المصرى القديم، فإن القارئ يشعر طوال الوقت بأن عينى الكاتب كانتا على الحاضر أكثر منهما على الماضى، وأن الكفاح المقصود فى الرواية هو كفاح مصر الحديثة ضد الاحتلال البريطانى:

فيقول الأستاذ : هذا صحيح، فقد كان اهتمامى الأول بالكفاح الوطنى من أجل الاستقلال، وهو الكفاح الذى فجرته ثورة 1919، لكنى وجدت فى التاريخ المصرى القديم مادة خصبة تضيف عمقاً للكفاح المعاصر، بالإضافة إلى أن اكتشاف مقبرة توت عنخ أمون عام 1921 أوجد اهتماماً كبيراً بالتاريخ المصرى القديم لدرجة أن بعض الأغانى الدارجة كانت تتحدث عن ذلك، وأنى أذكر بالتحديد أغنية تقول : «إحنا أبونا توت عنخ أمون»، وقد امتزج هذا المعنى بالكثير من أغانينا الوطنية فى ذلك الوقت، وفى الوقت نفسه كنت قد بدأت أقرأ كثيراً فى التاريخ المصرى القديم، وقد استهوانى التاريخ الفرعونى لدرجة أننى قررت أن أكتب رواياتى كلها من مادته الثرية، ووجدت بالفعل أفكاراً تصلح لما يقرب من أربعين رواية، وهكذا كتبت «رادوبيس» و«عبث الأقدار» اللتين كانتا مستوحاتين من الأدب المصرى القديم والأساطير الفرعونية، أما «كفاح طيبة» و«العائش فى الحقيقة» واللتان كتبتهما بعد ذلك بأكثر من أربعين عاماً فقد كانتا مستوحاتين من التاريخ نفسه، وإن كنت قد أخضعتهما لبعض المعالجة الروائية.

1- وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1999/12/23.

قلت : لكنك فجأة غيرت اتجاهك والتجأت إلى التاريخ.

قال : لقد استهواني الواقع بشكل كبير ووجدت نفسي أتجه إلى هذا الواقع بكل تفاصيله حيث وجدت فيه مادة ثرية جداً ماثلة أمامي، وهكذا بدأت المرحلة الواقعية التي تركتها هي الأخرى بعد عدة سنوات إلى مرحلة ما بعد الواقعية ثم المرحلة التجريبية إلى المرحلة الحالية التي أكتب فيها الأقصوصة التي يمتزج فيها الواقع بالخيال والحاضر بالتاريخ»[1].

مصر المتفائلة :

«قلت الصحفية اليونانية للأستاذ نجيب محفوظ : عرفت من خلال كتاباتك صورتين لمصر، إحداهما مصر الضاحكة المتفائلة التي يتمتع أهلها بالمرح وخفة الظل، ومصر أخرى تعاني المشكلات والصعاب ويحصل أهلها على قوتهم بالكاد، فأيهما هي مصر الحقيقية؟

قال الأستاذ على الفور : الاثنان معا ، فمصر ليست شيئاً واحداً وإنما هي متعددة الشخصيات والصفات فهناك آلام المعاناة التي تلازمنا دائماً، لكن هناك أيضاً الصبر والإيمان الذي يوجد في مصر أكثر من أي دولة أخرى لأن المصريين خلال آلاف السنين مرت عليهم جميع الأهوال التي عرفتها البشرية لكنهم عرفوا أنها دائماً قصيرة الأمد، وأن الحياة تمضي من مرحلة إلى أخرى ولا شئ دائم إلا وجه الله، لذلك فالمصري برغم أحزانه هو دائماً متفائل يسكنه الأمل، إنه أمل «سيزيف» في أسطورتكم اليونانية القديمة والذي كلما صعد إلى قمة الجبل دحرجته الآلهة إلى سفحه مرة أخرى، ولو لم يكن «سيزيف» لديه أمل لما صعد مرة أخرى إلى قمة الجبل ولكان قد انتهى عند أول سقوط، وعندي أن «سيزيف» هو الأقوى من الآلهة لأنه ظل مليئاً بالأمل برغم كل شئ، ولأن الآلهة عجزت عن أن تقتل الأمل في نفسه، فإذا كانت الآلهة قد حكمت عليه بألا يبقى على القمة فقد رفض هو من جانبه أن يظل عند السفح، ولم يسيطر عليه أبداً اليأس.

قالت : وهل أنت شخصياً متفائل بالمستقبل؟

---

1. وجهة نظر نجيب محفوظ. الأهرام. يوم 1999/12/30.

قال : فيما يتعلق بى أنا شخصياً فإن الشعور الذى يعتريني هو الامتنان للحياة التى عشتها ، أما فيما يتعلق بالبلد فأنا أشعر بأن المستقبل سيكون أفضل من الحاضر ، وأتمنى أن تكون الأجيال المقبلة أوفر حظاً منا فقد كانت معاناتنا كبيرة»[1] .

القرن الـ ٢١ :

«قال الأستاذ : طالما تحدثنا عن القرن الـ ٢١ بإعتباره شيئاً بعيداً تفصل بيننا وبينه الأزمنة ، لكن ها نحن الآن على بعد أيام فقط من هذا القرن الجديد الذى لن يكون مثل سابقيه فماذا أعددنا له ؟ إن البعض ينظر إلى القرن الجديد باعتباره استمرارية طبيعية لما هو قائم الآن أى أنه تغيير فى التاريخ فقط مثلما نغير التاريخ من نهاية شهر إلى بداية شهر تال لكن الحقيقة أن الوضع ليس بهذه البساطة لأن هناك أمام أعيننا الآن متغيرات جديدة بدأت بالفعل وستفصح عن نفسها بشكل واضح ومؤثر فى الفترة المقبلة أى فى القرن المقبل والذى صار على بعد أيام معدودات ، فالتوازنات السياسية الدولية على سبيل المثال لم تعد قائمة وقد ظهر بدلاً منها البروز الأمريكى على الساحة الدولية بشكل لم يسبق له مثيل ، صحيح أننا نعيش العصر الأمريكى منذ نهاية الحرب العالمية الأخيرة لكن هناك فرقاً شاسعاً بين قوة عظمى تواجهها وتحد من سيطرتها قوى أخرى على الساحة الدولية وقوة عظمى لا راد لها ، إنها معادلة أخرى تماماً ستقوم بتشكيل طبيعة الحياة السياسية فى العالم فى القرن المقبل ، يضاف إلى ذلك على الصعيد الاقتصادى تحول العالم إلى السوق الدولية المفتوحة والتى ستفرض هى الأخرى على الدول نوعية مختلفة من العلاقات فيما بينها ، ثم هناك أيضاً الثقافة والمعلومات التى أصبح تداولها لايحتاج إلى تأشيرة عبور للحدود فهى متاحة للجميع بلا حد ولا حاجز بفضل الانترنت وسائر وسائل الاتصال الأخرى الجديدة ، والمتأمل لأوضاع العالم الآن يكاد يشعر بأن كل تلك الأشياء التى وضعت لبناتها الأولى فى نهايات القرن الـ ٢٠ إنما كان الغرض منها هو وضع أساس للشكل الجديد للحياة فى الفترة المقبلة والتى سترى اكتمال هذه المتغيرات لتصبح هى خصائص الحياة فى القرن الـ ٢١ »[2] .

1. حوارات نجيب محفوظ ، الأهرام ، يوم 2000/12/7م .

1 وجهة نظر نجيب محفوظ ، الأهرام ، يوم 1999/12/16م .

حصاد القرن العشرين :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ: أعتقد أن أكبر نقطة تحول حدثت فى تاريخ الإنسانية خلال القرن العشرين كانت غزوه الفضاء، فلأول مرة فى التاريخ أصبح الفضاء جزءاً من مجال تحرك الإنسان بعد أن ظل طوال الدهر ينظر له على أنه خارج نطاق تحركه، مثل الأرض للكائنات البحرية التى ينتهى حيز حياتها عند حدود البحار، أما الآن فإن الأقمار الصناعية تدور فى الفضاء المحيط بالأرض، والإنسان تمكن من الخروج خارج غلاف الكرة الأرضية، والحقيقة أن تأثير غزو الإنسان للفضاء لم يكتمل بعد وأن ما نعيشه الآن هو مجرد بداية لما سيحدث فى القرن الجديد حين تصبح الكواكب الأخرى بمثابة عالم جديد للإنسان بما تزخر به من إمكانيات وثروات لا نستطيع أن نتخيلها الآن.

هذا على المستوى العلمى أما على المستوى السياسى فإن أكبر مكسب تحقق للإنسان خلال القرن الماضى كان تحرر شعوب العالم الثالث من الاستعمار الذى كان قد وصل عمره فى بعض المناطق إلى عدة قرون، فلم يحدث أن شهد تاريخ العالم هذه الحركة من التحرر التى شهدناها، خاصة فى منتصف القرن أى فى الخمسينيات والستينيات بشكل خاص، لقد أعادت هذه الحركات رسم خريطة العالم من الناحية الجغرافية حيث قامت دول وزالت أخرى وانقسمت دول واتحدت دول أخرى لكن أهم ما فعلته حركة التحرر هى أنها أعادت أيضاً رسم الخريطة السياسية فلم تعد السياسة كما كانت قبل أن تتحرر الشعوب ويصبح لها رأى على الساحة السياسية وفى المحافل الدولية، ومن الغريب أن تلك العدوى انتقلت مع نهايات القرن من العالم الثالث إلى شرق أوروبا فحدث ما حدث فى يوجوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وألمانيا وغيرها، مما يجعلنا ندخل القرن بوضع جديد معطياته السياسية مختلفة عن القرن الماضى»[1].

الرواية :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : مرت الرواية بتطورات كثيرة خلال القرن العشرين حيث أتجه البعض إلى إلغاء القصة فيها أو الحبكة وظهرت فى فرنسا الرواية الضد، ثم وجدنا فى السنوات الأخيرة مايمكن أن يكون عودة مرة أخرى للرواية التقليدية، فما هو تعريف الرواية عندك؟

---

1. وجهة نظر نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 2000/11/6.

قال : الرواية في تعريفها التقليدية هي حدث يروى نثريا ويجسد في شخصيات لنساء ورجال من أجل أثر فني معين يريد الكاتب تحقيقه، وكانت الرواية في الماضي كلما كثرت أحداثها أزدادت تشويقاً وإثارة لذلك كانت الرواية في الماضي طويلة وكثيراً ماكانت تصدر في أجزاء، كان هذا هو الحال مع تولستوى ودوستويفسكي وتوماسي مان وجولزوورثي.

على أن الثورة على الحبكة التقليدية والثورة على «الحدوتة» في الرواية والتي انتشرت حول أواسط هذا القرن بدأت في الحقيقة منذ بداية القرن وقد كان أحد روادها الكاتب البريطاني الكبير الدوس هكسلي الذي يصفون رواياته بأنه رواية بدون قصة Nonvel Without Story فقد كانت عبارة عن مواقف أو حالات معينة يتعمقها المؤلف، ثم جاءت مدرسة تيار الوعي الذي أكدت هذا النوع من الكتابة الروائية، مثل أعمال جيمس جويس، وبلغ هذا التطور قمته في الرواية الحديثة أو الرواية الضد والتي في رأيي لم تلغ فقط «الحدوتة» وإنما ألغت أيضاً المعنى المفهوم فأصبحت الرواية شئ غامض على الانسان العادي الذي تعود الأدب التقليدي.

وأسأل : وأي من هذه المدارس أقرب إلى نفسك؟

فيقول الأستاذ : لقد استخدمت جميع هذه الأساليب في رواياتي ولكن دون أن أغرق في واحدة منها وانتسب لمدرسة محددة، فأنا لم أقتنع مثلاً بأن أكتب رواية قائمة كلها على تيار الوعي لكنني استخدمت هذا الأسلوب في الكثير من رواياتي حين وجدت له ضرورة، كما كتبت قصص وروايات بدون حدوتة، أما الالتزام الوحيد الذي كان يربط كل أعمالي فهو التراث، ولقد أطلعني أحد الأصدقاء أخيراً على رسالة دكتوراه قدمها باحث أردني تثبت ذلك»[1].

ما هي الرواية :

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ أكبر روائيي الأدب العربي، ما هي الرواية؟

قال : هي حكاية تقدم، لكن من خلالها تقدم أشخاصاً، وهي من خلال الحكاية والأشخاص تعالج قضية سواء كانت اجتماعية أو نفسية أو عاطفية أو سياسية وهي دائما

1 ـ حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1997/6/19.

وراءها فكر ... هذه هى الرواية كما أعرفها، أما فى الحداثة التى لا أعرفها فيقولون: إن ذلك قد تغير وأصبح المهم هو النص فى حد ذاته، كيف؟ لا أعرف لأننى للأسف انقطعت عن القراءة منذ فترة فلم أتابع تلك التغيرات، أما بالنسبة لى فالرواية هى الفكرة والحدوتة والشخصية.

قلت: إذا كانت هذه هى أركان الرواية الثلاثة بالنسبة لك، ألا تتصور أن تكون هناك قصة مثلاً بلا حدوتة أو بلا شخصيات، أو بلا فكرة أو قضية؟

قال: أتصور أن تكون هناك رواية بلا قصة، فهناك من كتاب الروايات الحديثة من استغنى تماماً عن الحدوتة فأخذ يصور موقفاً واحداً فقط لا تتابع فيه للأحداث، كما أتصور رواية لا شخصيات فيها أى أن شخوصها أسماء ودلالات أكثر منهم شخصيات ذات أبعاد نفسية وجسدية معينة، لكنى لا أتصور رواية بلا قضية أو بلا فكرة إلا إذا كنا نتحدث عن القصص البوليسية التى تجد فيها الحدوتة أو الحبكة وهى عادة ما تكون متقنة جداً، كما تجد فيها شخصيات قد تكون هى الأخرى مرسومة بدقه شديدة، لكنها تتوقف عند هذا الحد، فلا وراءها فكرة ولا قضية، لكن الرواية الأدبية تختلف عن ذلك تماماً، فهذا هو الفرق مثلاً بين رواية "الجريمة والعقاب" لدستويفسكى وبين "جريمة فى قطار الشرق" لأجاثا كريستى، فرواية الكاتب الروسى الكبير قالبها بوليسى لكن وراءها فكرا ووراءها قضية كبرى أما روايات أجاثا كريستى فهى تتوقف عند الحدوتة وشخصياتها لذلك فروايات كريستى تنتهى عند القبض على القاتل أما روايات دوستويفسى فتبقى فى الوجدان بقضاياها الإنسانية الكبرى...»[1]

مصدر الإلهام:

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ: ماذا كان مصدر إلهامك فيما كتبت من روايات؟

قال: لم يكن مصدراً واحداً، ففى بعض الأوقات كان المكان هو مصدر الإلهام، فكنت مثلاً حين أرى الغورية أو زقاق المدق يجيش صدرى بالعواطف والأحاسيس التى تخرج فى كل أعمال أدبية، فى أحيان أخرى يكون الموقف هو مصدر الإلهام، فيمكن

1ـ حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1999/3/11.

لحالات الحب مثلاً أو الموت أن تحركنى للكتابة.

قلت: وماذا عن السؤال التقليدى الذى وجه لك مئات المرات لكنك لم تجب عنه أبداً: ما هى أحب أعمالك إليك؟

قال بعد تفكير: ربما تكون "الثلاثية" و "الحرافيش" و "ليالى ألف ليلة" ففيها أعتقد أننى عبرت عن نفسى بصدق وعن نظرتى الكلية للحياة وللوجود بشكل عام، أما باقى الأعمال فقد كانت قائمة على جانب أو آخر من جوانب الحياة حسب موضوعها وإطارها الفنى، لذلك فإن هذه الأعمال الثلاثة لها مكانة خاصة عندى تختلف عن بقية الأعمال.

قلت: عن "الثلاثية" قيل كثيراً إنها كتبت من واقع حياتك الشخصية وأن شخصية كمال عبد الجواد كان مصدر إلهامها هو شخصيتك أنت.

قال: لا، الثلاثية أكبر بكثير من حياة أى شخص فهى بانوراما لمجتمع بأسره، أما شخصية كمال عبد الجواد فهى تقترب إلى حد ما من شخصيتى خاصة فى الجزء العقلى منها والأزمة الثقافية التى واجهها ما بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب، والإيمان والفلسفات الأوروبية، هذه هى أزمة كمال، وهذه هى أزمتنا فى العصر الحديث»[1].

مؤلف الرواية الواحدة:

«ثم يتحدث الأستاذ عن ظاهرة أخرى فى الحياة الأدبية وهى ما يعرف باسم مؤلف الرواية الواحدة حين يأتى أحد المؤلفين برواية تحقق نجاحاً كبيراً لكنه لا يستطيع أن يتبعها برواية أخرى أو إن فعل فهى لا تحقق النجاح المرجو، فيقول:

تلك ظاهرة معروفة فى الآداب العالمية كلها وهى ترجع فى معظم الأحيان إلى أن الكاتب يكون قد مر بتجربة ضخمة ومثيرة كحادثة الطائرة المصرية الأخيرة على سبيل المثال أو يكون لديه اكتشاف ما فيكتب تجربته هذه ويباع كتابه بالملايين لقوة التجربة التى يرويها فالفضل هنا يعود إلى التجربة المثيرة التى أعطتها له الأقدار وما كان عليه إلا أن يكتبها بأسلوب عادى يقدر عليه أى متعلم، هذه النوعية من الكتب تجد استجابة كبيرة بين الجماهير لكن من الصعب أن نضعها فى عداد الأدب فهى لا تعبر عن أسلوب

1ـ حوارات نجيب محفوظ. الأهرام، 2001/11/8.

فني خاص بالكاتب ولا تقدم رؤية فلسفية للحياة مما نجده في الروايات العالمية الكبرى، لذلك فتلك تجربة عادة لا تتكرر لأن الإنسان لا يمر بمثل هذه التجارب المثيرة إلا مرة أو مرتين في حياته.

ثم يختتم الأستاذ حديثه قائلاً: لذلك فعلينا أن نفرق جيداً بين العمل الأدبي الحق الذي يحقق انتشاراً جماهيرياً مثل أعمال بلزاك مثلاً أو تشارلز ديكنز وبين روايات أخرى تحقق انتشاراً مماثلاً أو أكبر لكنها تعتمد على أهمية التجربة التي تسردها وعلى الإثارة التي بها وليس على المقاييس الفنية للأدب»[1].

الجماهيرية في الأدب:

« وبعد الحديث عن الغموض في الأدب والذي يجعل العمل الفني يستعصي على فهم الإنسان العادي ويكاد يحوله إلى أدب للخاصة وحدهم، تحدثت مع الأستاذ عن الجانب الاخر من القضية وهو الجماهيرية في الأدب فقال: أن المثل الأعلى لكل أديب هو أن يرضي الخاصة ويصل في نفس الوقت إلى الإنسان العادي، ومن الأمثلة البارزة في هذا الاتجاه شكسبير فلا شك أن أفكاره من أعمق ما يكون وشخصياته بحاجة إلى فهم ودراسة لكنك تجد مسرحياته مليئة بالرغبات الجماهيرية مثل مشاهد المبارزة مثلاً أو الفكاهة التي ترد حتى في مسرحياته التراجيدية، ولذلك فقد كان مسرحه مسرحاً شعبياً، وهذا مثل أعلى بلا شك، لكن هناك على الجانب الآخر أدباً صعباً قد لا يجد حظه عند الجماهير على الرغم من جودته وربما دخل في هذا النوع أدب يكون مبشراً بشيء جديد لم تألفه الجماهير ولم يتحول إلى عادة ذوقية بعد لذلك تجده لا ينتشر مثل الأعمال الأخرى الأقرب إلى ما تعودته الجماهير، لكن هذا لا يعني أن كل ما ينتشر بين الجماهير هو أدب جيد فهناك نوعيات شعبية تعتمد على الإثارة أكثر مما تعتمد على الفن مثل القصص البوليسية والقصص الجنسية فهذه قد تطبع بالملايين وتكتسح الكون.

وسألت: لقد حققت أنت يا أستاذ نجيب تلك المعادلة الصعبة بين المستوى الفني والانتشار الجماهيري فهل تراعي ما يروق للجماهير العادية وما لا يروق وأنت تكتب رواياتك؟

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1999/12/9.

قال: يهيأ لي أن الكاتب وهو يكتب إنما هو يكلم نفسه أي أنه يكتب لنفسه، ولا أعتقد أن عليه أن يكتب للجماهير بشكل مباشر، وإن كانت الجماهير دائماً تحتل مكاناً ما في خلفية ذهنه ولا يجب أن تكون هي في مركز الصدارة وإلا كان ذلك على حساب أشياء أخرى كثيرة ... إن الكاتب وهو يكتب يفكر فقط في العمل وفي نفسه وفي قارئ ما يشبهه ثم عليه بعد ذلك أن ينتظر حظه»[1].

الغموض في الأدب:

• قلت للأستاذ نجيب محفوظ: يتجه الأدب والفن في العالم أكثر فأكثر إلى الغموض فأعمال بعض الأدباء الجدد مثل أعمال بعض الفنانين التشكيليين أو حتى الموسيقيين أصبحت تستعصي على المتلقي العادي بحيث تبدو وكأنها كتبت للمتخصصين وحدهم، فما هو في رأيك سبب هذا الغموض.

قال: الغموض في الأدب يمكن أن يعود إلى ثلاثة أسباب، أولها صعوبة الفكرة نفسها، فقد تكون الفكرة التي يريد الكاتب إيصالها للقارئ فكرة مركبة وغير بسيطة فيكون التعبير عنها به شيء من الغموض الذي يتطلب من القارئ مجهوداً أكبر في فهم العمل مثل قراءته أكثر من مرة أو اللجوء إلى الشروح أو التحليلات النقدية التي كتبت عنه وهذا شيء طبيعي إذا لم نكن معتادين على هذا النوع من الأدب تماماً مثل الموسيقى فإن من يستمع لأول مرة إلى سيمفونية لبيتهوفن عليه أن يلجأ إلى دراستها جيداً حتى يستوعبها الاستيعاب السليم أي أن الغموض هنا يعود إلى صعوبة عند المتلقي أيضاً لأنه غير مدرب على هذا النوع من الأعمال الفنية المركبة.

وهناك سبب ثان يعود إلى صعوبة عند الكاتب نفسه وليست صعوبة في الموضوع أو في المتلقي، فالكاتب هنا يكون غير قادر على إيصال فكرته بالسهولة المطلوبة لأن أدواته الفنية بها بعض القصور، لذلك يجئ عمله الفني غامضاً ذلك الغموض الناتج عن التشويش والافتقار إلى السلاسة في التعبير.

1ـ حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1999/12/2.

أما السبب الثالث فهو أسوأ الأسباب جميعاً وهو حين يعمد الكاتب إلى إضفاء الغموض على عمله متصوراً أن ذلك يعطى لعمله قدراً من الأهمية لكنه فى الحقيقة يسئ إلى هذا العمل.

ثم يقول الأستاذ: لا ينبغي علينا أن نخلط بين هذه الأنواع الثلاثة من الغموض الفنى لأن النوع الأول وحده الجدير بالاعتبار لأن جميع الأعمال الفلسفية الكبرى والعميقة تندرج تحته، وهى تحتاج من الإنسان إلى شيء من الدراسة والتركيز لكى يصل إلى كنه العمل، وتلك قد تكون سمة من سمات الأعمال العملاقة فى التاريخ الإنسانى[1].

الأدب فى مجتمعنا الحديث:

«قال أحد الدارسين الإندونيسيين والذى يعد رسالة للدكتوراه فى الفلسفة المصرية الحديثة للأستاذ نجيب محفوظ: كنت قد ركزت فى موضوع رسالتى التى أقدمها لجامعة روما على كتابات الدكتور زكى نجيب محمود إلى أن قرأت أعمالك الأدبية فوجدت فيها بعداً فلسفياً عميقاً لا يمكن إغفاله فى مثل هذه الدراسة لذلك غيرت موضوع الرسالة وجعلته منصباً حول "الثلاثية" بشكل أساسى.

وظهرت في عين الأستاذ علامات الخجل ولم يعلق، فسأله الباحث كيف ومتى قرر أن يترك الفلسفة التى درسها بالجامعة ويتجه للأدب؟ فقال:

الحقيقة أننى كنت أكتب القصص وأكتب فى الفلسفة منذ زمن بعيد ابتداء من عام ١٩٢٩ ولم أكن أعرف إلى أين سأتجه وقد أحدث لى ذلك أزمة كبيرة فى حياتى خرجت منها فى عام ١٩٣٦ حين قررت أن أكون روائياً وأن تكون الفلسفة بالنسبة لى اهتماما ثقافياً من ضمن بقية الثقافات التى أهتم بها.

فقال الباحث، لقد كنت يا سيدى بعيد النظر فمن الملاحظ فى عصرنا هذا أنه ليس عصر الفلسفات الكبرى وأن الفلسفة بشكل عام تتراجع أمام عالم الآداب والفنون، فقال الأستاذ: الحقيقة أن الاثنين يتراجعان أمام المادية التى سيطرت على حياتنا فى هذا العصر، واختيارى للأدب كان اختياراً مبنياً على العاطفة وحدها.

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1999/11/25.

فسألة: هل ما زالت متفائلاً من أن الآداب والفنون سيكون لها مستقبل، فقال أرى أنهما سيعيشان لأن الإنسان لا يستطيع أن يتنازل عما يتصل بوجدانه، لكن الصعوبة هي أن الفن لكي يصل إلى المتلقي أصبح عليه الآن أن يمر عبر هذا المجتمع الاستهلاكي بماديته الطاغية وبتجاريته البغيضة، وعلى الفنان أن يلتزم برؤيته الفنية الخاصة ولا يخضع للاعتبارات التجارية»[1].

الكتابة للأطفال:

«أبدى الأستاذ نجيب محفوظ اهتماماً كبيراً بالمؤتمر الإفريقي حول مستقبل الطفولة الذى نظمته في القاهرة اليونيسيف ومنظمة الوحدة الإفريقية مع المجلس القومى للطفولة والأمومة، والذى اختتم أعماله أمس تحت رئاسة حرم الرئيس السيدة سوزان مبارك مع قرينات عدد من رؤساء الدول الإفريقية الأخرى.

لذلك سألت: لماذا لم تكتب للطفل يا أستاذ نجيب؟

قال: إن البعض يتصور أن الكتابة للطفل يقدر عليها أى كاتب لأنها أسهل من الكتابة للكبار ... لكن ذلك غير صحيح، فالطفل لا يقبل أنصاف الحلول، والطفل ملول، ولا شيء يجعله يستمر في القراءة إلا الكتابة الجدية وحدها، فإذا كان الطفل فى القصة المعروفة عن "ثياب الإمبراطور" هو الذى فضح الموقف فى أثناء موكب الإمبراطور صائحاً أمام الجميع بأن الإمبراطور عار، فذلك لأن الطفل كان هو الصادق الوحيد من بين جميع من شاهدوا الموكب فالطفل بطبيعته لا يعترف إلا بالصدق وحده، وهو ليس على استعداد للتغاضى عن ذلك، ثم حين نتحدث عن الطفل فأى طفل نقصد؟ إن الطفل الذى عمره ٥ سنوات مثلاً يختلف تماماً عمن عمره ١٢ سنة، وما يقبله أحدهما لا يقبله الآخر، لذلك فالكتابة للطفل هى عملية صعبة وجادة، وهى ليست مجرد أن نحكى له عن نوادر جحا أو نؤلف له قصة خيالية فنكون قد كتبنا أدباً للأطفال، كذلك فإن طفل اليوم يختلف تماماً عن الطفل الذى عرفته أنا مثلاً فى طفولتى، وعلى كاتب الأطفال ألا

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1998/3/26.

يقيس فقط على طفولته وإنما أيضاً على الطفولة المعاصرة التى تختلف كثيراً عن الطفولة التى عرفها فى بداية حياته.

لكنى إذا لم أكن قد كتبت للأطفال فقد كتبت عن الأطفال كما حدث فى الثلاثية مثلاً، ومن الطريف أن إحدى جهات الإنتاج قد اتصلت بى أخيراً عارضة على مشروع عمل فنى يصور هؤلاء الأطفال وقد كبروا وصاروا رجالاً ويصور حياتهم كيف تكون فى مجتمعنا الحالى»[1].

قصص الأحلام:

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ: إن ما تكتبه الآن من أقصوصات صغيرة تنشرها تباعاً فى مجلة "نصف الدنيا" تعتبر كتابات ذات طبيعة خاصة فكيف تكتبها وما هو شعورك نحوها؟

قال: أستطيع أن أقول لك إننى راض عما أكتبه الآن، ولم يكن هذا هو الحال مع بعض الأشياء التى كتبتها قبل هذه المجموعة الأخيرة، لذلك فأنا لم أنشرها، لأنى حين عدت إليها وجدتنى غير راض عنها، أما ما أكتبه الآن فأنا واثق منه.

قلت: وما الذى لا يرضيك فى القصص السابقة التى لم نقرأها؟

قال: يقلقنى أن القصة لا تصب تماماً فى القالب الذى أردته لها، فالمهم عندى فى هذه القصص التى أسميتها أحلاماً أن ينتهى هذا الحلم بفكرة عامة، لا أن يظل حلماً خاصاً والفكرة التى يقوم عليها فكرة خاصة.

قال: تعلم أن على أن أدرب يدى اليمنى يومياً على الكتابة، لذلك فأنا أكتب القصة، وبدلاً من أن أظل أكتب أى شىء آخر للتدريب، فأنا أعيد كتابة القصة عدة مرات قد تصل إلى العشرين، إلى أن تجيئنى فكرة قصة أخرى فأكتبها وتصبح هى موضوع تدريبى اليومى على الكتابة وهكذا.

قلت: وهل تغير فى القصة كلما أعدت كتابتها؟

قال: يحدث هذا فى بعض الأحيان، فأغير كلمة هنا أو هناك وفى بعض الأحيان لا أغير حرفاً، لكننى أظل أكتب القصة من أجل التدريب فقط»[2].

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2001/5/31.

2. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2000/5/18.

الشعر :

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ عن مكانة الشعر في حياته الأدبية، وهو الروائي العربي الكبير، لكن ماذا كانت علاقته بالشعر ؟

قال : العلاقة بين الأدب والشعر علاقة وثيقة، فأعظم الأعمال الأدبية هي تلك التي تقترب في طبيعتها من الشعر، وهناك نظرية تقول أن الأدب كله يطمح إلى حالة الشعر، والشعر من الناحية التاريخية هو عنوان الأدب، وحين نعود إلى أصول الآداب كلها - عربية كانت أو غربية - نجدها كانت في الأصل شعراً، مثل المسرح الذي بدأ بالشعر وحين انتقل إلى النثر كان ذلك ثورة كبرى.

أما في حالتي الشخصية فقد عرفت الأدب على أنه الشعر، وحتى حين كنت أقرأ كتباً في غير الأدب مثل كتاب "الكامل" للمبرد وهو في النحو لكنه يستشهد بأدبيات شعرية، فإن ما كان يهمني من قراءتي كان هو هذه الاستشهادات، والحقيقة أنه لو كانت لي ذاكرة حافظة لكان عندي الآن مخزون شعري عظيم جداً لأنني قرأت آلاف الأبيات الشعرية، وكنت في مطالعاتي للتراث أنتقي بعض المختارات الشعرية وكنت أدونها في كراسة خاصة أحتفظ بها وكلما أردت أن أروح عن نفسي قرأت ما قد تقع عليه عيني في هذه الكراسة أبو العلاء المعري أو البحتري أو أبو نواس أو غيرهم، ومما آسف له الآن أنني لم أعد قادراً على استعادة هذه الأشعار بعد ضياع الكراسة وبعد عجزي عن القراءة»[1].

مباراة المكسيك :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ، بوصفك كروياً قديماً ... ما رأيك فيما حدث في مباراة المكسيك الأخيرة بين مصر والسعودية ؟

قال : أولاً علينا أن نهنئ السعودية بهذه النتيجة التي حققتها في المباراة والتي تدل على تدريب جيد يجب أن نقدره لهم لأن اهتمام السعودية بالرياضة يعتبر حديثاً بالمقارنة لاهتمامنا في مصر، فكيف تمكنوا من تحقيق هذه النتيجة ؟ إن علينا أن نتدبر ذلك ونعي الدرس، فأنا أخذ هذه الواقعة في الحقيقة كمعيار لأشياء أخرى كثيرة في حياتنا في العمل

1ـ حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2002/11/21.

والتكنولوجيا وفى الصناعة والتصدير وفى نواح أخرى كثيرة وجدنا فيها بعض من بدأوا بعدنا قد تقدموا تقدماً كبيراً، فما السبب فى ذلك؟ هل لأنهم بحكم أنهم بدأوا حديثاً فقد أخذوا بأحدث الوسائل بينما ما زلنا نحن نتبع الكثير من السبل التقليدية القديمة التى تعودنا عليها: هل لأن إحساسهم بأنهم حديثو العهد جعلهم يبذلون مجهوداً أكبر للحاق بالركب، بينما ركنا نحن إلى المكانة المميزة التى نحب أن نتصورها لأنفسنا فى المنطقة فلم نبذل ما هو مطلوب منا من جهد؟

إن علينا أن نسأل أنفسنا كل ذلك، ونبحث جدياً فى بعض أسباب قصورنا فى شتى جوانب الحياة وليس فى الكرة وحدها ونراجع أنفسنا، وعلينا أن ندرك أن بعض من كانوا وراءنا قد لحقوا بنا والبعض الآخر قد سبقنا وعلينا الآن أن نلحق بهم أو نتفوق عليهم إذا كنا ما زلنا نعتقد فى مكانتنا الخاصة فى المنطقة .. والكرة فى ذلك هى مثال صارخ لأن تاريخها فى مصر يعود إلى بداية هذا القرن .. ولهذا حديث آخر»[1].

ذكريات الكرة:

«ومع الحديث عن مباريات المكسيك يسترجع الأستاذ نجيب محفوظ ذكرياته عن الكرة فيقول أنه كان مولعاً بها فى صباه، ويذكر أنه فى العشرينيات كان لمصر فريق قوى جداً حقق نتائج مبهرة دولياً، ثم يقول:

أذكر ذات مرة حين كنت صبياً أرتدى "الشورت" أن مدرس اللغة الإنجليزية بالمدرسة كان إنجليزياً متعجرفاً لكنه كان فخوراً بالفوز الذى حققه فريق الكرة المصرى فى ذلك الوقت فى إحدى المباريات الدولية. وقد أتى لنا المدرس ببعض الصحف الإنجليزية التى كتبت تشيد بمستوى الأداء للفريق المصرى، وأخذ يقرأ لنا ما كتبته هذه الصحف ونحن نشعر بفخر كبير، ولابد أن ذلك كان فى أواخر العشرينيات.

ثم يقول الأستاذ: وقد استمر معى ولعى بالكرة التى كانت تشغلنا كثيراً مثلما هو الحال الآن رغم عدم وجود تليفزيون فى ذلك الوقت، لكن المدارس كانت كلها لها فرق للكرة تتبارى طوال العام فيما بينها وتمثل معمل تفريخ للفريق القومى الذى كنا نذهب

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1999/8/5.

إلى النادى لنشاهد مبارياته.

ثم يضيف بعد قليل: كان ذلك منذ حوالى ٧٠ عاماً، فماذا حدث اليوم، ألم يكن من الطبيعي أن يصبح الفريق المصرى الذى وراءه قرن كامل من التدريب واحداً من أهم فرق الكرة فى العالم؟

ثم يصمت الأستاذ ولا يجيب على سؤاله»[1].

البعد الدينى:

«قال الباحث الإندونيسى الذى يعد رسالة الدكتوراه عن نجيب محفوظ في جامعة روما : سيدى إن أندونيسيا دولة يصل تعدادها إلى حوالي 207 ملايين نسمة ورغم أن بها خمسة أديان مختلفة الا أن 87٪ من سكانها يدينون بالاسلام، ومعظم من يحدثوننا عن الإسلام فى أندونيسيا قد درسوه فى الأزهر وهم يقدمون لنا رؤية تقليدية جامدة لهذا الدين الفريد المتميز، لكنى وجدت فى أعمالك بعداً دينياً هاماً يقدم الاسلام بشكل متقدم كثيراً، عن المدرسة الأزهرية فقال الاستاذ : إن الدين يمثل بعداً أصيلاً وهاماً فى الشخصية المصرية وأعمالى الروائية تقدم شخصيات من واقعنا ولذلك فهى لايمكن أن تتجاهل هذا المكون الأساسى للشخصية المصرية منذ عهد الفراعنة وإلى الآن.

ثم استطرد الاستاذ : وأنا لا أقصد هنا الدين حين يتحول إلى حركة سياسية تلجأ للعنف أحياناً لتحقيق أهدافها فى الوصول إلى الحكم، لكنى أتحدث عن الدين كعقيدة سامية تدفع الإنسان من ناحية إلى التحلي بالفضيلة والقيم الأخلاقية ومن ناحية أخرى إلى الرقي والتقدم بما تقوم عليه من إيمان بالخالق الأعظم واتصال مباشر مع الذات الكبرى مما يعين الانسان على خوض هذه الحياة التى كثيراً ماتكون بها المصاعب والمشاق صعبة الاجتياز.

فقال الباحث الأندونيسى : لقد لاحظنا فى الثلاثية أنكم أسميتم إحدى الشخصيات التى كانت تبحث عن المعرفة الدينية الحقيقية «كمال» فقال الاستاذ : لست أعرف فبعض مايكتبه الأديب يتم بشكل غير واع، ويخرج مباشرة من عقله الباطن»[2].

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1999/8/12.

2. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1998/3/19.

أمنية العام الجديد!

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ : على المستوى الشخصي.. ماذا كان يمثل لك عام 1997؟

قال : الحقيقة إنني على المستوى الشخصي أمضيت السنوات الثلاث الأخيرة في العلاج من الحادث الذى وقع لى يوم 14 أكتوبر 1994 فقد كانت سنة 1997 مثل سابقتيها سنة معاناة، فقد حرمت من القراءة ومشاهدة التليفزيون أو السينما كما حرمت أيضاً من الكتابة بسبب ما أصاب ذراعي اليمنى ومع ذلك فإن السنوات الثلاث الأخيرة كانت سعيدة بالنسبة لى فقد كانت تمثل تجربة مهمة عرفتني قيمة الصداقة وأنا طوال حياتي كان الأصدقاء يمثلون جزءاً كبيراً ومهماً فى حياتى لكننى عرفت الآن أننى كنت ممسكاً بقيمة ذات وزن كبير، وقد ظهر وزنها بشكل واضح في السنوات الثلاث الأخيرة التى لم أتمكن من خوضها إلا بفضل الأصدقاء الذين كانوا يحيطوننى بعطفهم يوماً بعد يوم.

قلت : وما هى أمنياتك الشخصية بالنسبة للعام الحالى؟

قال : إننى أرجو وأتمنى أن تشفى ذراعى وأتمكن من العودة للكتابة مرة أخرى حتى ولو أشياء صغيرة حسب ما تمكننى منه قوة إبصارى.

ثم يصمت الأستاذ قليلاً ويعود ليقول : نفسى أكتب ولو «قصيصات» صغيرة حتى لا تتوقف السلسلة التى تنشر لى الآن. بمجلة «نصف الدنيا»، فالكتابة الأدبية بالنسبة لى لا تأتى إلا من القلم بين أصابعى.. لا أستطيع أن أملى قصة أو رواية على أحد فطريق انبحث عن الكلمة يمر من يدى إلى رأسى مباشرة، أما الكلام بالفم فلم أتعوده.

قلت : لكنى أعرف أنك تكتب الآن بالفعل.

قال : نعم لكنى لا أكتب إلا بعض الخواطر التى تعن لى، وذلك بهدف تدريب يدى على الكتابة فقط.

قلت : أعتقد أن هناك ملايين القراء الذين يشاركونك هذه الأمنية بالعودة مرة أخرى للكتابة»[1].

وبمشيئة الله تحققت الأمنية ونشرت مجلة نصف الدنيا فى عددها رقم 403 قصيصتان الأولى بعنوان «أبوناعجوة»[2] والثانية «الهاتف الغريب»[3].

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، العدد 40575.

2. مجلة نصف الدنيا، العدد 403، ص84.

3. مجلة نصف الدنيا، 403، ص 85.

عائلة علما :

«رداً على سؤال من القارئ جلال محمد عفيفي علماً حول علاقة الأستاذ نجيب محفوظ بعائلة علما التي أسمى بطله في كل من «باقي من الزمن ساعة» و«حلم ساعة» من مجموعة «همس الجنون» باسمها، فكان بطله في الأولى اسمه بهاء الدين علما وفي الثانية حسين علما، قال الأستاذ :

أولاً ورود الاسم في القصة أو الأخرى ليس له علاقة بالواقع فهي ليست قصة بطل يحمل هذا الاسم في الحياة، فأنا لم أكن أكتب عن شخص أعرفه في أي من القصتين، فالأسماء أسماء روائية بحتة، لكن اسم علما كان من الأسماء التي علقت بذهني لأنه حين تركت أسرتي الجمالية وانتقلنا إلى العباسية كانت هناك عائلة علما وكان أحدهما صديقاً لنا وقت الدراسة وكان يجالسنا في قهوة عرابي وكان ذلك في الثلاثينيات حين كنا طلبة في الفترة الثانوية، ثم بعد ذلك في الجامعة،والحقيقة إنني لم أعد أتذكر أسمه فقد اختفى بعد ذلك ولم نعد نراه ربما يكون قد انشغل بعمله بعد انتهاء الدراسة أو سافر إلى الخارج.

ثم يضيف : لكن عائلة علما كانت عائلة معروفة بالأصالة وحسن السمعة وكان علما (باشا) من كبار رجال الوفد في ذلك الوقت، والحقيقة أن عائلة علما لها في ذهني حضور أكثر من ابنها الذي عرفناه في جلستنا على القهوة خلال سنوات الدراسة.

وأسأل الأستاذ : هل كتبت أبداً أياً من رواياتك حول شخصية عرفتها بالفعل في الحياة؟

فيقول : إنني لم أكتب أبداً سيرة ذاتية لأحد لكن شخصياتي كلها مستمدة من الحياة وقد يكون فيها جانب من إحدى الشخصيات التي عرفتها وجانب آخر من شخصية أخرى بحيث يصعب القول أنها وجدت بالفعل في الحياة»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، يوم 1997/9/4.

حقوق المؤلف :

«وأسأل الأستاذ نجيب محفوظ بوصفه أكبر كتاب العرب عن حقوق المؤلف فيقول :

إن قضية حقوق المؤلف قد انتهت في الخارج تماماً، فهي محفوظة بالقانون وليس هناك من يستطيع أن يهضم حق المؤلف في كتاب يطبعه أو في مسرحية أو فيلم، أما عندنا فرغم وجود قانون يحمي حق المؤلف إلا أننا نتصرف وكأنه ليس هناك قانون في هذا الشأن، وإنني مازلت أذكر كيف سررنا جميعاً في بداية الثورة حين صدر قانون حق المؤلف في الأداء العلني، ثم وجدنا أننا لتنفيذ هذا القانون يجب أن نلجأ للقضاء بمعنى أن من يعرض فيلما أو مسرحية لا يعطي لمؤلف النص أي حقوق لهذا الأداء العلني ويكتفي بأنه اشترى منه النص في البداية، وإذا أراد المؤلف الحصول على حق الأداء العلني فعليه أن يلجأ للقضاء ليحكم له بذلك في الوقت الذي في فرنسا مثلاً يحجز 10٪ من دخل شباك أي مسرح تحت حساب حقوق المؤلف ولا يملك المنتج أن يمس هذا المبلغ إلا بإذن من المؤلف نفسه.

ثم يضيف : إن لم تخني الذاكرة فقد صدر قانون حقوق المؤلف في الأداء العلني في عهد وزير الثقافة الأسبق فتحي رضوان وقد جاء بعد ذلك الدكتور عبدالقادر حاتم وزيراً للثقافة والإعلام فلجأنا له فأمر التليفزيون بصرف حق الأداء العلني للمؤلفين عن كل ماقدم لهم على الشاشة الصغيرة، لكن التليفزيون في ذلك الوقت طلب إمهاله بعض الوقت قائلاً إن ذلك يتطلب إنشاء وحدة حسابية جديدة، وإلى يومنا هذا لم نتلق «أبيض ولا أسود» من التليفزيون.

وفي نفس الوقت فقد كانت هناك جمعية حقوق المؤلف في فرنسا التي كثيراً ماكانت تبحث عنا هنا في مصر لكي تعطينا بعض ماقد يكون لنا من حق الأداء العلني لبعض الأفلام التي تعرض في شمال أفريقيا، أما بعد الاستقلال فلم نعد نحصل على هذه أيضاً، فيما عدا ماقد يعرض في فرنسا نفسها.

وقد تمكن بيرم التونسي من إقناع جمعية حقوق المؤلف الفرنسية بفتح مكتب لها لكي تعطي لمؤلفي الأغاني والموسيقيين حقوقهم عن الأداء العلني في فرنسا وقد كان

مطربونا وموسيقيونا يتلقون مبالغ ضخمة بفضل بيرم.

ولقد طلبت ذات مرة من الاستاذ ثروت أباظة رئيس اتحاد الكتاب بالانضمام للجمعية الفرنسية وقد أخبرني أن مفاوضات قد بدأت بالفعل مع الجمعية لكن حتى الآن لم نصل إلى شئ»[1].

التزوير:

«والحديث عن حقوق المؤلف يؤدى إلى الحديث عن تزوير الكتاب، فأسأل الأستاذ عن الناشرين الذين لم يوفوا التزاماتهم تجاهه فيقول : أنا لا أتعامل إلا مع مكتبة السحار، والحقيقة أننى طوال سنوات لم أجد إلا الأمانة والانتظام فى اتفاقاتهم.

فأسأل : وماذا عن الناشرين الذين ليست لك اتفاقات معهم؟ فيقول : هؤلاء هم المزورون الذين ما أن يصدر كتاب هنا فى مصر أو ينشر مسلسل فى جريدة أو مجلة حتى تصلنى أخبار بأنه يباع فى لبنان أو المغرب مثلاً، والحقيقة أن الشر أحياناً لا يخلو من خير، فالمزورون مثلاً هم أصحاب الفضل فى انتشار أعمالى فى منطقة شمال إفريقيا وهم الذين أوصلونى إلى أنحاء نائية من العالم تقرأ العربية، لكن ناشرينا الشرعيين لا يصلون إليها مثل أندونيسيا أو بعض دول إفريقيا، فهم كانوا فى الحقيقة خسارة مادية لكنهم كانوا أيضاً مكسبا أدبياً وأستطيع أن أقول إن معظم كتبى إن لم تكن كلها قد زورت وقد كنت أعرف بها بالمصادفة كأن يحضر لى صديق عائد من هذه البلاد نسخة لم أكن قد رأيتها من قبل لأحد أعمالى، وأذكر أن أحد القراء كتب لى مرة يخبرنى بأن إحدى رواياتى قد تم تزويرها وبيعها فى لبنان لأنه وجد فى إحدى الصفحات اختلافا عن النسخة التى طبعها السحار، بل إن كتاب تفسير القرآن لسيد قطب قد تم تزويره هو الآخر.

وأسأل : هل تعرف هؤلاء المزورين؟ فيقول ضاحكاً : لن تصدق ذلك لكننى ذات مرة عقدت اتفاقاً مع أحد هؤلاء، فقد كنت جالساً فى قهوة «ريش» وجاءنى رجل لبنانى طويل مهيب وعرفنى بنفسه قائلاً : أنا الذى زورت كل كتبك من «عبث الأقدار» إلى «ميرامار» قلت له : أهلا وسهلاً.. ماذا تريد؟ فقال : أريد أن أعقد معك اتفاقاً لأنك بفضلى تقرأ فى

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/6/27.

جميع الدول العربية. فقلت له ولماذا تريد الاتفاق؟ فقال: بصراحة إن المزورين كثروا وأصبح التنافس بيننا شديداً وعنيفاً، لذلك أردت أن أتفق معك لكي أكون أنا مزورك الوحيد حتى أرغم باقي المزورين على سحب كتبهم من السوق، وذلك نظير حقك المادى طبعاً.. وقد وجدت كلامه منطقياً فوقعت معه الاتفاق الذى كان يريده»[1].

التـــراث:

«قلت: تعتبر يا أستاذ نجيب من أكثر من أثروا فى تشكيل الأدب العربى فى العصر الحديث لكن كيف تأثرت أنت بالأدب العربى؟

قال: بمجرد أن وصلت إلى أول درجة من الوعى تجعلنى أفهم معنى الثقافة، وقد كان ذلك فى وقت مبكر جداً من حياتى وكان الأدب العربى الاسلامى المكون الأول لثقافتى، فقد قرأت القرآن وقرأت السنة وقرأت أمهات كتب الأدب مثل كتاب الأغانى وأذكر أنه كان لدى كتاب اسمه «المنتخب فى أدب العرب» يضم مختارات من أقصى أزمنة الجاهلية وحتى العصر الحديث مثل المنفلوطى والبارودى، وقد تأثرت جداً بكل ذلك، وما من شك أنه كان له تأثير أساسى فى ايجاد أسلوبى الأدبى، وكان من آثار ذلك أننى بدأت كتابتى بالفصحى فى وقت أشتد الهجوم فيه على الفصحى واشتدت الدعوة إلى العامية، فكنت من أنصار الفصحى وكتبت بها أصعب الاشياء على الفصحى وهى الرواية الواقعية، فكيف يتكلم أبن البلد فى القهوة أو الحارة باللغة الفصحى؟ لكنى عبرت عن ابن البلد هذا بالفصحى وكان الكثيرون ممن يقرأون لا يعرفون إن كان ما تتحدثه شخصيات رواياتى هو الفصحى أم العامية، فقد تطورت الفصحى إلى أن أصبحت فصحى تناسب العصر الحاضر وتناسب الرواية بشكل خاص.

ثم يؤكد: ولقد كانت قراءتى فى التراث هى العامل الأول الذى ساعدنى على ذلك، وقد يتصور البعض أن من يختار الرواية يكفيه أن يدرس تطور هذا الجنس الأدبى فى الآداب التى تطورت فيها الرواية أكثر من الأدب العربى، فصحيح أن لدينا مثلاً حكايات العرب وألف ليلة وليلة والملاحم الشعبية لكن تلك كلها لا تقاس بثراء الشعر مثلا، لذلك فإن استمساكى بالتراث كان وكأنى لن أكتب الرواية وإنما سأكتب الشعر»[2].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/7/4.

2- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/7/18.

ثقافة الأديب :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : إن الثقافة بالنسبة للأديب هي جزء أساسي من تكوينه المهني، ولقد كان للموسيقى مثلاً في نفسي أثر كبير يكاد يضارع تأثير التراث الأدبي نفسه فقد عرفت الرعيل الأول من الموسيقيين الذين طوروا الموسيقى العربية على أسس الموسيقى التركية مثل عبده الحامولي وعبد الحي حلمي والمنيلاوي وصالح عبدالحي، ثم بعد ذلك العبقرية الفريدة سيد درويش الذي حطا بالموسيقى العربية إلى عصر جديد تماماً، أكمله بعده محمد عبدالوهاب وأم كلثوم.

كذلك فإن المعمار له عندي أهمية خاصة فقد تعرفت على المعمار المصري القديم والمعمار الإسلامي منذ الصغر واكتشفت فيهما أدق مكنونات الحضارة المصرية الفرعونية والعربية الإسلامية وهما شريانا الثقافة المصرية الحديثة.

أما في مجال الأدب نفسه فلم تكن قراءاتي حكراً على التراث العربي وحده وإنما كنت أحاول التعرف على الآداب الأجنبية أيضاً، ولقد كنت أقرأ الأدب الانجليزي في عز كراهيتي للمحتل البريطاني وكان البعض يظن أنه ينبغي مقاطعة الأدب الانجليزي لأنه سيجعلك تتحول إلى جانب الإنجليز، لكني كنت أجد أن الأدب الإنجيزي يجعلك تثور أكثر على الاحتلال لأنه أدب أنساني راق لا يقبل الضيم ولا الظلم، ويدعو للحرية والمساواة.

لقد كان الأدب الانجليزي من أسباب تمردنا على السياسة البريطانية تماماً مثل خطب سعد زغلول، وهكذا كنت تجد مثلاً أن العقاد قائد الحملة في الهجوم على الانجليز مدرسته في النقد انجليزية الأصل وقد كان هو المدافع عن الأدب الانجلو ساكسوني ودخل معركة كبيرة مع طه حسين ضد الأدب اللاتيني.

كذلك فإن هناك أدباً فرعونياً غاية في الجمال وقد قرأته شعراً ونثرا وقصصا واستخدمته في الكثير من أعمالي مثل «عبث الأقدار» و«رادوبيس» و«كفاح طيبة» وأخيراً «العائش في الحقيقة» غير عشرات من قصصي القصيرة»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/8/1.

الأساتذة الفرنسيون :

«يواصل الأستاذ حديثه عن تأثير الثقافة الفرنسية والأدب على ثقافتنا الحديثة فيقول : إن تأثير الثقافة الفرنسية لم يكن قاصراً على الأدب وحده، فأنا أذكر مثلاً أن أحد كبار أساتذة الفلسفة في العشرينات والثلاثينات في العالم كان لا لاند الفرنسي صاحب القاموس الشهير الذي يحمل اسمه، وهذا الأستاذ كان يدرس لنا بالجامعة فقد كان قسم الفلسفة بكلية الآداب قسماً فرنسياً وكانت فرنسا قد أهدت مصر هذا الأستاذ الكبير ضمن أساتذة آخرين أثناء زيارة الملك فؤاد لأوروبا عام ١٩٢٥، لقد كان هؤلاء الأساتذة لا يتقاضون من الحكومة المصرية إلا بدل الإقامة فقط أما مرتباتهم فكانت تأتيهم من السوربون بباريس.

وأسأل : وما هو أكثر كتاب فرنسي أثر في نفسك؟

فيقول : في الأدب كان لرائعة مارسيل بروست الضخمة «البحث عن الزمن الضائع» تأثير كبير علي، لقد كان يقال إنه بعد صدورها أصبح أدباء العالم يصنفون على أنهم بروستيون أو معادون للبروستيه، وهذه الرواية في الحقيقة تقدم عالما جميلاً وعميقاً لكنها بحاجة إلى صبر وجلد كبيرين للانتهاء من صفحاتها التي تبلغ عدد ٥ آلاف صفحة، والغريب أنها في نهايتها تتضمن دعوة لإعادة قراءتها، ففي الكلمة الأخيرة تجد أخيراً مفتاح أحداثها، لكن للأسف لم أقدم على ذلك لأن العمر قصير»[1].

مقالب الأدب :

«قال نجيب محفوظ : كثيراً ما سبب لي ولعي بالكتابة الأدبية مشاكل لاحصر لها وأعد لي «مقالب» لاقبل لي بها، وأذكر مثلاً عند بداية تخرجي في الجامعة أن عملت بوزارة الأوقاف وقت أن كان عبدالسلام الشاذلي وزيراً، وقد كان الشاذلي باشا رجلاً حازماً وصارماً أراد أن يصلح من الوزارة فأصدر أمراً بأن تغلق الوزارة أبوابها كل يوم في تمام الثامنة صباحاً ولا يسمح لأي من موظفيها بالدخول بعد ذلك، وكل من هو ليس موجوداً في الثامنة يخصم اليوم من أجازته، فإذا تأخر ثانية تطبق عليه أقصى عقوبة

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1998/6/4 .

يملكها الوزيـر وهي خصـم ١٥ يوماً من مـرتبـه، وقد كـنت أرى كبار موظفي الوزارة حين يطلبهم الوزير وهم واقـفـون في قلق على باب مكتبـه لايعـرفـون المصـيـر الذى ينتظرهم.

ولقد منع الوزير دخول الجمهور إلى الوزارة فكان رئيس قسم التحقيقات هو الذى يقابل المواطنين على الباب ليستفسر منهم عما يريدون، فإذا كانت زيارة خاصة رفضت وإذا كان عملاً يقوم رئيس التحقيقات بنفسه بالاتصال بالموظف المختص ويعرض عليه الموضوع ثم يخطر المواطن بعد ذلك بالموعد الذى عليه أن يعود فيه، فإذا عاد في الموعد المحدد ولم يكن عمله قد تم يخصم من الموظف المختص ١٥ يوماً.

كذلك منع الوزير الأكل فى الوزارة وقراءة الجرائد، فكان البوفيه يقتصر على تقديم القهوة والشاى فقط، ومن كان يضبط وهو يأكل سندويتشا أو يقرأ جريدة كان يخصم منه ١٥ يوماً.

ولقد كنت السكرتير البرلماني للشاذلي باشا، وأذكـر أننى أعـددت له يوماً رداً على استجواب موجه له في البرلمان ووضعته في مظـروف وعنـد وصـولنا إلى البرلمان سلمت الوزير المظـروف في مكتبـه وخرجت، وبينما أنا جالس خارج المكتب فتحت مظروفاً آخر كان معى لألقي نظرة أخيرة على قصة قصـيـرة كنـت قد كتبتها وكنت سأقوم بتسليمها في نفس اليوم للزيات لينشرها في مجلة «الرسالة».

ولك أن تتخيل حالتى حين وجدت أن المظروف الموجود بين يدى مازال به رد الوزير وأيقنت أن المظروف الذى تركته له به قصتى، ولم أدر بنفسى إلا وأنا أندفع إلى مكتب الشاذلي باشا قبل أن يدخل القاعة وأقوم باستبدال المظروف هذا بذاك.

وكان الشاذلي باشا مشغولاً بالحديث مع أحد الوزراء فتصورت أنه لن يلاحظ شيئاً، ومع ذلك فقد سألنى ماذا تفعل عندك؟ فقلت على الفور لاشئ ذا بال(!) وخرجت وأنا أتنفس الصعداء، فلست أعرف ماذا كان يمكن أن يكون مصيرى لو أننى تسببت في أن يقرأ الشاذلي باشا قصتى على أعضاء البرلمان بدلاً من رده على الاستجواب»؟![1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/8/15.

الناقد الأدبى والفنى :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : وجدت مقالات نقدية موقعة باسم نجيب محفوظ فى مجلة «المعرفة» فهل هو أنت؟ وما هى قصتك مع النقد الأدبى؟

قال على استحياء : نعم هو أنا، أما قصتى مع النقد فهى أننى كنت أبحث عن أى شئ أكتبه حتى أحقق حلمى فى النشر، فقد كنت مازلت طالباً فى ذلك الوقت وكانت الكتابة بأى شكل من أشكالها تستهوينى حتى أننى إذا لم أكن أكتب القصة كنت أكتب المقال.

فقد كنت أقدم بعض المسرحيات العالمية للقراء على طريقة د. طه حسين حين كان يقدم كل أسبوع نصاً مسرحيا فرنسياً فيحكى أحداثه فصلاً بفصل ويقدم كاتبه ومكانة هذا العمل فى سياق الإنتاج الأدبى لصاحبه، وقد قدمت أنا مسرحيات برنارد شو وهنتريك أبسن وأنطون تشيكوف الذين كانوا يعبرون عن المسرح الحديث فى ذلك الوقت، كذلك كنت أكتب ف الفن التشكيلى حيث كنت أزور المعارض وأكتب عنها ثم كنت أنشر كل ذلك فى المجلات الأدبية مثل «المجلة الجديدة» و«الحديث» و«الشباب» و«المعرفة» لصاحبها الأستاذ عبدالعزيز الأسلامبولى.

أسأل : وكيف وصلت إلى هذه المجالات التى كانت أهم المجلات الأدبية فى ذلك الوقت بينما أنت مازلت طالباً؟ فيقول الأستاذ : بقلمى وحده، فقد كنت أرسل مقالاتى بالبريد وفى يوم من الأيام أرسل لى رئيس تحرير «المجلة الجديدة» سلامة موسى يطلب مقابلتى فذهبت إليه وكانت بداية معرفة طويلة، وفيما يتعلق بمجلة «المعرفة» كنت أيضاً أرسل مقالاتى ثم أتابع أعداد المجلة فأجدها منشورة بها، ولم أكن فى البداية أعرف صاحبها ورئيس تحريرها، لكننا بعد ذلك بسنوات تعارفنا فى الفيشاوى وصرنا أصدقاء، وقد كان عبدالعزيز الاسلامبولى رحمه الله رجل أدب وثقافة وكان يكتب القصة القصيرة.

قلت : سمعت من نجل الأستاذ عبدالعزيز الاسلامبولى وهو عصام الاسلامبولى المحامى أنه يسعى لإحياء مجلة والده كمجلة أدبية ثقافية متميزة.

فتهلل وجه الأستاذ نجيب محفوظ هو يقول: أتمنى أن يوفق في ذلك فما أشد حاجتنا اليوم لمثل تلك المجلات الأدبية الجادة، لقد كانت «المعرفة» مجلة أدبية فلسفية وكانت تكتب بها أحسن الأقلام مثل الشيخ مصطفى عبدالرازق ومنصور فهمي كما تنشر أحاديثاً مع لطفي السيد وغيرهم، وأن هذا الدور التنويرى مطلوب الآن أكثر من أى وقت مضى»[1].

أول جائزة:

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ: هل تذكر أول جائزة حصلت عليها في حياتك؟

قال: بالطبع، لقد كانت جائزة السيدة قوت القلوب الدمرداشية، فقد كنت في بداية حياتي الأدبية ولا تتخيل كيف شجعتنى هذه الجائزة على مواصلة الطريق لأنها كانت أول مرة أحصل فيها على الشهادة من كبار النقاد في ذلك الوقت على صحة الطريق الذى أخترته لنفسي.

ولقد كانت قيمة الجائزة أربعين جنيها تم تقسيمها ما بيني وبين على أحمد باكثير، أنا عن رواية «رادوبيس» وهو عن «سلامة» التى تحولت إلى فيلم سينمائى بعد ذلك مثلته أم كلثوم، لكن العشرين جنيهاً التى حصلت عليها أحسست بها العباسية كلها، فقد أنفقت منها على احتفالات وسهرات كثيرة لأبناء الحى وكأن هذه الجنيهات العشرين لا تنتهي، وبعد ذلك في كل مرة كان أصدقائي يرونى مرتدياً حذاء جديداً مثلا كانوا يشيرون إليه ويقولون: «رادوبيس»!! أو إذا اشتريت ساندويتش جبن قالوا: «رادوبيس»!!

وأسأل: وهل قابلت السيدة قوت القلوب؟ فيقول: لا لقد عهدت صاحبة الجائزة بذلك إلى لجنة من أكبر الأسماء ضمت مثلاً د. طه حسين وأحمد أمين وغيرهما، وقد تسلمتها منهما لكنى رأيت أن أذهب بعد ذلك إلى منزل السيدة قوت القلوب لأترك عبارة شكر.

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1997/11/6.

ومن الأشياء التي لا يمكن أن أنساها أن اللجنة حين قررت منحي الجائزة طلبني أولاً الأستاذ أحمد أمين لسؤالي في شئ، وقد كنت في عملي بالأوقاف، وقالوا لي أن أحمد أمين يطلبك على التليفون فذهبت أرد عليه وأنا أرتجف، لكنه كان رقيقاً معي وقال لي : بما أنك قد كتبت رواية تاريخية ألم تدرس أولاً التاريخ المصرى القديم الذى تجرى فيه أحداث روايتك؟ فقلت بل درست علم المصريات جيداً، قال : إذن لماذا جعلت فرعون يركب سيارة تجرها الخيل؟ ألا تعلم أن الخيل لم تدخل مصر إلا مع الهكسوس بعد ذلك بعصور؟ قلت : بل أعرف لكنني أردت أن أحيط فرعون بأكثر درجة من الأبهة، ولقد طمأن أحمد أمين بقية أعضاء اللجنة من خلال هذا التحقيق السريع الذى أجراه معي إلى أنني فعلت ما فعلت ليس جهلاً بالتاريخ وإنما لضرورة فنية فمنحوني الجائزة»[1].

أدب ٥ يونيو!

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : يصادف اليوم الذكرى الثلاثون لحرب يونيو 67، كيف أثرت عليك هذه الحرب ككاتب؟

قال : لقد تحولت كتاباتي بالكامل بعد 5 يونيو وكتبت ما لم أكن أكتبه من قبل فمثلاً مدرسة العبث التى كنت أقرأها وأستمتع بها فى السابق أصبحت بعد ذلك هى الرؤية التى تقوم عليها رواياتي وأسلوب صياغتها هو الأسلوب الذى أتبعه، وقد كنت قبل ذلك حين أقرأها وأعجب بها أتصور أنها بعيدة تماماً عني أما بعد 5 يونيو فقد وجدت نفسي أكتب العبث بتلقائية وبإخلاص تماماً، مثلما كنت أكتب الواقعية فى رواياتي السابقة، وهكذا جاءت مجموعة «تحت المظلة» و«شهر العسل» و«خمارة القط الأسود».

كذلك وجدت نفسي لأول مرة أكتب المسرح فى مسرحيات الفصل الواحد الخمس التى نشرتها فى ذلك الوقت، ذلك أن الحوار كان هو سمة هذه الفترة حوار الإنسان مع ما يحيط به لمحاولة فهم ما يجرى من حوله وكيف جرى ما جرى، وحوار الإنسان مع نفسه يحاول الغوص فى أعماقه، علمه يجد فى بحثه عن نفسه يجد الحقيقة، لذلك كان المسرح هو الصيغة المثلى لهذا الحوار.

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1997/10/23.

ويمكن أن يقال أن البحث عن الحقيقة هو القيمة التى سرت فى كل ما كتبت بعد 5 يونية 67 سواء فى الكتابات الروائية أو فى المسرح.

وقد كنت أعلم طوال الوقت أن هناك شيئاً ناقصاً وأن ما أبحث عنه غير موجود والسؤال الذى أطرحه يظل بلا جواب إلى أن تكاملت مع نفسى وعادت إلىّ الروح مرة أخرى فى «ملحمة الحرافيش» التى كتبتها بعد نصر أكتوبر 73، لأن إذا كان يوم 5 يونيه 67 هو أسوأ يوم فى حياتى فإن 6 أكتوبر 73 هو أسعد يوم فى حياتى، وإنه من لطف الله إننى عرفت اليومين ولم أعرف اليوم الأول فقط كما حدث لمن رحلوا عن هذه الحياة قبل أكتوبر 1973.

قلت للأستاذ نجيب : إن كتاباتك الفلسفية التى كتبتها بعد 5 يونيو تعتبر من أجمل ما كتبت من أدب وهى فى رأى البعض تعلو على الروايات الأولى الواقعية»[1].

الأدب والصحافة :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : مارست الكتابة الأدبية طوال أكثر من نصف قرن من الزمان، كما مارست أيضاً الكتابة الصحفية، فما هى فى رأيك الاختلافات بين هذين النوعين من الكتابة؟

قال : الحقيقة أن الأدب فن يصوغ مادته بطريقة هدفها جمالى فى الأساس، مهما عالجت من مشاكل اجتماعية أو سياسية أو خلافة، فالمشاكل هنا تدخل فى إطار الفن، وتأتى بطريق غير مباشر، أما الصحافة فهى عملية كتابة عقلية لمتابعة المجتمع ومشكلاته فى جميع نواحيها، وأساسها هو العقل وليس الوجدان والخبرة، وليس الموهبة الفنية، والتشابه بين الأدب والصحافة هى فى خدمة الفكرة. أما فى الأدب فالكلمة هى غاية فى ذاتها بما تحمله من أحساس، وعلى الأديب أن يبذل جهداً فى تجميل وتحسين الكلمة، لأنها جزء من جمالية عمله الفنى فى حين قد يصبح تجميل الكلمة فى الخبر أو المقال الصحفى عائقاً فى سبيل وصول المعنى بشكل مباشر، لأن المطلوب من الصحافة هو السهولة واليسر وسرعة الايصال.

1 حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1997/6/5.

ويضيف الأستاذ : إن الصحفي الجيد هو الذى يمتاز بأسلوب بسيط سلس يفهمه عامة الناس بعكس ماكان عليه الحال في الماضي حين كانت الصحافة في بدايتها، وكان المقال هو الأساس، لذلك كان الأدباء هم الذين يتصدرون الكتابة في الصحافة، خاصة وأن هدفها كان محدداً وهو : إما تأييد الخديو مثلاً أو مهاجمة الاحتلال، فكان الكتاب يتبارون في مقالاتهم الوطنية بأسلوب يعتمد على الكثير من البلاغة، أما الآن فالصحفي يكتب في كل شئ من السياسة والاقتصاد إلى الثقافة والاجتماع، ومن الاحداث اليومية إلى الاستراتيجية الدولية، لذلك فالكلمة في الصحافة أصبحت في خدمة كل ذلك وليست هدفاً في حد ذاتها، والصحفي اليوم يختلف كثيراً عن المنفلوطي مثلاً الذى كانت مقالاته مقطوعات أدبية تحفظ عن ظهر قلب، ولقد كان هذا هو الحال حتى عهد قريب، فلقد دهشت ذات مرة حين قابلت بقهوة ريش مواطناً عراقياً كان يحفظ عن ظهر قلب المقالات السياسية للعقاد»[1].

أنا والصحافة :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : دخلت الصحافة كأديب وليس كصحفي، فحين طلبت للعمل «بالأهرام» طلبت ككاتب قصة، وظللت لسنوات طويلة لا أنشر في الصحافة إلا قصصي القصيرة، أو رواياتي المسلسلة، لذلك لم أفكر مثلاً في الانضمام لنقابة الصحفيين لأني لم أكن أستطيع أن أدعي أنني صحفي.

أما بداية كتابتي للمقالات الصحفية فكانت في سنوات السبعينات حين عين المرحوم يوسف السباعي رئيساً لتحرير «الأهرام» فقد صعد في يوم إلى الدور السادس الذى كان به توفيق الحكيم وصلاح طاهر ود. حسين فوزى ويوسف جوهر وزكي نجيب محمود ود. لويس عوض وأنا، وقال : يجب الاستفادة بوجودكم جميعاً في «الأهرام» فيكتب كل منكم مقالاً كاليوميات في أحد أيام الاسبوع، وكنت أنا متخصصاً في عملي ككاتب روائي فطلبت منه إعفائي لكنه ألح كثيراً، وصممت أنا على رأيي، وفي اليوم التالي مباشرة جاء الينا بجدول مكتوب محدد فيه اليوم الذى سينشر فيه مقال كل كاتب،

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/8/22.

وكان هناك مكان شاغر فقال لى : هل يعقل أن يكون هناك يوم، يكتب فيه صلاح طاهر وهو فنان تشكيلي وأنت صاحب قلم لا تكتب؟ قلت له : إنى على استعداد أن أنشر القصة كلما اكتملت عندى إحداها، لكنه قال : ستكتب مقالك يوم الإثنين ولا أريد مناقشة!

وأسقط فى يدى ولم أدر ماذا أفعل، ولقد تحدثت مع ثروت أباظة، وقلت له أننى لم أكتب مقالاً فى حياتى، فماذا أفعل؟ قال : لا عليك أنها مسألة هينة لا تقارن بتأليف القصص، وقد كنا نفعلها منذ أيام المدرسة، وبدأت بالفعل أكتب فى الأمور الاجتماعية والسياسية لكن لولعى بالسياسة جذبتنى الموضوعات السياسية أكثر من غيرها، لكن الغريب فى الموضوع هو أن يوسف السباعى الذى أرغمنى على الكتابة هو الذى أوقفنى عنها بعد ذلك بحوالى عام حين حدثت انتفاضة 18 و 19 يناير 1977 وبدأ يسمع انتقادات على كتاباتى من الرئيس السادات فصارحنى قائلاً : إن مقالاتك أصبحت تسبب لى مشاكل.. ولم أعد للكتابة الصحفية إلا بعد ذلك لسنوات حين تقرر إنشاء باب «وجهة نظر» للملاحظات التى قد تتراءى لصحفيى «الأهرام» فدعانى الزميل عباس مبروك الذى كان مشرفا على هذا الباب أن أكتب فيه يوماً فى الاسبوع، فأخترت الخميس وظللت أكتب مقالى لمدة حوالى عشرين عاماً إلى أن وقع لى الحادث فتحولت المقالات إلى حوارات بفضلك.

فقلت : بل بفضلك أنت يا أستاذ نجيب»[1].

الصحافة واللغة العربية :

«قال الأستاذ لقد غيرت الصحافة من أسلوب اللغة العربية بشكل لم يحدث من قبل، طبعاً المحافظون يقولون أن الصحافة أفسدت اللغة لكنى لست مع هذا الرأى، فبعد البلاغة والجرس والفخامة الزائدة على الحدود أصبحت اللغة سلسة ومركزة.

فقلت : لقد فعلت أنت يا أستاذ نجيب مثل ذلك فى اللغة الأدبية لرواياتك حيث نجد فارقاً كبيراً بين أسلوبك الأدبى وأسلوب من كانوا قبلك.

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/8/29.

فرد : أعتقد أن لغة الصحافة كان لها دخل في ذلك لأنها اللغة التي يقرأها الناس كل صباح، وقد أردت أن أقترب منها قدر الإمكان لأن اللغة يجب أن تساير العصر، لكن دون أن أترك اللغة الفصحى إلى اللغة العامية، كما كان يفعل البعض، فلقد كنت دائماً من أنصار الفصحى.

ثم يضيف : في بداية عهد الصحافة كانت صحافة مقالات وليست صحافة خبر وكان كبار كتاب الصحف هم الأدباء مثل : العقاد وتوفيق دياب وأحمد لطفي السيد، فالأدب كان هو المدرسة الأولى للصحافة منذ أيام المنفلوطي وسعد زغلول اللذين كان لكل منهما أسلوب أدبي أخاذ تتوقف عند عباراته وكأنك تقرأ مقطوعة أدبية، والسبب في ذلك أنه لم يكن هناك صحفيون بالمعنى العصرى ولم تكن الصحافة تجرى وراء الأخبار بقدر ما كانت طرفاً في القضية الوطنية، لذلك كان المقال هو أساس الجريدة وليس الخبر، وكنا نشترى الجريدة لنقرأ أحمد حافظ عوض والعقاد والمازنى باعتبارنا وفديين، وكانت الجبهة الأخرى من الأحرار الدستوريين تقرأ لمحمد حسين هيكل وطه حسين، لكن التطور الحديث جعل الصحافة جسماً مستقلاً عن الأدب ولغته فلم يعد هناك مجال للقول : «أنت تأق وأنا ماق فكيف نتفق؟» أى أنت شكاء وأنا بكاء فكيف نتفق؟ مثل هذه المقولات الجاهلية كانت تملأ الصحافة في البداية.

ولقد كان محمد التابعي يمثل النقلة الحقيقية حين أصدر صحافة جديدة تتحدث اللغة التي يتحدثها الناس في الشوارع والقهاوى ولا شأن لها بخناقات البحترى أو أبو تمام وكان أسلوب التابعي هو المدرسة التي خرج منها مصطفى وعلى أمين وإحسان عبدالقدوس ومحمد حسنين هيكل»[1].

تلاعب الإذاعة والتليفزيون :

«بادرنى الأستاذ نجيب محفوظ بالقول : أريد أن أتوجه برسالة إلى من يدافعون عن حقوق الإنسان إلى أن الكتاب في مصر ضاعت حقوقهم واتحاد الكتاب يكاد يتوقف بسبب قلة الموارد، ذلك أن أهم أزمة مادية تواجه الاتحاد الآن هي أن اتحاد الإذاعة والتليفزيون يقوم بخصم مبالغ متفق عليها من أجر المؤلفين لصالح اتحاد الكتاب، لكن

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/9/12

لايوصلها إلى الاتحاد، وقد استمر هذا لسنوات دون تدخل من أحد، وهذا وضع لا يليق بجهة حكومية رسمية يجب ألا يكون مثل هذا التلاعب جزءاً من أسلوبها فى التعامل مع الكتاب والمؤلفين.

ثم يضيف الأستاذ: إن الخطير في هذا الموضوع أن اتحاد الإذاعة والتليفزيون قد أعطى بذلك مثلاً لبعض دور النشر الخاصة التى أصبحت تستبقى هى الأخرى ما تخصمه من أجر المؤلفين، ولا ترسله إلى اتحاد الكتاب قائلة إنه إذا كانت أجهزة الحكومة نفسها تفعل ذلك، فكيف نكون ملكيين أكثر من الملك؟!

إن خصم حق اتحاد الكتاب من أجر المؤلفين من المنبع، إنما يتم وفق قانون رسمى أصدرته الحكومة، فهل يعقل أن يتلاعب جهاز حكومى كبير هو اتحاد الإذاعة والتليفزيون بهذا القانون ولا ينفذه؟! كيف نتوقع بعد ذلك أن تقوم بقية الجهات بتنفيذ هذا القانون أو أى قانون آخر.

ثم يقول: إن ذلك كله يأتى في وقت يجد اتحاد الكتاب فيه نفسه أشد ما يكون حاجة لموارده الطبيعية التى نص عليها القانون، فقد تزايد نشاط الاتحاد وتزايدت عضويته، لكن موارده قلت مما أصبح يتهدده ويمثل خطورة على أنشطته الأدبية والاجتماعية، لذلك فإننى أهيب بالمسئولين فى اتحاد الإذاعة والتليفزيون للتدخل فى تصحيح هذا الوضع الذى لا يليق بجهاز حكومى رسمى يكن له الكتاب والمؤلفون كل الاحترام والتقدير»[1].

يوسف وهبى:

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ: وصلنى خطاب من لواء شرطة فاروق محمد وهبة يقول فيه «إلى جانب أننى من عشاق أدب وشخص عملاق الرواية العربية نجيب محفوظ.. فأنا أيضاً من عشاق يوسف وهبى عميد المسرح العربى، ولعل مايؤلمنى حقاً هو أن هذا الرائد العظيم لم يأخذ حقه فى التكريم بعد وفاته.. إنى كلى أمل ورجاء أن يكون يوسف وهبى هو موضوع حواركم القادم مع أديبنا العظيم، ولا سيما

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1998/9/3.

أن موعد الذكرى الرابعة عشرة لرحيله تحل فى أكتوبر الحالي، ولعل هذا الحوار يكون جديلة زهر توضع على قبر المسرحي الراحل لتبدد بضوئها الباهر ظلام الجحود والنكران.

قال محفوظ : إن يوسف وهبى هو أحد اثنين وهبا حياتهما للمسرح المصرى فى وقت كان الاشتغال بالمسرح ماساً بصاحبه، وقد كان يوسف وهبي ابن باشا ونال إرثا كبيراً، لكن كل ماورثه أنفقه على المسرح، وقد كان المسرح موجوداً من قبله، لكن يوسف وهبى أنشأ مدرسة جديدة في ذلك الوقت، فقد تعلم في إيطاليا ونقل عنها مدرسة الإلقاء البلاغى على المسرح والتى لاقت استجابة كبيرة من الجمهور المصرى لأنها تقترب من فن الخطابة الذى تربينا عليه وتأثرنا به، ولقد سببت هذه المدرسة متاعب ليوسف وهبى مع بعض النقاد من بينهم محمد التابعى الذى تخصص فى الهجوم عليه، وعلى طريقته في الإلقاء والتمثيل.

وقد لا يذكر البعض أن بطلة مسرحيات يوسف وهبى كانت فى البداية هى فاطمة رشدى ثم استبدلها بأمينة رزق، فأنشأت فاطمة رشدى مسرحها الخاص وأصبح التنافس بينها وبين مسرح يوسف وهبى على أشده. لدرجة أنهما كانا فى بعض الأحيان يقدمان نفس المسرحية، وكان ذلك فى صالح الجمهور بالطبع، فقد كنا نحضر المسرحية عند يوسف وهبى، ثم نحضرها فى اليوم التالى مثلاً عند فاطمة رشدى، ونقارن بين كل منهما، وأذكر من ذلك مثلاً مسرحيات شكسبير مثل «هاملت» التى قامت فيها فاطمة رشدى بدور هاملت نفسه، أو «أنطونيو وكليوباترا» التى قامت فيها بدور أنطونيو بالإضافة لمسرحيات أخرى كثيرة، فأين نحن الآن من ذلك الثراء المسرحي الذى يقدم لنا في نفس الموسم عرضين لرائعة من روائع المسرح العالمى بواسطة أكبر ممثلى العصر؟ إن التنافس الوحيد الذى أراه الآن هو ذلك الذى بين الأهلى والزمالك.

وللحديث بقية»[1].

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/10/24.

مدينة رمسيس :

«ويقول نجيب محفوظ : لقد استطاع يوسف وهبى فى مسرحه أن يجمع كل طبقات الشعب من البسطاء الذين كانوا يجلسون أعلى التياترو إلى الوزراء ووكلاء الوزارات من البكوات والباشوات وكان يستطيع أن يجمعهم جميعاً «فى صفقة واحدة» بأدائه العظيم فى «كرسى الاعتراف» مثلاً أو فى «راسبوتين».

على أن من أعظم إنجازات يوسف وهبى فى رأيى هو مشروعه الثقافى الكبير والذى لم يتكرر فى مصر حتى هذه اللحظة التى أكلمك فيها، وذلك هو مدينة الفنون التى أنشأها باسم «مدينة رمسيس» والتى كانت تقع مكان ميدان سفنكس الحالى بالمهندسين، فقد كانت مدينة رمسيس مدينة فنية متكاملة بها كل ما يخطر على بالك من العروض المسرحية إلى السينمات الصيفية إلى سرادقات الموسيقى والطرب إلى «اللونابارك» إلى المطاعم والقهاوى، وكانت المدينة لا تقدم إلا أفضل العروض، ففى المسرح كانت مسرحيات يوسف وهبى الكوميدية وهنا أريد أن أؤكد أن يوسف وهبى كان ممثلاً كوميدياً بارعاً لدرجة أن بعض الناس كانوا يعتبرونه ممثلاً كوميدياً فى الأساس وكانوا يقولون إنه أكبر منافس لنجيب الريحانى، وفى السينما كانت تقدم أحدث الأفلام المصرية والأجنبية وفى الطرب كانت هناك منيرة المهدية ومحمد العربى، كما كانت هناك أفضل المطاعم بشتى أنواعها من الحاتى إلى السندويتشات الخفيفة بالاضافة للمقاهى التى لاتقدم إلا المشروبات.

وكانت تكاليف المدينة باهظة لكن رسم الدخول لم يكن يزيد على قرش صاغ أو «ثلاثة تعريفة» بالإضافة لتذاكر العروض التى كانت فى حدود قرشين وكانت تلك تعتبر أجوراً رمزية حتى فى ذلك الوقت رغم التنوع والجمال والفخامة التى كانت تميز المكان، ولقد استمرت «مدينة رمسيس» لسنوات طويلة، وكنت أذهب إليها كل صيف يوماً بعد يوم طوال فترة دراستى بالجامعة من سنة 30 إلى 34، ثم بعد تخرجى لسنة أو اثنتين أيضاً، وكانت فى ذلك الوقت هى مصيف أهل القاهرة ومفرج الكرب عنهم، فما أحوجنا اليوم لمثل هذا المشروع لإحياء الثقافة والفنون وانتشالها من كبوتها الحالية؟!»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، 1996/10/31.

تقاليد المسرح :

«وينهى الأستاذ نجيب محفوظ حديثه عن عميد المسرح العربى يوسف وهبى قائلاً : ومن الأشياء التى يجب أن نذكرها أيضاً ليوسف وهبى أنه أعطى للمسرح احترامه فى وقت كانت الفنون لاتتسم بالانضباط، ولا تلقى كثيراً من الاحترام بالمجتمع، لكن يوسف وهبى استطاع أن يجعل المسرح محراباً مقدساً للثقافة بما أضفاه عليه من التزام وتقدير، فعلى سبيل المثال إذا أعلن عن رفع الستار فى الساعة التاسعة مثلاً، فلم يكن من الممكن أن يدخل أحد المسرح بعد هذا الوقت مهما علا شأنه، وفى ذات المرات تأخر بعض الحضور فكانوا يجلسون فى الخارج إلى أن تجيئ الاستراحة فيدخلون الصالة، انظر اليوم إلى الجمهور الذى يظل يدخل الصالة طوال فترة تقديم العرض، ففى أى وقت يحضر الجمهور، الحق فى أن يزعج بقية المتفرجين ليصل إلى أماكنه، هذا لم يكن ممكناً على الإطلاق فى مسرح يوسف وهبى قبل أكثر من نصف قرن من الزمان، ويسرح الأستاذ قليلاً ثم يقول : لقد كنت ذات مرة بالمسرح وكان بعض الشباب «يقزقزون» اللب أثناء أحد العروض، وإذا بيوسف وهبى يوقف العرض ويتوجه لهم بالكلام قائلاً أن من يريد إن «يقزقز» أو يأكل أو يشرب فإن مكان ذلك هو البوفيه وليس صالة العرض، فالمسرح مدرسة وفى المدرسة لا يسمح بالأكل والشرب فى الفصل، فهل تصدق أن الجمهور صفق له على هذه اللفتة تماماً كما كان يصفق له على تمثيله؟ حاول اليوم أن استطعت إن تقول ذلك للجمهور : إننى أسمع أنهم فى بعض دور المسرح يتناولون الكباب والكفتة ويشربون العصير أثناء العرض!!

أيضاً لم نعرف فى مسرح يوسف وهبى مسألة الخروج على النص هذه، لقد كنا نحضر العرض مرة ومرتين ولانجد أن ممثلاً قد أضاف فاصلاً من النكات أو القافية، المسرح الوحيد الذى كان به شئ من الارتجال كان مسرح على الكسار لأن ذلك مقبول فى الكوميديا التى لايستند إلى نص أدبى، ومع ذلك فقد كانت الإضافة لا تتعدى كلمة هنا أو هناك، أما فى مسرح يوسف وهبى فهذا لم يحدث قط، ولا حتى فى مسرحياته الكوميدية، لقد كان مسرح رمسيس محراباً فنيا ذا جلال ابتداء مما يقدم على خشبته، وحتى سلوكيات الجمهور فى الصالة»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/11/1.

السينما :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : يحتفل مهرجان القاهرة الدولى للسينما بعيد ميلادك الـ 85 فى دورته الجديدة وأرى فى ذلك تكريماً لك من السينما المصرية التى لم تقترن بكاتب فى تاريخها قدر ما اقترنت بك وبأعمالك، فما هى علاقتك بالسينما ؟

قال : إن علاقتى بالسينما علاقة قديمة تعود إلى أواسط الاربعينيات حين طلب إلىّ صديقى صلاح أبوسيف أن أتعاون معه بكتابة سيناريو عن عنتر وعبلة، وكان ذلك هو مدخلى إلى السينما فقد كتبت عدداً كبيراً من السناريوهات بعد ذلك بالاضافة لرواياتى التى حولتها السينما إلى أفلام بواسطة كتاب سيناريو آخرين، وقد لايعلم البعض أننى مابين عامى 52 و 57 توقفت تماماً عن الكتابة الروائية وتصورت أننى سأتحول إلى كاتب سيناريو وسجلت بالفعل فى النقابة ككاتب سناريو، لكن فجأة عاد بى الحنين إلى الأدب وتركت السينما.

قلت : هناك من الكتاب من ينظرون للسينما باعتبارها فنا للعامة والبسطاء بينما الأدب هو فن الصفوة المتعلمة والمثقفة فكيف تنظر أنت للسينما ؟.

قال : كنت دائماً أنظر للسينما كوسيلة فعالة فى الوصول إلى قطاعات من الجماهير لم أكن سأصل إليها بالأدب، ومادام هناك الكتاب الذى يمكن أن يقرأه متذوقو الأدب فلا ضرر من أن تصل روايتى إلى جمهور لم يكن سيقرأ الكتاب على أية حال، فإذا كانت الرواية جمهورها بالآلاف، فإن السينما جمهورها بالملايين بالإضافة إلى أن الجزاء المادى فى السينما أضعاف ما يحصل عليه المؤلف الروائى.

ثم يضيف : فى الحقيقة أننى تربطنى بالسينما علاقة محبة، فقد أكرمتنى السينما كثيراً وكنت فى معظم الأحيان راضياً عن المعالجات السينمائية لرواياتى لأننى كنت أنظر إليها قياساً على جمهور السينما وليس على قارئ الرواية، كما أننى تشرفت بمعرفة عدد كبير من المخرجين العظام والممثلين الكبار الذين جسدوا شخصيات رواياتى، والذين أكن لهم حتى الآن كل مودة وتقدير»[1].

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/11/26

سينما بيت القاضي :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : سعدت بأن سمعت أخيراً أنه في العام الماضي وحده أقيمت في مصر ٥٠ دار عرض جديدة، وقد ذكرني هذا بسينما «بيت القاضي» التي كانت تقع بجوار بيتنا، وأعتقد أنها كانت أول دار سينما في مصر فقد كان ذلك في أوائل القرن الماضي، وكنت أذهب إليها في الأعياد، وكان موقعها في مقطع من الكلوب المصري في خان جعفر، وحين انتقلنا إلى الإقامة في العباسية، بعد ذلك بسنوات كنت أخذ أصدقائي لأريهم المنطقة التي جئت منها، وكنا في بعض الأحيان نجد السينما مغلقة وصاحبها يجلس في الكلوب، فكنا نطلب منه أن يفتحها لنا فكان يجئ بالمفاتيح ويفتح لنا السينما لكي نشاهد فيلم شارلي شابلن ونعطيه ما فيه القسمة، أي أنها كانت سينما بالطلب، وبعد ذلك كانت هناك دور سينما أخرى قد فتحت أبوابها مثل سينما أوليمبيا وسينما إديال، وكانت دوراً حديثة بالمقارنة بسينما بيت القاضي العتيقة.

ويسرح الأستاذ قليلاً، ثم يعود فيقول : لقد أحببت السينما حباً كبيراً وأنا طفل حتى كانوا يخرجونني منها بالقوة، لأني في بعض الأحيان كنت أقيم فيها، وذلك برغم أن صاحب سينما بيت القاضي لم يكن لديه سوى فيلمين فقط يعرضهما لكل من يرغب، وكنت أشاهد الأفلام نفسها كل مرة أحدهما لشارلي شابلن والثاني لفانتوم وهو بطل مثل ماشيست لكنهما كانا يلهبان خيالي، فقد كنت طفلاً في الخامسة من عمري، وأذكر أنني لكي أذهب إلى السينما كانت تصحبني من بيتنا سيدة كانت تعمل عندنا، وكانت ما أن تدخل السينما حتى تغط في نوم عميق وكنت أنا أتفرغ لمشاهدة الأفلام»[1] .

.. وسينما أولمبيا :

«ويواصل الأستاذ حديثه عن السينما فيقول : لقد انتقلت في الصبا من سينما بيت القاضي التي كانت تقع إلى جوار بيتنا القديم، إلى سينمات أخرى أكثر حداثة مثل سينما أولمبيا وسينما إديال، فقد كانت كل منهما تعرض أفلاما جديدة بدلاً من الفيلمين اليتيمين اللذين كان يملكهما صاحب سينما بيت القاضي، ولم يكن يعرض غيرهما.

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2001/4/12.

ولقد وصل عشقي للسينما إلى درجة أني أشتريت سينما صغيرة كانت عبارة عن علبة صغيرة بها منظار ومكان توضع فيه شمعة داخل العلبة، وكنا نغلق علينا الغرفة ونطفئ الأنوار ونشاهد الصور أمامنا على الحائط، أما الأفلام فكنت أشتريها من محل أمام سينما أولمبيا، وكانت تلك أول جامعة بالنسبة لي فتحت ذهني على جميع المعارف في الأدب والفنون، ومازلت أذكر مشهد المحل وصاحبه الجالس فيه الذي كان يبيع هذه الأفلام كما تباع الكتب.

وبعد لحظة صمت يقول الأستاذ: لم يعد هناك شئ من هذا الآن، فحين أقارن هذه الأفلام البدائية بأفلام الفيديو الآن أو ما يعرف باسم CD Rom أجد فرقاً هائلاً، فقد كانت السينما التي كنت أملكها بسيطة في كل شئ، لكنها كانت مبهرة بالنسبة لي في صباي، وكان من الأفلام التي مازلت أذكر أنني أشتريتها فيلم «مسكو» الكوميدي الذي يذكره أبناء جيلي جيداً»[1].

مصر في مهرجان كان:

«اهتم الأستاذ نجيب محفوظ بمشاهداتي في مهرجان كان السينمائي الأخير بفرنسا وقال لي إن ذلك يذكره ببداية اشتراك مصر في هذا المهرجان الدولي الكبير وقال: لقد كنت في الخمسينيات أعمل بمؤسسة دعم السينما وكان ذلك في عهد عباس رضوان وزير الثقافة الأسبق، وقد كانت هناك بالوزارة ميزانية مخصصة لاشتراك مصر في ثلاثة مهرجانات سينمائية دولية كل سنة، لكن الدكتور حسين فوزي - وقد كان آنذاك وكيلاً للوزارة - لم يكن يقدر السينما في مصر وكان يعتقد أن مستواها الفني قد لا يرقى للمشاركة في المهرجانات الدولية، لذلك أراد أن يحول هذه الميزانية إلى غرض آخر، وكنت أنا من أنصار المشاركة في المهرجانات لذلك ذهبت مع الكاتب الكبير يحيى حقي لنحاول إقناع الدكتور حسين فوزي بجدوى المشاركة وكان أول ما سأله لنا الدكتور فوزي هو: هل تعتقدان حقاً أن من الأفلام المصرية ما يمكن أن يحصل على جائزة في أي مهرجان دولي؟ فقلت له: إن الغرض من المشاركة ليس الفوز بالجائزة وإنما هناك مزايا

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2001/4/19.

أخرى كثيرة يمكن أن تفيد السينما المصرية والعاملين فيها من جراء الاختلاط بالمجتمع السينمائي الدولي، ومن خلال إطلاعهم على أحدث الاتجاهات السينمائية في العالم وأيضاً من خلال تعرف المجتمع الدولي على الإنتاج السينمائي في مصر والذي قد يلقى استحساناً في بعض جوانبه.

وبعد مناقشة مستفيضة وافق الدكتور حسين فوزى على مضض وشاركت مصر بالفعل في مهرجان «كان» بفيلم صلاح أبوسيف الشهير «شباب امرأة» الذي شاركت في كتابة السيناريو له، وقد لفت الفيلم أنظار النقاد هناك والجمهور وكانت تحية كاريوكا موفقة تماما في ارتدائها للملاية اللف حيث إنها تظهر في الفيلم بهذا الزى، فقد تميزت وسط استعراض الأزياء الذي عادة ما تظهر به ممثلات السينما في هذا المهرجان»[1].

حديث السينما :

«قال الأستاذ نجيب محفوظ مازال فيلم «ريا وسكينة» وفيلم «فتوات الحسينية» أقرب السيناريوهات السينمائية التي كتبتها إلى قلبي، ففيهما دقة وتركيب وتشويق وقد بذلت فيهما مجهوداً كبيراً، وقد كان مخرج كل منهما مشجعاً لي في كتابتهما صلاح أبوسيف في «رية وسكينة» ونيازى مصطفى في «فتوات الحسينية»، ولغرابة الموضوع في كل منهما فإن أحداً لم يتدخل في كتابته معي بالتعديل أو التبديل، لا المخرج ولا المنتج ولا أحد من الأبطال، ولو كان أحد هذه الأفلام قصة حب مثلاً لما خلصت من تدخلات العاملين به لتعديل بعض المشاهد والعبث بما كتبته، لكن الفيلمين كانا يمثلان موضوعين جديدين تماماً على السينما المصرية خاصة «رية وسكينة» الذي مازال يمثل نقطة مهمة في تاريخنا السينمائي.

وسألت الأستاذ : وكيف كنت تراقب أفلامك وأنت في منصب الرقيب ؟

قال بسرعة : لم أكن أراقبها قط فقد عقدت اتفاقاً مع مسئول رقابة الأفلام وهي إحدى إدارات الرقابة على المصنفات الفنية التي كنت أرأسها، على أن يقوم بمراقبة أفلامي

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2001/5/24.

بحرية كاملة دون أن يرجع إلى فى شئ، وأذكر أننى قلت لمدير هذه الإدارة أن له مطلق الحرية فى الحذف أو حتى الإضافة إذا شاء دون أن يخطرنى بشئ، وحسبما أذكر لم تكن لى أفلام كثيرة معروضة على الرقابة فى ذلك الوقت.

قلت : وكيف ترى السينما العربية بشكل عام؟

قال : بها نماذج فنية رائعة حقاً، سواء فى الاخراج أو السيناريو أو غيرهما، لكن السينما العربية بشكل عام سينما عادية وليس بها عنصر غير عادى إلا التمثيل الذى يتفوق فى معظم الأحيان على الجوانب الأخرى»[1].

التنمية الثقافية :

«ويواصل الأستاذ حديثه عن التنمية فيقول : والتنمية لا تكتمل إلا بالتنمية الثقافية لأنها هى أساس بناء الفرد والمجتمع من الناحية العقلية والروحية وهذا جانب يجب عدم إغفاله فى أية خطة تنموية، والتنمية الثقافية تتميز بأنها يجب أن تبدأ من المدرسة وقبل ذلك من البيت نفسه، والتربية الثقافية اليوم ليست مقصورة على الكتاب وحده وإنما امتدت لتشمل ما يعرف باسم الوسائل السمعية والبصرية audio visual وهو ما تستخدمه الآن كل المدارس فى العالم، بل وبعض المراكز الثقافية الاجنبية عندنا أيضاً.

وفى إطار ذلك تدخل الأفلام التسجيلية مثلاً والتى من خلالها يمكن إعطاء الشباب تصوراً خطيراً جداً عن تطور العالم من خلال الأفلام التى تقدم تاريخ تطور الحضارة مثلاً أو مختلف العلوم أو العلاقات بين الامم، تلك هى الثقافة التى يجب أن تكون بالمدارس فهى يجب أن تكون شاملة الأدب والفن والعلم وتعتمد على الكلمة وعلى الصورة فى آن واحد.

بعد المدرسة يأتى التليفزيون الذى يعتبر صاحب دور خطير للغاية فى بناء الانسان فهو إما أن يقوم بتسطيح تفكير الناس أو بتنويرهم وأنا لا أتصور أن تكون هناك خطة لتنمية ثقافية لا يكون التليفزيون طرفاً أساسياً فيها، فهو جهاز الاتصال الذى يتخطى جميع الحواجز بما فى ذلك حاجز الأمية نفسه، والحواجز الفئوية أو الطبقية وكذلك الحواجز السنية، ولقد آن الآوان أن تخصص قناة ثقافية فى التليفزيون لأنه هو المسئول الأول فى المجتمع عن التنمية الثقافية»[2].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2001/11/15.

2- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1996/12/19.

ثورة الاتصالات :

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ : ماذا يمكن أن يكون تأثير ثورة الاتصالات على الخصائص الثقافية لمجتمعنا ، وماذا يمكن أن يحدثه «الدش» أو «الإنترنت» على نفسية شبابنا وعلى التقاليد التى توارثوها ؟

فقال : بسبب ثورة الاتصالات الجديدة لم تعد هناك حواجز ولم تعد هناك رقابة ولم تعد هناك ممنوعات ، فكيف يمكن فى بعض مجتمعات العالم الثالث التى تفرض رقابة على الصحافة مثلاً أن تمنع شيئاً فى الصحف إذا كان الجمهور سيطلع عليه فى التليفزيون من خلال «الدش» ؟ ، فإذا كان كل شئ جائز ومتاح فلاشك أننا سنصطدم باشياء كثيرة تخالف تقاليدنا وتخالف أيضاً ثقافتنا المتوارثة وعقائدنا فماذا نفعل ؟ هل نفكر فى تكنولوجية المنع ؟

إن هذا تفكير عقيم بالإضافة إلى أن المجتمعات المتقدمة قد عجزت عن تحقيقه ، إن سياسة المنع خارجة عن العصر وهى فى الحقيقة سياسة مضحكة .

إن الحل فى رأيى هو تحصين أبنائنا وتقويتهم حتى لاتحطمهم تلك الغزوة الثقافية الآتية إلينا لا محال كالشلال الهادر ، وهذا لايتأتى إلى بإحداث ثورة تعليم تناسب عصر المعلومات ، يجب أن تكون فلسفة التعليم هى تدريب الطالب على إعمال عقله وليس تحفيظه بعض المعلومات التى يعيدها آلياً مرة أخرى فى نهاية العام ، ويترك المدرسة بعد ذلك كما دخلها ،إن التفكير أو إعمال العقل هو ما يميز الانسان عن سائر المخلوقات ، وأخشى أن بعض نظم التعليم فى الدول النامية لاتدرك أن رسالتها الحقيقية هى تعليم الطالب كيف يفكر وكيف يصل إلى آراء ونتائج قد تختلف عما يقدمه المقرر ، لو أن طالباً فعل ذلك فى الخارج لحصل على الدرجة النهائية ، ولكن لو فعله عندنا لرسب على الفور لأنه لم يكرر ما سبق أن لقنوه له على مدى العام الدراسى .

إذا نجحنا فى تربية أبنائنا بهذه الطريقة فإننا لن نخشى بعد ذلك مما قد يسمعونه أو يرونه لأن كلاً منهم سيكون مسلحاً بأقوى سلاح على وجه الأرض وهو العقل الرشيد»[1] .

1. حوارات نجيب محفوظ ، الأهرام ، 1997/3/13 .

العولمة الثقافية:

«العولمة الثقافية.. كان هذا هو الموضوع الوحيد الذى جاء به الصحفى العربى الزائر إلى الأستاذ نجيب محفوظ فهناك من هم مع العولمة باعتبار أنها يمكن أن تنعش الثقافة، وهناك من يخافون أن تقضى على ثقافات العالم كله لمصلحة ثقافة واحدة فقط، فأين يقف أديب العرب الأكبر من ذلك كله؟

قال الأستاذ: إن ماتقصده بالعولمة هو الذى يحدد الإجابة على سؤالك، فإذا كنت تقصد سيادة النموذج الثقافى الأمريكى وحده على العالم، فذلك ليس من العولمة فى شئ وإنما هو الهيمنة، وهذا ليس بجديد لكنه سمة القوى الكبرى حين تستعمر الدول الأخرى، فهى فى هذه الحالة تفرض ثقافتها على الثقافة المحلية، وربما كان أول مثال على ذلك هو سيادة لغة المستعمر على اللغة الوطنية، ذلك هو ماحدث مع الفرنسيين فى الجزائر ومع الإنجليز فى الهند.

أما العولمة الثقافية الحقيقية فينبغى أن تكون العكس من ذلك تماماً، إنها الانفتاح على مختلف الثقافات فى العالم، بحيث يتعرف المواطن الأمريكى على الثقافات العربية بقدر مايتعرف العربى على الثقافة الأمريكية، وبهذا المعنى يمكن أن تمثل العولمة إثراء للثقافة فى العالم وليس إضعافاً لها، أما سيادة النموذج الأمريكى وحده فى جميع أنحاء العالم فذلك ينتمى إلى عالم السياسة وليس الثقافة، لأنه هيمنة وليس عولمة»[1].

الموسيقى والفن التشكيلى:

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ: وصلنى خطاب من نيويورك من الأستاذ ماهر البطوطى المترجم بالأمم المتحدة يطلب معرفة «المقطوعات الموسيقية الكلاسيكية التى أحبها أستاذنا الكبير وأثرت فيه، وكذلك اللوحات التى أعجب بها، وذلك لبحث أقوم بإعداده عن ارتباط الفنانين الكبار بمثل تلك الأعمال».

فقال: لقد كان لبتهوفن بشكل خاص مكانة خاصة لدى وخاصة سمفونيته الكوراليه رقم 9، كما أنى من هواة سوناتا «فى ضوء القمر» التى كنت أسمعها فى منزل

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2003/3/6.

مدحت عاصم حين كان يعزفها بنفسه على البيانو ، كما أحب السمفونية رقم 3 التى أهداها لذكرى نابليون وفيما يتعلق بالموسيقى العربية فقد نشأت على الموسيقى الكلاسيكية منها وأول ماسمعت من الموسيقى المصرية كانت فى الاسطوانات التى كانت لدينا مثل أعمال إبراهيم عثمان وعبده الحامولي ومازلت أذكر على سبيل المثال أغنية «قدك أمير الأغصان» و«بستان جمالك من حسنه» و«كلنى الهوى وصبحت عليل» و«ياما أنت واحشنى» و«أمانة يارايح يمه تبوسلى الحلو من فمه» ، للحامولي و«حلالى بلالى وفانى الحبيب» لعبد الحى حلمي والتى دخل بها فى مناظرة مع اليهود فأخذوا يردون عليه فى أغان أخرى أعتقد أنها كانت لزكى مراد والد الفنانة ليلى مراد وبعد ذلك جاءت أغانى سيد درويش وأم كلثوم وعبدالوهاب وكنت أعشقها جميعاً .

أما من حيث الفن التشكيلى فأذكر لوحة معينة لفان جوخ أعتقد أن اسمها «ساعة الراحة» وكانت تمثل فناء سجن كبير والمسجونون يدورون فيه فى طابور وقت راحتهم ، وقد تأثرت بهذه اللوحة بشكل خاص ، والحقيقة أن كل روائع الفن التشكيلى العالمى من أيام الأغريق وحتى العصر الحديث كانت عندى على شكل كروت فى مجلدات تحمل عنوان Outline of the Art of the World وكنت كثيراً ما أفتح أية صفحة من الكتاب الضخم لأتأمل إحدى صوره سواء كانت من عصر النهضة أو من العصر الحديث وأتذكر الكثير من لوحات بيكاسو مثلاً .

وأذكر أنه كان هناك معرض سنوى للفن التشكيلى المصرى كنت أداوم عليه وكان يقام فى شارع إبراهيم باشا ويشترك فيه جميع فنانينا فى ذلك الوقت ولقد تعرفت من خلاله على أعمال محمود سعيد ومحمد ناجى وراغب عياد ومازالت صورهم ناضرة فى مخيلتى حتى الآن وأتذكر جيداً لوحة «سيدات الأسكندرية» لسعيد و«العودة» لراغب عياد واللوحات الحبشية لناجى ، وقد كان من بين هؤلاء جديد كان مازال صغير السن هو صلاح طاهر كان يرسم البورتريه الواقعى»[1] .

1ـ حوارات نجيب محفوظ ، الأهرام ، 1997/3/13 .

الأدب والفن التشكيلي :

« ... ويواصل الأستاذ نجيب محفوظ حديثه عن الفن التشكيلي فيقول : بعد تعرفي على فن محمود سعيد بدأت أهتم بالفن التشكيلي، فاشتريت كتاباً مازال عندي اسمه Outline of Art يقدم تاريخ الفن في العالم بشكل ممتع وجذاب من أيام الفراعنة وحتى بيكاسو وأذكر أنني كنت كل يوم «أتصبح» بصورة من الكتاب أبدأ بها يومي، فبعد أن أرتدي ملابسي وقبل أن أنزل إلى عملي كنت أفتح صفحة جديدة من الكتاب على لوحة جديدة تكون هي لوحتي في ذلك اليوم. ففي يوم تكون لوحة «الطاحونة الحمراء» لتولوز لوتريك، وفي يوم تكون «حاملات القرابين» من معبد حتشبسوت، وفي يوم «زهور عباد الشمس» لفان جوخ.. وهكذا.

كذلك كانت لي علاقات شخصية بمجموعة التلمساني الذي كان صديقاً حميماً لي، وكنت أتابع رسومه السيريالية هو ورمسيس يونان وفؤاد كامل، وكانت لهم مجلة ممتعة وقد نشرت فيها ذات مرة، وكان التلمساني يمتاز بسعة الثقافة وكانت له مكتبة أديب، وقد توطدت علاقتي به بعد ذلك، حين بدأت أكتب للسينما، وكان صلاح أبو سيف هو صديقنا المشترك.

وكما حرصت على دراسة الفن التشكيلي ومتابعة حركته في مصر وفي الخارج، فقد فعلت نفس الشئ مع الموسيقى، وكان دليلي في البداية هو كتاب يحمل اسم Music through the Ages الذي كنت أقرأ فيه عن أكبر المؤلفات السيمفونية ثم أستمع إلى كل منها في برنامج د. حسين فوزي الشهير بالاذاعة.

والحقيقة أن تعرفي على الفن التشكيلي علاوة على قيمته الإنسانية في حد ذاته، إلا أنه كان يمثل أيضاً إثراء لي كأديب، لأن الفنون جميعها متصلة، وهناك ما يربط الرواية بالموسيقى، وما يربط الشعر بالفن التشكيلي..»[1].

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2000/4/27.

الاستنساخ :

«وتحدث الأستاذ نجيب محفوظ عن ظاهرة الاستنساخ فقال : في الحقيقة أنني ضد من يعارضون الاستنساخ ليس في مصر وحدها وإنما في الدول المتقدمة نفسها، فالعلم لا يعامل أبداً بهذه الطريقة، ولا يجب أبداً أن نخشى من بعض النتائج السيئة لأى اكتشاف علمي وإنما واجبنا أن نترك للعلماء الحرية الكاملة أن يعملوا ويكتشفوا وهذا لا يخيف في شئ، وإذا كانت مثل هذه التجارب جائزة في المحاصيل والنباتات التى خلقها الله فلماذا لا تكون جائزة في الحيوان أيضاً وفى الانسان، فقد تكون نتيجة ذلك ليس فقط أن نستنسخ مخلوقاً يحمل نفس صفات مخلوق آخر وإنما قد يكون خالياً أيضاً من عيوبه وهذا تقدم علمي لا ينبغي الحجر عليه فليس فيه شئ ضد الدين على الإطلاق.

فقلت : إن من يعارضون ذلك يقولون إن الخلق من صفات الله وحده..

فقال الأستاذ : والعدل أيضاً من الصفات الالهية والرحمة والكرم، فهل يعنى هذا ألا يكون الانسان عادلاً أو رحمياً أو كريماً؟! إن هذه الصفات عند الله شئ وعند الإنسان هى شئ آخر.

ويضيف : ثم أن المسألة ليس فيها خلق ولا يحزنون، فهي عبارة عن تلقيح بويضة مفرغة من خصائصها الوراثية بخلية بشرية تحمل صفات إنسان معين، ثم يتم وضع هذه البويضة في رحم امرأة إلى أن تتحول إلى جنين بالطريقة المعتادة، فالعملية إذن هى أقرب للتلقيح الصناعى الذى يمارس الآن فى كل العالم وليس فيها خلق على الإطلاق، إنها فى الحقيقة محاولة للتحكم فى الصفات الوراثية للجنين من أجل الحصول على ذرية أفضل – تماماً كما يحدث فى عمليات التهجين المعتادة ولكن بطريقة أكثر تقدماً.

إنى لا أرى فى ذلك شيئاً ضد الدين لأن من يقوم بالاستنساخ هو مخلوق من الله، وفى علم الله سبحانه أن الانسان يستطيع أن يقوم باستنساخ إنسان، وقد خلقه الله على هذا الأساس، إذن فاستنساخ الإنسان ليس ضد الإرادة الالهية ولا هو تحد لها»[1].

---

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1997/4/3.

الاستنساخ والناموس :

«ويواصل الأستاذ نجيب محفوظ حديثه عن الاستنساخ فيقول : إننى لا أقول إن الاستنساخ خير أو شر ، كل ما أقوله هو أنه تجربة علمية جديدة ويجب ألا نقف أمامها لأن الوقوف فى طريق البحث العلمى خطيئة ، والتاريخ شاهد على ذلك ، ففى كل مرة تصدى فيها الانسان للاكتشافات الجديدة كان مخطئا من جاليليو إلى الآن .

قلت : قد يكون سبب التخوف من التجربة هو إساءة استخدام هذا الاكتشاف .

فقال : إن الخوف من مضار التقدم هو مسألة أخلاقية وليست علمية ، فالذى جعل الذرة وسيلة لإبادة مئات الآف فى هيروشيما وناجازاكى هو الاخلاق وليس العلم ، لأن الذرة لها فائدة كبيرة فى العلم والطب والزراعة ، ويجب ألاَّ نوقف سير الحقيقة بسبب انحرافات فى أخلاق الانسان وإنما علينا أن نهذب الإنسان .

ثم إن الاستنساخ ليس مجرد مسألة خلايا أى أنك إذا استنسخت انساناً من خلايا هتلر فإنه لن يتسبب فى حرب عالمية قادمة كما فعل هتلر لأن هناك أيضاً البيئة ، فلنفرض أن هناك هتلر جديداً نشأ فى ألمانيا اليوم وبه كل صفات هتلر القديم فماذا سيفعل؟ ربما أصبح فنانا يعبر من خلال الفرشاة والألوان عن عالمه الجديد الذى يسعى لتحقيقه ، وبدلاً من أن يحطم العالم قد يحطم الواقعية ، إن الإنسان فى الحقيقة ابن البيئة وليس فقط ابن الخلايا ، وهتلر لم يكن مجرد خلايا وطباع وإنما هو فى الأساس ابن معاهدة فرساى وابن المانيا المذلولة التى كان يجب أن تثور وتتمرد .

قلت : يقال أن العبث بطريقة تكوين الإنسان هو ضد ناموس الحياة كما خلقه الرب .

قال : وأخذ شريان من رجل انسان ووضعه فى قلبه هو ايضاً ضد الناموس وزرع كبد حيوان فى جسم إنسان هو ايضاً ضد الناموس والطيران فوق السحب هو أيضاً ضد الناموس والغوص فى أعماق البحار هو أيضاً ضد الناموس .

إن الله قد خلق للإنسان عقلاً ومكنه من أن يفعل كل ذلك خدمة للبشرية والتقدم فيجب ألا نعترض ذلك»[1] .

1- حوارات نجيب محفوظ ، الأهرام ، 1997/4/10 .

الاستنساخ :

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ : نشرت الصحف الدولية أن أول طفل مستنسخ ستتم ولادته فى مطلع العام المقبل، فما رأيك فى هذا الموضوع؟

قال : إنه بلاشك خبر مثير ، فلا نهاية لفتوحات العلم، وأنا مع ترك الحرية كاملة للتجارب العلمية لأن فيها بلا شك فائدة للإنسان، وإني أعجب من الدول التى تحظر استنساخ الإنسان، ومن بينها الولايات المتحدة نفسها، لأن ذلك ليس تدخلاً فى إرادة اللّه، فلا أحد من البشر يقوى على ذلك وخلق الإنسان لا يستطيعه إلا اللّه وحده، ومن يتصورون أن الاستنساخ هو مساو للخلق لا يعرفون طبيعة هذه العملية العلمية التى تعتمد على التلقيح من بويضة شخص بعينه، أما من يجعل الحياة تدب فى المخلوق الجديد فلا يتم فى المعامل وإنما فى رحم الأم وبإرادة اللّه وحده.

قلت : قرأنا أخيراً أنك لا تمانع فى استنساخك.

قال : إذا كان ذلك مفيداً.. وإن كنت لا أدرى إن كان الإنسان هو نتاج للجينات الخلقية وحدها والتى تحملها بويضة، أو هو محصلة أيضاً للتجارب الحياتية التى يعيشها، خاصة فى طفولته، فقد كانت لدى هتلر على سبيل المثال ميول فنية معروفة فى صباه، فهل إذا تم استنساخه سيشب هذه المرة دكتاتورا أم فناناً تشكيلياً؟ التجربة العملية وحدها هى التى تملك الإجابة»[1].

الثقافة فى القرن الـ21 :

«وتحدث الأستاذ نجيب محفوظ عن الثقافة فى القرن القادم الذى يبدأ ألفية جديدة فى التاريخ الإنسانى بعد سنتين ليس أكثر، فقال :

أن أهم تطور حدث للثقافة فى الآونة الأخيرة هو ما ستدخل به القرن القادم هو التليفزيون وتوابعه أى الانترنت والكمبيوتر وخلافه ونستطيع أن نتصور أن ثقافة المستقبل ستكون ثقافة مفتوحة ومتاحة للانسان من جميع أنحاء العالم وفى جميع أنحاء

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2002/12/12.

العالم سيتمكن وهو فى قريته أن يستمع إلى جميع أنواع الموسيقى أو أن يشاهد مسرحيات ويطلع على مؤلفات من العالم كله.

إذن فإن أول ملاحظة على الثقافة فى القرن الـ21 هو اتساعها الأفقى بلا حدود حتى أنها ستصل للأمى مثل المتعلم، ولكن المشكلة التى ستواجهنا هنا هى أننا إن لم نحسن الاختيار غرقنا أى أن الاختيار أمامنا هو بين الانتقاء أو الغرق.

ويوضح الأستاذ وجهة نظره فيقول : إن الكم الهائل من المواد المتاحة على الانترنت مثلاً يستطيع أن يغرقنا فى فيضان غير مسبوق من المواد الغثه والثمينة ومالم يكن لدى الانسان قدرة على التميز والانتقاء فإنه سيغرق غرقاً مميتاً، لذلك فإن الاستعداد فى رأيى للقرن الـ21 يبدأ فى الثقافة أولاً بالتعليم الذى يكون الناشئ الذى يستطيع أن يفهم ويتذوق ويكون رأيا، لا من يحفظ مايتم تلقينه له دون أن يفكر لنفسه ويتخذ موقفاً، أما الاستعداد الثانى فهو بالتأصيل فى التراث حتى لايدخل القرن القادم عارياً وبلا خلفية ثقافية.

أى أن علينا أن نواجه فيضان الثقافة القادم بتربية العقل حتى يكون لدينا تفكير مستقل ثم بتأصيل الهوية الثقافية حتى يكون وجدانا وذوقاً نابعاً من تراثنا الحضارى، إذا حققنا ذلك ودخلنا على العالم المنفتح فلاخوف وأنما سيكون دخولاً إلى عصر ديمقراطية الثقافة الحقيقية المتسلحة بعقلية مستقلة، واختيار سليم مابين الغث والثمين، لذلك فأنا متفائل بالنسبة للثقافة فى القرن القادم ولكن شريطة أن نستعد لها وإلا فإن الزمن سيتخطانا»[1].

الهوية المصرية :

«تحدث الأستاذ نجيب محفوظ عن الهوية الوطنية لمصر والتى كثيراً مايثار حولها الجدل مابين قائل إننا فراعنة لا علاقة لنا بجنس الفاتحين العرب أو إننا شماليون لاعلاقة لنا بالجنس الأفريقى أو أننا ننتمى إلى حضارة البحر المتوسط لاعلاقة لنا بالأجناس الآسيوية، لكن الأستاذ له رأى آخر فهو يقول : فى رأيى أن الوطن هو منبع الهوية لاعلاقة

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1997/6/26.

له بالجنس فالمصريون يمثلون حضارة متعددة، ففينا العربى والسوداني والتركى والمغربى إلى جانب المصرى القديم، والجامع الوحيد لكل ذلك هو أرض الوطن التى تجعل منا وحدة واحدة مهما تعددت الأجناس والحضارات التى انصهرت جميعاً فى هوية وطنية وحضارية واحدة.

لقد كنا حضارة فرعونية ثم انضمت لها الأغريقية فأصبحت فرعونية إغريقية ثم انضمت لها الرومانية فأصبحت فرعونية إغريقية رومانية ثم كانت فترة الحضارة القبطية إلى أن جاء الفتح العربى الإسلامى فكيف نفصل كلا من هذه المكونات الحضارية عن بعضها البعض بعدما تفاعلت سوياً على مدى القرون واتحدت فى وحدة وطنية واحدة؟

إن الوطن هو الذى يعطى الإنسان إحساسه بهويته وبالحضارة التى قامت على أرض هذا الوطن، لذلك لا يجب أن نعيد تجزئة هذه الهوية ونحيلها إلى مكوناتها الأصلية وإلا تفككت وزال تماسكها تماماً كمن يحاول إعاة الماء إلى أوكسجين وهيدروجين فهو بذلك يقضى تماماً على الماء ولايبقى له إلا غازات هلامية سريعاً ما تتلاشى فى الهواء»[1].

الآثار فى حياتنا

«قال الأستاذ نجيب محفوظ: لست أعرف لماذا ننظر إلى آثارنا القديمة باعتبارها شيئاً خارجاً على حياتنا الحالية، وكأنه ينتمى إلى مجتمع آخر وليست له أى علاقة بمجتمعنا الحالى؟ إن من ينظر إلى حياتنا بما فيها من عادات وتقاليد يجد أننا لم نتغير كثيراً عن أجدادنا القدامى، حتى فى بعض عاداتنا الدينية التى هى أقرب إلى المجتمع المصرى القديم ولا تمارس فى المجتمعات الإسلامية الأخرى.

إن المسئول عن ذلك هو تربيتنا المدرسية التى لا تقدم الحضارة المصرية القديمة للطالب إلا باعتبارها إحدى العجائب ولا تؤكد التواصل معها، وحتى حين يتم ترتيب زيارات لأماكن الآثار، فهى زيارات شبه سياحية على عوالم أخرى كانت فى السابق ولم يعد لها الآن وجود.

وأنا ما زلت أذكر كيف كانت والدتى تأخذنى وأنا طفل صغير لزيارة هذه الآثار

1ـ حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1997/9/11.

سواء المصرى القديم منها أو القبطى والإسلامى، فقد كنت أذهب معها لزيارة الأهرامات أو بعض الكنائس القبطية القديمة، كما أذهب لزيارة أولياء الله الصالحين، ولذلك تعودت على أن تلك جميعاً من مكونات تراثنا الحضارى.

ولقد تواصلت زياراتى بعد ذلك للآثار حين دخلت المدرسة، لكنى كنت أنظر إليها نظرة تختلف عن نظرة زملائى لأنى كنت قد زرتها قبل ذلك، بينما كانوا هم ينبهرون لعجائبها وكأنما هى "عجبة" وليست جزءاً من تاريخنا الماضى وحياتنا الحالية.

لذلك فقد حرصت بعد ذلك على أن أذهب مع أولادى إلى هذه الأماكن حتى يتعرفوا عليها فى السن المبكرة، فيشبون مدركين أنها جزء لا يتجزأ من حضارتهم فى كل عصر وزمان»[1].

الحل هو الإنتاج

«قال الأستاذ نجيب محفوظ: كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن بعض مشكلاتنا الاقتصادية مثل قضية السيولة، والبطالة وسعر الدولار والتسيب الإدارى، وخلافاً لما يطرح من حلول اقتصادية فإنى أعتقد أن الحل الحقيقى يكمن فى الإنتاج، يجب أن يصبح الإنتاج هو عادتنا اليومية كل فى عمله، وأعتقد أننا إذا اعتمدنا على أنفسنا وبذلنا الجهد فلا يمكن أن نخشى أى أزمة، خاصة أن تعدادنا كبير لذلك فإن الجهد الإنتاجى سيكون مضروباً فى الملايين.

قلت: يقول البعض أن الشعب المصرى بطبيعته ليس منتجاً.

قال على الفور: هذا غير صحيح، كيف يكون المصرى غير منتج وهو يزرع الأرض من قبل التاريخ، بل هو الذى علم الإنسانية الإنتاج الزراعى وقت كانت الزراعة هى كل الإنتاج، وفى العصر الصناعى فرض علينا التخلف والاستعمار ألا ننتقل من الزراعة إلى الصناعة، واليوم قد انتهينا من عصر الصناعة التقليدية ودخلنا عصر التكنولوجيا الحديثة والإلكترونيات وأنا أرى أن أمامنا فرصة كبيرة للتقدم فى هذا المجال بمضاعفة الإنتاج فنعود إلى سابق عهدنا فى التقدم والازدهار»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2002/7/4.

2- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2001/3/1.

أسباب للتفاؤل

«قال الأستاذ نجيب محفوظ: توقفت أخيراً عند تصريح مهم للرئيس مبارك يقول فيه: إننا قد اجتزنا مرحلة الأزمة الاقتصادية، ولرجل مثلي ليس متخصصاً في الاقتصاد لكنه يثق في تقدير الرئيس إلى أبعد الحدود فإن ذلك التصريح ملأني تفاؤلاً بالمستقبل، فوسط ما نعانيه الآن من الناحية الاقتصادية يجئ هذا التصريح مطمئناً إلى أبعد حدود لأنه يعني في الحقيقة أن ما نواجهه في الوقت الحالي هو مشاكل اقتصادية وليس أزمة اقتصادية، والفرق بين الاثنين كبير، فالمشاكل الاقتصادية لا يخلو منها أي مجتمع سواء كان مجتمعاً صناعياً متقدماً او مجتمعاً نامياً من العالم الثالث، وهي بطبيعتها مشاكل قابلة للحل بالقرار السليم والوقت اللازم، لكن الأزمة شيء آخر لأن المجتمعات التي تعاني أزمة اقتصادية مجتمعات عليها إعادة النظر ربما في توجهاتها الاقتصادية والسياسية، وعليها اتخاذ قرارات وحلول جذرية قد تكون لها آثار اجتماعية وخيمة لابد من مواجهتها هي الأخرى، ونحن دولة تعرف جيداً الفرق بين الاثنين لأننا مررنا بالأزمة الاقتصادية واضطررنا لاتخاذ مثل هذه القرارات الجذرية والتي حرصت الحكومات دائماً على العمل على تقليل آثارها السلبية على الطبقات الكادحة بقدر الإمكان، وحين يقول الرئيس: إننا اجتزنا الأزمة الاقتصادية فإن علينا أن نعرف أن المعاناة التي تظلم أمامنا أبواب المستقبل قد ولت، ودخلنا مرحلة جديدة علينا فيها أن نجد الحلول المناسبة لبعض المشاكل الاقتصادية التي تقابلنا حتى نمهد الطريق أمام أجيالنا الشابه إلى مجتمع لا يعاني البطالة ويجد فيه المواطن الحياة الكريمة التي تضمن له المأكل والملبس والعمل الصالح»[1].

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2001/5/17.

خاتمة الكتاب

«دخل يوم الأربعاء ٨ / ٢ / ٢٠٠٣م الأديب والكاتب نجيب محفوظ (٩٢ عاما) مستشفى هيئة الشرطة التى دخلها عقب محاولة اغتياله ووضع في العناية الفائقة بسبب إصابته بضعف عام وبعد مغادرتها عاود محاوراته مع الأستاذ محمد سلماوى ونختم ببعضها هذا الكتاب :

إفطار النقاهة

« كانت علامات تماثل أديبنا الأكبر نجيب محفوظ للشفاء هى استعادة شهيته للطعام، لدرجة أن الأطباء أوقفوا المحاليل التى كانوا يحقنونه بها للتغلب على ظاهرة الجفاف التى ولدها ارتفاع الحرارة، واكتفوا بما أصبح يشربه بنفسه من سوائل.

وقد أصبح الأستاذ يتناول الآن إفطاراً مكوناً فى معظم الأوقات من بيضة واحدة وقطعة جبن وكوب لبن، لكنه ما زال يفتقد الفول والطعمية التى يقول أن لهما عنده فى الأكل منزلة الرواية في الأدب، ويتذكر الأستاذ حين أجريت له عملية القلب فى لندن عام ١٩٩١ ، فيقول أنه فقد عندئذ شهيته تماماً للأكل، ثم يضيف :

"كانت المائدة تأتى لى كل يوم مليئة بكل ما لذ وطاب، وكانت تشبه اللوحة الفنية في تو عيبها لكن لم أكن أمسسها قط، وفى النهاية سألنى الجراح الذى أجرى لى العملية وهو مستر جرين :

ماذا تريد أن تأكل؟ فقلت إننى لا أجد فى نفسى الآن شهية إلا للفول أو الطعمية أو شربة العدس، وكنت أتصور أننى بذلك أطلب المحال، لكنهم قالوا لى إن كل ذلك موجود عند "على بابا" وهو محل الأكل الشرقى فى لندن".

قلت : أليس هناك شىء غير شعبى تحبه، سواء فى الأكل أو غير الأكل؟

قال : هناك أشياء كثيرة أحبها غير شعبية، لكن أحبها من بعيد لبعيد. فحين كان يدعونى صديق إلى أحد الفنادق الفاخرة كنت أذهب معه وأستمتع بالجلسة وربما استمتعت أيضاً بالطعام، لكن ما إن تنتهى جلستنا حتى كنت أعود أدراجى إلى الحسين حيث الفول والطعمية والشيشة البلدى»[1].

1ـ حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2003/1/30.

عودة الابتسامة!

«دخلت على الأستاذ نجيب محفوظ مهنئاً بسلامة المعافاة بعد الخروج من المستشفى، فوجدته في الفراش وقد تم ربط ذراعه اليمنى بضماضات وعلقت برباط فى رقبته.

قلت له منزعجاً: ماذا حدث؟ قال في أسى: لقد وقعت أثناء ذهابى إلى دورة المياه وسط الليل، ولاحظت كدمة واضحة فوق عينه اليمنى، وشكا لى من ألم فى كتفه فأدركت أن الوقعة لابد كانت شديدة.

قلت: حمداً لله على سلامتك ... قال: السلامة أصبحت الآن بعيدة المنال، فما إن خرجت من حفرة نزلة البرد التى أصابتنى، حتى وقعت فى "دحديرة" هذه الوقعة وما هى إلا دقائق حتى حضر فريق الأطباء حاملين معهم جهازاً متنقلاً للأشعة، فتم الكشف على الذراع اليمنى والكتف وطمأننا الطبيب على أن الأستاذ لن يحتاج إلى جبس وأن الأربطة الحالية تكفى، لكنه نصح بالراحة التامة إلى أن يتعافى تماماً ويتم فك أربطة الذراع، وتنتهى جرعات الأدوية التى كتبها له الأطباء بالمستشفى.

وسألت عن تلك الأدوية التى راعنى عددها على المنضدة الصغيرة إلى جانب السرير، فقيل لى إن بعضها مسكن للألم والبعض الأخر مقوى، وأن بها من العقاقير ما يخدر بعض الشيء. مما لا يجعل خروج الأستاذ الآن من البيت مستحباً.

وودعت الأستاذ وأنا ألحظ أنه بدأ يغفو قائلاً: سأتركك الآن للراحة، فرد: بل ستتركنى للتعب.

لكنى بدأت أخظ فى زياراتى اليومية للأستاذ تحسنا تدريجياً فى صحته خاصة فى حالته النفسية التى كانت تقلقنى أكثر من أى شيء آخر، وأمس الأول شاهدت لأول مرة ابتسامته العريضة التى كانت قد غابت طوال الأسابيع الماضية، فسألته: كيف حال الذراع اليمنى الآن؟ قال على الفور: لقد حركته اليوم! فعرفت سبب ارتفاع معنوياته»[1].

1ـ حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2003/2/6.

العيد فى الجمالية

«قال الأستاذ نجيب محفوظ : ما إن يحل العيد حتى تعود بى الذاكرة بسرعة إلى حى الجمالية الذى عشت فيه طفولتى، والذى عرفت فيه العيد أول ما عرفته، فقد تفتحت مداركى على ذلك الحى القديم، وأول ما جاءنى الوعى بالعالم الذى حولى كان بالجمالية، والغريب أننى حين كنت أقيم بالجمالية مع أسرتى لم يكن وعيى بها مكتملاً كما هو الآن. فقد كانت آنذاك شيئاً طبيعياً بالنسبة لى أصحو فى الصباح فألقاه ويمسى يومى عليه، كان طبيعياً أن أفتح عينى كل يوم على بيت القاضى ودرب إرمز، وأن أصعد إلى سطح منزلنا فأرى مئذنة جامع الحسين، وأن أنزل إلى الشارع فأجد نفسى محاطاً من كل جانب بهذه المبانى التى تشهد على تاريخ القاهرة منذ أنشئت.

لكن حين كبرت بدأ يتشكل لدى الوعى بالتاريخ، فكنت أشاهد أهالى الجمالية يسيرون فى الطريق ويتحدثون إلى بعضهم بعضاً، ويقضون حاجاتهم اليومية، فكانوا يبدون أمامى وكأنهم التاريخ القديم للقاهرة وقد بعث حياً، فهؤلاء الرجال والنساء والأطفال هم أنفسهم الفاطميون الذين بنى أحد كبارهم وهو جوهر الصقلى القاهرة قبل ألف سنة وبنى أحد قادته وهو بدر الجمالى حى الجمالية الذى أصبح يحمل اسمه.

ثم يسرح الأستاذ قليلاً وهو يقول: كم نظرت من خلف المشربية التى كانت تغطى شبابيك بيتنا القديم بحى الجمالية إلى ذلك الميدان الهادئ المليء بأشجار الصفصاف، والذى كانت تملؤه الزينات كلما جاء العيد فيلعب فيه الأطفال طوال النهار والليل دون خوف من مرور السيارات أو من حوادث الطريق»[1].

بيت الطفولة

. تعود ذاكرة الأستاذ نجيب محفوظ إلى مرحلة الطفولة فيقول: كان بيتنا القديم بالجمالية بيتاً جميلاً بنى على الطراز العربى الأصيل. وكانت تزين واجهته مشربيتان جميلتان أراهما أمامى الآن بكل تفاصيلهما الدقيقة.

1 حوارات نجيب محفوظ. الأهرام، 2003/2/13.

ثم يصمت قليلاً فلا أقاطع صمته، وحين يعود للكلام يكون ما زال شاغله هو بيت الطفولة بحي الجمالية القديم، حيث يقول: لم يكن البيت كبيراً، لكنه كان مكوناً من ثلاثة طوابق، كل طابق فيه لا يتسع لأكثر من غرفتين، فقد كنا نسكنه رأسياً وليس أفقياً، ففي الدور الأول مثلاً كانت هناك غرفة المسافرين التي كان من يأتون لزيارتنا من خارج القاهرة يبيتون فيها، أما غرفتي فكانت في الدور الثاني مع والدتي، وكان في الدور الثالث يسكن أشقائي في غرفة وشقيقاتي في الغرفة الثانية، إلى أن تزوجوا جميعاً وتركونا إلي بيوت أخرى، ثم كان هناك السطوح الذي كثيراً ما كنت أصعد إليه خاصة في شهر رمضان لأنظر إلى مئذنة جامع الحسين قبل غروب الشمس إلى أن أسمع الآذان فأنزل إلى الإفطار، وأتصور أنني كنت آنذاك في السابعة من عمري ... وبعد فترة صمت أخرى يقول: لقد تركنا هذا البيت بعد ذلك وانتقلنا للعيش بحي العباسية، وأذكر أنني عدت ذات مرة لزيارته فوجدته قد تحول إلى مقهى، وفي زيارة تالية وجدته قد هدم وأقيمت مكانه عمارة قبيحة الشكل، فلم أذهب إليه ثانية»[1].

فاتورة الحساب!

«سألت الأستاذ نجيب محفوظ: كيف تنظر إلى السنوات العشر الأخيرة التي مضت عليك منذ حصلت على أكبر جائزة عالمية في الأدب وهي جائزة نوبل عام ١٩٨٨؟

فقال: لقد كانت الأعوام العشرة الأخيرة هي فترة دفع فاتورة الحساب فقد كانت فرحة نوبل كبيرة جداً من حيث قيمتها الأدبية بالنسبة لي وللأدب العربي عامة، كما أنها أحدثت نقلة مادية لا بأس بها طمأنتني على مستقبل أسرتي الصغيرة، ولكن لأنني حصلت عليها في سن متأخرة قد تلتها مباشرة أمراض الشيخوخة والضعف العام فكانت أولاً العملية التي اضطررت لإجرائها بلندن في القلب عام ١٩٩٠، وقد كانت تجربة شديدة ثم تلتها عملية الاعتداء على عام ١٩٩٣ والتي تطلبت هي الأخرى عملية جراحية لا تقل مشقة عن عملية لندن، ولأن سمعي وبصري كانا قد بدأا يضعفان فقد نزل كل منهما بعد ذلك إلى المستوى الأدنى حتى أنني الآن لا أستطيع الإبصار إلى أبعد

1. حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 2003/2/27.

من حوالى شبر واحد فقط، أما السمع فإن المتحدثين معى. وأنت أولهم - يعرفون المشقة التى أكبدهم إياها حتى يسمعونى ما يقولون.

أما ما لم أكن أتوقع أنني أستطيع العيش معه فهو الحرمان من منابع الثقافة التى عشت أستمتع بها طوال حياتي مثل القراءة ومتابعة وسائل الإعلام من التليفزيون والإذاعة والاستماع إلى الموسيقى، وقد كانت هذه الأشياء هى متعة حياتى كما أنه قد فاتنى أيضاً بسبب ذلك الوهن الذى أنا فيه الآن أن أدخل العالم الحديث بالتعامل مع الكمبيوتر والإنترنت وما إلى ذلك.

ثم يختتم حديثه قائلاً: لكنى أقول لك فى النهاية إنى أحمد الله على كل شيء فإن طول العمر الذى عشته وما وهبه لى الله فيه من نعم يجعلنى شاكرا دائماً وقد كان على فى النهاية أن أدفع الثمن، فقد عشت حوالى عام بعد نوبل فى فرحة الفوز ثم بدأ بعد ذلك دفع فاتورة الحساب»[1].

ما أفتقده الآن:

«قلت للأستاذ نجيب محفوظ: تغير أسلوب حياتك فى السنوات الأخيرة بسبب ظروفك الصحية، فما هى أكثر الأشياء التى صرت تفتقدها الآن؟

قال على الفور: أفتقد أشياء كثيرة أولها بالطبع القراءة، حيث لم أعد أستطيع القراءة المتواصلة لساعات، كما تعودت طوال حياتى وإنما أنا أعتمد فى ذلك الان على من يقرأ لى عناوين الصحف اليومية وبعض مقالاتها، وهناك أشياء أخرى كثيرة أفتقدها، وإن كنت لا أستطيع ترتيبها حسب الأهمية، لأنها جميعاً كانت مهمة بالنسبة لى، منها مثلاً الاستماع للموسيقى ومشاهدة المعارض التشكيلية، فالموسيقى مثلاً كانت جزءً لا يتجزأ من حياتى، وكنت أهواها بمختلف أنواعها شرقية وغربية وحديثة وكلاسيكية، وقد أصاب أذنى ما جعلنى قادراً على الاستماع إلى من يحدثنى إذا رفع صوته بالقدر اللازم لكنى غير قادر إطلاقاً على الاستماع للموسيقى مهما يعلو صوتها،

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام، 1998/10/15.

وقد قيل لى إن ذلك خلل فى خاصية معينة فى حاسة الاستماع تؤثر فى الموسيقى ولا تؤثر فى الكلام، ثم إن الفن التشكيلى أيضاً كان من الأشياء التى كنت أحرص على متابعتها، وقد تابعت الكثير من رواد الفن المصريين منذ بداياتهم، ثم يأتى بعد ذلك اهتمامى بالمسرح والسينما، وقد كنت حريصاً على كل منهما فلم يكن يفوتنى عرض مسرحى مهم ولا فيلم سينمائى.

ثم يقول: الحقيقة أن البركة الآن فى أصدقائى فهم الذين يعطوننى فكرة أولاً بأول عما يجرى فى هذه المجالات الفنية، فقد يقرأون لى نصاً أدبياً قصيراً أو يحدثوننى عن معرض تشكيلى مهم، أو يرون لى قصة فيلم سينمائى، أما الموسيقى، فتلك لا يستطيع أن ينقلها إلى أحد، ولذلك فإن افتقادى الآن للموسيقى كبير.

قلت: فيما يتعلق بالموسيقى ستجد كثيرين يحسدونك، فإن ما يقدم لنا الآن على أنه موسيقى قد يكون من الأفضل عدم سماعه»[1].

المشى:

«قال الأستاذ نجيب محفوظ: تعودت طوال حياتى على المشى، فلم أشأ أن أمتلك سيارة، لأن المشى كان بالنسبة لى متعة تكاد تضارع متعة الفن، فلم يكن المشى مجرد تدريب رياضى، وإنما كان حركة تحرك الفكر وتطلق الخيال. ومن ثم كان بالنسبة لى وسيلة لتنشيط الإبداع.

ولقد مشيت فى جميع شوارع القاهرة على مدى عشرات السنين، خاصة القاهرة القديمة التى كنت أعرفها حارة حارة، لكن طريقى الذى كنت أمشيه كل صباح كان يبدأ فى نحو السادسة صباحاً من شارع النيل بالعجوزة - حيث أقيم عبوراً إلى جزيرة الزمالك فشارع الجبلاية، الذى أصبح اسمه شارع أم كلثوم، ثم اخترق حديقة الزهرية مروراً بحديقة الأندلس إلى كوبرى قصر النيل حتى أصل إلى مقهى "على بابا" بميدان التحرير بعد نحو ساعة كنت أستمتع فيها بالهواء النقى فى الصباح قبل التلوث الذى تحدثه السيارات، وكانت فرصة لى للتأمل والتفكير.

1- حوارات نجيب محفوظ، الأهرام. 2002/10/17.

وأنا لم أنقطع عن المشى لا فى الصيف ولا فى الشتاء، ولا فى أيام العمل، ولا فى الإجازات، وفى مقهى «على بابا» كان يومى يبدأ بقراءة الجرائد وتناول قهوة الصباح، ثم أذهب إلى عملى إن كان اليوم عمل، أو أعود إلى البيت إن كان اليوم إجازة، فأمضى بعض الوقت فى الكتابة والقراءة مستعينا بصفاء الذهن الذى جاءنى من المشى»[1].

حمداً لله وشكراً

1. حوارات نجيب محفوظ. الأهرام. 2002/10/24

فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة :	١
الفصل الأول - نجيب محفوظ .	٥
.. 1911م .. بين حنان الأم وسلطة الأب	٥
.. المقهى .	٦
.. السر .. كما تحب تكون . !! فكيف كان ؟ !	٩
.. التخطيط .. وكيف كان ؟	١٣
.. ماذا قال عن .. ؟	١٤
- نجيب محفوظ .. موظف مظلوم .	١٥
.. بين الكادر الإدارى والكادر الكتابى .	١٥
.. وأثر الوظيفة على إنتاجه الأدبى .	١٦
.. وألقابه فى العهد الملكى .	١٦
.. والموظفين .	١٧
- نجيب محفوظ .. أديباً أُسئ الظن به !! .	١٧
.. رواية «أولاد حارتنا» رواية إسلامية إيمانية .. مظلومة .	١٧
.. نجيب محفوظ وسيد قطب .	١٨
.. وفاء نجيب محفوظ	١٩
.. حوارات نجيب محفوظ .. وأولاد حارتنا .	٢١
.. الثلاثية والإسلام	٢٢
- نجيب محفوظ .. المسلم .	٢٣
.. والصدقة الجارية .	٢٣

الموضوع	الصفحة
.. والتبرع	٢٤
.. وأعمال الخير .	٢٤
.. علم ينتفع به .	٢٤
- نجيب محفوظ .. الحرفوش والحرافيش وبينهم حرفشه .	٢٥
.. الحرفوش .	٢٥
.. مؤسسو جماعة الحرافيش .	٢٥
.. نجيب محفوظ .. والانضمام لجماعة الحرافيش .	٢٦
.. كيف جاء اسم الحرافيش؟	٢٧
.. الحرافيش .	٢٧
.. من بقى من الحرافيش .	٢٩
.. الصداقة .	٣٠
.. أحمد بهاء الدين .	٣١
- المتابعة والمتبوع .. فى ندوة الأسبوع للأستاذ نجيب محفوظ .	٣٢
.. فى أواسط الخمسينات والستينات .	٣٢
.. فى السبعينات .	٣٤
.. أسباب المتابعة الأمنية .. تغير شعار الندوة والمترددين عليها .	٣٦
- نجيب محفوظ .. ورجال الشرطة .	٣٧
.. رجال الشرطة لايندهشون .. ولكن ينصتون .	٣٧
.. رجال الشرطة .. يقرأون ويفكرون .	٣٨

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
- نجيب محفوظ بالقلم واللسان.. حول الجريمة والمجرم والظواهر الإجرامية.	١١٦
.. تعريف الظاهرة الإجرامية.	١١٦
.. أسلوب دراسة الظاهرة الإجرامية.	١١٦
.. أسباب الظواهر الإجرامية.	١١٧
- نجيب محفوظ بالقلم واللسان.. حول أسلوب دراسة الظواهر الإجرامية..	١١٨
.. خريطة الشباب.	١١٨
.. خريطة المجاهدين.	١١٩
.. خريطة الثقافة.	١٢٠
.. كلمة بين الصخب والغضب.	١٢١
.. شرفاء لكن مجرمون.	١٢٢
.. البناءون والمخربون.	١٢٣
.. بين الحب والكراهية.	١٢٤
.. مناجاة البلايين المهربة.	١٢٥
.. الايدز السياسى.	١٢٦
- نجيب محفوظ .بالقلم واللسان.. حول أسباب الظواهر الإجرامية.	١٢٦
.. الجريمة فى زمن البراءة.	١٢٦
.. بين الدفاع والإصلاح.	١٢٧

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
.. روض الفرج.	٢١٧
.. أحزان الموت.	٢١٨
.. رمضان.	٢١٩
.. القراءة فى رمضان.	٢٢٠
.. الكتابة الذهبية.	٢٢١
.. قهوة الفيشاوى.	٢٢٢
.. الفول والكنافة.	٢٢٣
.. ذكرى العيد.	٢٢٤
.. تحية العيد.	٢٢٥
.. فسحة العيد.	٢٢٥
.. النيل فى العيد.	٢٢٧
.. القاهرة فى أعمالى.	٢٢٧
.. الإسكندرية	٢٢٨
.. اسكندرية الامتيازات.	٢٢٩
.. الإسكندرية المصرية.	٢٣٠
.. قهاوى الإسكندرية.	٢٣١
.. قهوة المثقفين.	٢٣٢
.. المعلم عرابى.	٢٣٣
.. الشتاء.	٢٣٤
.. الحارة.	٢٣٥

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org
E - mail : info @egyptianbook.org

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٣٩ / ٢٠٠٥

I.S.B.N. 977 - 01 - 9977 -X



. يلخص الكتاب حياة نجيب محفوظ التى قال عنها:

«فى هذه اللحظة من العمر أرى أننى أقمت حياتى فى الدنيا على أساس الحب: حب العمل.. حب الحياة.. وأخيراً حب الموت»!!

. يثرد الكتاب التحقيقات الجنائية فى إغتيال نجيب محفوظ بأسلوب السيناريو والحوار لما حدث فى القضية رقم ٤٢ لسنة ١٩٩٤ جنايات إدارة المدعى العام العسكرى.

. يوثق الكتاب ما كتبه الأديب الكبير حول المجرم والجريمة والظواهر الإجرامية وكيفية مواجهتها.



٩٧٥ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب